

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بمئة أجياء التراث

اتِّعَاضُ الْخِنْفَا
بِأَخْبَارِ الْأُمَّةِ الْفَاطِمِيَّةِ خُلَفَا
لِلنَّبِيِّ الَّذِينَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمِقْرِي
الجزء الثاني

تحقيق

الدكتور محمد علي محمد أحمد
أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية دارالعلوم جامعة القاهرة

القاهرة
١٩٩٦ - ١٤١٦ هـ



اهداءات ٢٠٠٠
المجلس الأعلى للفنون الإسلامية -
وزارة الأوقاف

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بمكتب إحياء التراث

اِتِّعَاطُ الْخُفَا بِأَخْبَارِ الْأَمَّةِ الْفَاطِمِيَّةِ الْخُلَفَا

لِلْفَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمِقْرِيَّيْ

الجزء الثاني

تعقيق

الدكتور محمد بن محمد بن محمد
استاذ التاريخ الإسلامى
كلية دار العلوم جامعة القاهرة

القاهرة

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم الأستاذ : محمد أبو الفضل إبراهيم

رئيس لجنة إحياء التراث

في سنة عشرين من تاريخ الهجرة ، تم للقائد العربي ، والصحابي الجليل عمرو ابن العاص ، فتح مصر ، ومن ذلك الحين دخل هذا الاقليم في الدولة الإسلامية وتلون بالصبغة العربية ، وأخذ يتوافد إليه أعيان الصحابة والتابعين ، وأعلام الفقهاء والمحدثين ، حيث وجئوا الظل الوارف ، والمورد العذب السائغ ، والمقام المحمود ، ولم يلبث أن دخلت الجبهة من المصريين في دين الإسلام أفواجا ، وانتشر في كل النواحي ، من أقصى الصعيد إلى بلاد الشمال ، حتى أصبحت مصر بمعلمها وحضارتها ووفرة مواردها من أهم الأقطار الإسلامية ، بل إنها حملت لواء الزعامة في كثير من عصورها التاريخية ، مما دونه المؤرخون كابن عبد الحكم والقضاعي والمسبجي وأبي عمر الكندي وابن ميسر وغيرهم .

وكانت الدولة الفاطمية من أعظم الدول التي عاشت في مصر أكثر من قرنين من الزمان ، وكان لها تاريخ حافل ، ولخلفاتها في الحضارة الإسلامية أثر بعيد ، فهم الذين أسسوا القاهرة المعزية ، فكانت قبة الإسلام ، وحاضرة الأنام ، وقرية جبين الزمان ، وأنشئوا الجامع الأزهر ، فكان منبع العلوم الإسلامية ومنارة للمعارف والآداب على مر الزمان ، كما أقاموا دور الكتب والخزائن ، وجلبوا إليها الكتب والأسفار ، وأرصدوا لها الأموال ، وأعدوا لطلاب المعرفة القوام والنسخ ، وهوت إليها أفئدة العلماء من شتى الجهات ، ينهلون العلم من أغلب مورد وأصفاء ، هذا إلى ما كان لهم من أثر في بناء المساجد والقصور والبساتين في جنات القاهرة وعلى ضفاف النيل ،

وما تجردت له جُمُوعهم من إعداد الجيوش وإنشاء الأساطيل تجوب المياه ، فضلا عما كان لهم من عادات في المواسم والأعياد ، تميزت بها دولتهم ، وما زالت تتصل بحياتنا الاجتماعية إلى اليوم .

وقد كان تاريخ هذه الدولة موزعا في كتب التاريخ والأدب والعقائد ، يمتزجا بغيره من تاريخ الدول ، إلى أن جاء الإمام تقي الدين أحمد بن علي المقرئ ، فجمع أشناته وضمَّ ما تفرق منه ، وأضاف إليه ما اجتمع له من ثمرات مطالعته ، وما تبيَّأ له من المناصب التي تولّاها ، ووضع هذا الكتاب الذي أسماه « اتعاظ الحنفا ، بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » . أدّاه على تاريخ من ملك القاهرة من الخلفاء وعلى جملة أخبارهم وسيرهم ، وجعله حلقة من سلسلة كتبه التي وضعها في تاريخ مصر والقاهرة .

والمقرئ شيخ مؤرخي الإسلام غير مدافع ، وفارس هذه الحلية غير معارض ، في كل ما ألف وصنّف ، وفي جميع ما نقل وروى ، مما جعل كتبه المصدر الأصيل في تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها ، وخطتها وآثارها ومعارفها وفنونها وآدابها وعلمائها وأعيانها .

هذا وقد سبق للمستشرق هوجو بونز أن قام بنشر هذا الكتاب سنة ١٩٠٩ م على نسخة مخطوطة ناقصة محفوظة بمكتبة جوتا بألمانيا ، وهي النسخة الوحيدة التي كانت معروفة في ذلك الحين ، وفي سنة ١٩٤٥ م قام الدكتور جمال الشبال بإعادة نشره عن هذه النسخة أيضا ، بعد أن رجع إلى الأصول التي أخذ المقرئ عنها كتابه . ومع مضي الأيام وتتابع البحث ، وجد من هذا الكتاب نسخة أخرى كاملة محفوظة بمكتبة سراي أحمد الثالث بإستانبول ، فجدّد معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في تصويرها ، ثم قام الدكتور جمال الشبال بإعادة نشر الكتاب عليهما مرة ثانية ، بعد أن أضاف إلى الجهد السابق مزيدا من التحرير والتحقيق ، وشرح المصطلحات ، والتعريف بالأعلام ، ما شأنت له معارفه التاريخية وأمانته العلمية وإطلاعه الغزير الوافر^(١).

وقد كان من تمام التوفيق ظهور الجزء الأول من هذا الكتاب ، والقاهرة تحتفل بعيدها الألفي منذ أنشأها الفاطميون ؛ فكان تحية طيبة ومشاركة كريمة من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في الاحتفال بهذه الذكرى .

ثم كان من دواعي الأسف وعميم الحزن ؛ أن اختار الله لجواره ، المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال ؛ ولما يشرع بعد في تحقيق الجزء الثاني ؛ فكان لوفاته رحمة الله عليه فجيعة ألم وأسى في الأوساط العلمية ، وعند محبيه وعارفي فضله ؛ لما كان عليه من غزير العلم والثقافة الواسعة والمعارف التاريخية المستفيضة ؛ إلى ما كان يتجمل به من الخلق الرضوي والتواضع الجم والسجايا الكريمة المحمودة - رحمه الله .

وقد رأت لجنة إحياء التراث بالمجلس الإسلامي إسناده تحقيق بقية الكتاب إلى صديقه العلامة الأستاذ الدكتور محمد حلمي محمد أحمد أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم ؛ فقام بهذا العبء خير قيام ، وسلك في تحقيقه المنهج العلمي الأصيل ؛ فكان خير خلف لخير سلف .

وهذا هو الجزء الثاني يتلوه الجزء الثالث ؛ وهو آخر الكتاب ؛ ومعه القهارس العامة ؛ ومن الله التوفيق والسداد .

قائمة ببيان بعض المراجع المستخدمة في التحقيق
مما لم يرد لها ذكر في الجزء الأول

أولاً : مراجع عربية :

- إحسان عباس (بالتعاون مع أحمد أمين وشوقي ضيف) : فريدة
القصر وجريدة العصر . للعماد الأصغهاى الكاتب
قسم شعراء مصر : ج : ١ ، ٢ ، القاهرة : ١٣٧٠
(١٩٥١)
- أحمد بن عبد الوهاب (شهاب الدين النويرى) : نهاية الأرب : ج : ٢٨*
أحمد بن علي المقرئ (تنق الدين) : المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار
(في جزئين) . القاهرة : ١٢٧٠ هـ .
- راشد البراوى حالة مصر الاقتصادية في عصر الفاطميين .
زكى محمد حسن (بالتعاون مع حسن أحمد محمود) : معجم الأنساب
والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى للمستشرق
زامباور ، ترجمة في جزئين ، القاهرة : ١٩٥١
- ١٩٥٢ .
- شكرى فيصل فريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصغهاى .
قسم شعراء الشام : ج : ١ ، دمشق : ١٩٥٥
عبد الرحمن بن إسماعيل (أبو شامة ، شهاب الدين المقدسى) : كتاب
الروضتين في أخبار الدولتين . انظر : محمد حلمى
محمد أحمد

* لا يرد هذا الجزء في دور الإعداد للطبع بالمؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر . ولذلك أكتفى في الإشارة
إليه بالتعليقات باسم المؤلف والكتاب دون إشارة إلى الصفحة .

علي ابن محمد (ابن الأثير أبو الحسن) : الباهر في تاريخ أتابكة الموصل .

الفتح بن علي بن محمد البنداري تاريخ دولة آل سلجوق (مختصر لكتاب العماد الأصفيائي) ، القاهرة : ١٣١٨ (١٩٠٠)

محمد حلمي محمد أحمد ١ - كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، لأبي شامة . تحقيق : الجزء الأول : القسم الأول ، ١٩٥٦ ، القيم الثاني ١٩٦٢ .

محمد كامل حسين ٢ - نهاية الأرب ، للنويري ، ج : ٢٨ . تحقيق (تحت الطبع) . في آداب قصر الفاطمية . القاهرة . ١٩٥٠ .

محمد بن محمد (العماد الأصفيائي) أنظر : إحسان عباس ، شكرى فيصل ، الفتح بن علي بن محمد البنداري .

ثانيا : مراجع أوروبية :

- Barker : The Crusades; London, 1923.
De Slane : Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux.
Gibb, H.A.R. : The Damascus Chronicle of the Crusades; London, 1932.
Lane-Poole (S.) : Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem; London, 1898.
Setton, K.M. : A History of the Crusades; Vol. I, Philadelphia, (University of Pennsylvania Press).
Stevenson; W.B. : The Crusaders in the East, Cambridge, 1907.

(*) أنظر فاش الصفحة السابقة) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب

الحمد لله فاتحة كل خير ، ونعم كل نعمة ، وصلاة البرّ الرحيم وسلامه على محمد أكرم خلقه ، باعث معالم المجد التي حفل بها تاريخ الإسلام والمسلمين ، ورضي الله عن سار على نهجه ، واهتدى بهديه ، وأسهم بجهده بإضافة لبنة من لبنات المعرفة إلى بناء صرح الثقافة الإسلامية ، التي نتج عنها إليها الآن بالنظرة الفاحصة والعزم الدؤوب ، لإحياء تراثها ، وكشف الأستار عن مكنون مفاخرها وخصائرها .

وتحية التقدير والوفاء إلى روح الأستاذ العالم المحرم الدكتور جمال الدين الشّيبان ، الذي أكرمه الله بدعوته إلى سكّني رياض جنّته ، فأقر أن يلبي دعوة العزيز الكريم ، تاركاً من بعده أدلة هادية على طريق الكفاح العلمي ، يتمثل آخر مصابيحها في الجزء الأول من هذا الكتاب ، الذي أقدم اليوم جزءه الثاني ، سائراً على دَرَبِهِ : ضاماً جهدي المقل إلى جهوده القيّمة ، اعتاداً على مايسره الله لنا من وسائل البحث والدرس .

• • •

ويشمل هذا الجزء من « أتماظ الحنفا » تاريخ دولة الفاطميين على امتداد مائة واثنين والستين ، منذ تولّى الحاكم بأمر الله شئون هذه التّولة في أواخر شهر رمضان ، سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، إلى نهاية سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وهي السنة التي توفى المستنصر بالله في ذى الحجة آخر شهورها .

وقد شهدت هذه السنوات تداول ثلاثة من الفاطميين عرش الخلافة : الحاكم

بأمر الله ، والظاهر لإعزاز دين الله ، والمستنصر بالله ، وكان لآخر الثلاثة القسم الأكبر من هذه المرحلة ، إذ تولى منصبه وعمره سبع سنوات ، وشغله بعد ذلك ستين عاما كاملة . ولم يسبقه أحد من خلفاء المسلمين ، من الفاطميين أو من غيرهم ، بمثل هذا ، إذ كان أطول زمن قضاة خليفة في خلافته أربعة وأربعين عاما وبضعة أشهر تولى فيها القائم بأمر الله النجاشي ، معاصر المستنصر بالله ، زمام القمم الشرقي من البلاد^(١) .

ولانحطت هذه السنوات الطوال من المقرري برعاية متكافئة أو متعادلة ، إذ نجده يختص بعضها بحديث مُسَهَّب مطول ، يُمكن القارئ من تتبع أحداثها شهرا بعد شهر ، بل يستطيع تتبع أحداث الشهر الواحد تتبعاً مفصلاً ، بينما يعالج بعضاً آخر في إيجاز واختصار ، يصل أحيانا إلى درجة لا يتوقعها من يتطلع إلى إشباع حاجته إلى المعرفة المتعمقة . فمن صور النوع الأول الحديث عن أخبار سنة خمس عشرة وأربعمائة ، إذ يقع هذا الحديث في أربعين صفحة من هذا الجزء ، ومن أمثلة النوع الثاني أخبار سنة ست عشرة وأربعمائة ، التي أعقبت هذه الصفحات الأربعين ، إذ أنها لم تتجاوز ثلاثة أسطر ، وحديث أنباء سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة الذي يقتصر فيه المقرري على قوله : فيها أقيمت دعوة المستنصر بحرّان . ولا يفت الأمر عند هذا إذ نجده يهمل سنوات أخرى فلا يذكر منها إلا عنوانها^(٢) ، بل قد يُفضل إغفالها تاما الإشارة إليها بعنوان مستقل^(٣) .

لكن هذا كله لا ينقص من أهمية هذا الكتاب القيم مصدراً رئيسياً ، يتصدّر مابين أيدينا من مؤلفات تعرضت لتاريخ الفاطميين في إيجاز أو في تطويل .

• • •

(١) توفي القائم بأمر الله سنة سبع وستين وأربعمائة .

(٢) وذلك في سنتي ٤٣٠ ، ٤٣٢ .

(٣) وذلك في السنوات : ٣٩٣ - ٤١١ - ٤١٤ - ٤١٩ - ٤٢٥ - ٤٣٣ - ٤٣٦ - ٤٤٨ .

ومعالجة المقریزی للجوانب المتعددة للدراسة التاريخية ، كما تبين في هذا الكتاب ، معالجة متوازنة ، لافضل لجانب منها على الآخر ، ولا يميز لأحدها أو لبعضهما من وجهة نظر المؤلف . فهو يعامل الأحداث السياسية والعسكرية معاملة متعادلة ، ويتحدث عن التطورات الاجتماعية والاقتصادية بمثل ما يتحدث به عن الأحداث الدينية أو الإدارية ، بحياد وموضوعية ، دون أن يخص أيًا من هذه الجوانب بعناية تبرز بعضها دون البعض الآخر ، أو تدلّ على ميل من جانب المؤلف إلى الاهتمام بناحية دون غيرها .

ولعلّ السرّ في هذا التوازن في المعالجة أن المقریزی أراد أن يكون كتابه الذي خصّصه لمرحلة بعينها شاملاً للموضوعات التاريخية المتنوعة ليمدّ الدارس بالمادة الغزيرة التي تتيح له معرفة شاملة متنوعة تمكّنه من إشباع اتجاهه الثقال من مورد قيم للمعرفة ، متعدد الاهتمات .

• • •

ولضوء هذه المادة العلمية الغزيرة أود أن أضع بين يدي القارئ بعض الحقائق التاريخية التي يساعد هذا الكتاب على إبرازها ، والتي كان بعضها في حاجة إلى ما يكشفه أو ما يزيده وضوحاً وبيّناً .

وأول هذه الإشارات يتعلّق بشخصية الحاكم بلأمر الله وعصره . فقد ذاع بين الدّارسين والمؤرخين اتّهامُ الحاكم بالتقلّب في أحواله والشّلود في تصرّفاته ، وأن هذا الشّلودَ وذلك التقلّب قد أدبّا إلى أن يحفل عصره بالاضطرابات ، مما أفقد الناس الاطمئنان على أنفسهم وأموالهم . لكنّ المقریزی يتيح لمؤلاه فرصة إعادة النظر في هذه الأحكام التي أدانت الحاكم ، وجعلت منه مثالا وأ نموذجاً للشّلود والاستبداد جميعاً .

وفى مقدمة ما يلزمُ الباحثَ بعينِ فاحصة إلى شخصية هذا الخليفة وفى عصره أن يُدخلَ فى تقديره أنَّ الحاكمَ قوَّى الخلافةَ وسنَّه لم تجاوز الحادية عشرة إلا بقليل وأنه وُضع بسبب هذه السنِّ الصغيرة تحت وصاية تنازعته فيها قوىٌ مختلفة من رجال الجيش وأستأذى الخلافة وسيّدات القصر ، فكان لهذا تأثيره فى تصرفاته عندما استطاع إمساك الزمام بيده عازماً على أن يكونَ بشخصيته قوَّةً فعالة فى إدارة شؤون الدولة ، متحررةً من الضُّغوط المتباينة التى كانت لاتزال تحاول أن تتجاهبه فيها بينها لتستميله إلى جانبها وتخضعه لتأثيرها . وغير مثل لمحاولته التحرر من هذه الضغوط موقفه من أخيه سُلطانة ست الملك التى كانت تتدخل من وراء ستار فى شؤون الدولة ، مستعينة ببعض رجالائها وقادتها ، بما أسخط الحاكم عليها ، وحمله على تهديدها وتخويفها . لكن ست الملك ، بإصرارها على موقفها من الدولة ومن أخيها ، دبرت مؤامرة محكمة للتخلص منه بقتله ، فنجحت فى هذه المؤامرة وأجلست ابنته الظاهر من بعده على عرش الخلافة . ولم يخف هذا الإصرار من جانب ست الملك على الحاكم الذى كان على علم بتصرفاتها ، والذي كان يخشى على أمه أيضاً منها ، يئد على ذلك حديثه إلى أمه قبيل اختفائه - ومقتله - ودفعه إليها خمسمائة ألف دينار ذخيرة لها ، تستعين بها على شؤونها إذ أنه كان لا يخاف عليها أضّر من أخوته .

وقد كان للثورة العنيفة التى تزعمها أبو ركوة^(١) أثرها فى تحديد موقفه من رجاله الذين فشل بعضهم فى التغلب عليها وفى إخماد نارها ، وقد كلفه القضاء على هذه الثورة ألف ألف دينار أنفقها فى الجيش وفى القادة الذين استعان بهم فى مواجهتها .

(١) بدأت هذه الثورة فى برقة ، وتدخل الحاكم بنفسه فى مواجهة أطوارها إذ أوسى إلى بعض رجاله بمكاتبة زعيمها ولجأه بأنهم يؤيدونه وسيدخلون فى طاعته إذا قدم إلى البلاد لأنهم يعانون من ضعف الحاكم ويطشيه ، فاستجاب التأثير ولم يقدم إلى الوجه البحرى ثم إلى الجزيرة ، ثم إلى القيروان حيث هزم هزيمة واسعة فطلب إلى الثورة وهناك تم التغلب عليه .

ولما ذُكرَ له أن قائد الفضل ابن صالح كانت له جهود واضحة في إنهابها والقبض على زعيمها ، قال : وماذا فعل الفضل ؟ لقد قبض عليه ملك النوبة وأرسله إلينا .

وهكذا كانت مشكلة الحاكم الأولى أنه كان يحاول طوال عهده العمل على أن يكونَ بشخصه قوة فعالة في إدارة شئون الدولة ، متحررا من الضغوط التي كانت تتجاذبه من داخل القصر وخارجه على السواء . وفي سبيل هذا كان يُكثر من الرُكوب منفردا في قير موكب ، ليلا ونهارا ، ويطوف بالأسواق للتعرف بنفسه على أحوال الناس ، وكان هؤلاء يتقدمون إليه بظلماتهم وشكاواهم ، فيتسلمها منهم بنفسه ويعمل على إنصافهم .

وقد مكنه هذا من اتخاذ قرارات عذّة تحتسب لصالحه وتُعَدُّ من مفاخره :

١ - فمن ذلك أنه أصدر - في أكثر من مناسبة - قرارات بمنع ذبح البقر الوكُود أو العاملة ، حتى يتوفر بذلك من الإنتاج الحيواني ما يسدُّ حاجة البلاد ومن حيوانات الحقل ما يمكنُ الفلاحين من العناية بالمرروعات وتحسين محصولها .

٢ - وأصدر قرارا بإنشاء دارٍ يحتفظ فيها بأموال اليتامى اللذين يشرف القضاة وأعوانهم على رعايتهم ، ونظم طريقة الإشراف ، إذ أمر « ألا يُودَع عند عدلٍ ولا أمين شيء من أموال اليتامى ، وأن يكتروا مخزنا تُودَع فيه هذه الأموال ، فإذا أرادوا دفع شيء منها حضر أربعة من ثقات القاضى وجاء كلُّ أمين فأطلق لمن يلى عليه رزقه بعد مشورة القاضى في ذلك ، ويكتب على الأمين وثيقة بما يقبضه من المال لمن يلى عليه »^(١) . والسبب المباشر لهذا التنظيم وفاة القاضى محمد بن النعمان تاركاً ديناً عليه للأيتام وغيرهم قُدِّر بعشرين ألف دينار ، أو بسة وثلاثين ألف

دينار ، مما دعا الحاكم - إلى جانب قراره هذا - إلى مصادرة أموال القاضي الثوئي وأموال أهوانه استيفاء لهذه الحقوق .

٣ - وعندما تبين للحاكم . بعد فترة من الزمن ، أن القاضي حسين بن النعمان لم يمتنع عن أكل أموال اليتامى بالباطل أمر بضرب رقبتة ثم بإحراقه بالنار عقوبة له وِزْدَعًا لغيره . ويسوق لنا المقرئ قصة هذه الحادثة - كأنه يخشى أن نبادر إلى اتهام الحاكم بالقسوة والظلم - فيقول : . . . وذلك أن متظلمًا رفع رُقعةً إلى الحاكم يذكر فيها أن أباه ثوئي وترك له عشرين ألف دينار وأنها في ديوان القاضي ، وأن القاضي عرفه أن ماله قد نجز . فدعا (الحاكم) ، وأوقفه على الرقعة . فقال كقولہ للرجل من أنه استوفى مَالَهُ من أجرة . فأمر بإحضار ديوان القاضي فأحضر من ساعته ، فوجد أن الذي وصل إلى الرجل أيسرُ ماله . فعدّد على القاضي حسين ، ما أقطعَه وأجرى له وما أراح من عِلَلِهِ لئلاّ يتعرض إلى ما ناله عنه من هذا وأمثاله . فقال : العفو والتوبة . فأمر به فضربت عنقه وأُحرق^(١) .

٤ - وفي سنة ثمان وتسعين وثلثائة أمر الحاكم بضرب جماعة من الخبازين وتشهيرهم لتعلم وجود الأخباز بالعشايا ، ولأنهم كانوا يشتون الخبز ويبيعونه مبلولا ، إذ كان التعامل فيه بالوزن .

٥ - وعندما صدر قراره بقتل القضاة مالك بن سعيد الفارقي ، في سنة خمس وأربعمائة ، لآثامه بمخالفة ست الملك وتدخله في شئون الدولة بتحريضها ، وكان الحاكم قد انفلق منها ، استدعى أولاد القاضي وأرضاهم ، ولم يتعرض لشيء من تركه أبيهم ، وأمر ابنه أبا الفرج أن يركب في الموكب ، وأقره على إنقطاعه ومبلغه في السنة خمسة عشر ألف دينار .

٦ - وأصدر الحاكم قرارات بإلغاء كثير من المكوس التي كانت قد ابتدعت ، من ذلك مكس الرطب ومكس دار الصابون ومكس بعض التجارات التي كانت تصل بحرا إلى مدينة القلزم ، والمكوس التي كانت تجي لدارى الشرطة بالقاهرة ومصر . ويتحدث المقرئ عن هذا كله في مناسباته . .

٧ - وفي سنة عشر وأربعمائة زود على مصر رجل من سجماسة يريد الحج ، فلَوَدِعَ ماله عند رجل في السَّوق . فلَمَّا عاد من الحج طلب ماله فلَئِي أن يدهمه إليه ، فتَوَصَّلَ إلى أن أَطْلَعَ الحَاكِمَ على أمره ، فقال له : « اجلس في دُكان مقابلا لدكانه ، فإذا جَزَتْ في ذلك السَّوق فاعمل كَأَنَّكَ تعرفني وكَأَنِّي أعرفك . فلَمَّا مرَّ الحاكم وقف على الرَّجُل وسأل عن حاله وأكثر معه الوقوف ، وانصرف . فجاء الرجل الذي عنده الوديعة إلى الرجل وأكبَّ عليه وسأله الصَّفح عما سلف منه . وأحضر إليه جميع ماله . فعرف الحاكم بذلك ، فأصبح الذي أنكر الوديعة مقتولا مُطْلَقًا برجله . »

٨ - أما من الناحية المذهبية ، فقد اتَّهم الحاكم بتكيله بأهل السنة بعد أن كان قد خفف عنهم القيود ، وأباح لهم دراسة مذاهبهم ، ومكَّنهم من ذلك في دار العلم التي أنشأها للدرِّس والبحث . وهذا الاتِّهام يُعَوِّزُهُ شئ منهُ تعرُّف الطُّرُوف التي أقدم الحاكم فيها على تقريب المالكية ثم على العلول إلى مذهب القديم . ذلك أن المعز بن باديس صاحب القبروان كتب إليه يستنكر بعض أفعاله ، فأراد الحاكم أن يسترضيه ويستميله إليه ، فأظهر اهتمامه بدراسة مذهب المالكية ، وأحضر العلماء لمناظرتهم في مذاهبهم ، وأمر بِمَحْوِ سبِّ المساجد والأسواق ، ونهى عن ذكرهم بغير ما يجب لهم من الإعزاز والتقدير . ثم تغيَّرت الأحوال فعاد الحاكم إلى مذهب القديم الذي نشأ أسلافه عليه والذي تملك خلفاؤه به إلى أن قضى الله بزوال دولة

الفاطميّين . فالحاكم بهذا لم يُقدِّم على ما أقدم عليه إلّا بدافع سياسيّ ، ولم يُقدِّل عنه إلّا بعد أن تبيّن زوال أسبابه وخطورة الإبقاء على موقفه من تأييد السُنّة في دولة تحول كلّ تنظيماتها العُقلانيّة والمذهبية والسكرية دون هذا . وما أشبه هذا بما فعله المأمون العبّاسيّ - مع مراعاة فارق العصر والظروف - حين قَرَّب منه العلويين ولبس شعارهم وغلغ السواد شعار العبّاسيين ، وبائع بولاية عهده لعلّ الرضا وتزوج ابنته ، ثم لم يلبث أن عدل عن هذا الاتجاه العلوي بتأثير تحرّك بغداد ضده وتغيّر موقف البيت العبّاسيّ منه .

٩ - وغير مانحتم به هذه الملاحظات عن الحاكم وعصره ما قاله المقرئيّ : « وكان الأمر في مئة العزيز، فيه انحلال وعضوٌ كبير عن الناس ، فظنّوا أن ذلك يجوز في مئة الحاكم وجروا على رَسْمِهِمْ ، فتجرّد لهم منه مطّلعٌ على جميع أمورهم ، غير مطّرحٍ لعقوبة ، فهلك الجَمُّ الغفيرُ منهم » .

ونحن لاندهى بعد هذا أن الحاكم خيرٌ كلّهُ ، لكننا ندعو إلى الاقتصاد في اتهامه والحكم عليه دون تقدير كاملٍ لظروفه وظروف عصره ، فبمثل هذا التقدير نُتَصَف الحاكمُ المقرئيّ عليه ، ونبيّن مدى الجهد الذي بذله في محاولة الإصلاح ، ولا نبخسه أجره الذي يستحقّه لهذا الجهد الذي استغرقه ، خمسا وعشرين سنة كاملة هي مدة خلافته

• • •

ويتولى الظاهر لإعزاز دين الله خلافة الفاطميين عقب غيبة الحاكم التي ذاع بعدها أنه قُتِل ، وكان الظاهر إذ ذاك قد جاوز السادسة عشرة من عمره ، وبقي في منصبه حتى توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، بعد نحو ستّ عشرة سنة من خلافته . وفي مناسبة وفاته يقول المقرئيّ : « وكانت أيامه كلّها سكونا وليّنا ،

وهو مشغول بلذاته ونزّهه وسباح المني . لكن استعراض الأحداث التي جرت في عصره والتي فصل المقریزی الحديث عنها ، لا يؤيد القسم الأول من حكم المقریزی بأن « أيامه كانت كلها سكونا ولينا » .

١ - فقد أسلم الظاهر أمره في السنوات الأولى من خلافته إلى عمته ست الملك التي نجحت في قتل الحاكم وإقامة الظاهر مقامه ، ولم تلبث أن أخضعت لسلطانها وأدارت الدولة بوساطة أعيانها ، ونكّلت بكل من اعترض طريقها . وكان من أوائل مَنْ نكّلت بهم أولئك الذين ساعدوها في التخلص من أخيها بإحكام التدبير ثم بإتقان التنفيذ .

وفي ظل سيطرة ست الملك تولّى أبو الفتح موسى بن الحسن الواسطة - الوزارة - في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، بعد أن كان يشرف على ديوان الإنشاء ، ولم يلبث أن نُكِبَ بعد تسعة أشهر إذ صدر أمر ست الملك بإخراجه من مجلس الوزارة مسحوباً وبسجنه ، ثم قُتِلَ بعد ذلك بأمرها .

٢ - وبعد وفاة ست الملك استسلم الظاهر لوزرائه ورجال دولته ، فتناقص هؤلاء على مركز الصدارة ، وقرر ثلاثة منهم : « أن يكون دخولهم على الخليفة الأخير في كل خلوة ، وأنهم يكفونه أمر الاهتمام بالدولة ليتوقّر على لذاته وينفردوا بالتدبير » . فتم لهم ذلك ، ولم يعترض الظاهر على تدبيرهم .

٣ - وشهد عصر هذا الخليفة بدء تفكّك البلاد الشامية من قبضة الدولة وتحرك الثورات المحلية بها ، وعجز الإدارة المركزية بالقاهرة عن حسم خطر هذه الثورات إذ كيف تستطيع القاهرة ذلك ورجال الدولة والقصر يتنافسون في محاولاتهم إخضاع الخليفة لنفوذهم والخليفة في شغل بملذاته ومواكبه الرسمية التي يتنقل

بها بين القاهرة ومصر للتنزه والترويح . أين هذا كما كان يفعله الحاكم من الخروج منفرداً ، ليلاً أو نهاراً ، للتعرف على أحوال الناس وتلقى ظلاماتهم وشكاياتهم ، وعمله على إرضائهم وإنصافهم .

٤ - وفي سنة عشرين وأربعمائة « كانت فتنة عصر بين المغاربة والأتراك ، وكان الظفر للأتراك ، ثم استظهرت المغاربة معانوة العامة لهم ، فقتلوا عدة كثيرة منهم ، وأخرجوا من بقى منهم عن مصر » .

٥ - وفي سنة أربع عشرة وأربعمائة غلت الأسعار وقلت الأخباز . وحدث مثل هذا مرة أخرى في السنة التالية إذ اشتد الغلاء والقحط ، وعُلمت الأقوات ، فلم يصرف هذا الظاهر عن الخروج في موكبه التقليدي إلى الفسطاط للنزهة والترويح « وخلفه القَوَدُون والمصطنعة ، وبين يديه الرِّقاصون ، فاستغاث الناس بضجة واحدة : الجوع يا أمير المؤمنين ، الجوع ! ! لم يصنع بنا هكذا أبوك ولا جدك » . ولما جاء عيد الأضحى « مدَّ السَّاط بحضرة الظاهر ، فلما جلس أهل الدولة عليه للأكل كبس العبيد القصر وهم يصيحون : الجوع ! نحن أحق بساط مولانا . ونهبوا جميع ما على الساط ، وضرب بعضهم بعضاً ، والصقالبه تضربهم فلا يُبَالون » .

٦ - وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة اجتمع الناس بقنطرة المقدس للاحتفال بعيد الفصح « في كهو وتَهْتِك قبيح ، واختلط الرجال بالنساء وهم يعاقرون الخمر ، حتى جُمِلت النساء في قفاف الحمَّالين من شدة السكر ، فكان المنكر شديداً » . وقد شرب الظاهر الخمر في سنة ثمان عشرة وأربعمائة « وترخص فيه للناس وفي سماع الغناء وشرب الفقَّاع . فلأجل الناس على الله » .

ويعدُّ ، فأظننا لانستطيع أن نتفق مع الميرزى في قوله عن الظاهر : « وكانت أيامه كلها سكوناً وليناً » ، وإن كنا نؤيده في قوله : « وهو مشغول عملاًه ونُزَّهه

وساع المُنَى ، وفي كلتا الحالتين نستند إلى الأحداث التي سجّلها القريزى نفسه في كتابه هذا بتفصيل وتطويل .

• • •

أما الشدة العظمى التي حدثت أيام المستنصر بالله فيكفى في توضيح بعض ظروفها أن نقتبس قول القريزى : « . ولم يكن هذا الغلاء عن قصور مدّ النّيل فقط ، وإنما كان من اختلاف الكلمة ومحاربة الأجناد بعضهم مع بعض . وكان الجند حنة طوائف مختلفة الأجناس : فتغلبت لَوَاتُهُ والمغاربة على الوجه البحرى ، وتغلب السودان على أرض الصعيد ، وتغلب الملتمة والأتراك بمصر والقاهرة ، وتحاربوا فكانت السبع سنين المذكورة مدّ فيها النّيل ويطلع وينزل في أوقاته ، فلا يُوجد في الإقليم نّ يزرع الأراضي ، ولا مَن يقيم جسوره ، من كثرة الاختلاف وتواتر الحروب . ولم يوجد ما يُدّر في الأراضي للزراعة ، فإن القمح ارتفع الأدب منه من ثمانين ديناراً إلى مائتى دينار ، ثم نفذ فلم يُقدّر عليه . »

١ - فكيف يستطيع المستنصر مواجهة هذه المشكلة وهو الذى كان قد بدأ هذه في الخلافة طفلاً صغيراً ، في السابعة من عمره ، خاضعاً لوصاية الأوصياء المتنافسين فيما بينهم ، الحريصين على الاحتفاظ بالنفوذ والسُّلطان في قبضة أيديهم ، ولم يستطع الخليفة التصرف في الدولة إلا بعد أن أفلت الزّمام من أيديهم ، وعندما حدث هذا لم يجد من رجال الدولة القادرين من يعينه على الإصلاح ، فاضطرّ إلى تغيير وزرائه أربعين مرة في تسع سنوات .

٢ - وكيف يستطيع بدر الجمالى ، أمير الجيوش ، الذى استغاث المستنصر به واستقدمه من الشام أن يباشر سلطاته إلا إذا اطمأنّ إلى قدرته على التصرف بحرية في مواجهة مشكلات الجيش والقصر وتدهور الاقتصاد ؟ ولقد طمأنه الخليفة ومنحه الحرية التي كان يطمح فيها ، « وفوضه » في التصرف بما يرى فيه صالح النّولة والخلافة . ونجح الجمالى في مهته وتوجّ نجاحه بأن « استناب ابنه وجعله

ولّى عهده في السلطنة - أي الوزارة - وبدأت السلطة تنتقل فعلاً ورسمياً من أيدي الوزراء إلى أيدي الخلفاء ، وأصبح هؤلاء أئمة في أيدي أولئك يحجرون عليهم ويتحكمون في مصائرهم كما يريدون .

٣ - ولا ينتظر في ظل الاضطرابات التي عصت البلاد في القسم الأكبر من مصر المستنصر ، ثم في ظل المحاولات التي بدأها الجمال للإصلاح الداخلي في مصر أن تستطيع الدولة الاحتفاظ بقبضتها قوية على الشام أو بنفوذها محسوساً واضحاً في المغرب . إن منقطع التطور في ظل هذه الظروف يقضي إنحسار النفوذ الفاطمي تدريجياً عن هذه البلاد وتلك الأقاليم . وهنا ما حدث فعلاً ، إذ تقلصت السلاجقة من الشرق ، ومدّوا سلطانهم إلى بلاد الشام ، واستقرّوا في معظم أنحاءها ، ولم يبق في أيدي الفاطميين إلا بعض المدن الساحلية^(١) .

وآخر النقط التي تلفت النظر بفضل المقرئ الذي أشار إليها في مناسباتها نقطة ذات شعبتين

أولاهما مظهر من مظاهر إقامة شعائر المذهب الفاطمي في صورة من صوره ، هي طريقة إعلان بدء الشهور القمرية وبخاصة في مواسم رمضان والعيدين ، ذلك أن الفاطميين كانوا لا يتقيدون برؤية الهلال ولا يحتكمونها في إعلان دخول الشهر الجديد وإنما كانوا يحتكمون معها إلى الحساب ويقولون: الرؤية والحساب كالظاهر والباطن ، والحساب كالظاهر لأنه مُشاهد ، والحساب كالباطن لأنه معقول . وقضية الظاهر والباطن هي هذه قضية أساسية في مذاهب الشيعة جميعاً ، ولها في الدعوة الإسلامية أهمية بالغة .

وتطبيقاً لهذه القاعدة نجد المقرئ يذكر في هذا الكتاب :

(١) ثم تقع الأحداث المطيرة التي يأت تفصيلها - بين الله - في الجزء الثالث من هذا الكتاب ، والتي تحصل في الصدام العنيف بين الشرق والغرب في شكل الحروب الصليبية .

١ - أن شهر رجب من سنة ست وتسعين وثلاثمائة استهل بيوم الأربعاء، فصدر أمر الخليفة بتأريخه بيوم الثلاثاء .

٢ - وفي شعبان من سنة إحدى وأربعمائة وقع قاضي القضاة سجلاً يعلن فيه خروج « الأمر العالى المعظم » بأن يكون الصوم يوم الجمعة والعيد يوم الأحد .

٣ - واستهل شعبان في سنة الثنتين وأربعمائة يوم الاثنين فأمر الخليفة بأن يكون أول الشهر يوم الثلاثاء .

وثاني الشعبتين تبين مدى تحكم بعض رجال الدولة - في فترات ضعف الخلفاء - واستبدادهم في مجال نفوذهم . فقد ذكر المقرئ من أمثلة ذلك :

١ - في أخبار سنة ست عشرة وأربعمائة ، على زمن الخليفة الظاهر ، أن شاباً حَكَنًا قد غرق في النيل في عشية أحد أيام السبت ، في منطقة دار الصناعة^(١) فمنع رجال الشريف أبى طالب العجمي ، متولّى الصناعة ، تسليمه لأهله إلا بعد دفع هاجب الصناعة « من حق من غرق في النيل » ، وطالبوهم عنه بدينارين وقبراطين ، فلُفِعَ إليهم ذلك ، وحُبل الرجل وغسل ودفن في يوم الأربعاء .

٢ - وفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، في خلافة المستنصر بالله ، كان لعريف الخبازين^(٢) بأحد أسواق مصر (القسطنط) دكان يبيع فيه الخبز ، وبحلها دكان خباز « صعلوك » ، وكان سعره يومئذ أربعة أرتال بدرهم وثمن ، فخاف الصعلوك كساد خبزه لأنه كاد يبرد ، ومن عادة الخباز في أزمته المساغية متى بردت لا يُرْجِع منها إلى شيء لكثرة ما تُفَقَس به « فخفض الصعلوك سعر خبزه » فغضب العريف ووكل به حوَّتين من الحسبة أغرماء دواهم .

• • •

(١) دار صناعة الأسطول (الرسالة) .

(٢) نقيب الخبازين .

ولايبقى بعد هذا إلا أن أشير إلى طريقة التحقيق والتعليق ، فقد اتبعت في هذا أسلوب محاولة إبراز المتن في صورته السليمة الواضحة التي أرادها له مؤلفه ، جاعلاً نُصْبَ عيني العمل على توضيح ما يحتاج إلى توضيح ، وتصحيح ما يبدو أن المؤلف ، أو الناسخ ، سها عنه بمعاونة المراجع المختلفة التي تعالج نفس المرحلة التاريخية التي يشملها هذا الكتاب . أما ماورد في المتن من أخبار أعلام السياسة والحرب ، والعلم والأدب ، فقد نال نصيبه - قدر الطاقة - من التعليقات التي تعرّف به وتشير إلى المصادر التي قد يُحتاج إليها في طلب المزيد من التعريف . ومثل هذا حدث في الألفاظ الاصطلاحية التي يحتاج القارئ إلى فهم مدلولاتها ، ولأماكن التي جرت بها الأحداث وتردّد ذِكْرُها في هذا الكتاب . وقد جرى ذلك كله في قصْدٍ ودون تقريظ .

وهنا أودّ أن يتكرّم القارئ فيلاحظ في التعريف بالأماكن خاصة أنني لجأت إلى أسلوب العصر الذي يتناوله الكتاب بالحديث المفصّل حتى تتلازم التعليقات الموضّحة مع الأحداث في عصرها الذي ظهرت فيه . ولهذا نجد في التعريف بمدينة سُرْت ، على سبيل المثال ، أنها تقع على عشر «مراحل» من طرابلس وعلى ست «مراحل» من أجنادية ، وفي التعريف بمدينة سنجار أنها تبعد عن الموصل ثلاثة «أيام» . وقد أدرك القلقشندي - من كتاب الإنشاء وأساندة إدارة الأعمال - كما أدرك غيره من علماء الجغرافيا المسلمين أهمية تقدير المسافات بين البلدان بهذا الأسلوب في عصورهم - لشدة حاجة الناس ، على اختلاف مشاربهم وثقافتهم ووظائفهم ، إلى هذا النوع من التقدير . والقلقشندي الذي أراد لكتابه أن يكون وثيقة علمية في أيدي كتاب الإنشاء وموظّقي التّواوين يلاحظ على كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» أن مؤلفه أحمد بن فضل الله العلوي العمري «قد أهمل من مقاصد المصطلح أموراً لا يسوغ تركها ، ولا يتنجّر بالقديّة لدى القوات نسكها ، كالبطائق والمطافئ والمطافات... فلم يقع النفي به عمّا سواه» . ولهذا فصل هو الكلام

على هذه الجوانب التي يُحتَاجُ إليها في الرسائل والمكاتبات والتنقلات ، فذكر أن «البريد» مسافة معلومة مقدرة بانثى عشر ميلا ، أو بأربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل ثلاثة آلاف بلزاع بالهاشمى . وكان لهذا البريد «مراكز» بين كل اثنين منها مسافة «بريد» ، وقد تطول أو تقصر إذا ألجأت الضرورة لذلك لبُعْدَ ماء أو للأنس بقرية . كما ذكر أن المسافرين كانوا يغضبون تنقلاتهم ويحسبونها «بالمراحل» ، وكان الحجاج منهم في كل يوم ليلة «مرحلتين» من مراحل البريد^(١) . وهنا تتضح أهمية اتباع هذا الأسلوب ، فلماذا كانت المسافة بين بلدين «ثلاثة أيام» كان معنى هذا أن بينهما ست مراحل أو اثنين وسبعين ميلا . وهذا التصور ييسر تتبع حركات الجيوش وتنقالات الولاة ورسائل الملوك والحكام وغير ذلك .

ومن أجل هذا حرصت على أن أحيى للقارىء بالتمسك بهذا الأسلوب في التعريف، أن يعيش مع الأحداث في عصرها ، ليتمكن من تفهم ظروفها وتصور تطوراتها .

• • •

وأخيرا أرجو أن أكون بهذا الجهد قد أسهمت في تحقيق رغبة الأستاذ المحرم الدكتور جمال الدين الشيال في كشف الأستار عن هذا الكتاب ، تلك الرغبة التي هيأت لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ظروف تحقيقها حين مكنت سيادته من إخراج الجزء الأول منه ، ثم عهدت إلى ، بعد رحيله ، بإتمام مهمته .

للأستاذ الراحل الكريم الرضوان ، وللجنة المؤقرة مولفوا الشكر لتفتتها التي وضعتها في ، وأرجو أن أكون قد حققت ظننها .
«وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» .

محمد حلمي محمد أحمد

دار العلوم في ٢٠ من ذى القعدة ١٣٩٠

١٩ من يناير ١٩٧١

(١) انظر خاتمة كتاب صبح الأعشى : ١٤ .

اِتِّعَظُوا بِالْخُفَا
بِاخْبَارِ الْأَمَّةِ الْفَاطِمِيَّةِ الْخُلَفَاءِ
لِقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمُعْتَزِيِّ

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو عَلِيٍّ مَنْصُورٌ ابْنُ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ أَبُو الْمَنْصُورِ بَزَارٌ ابْنُ الْمُعْزِلِ دِينَ اللَّهِ أَبُو تَيْمِيمٍ مَعَكْدٌ

وُلِدَ فِي الْقَصْرِ بِالقَاهِرَةِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَصَبِيعِينَ وَثَلَاثِينَ ، فِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ ، الْمَوَافِقِ صَبِيحَتِهَا الثَّالِثُ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ آدَب^(١) . وَالطَّالِعُ مِنَ السَّرَطَانِ سَبْعَ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً^(٢) ، وَالشَّمْسُ فِي بَرَجِ الْأَسَدِ عَلَى خَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ، وَالْقَمَرُ بِالْجُوزَاءِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً ، وَزَحَلُ بِالْقَرَبِ عَلَى أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ، وَالْمَشْتَرَى بِالْمِيزَانِ عَلَى ثَمَانِ دَرَجٍ ، وَالْمَرْيَخُ بِالْمِيزَانِ عَلَى ثَلَاثِ عَشْرَةَ دَرَجَةً ، وَالزُّهْرَةُ [٥٠ ب] بِالْمِيزَانِ عَلَى تِسْعِ عَشْرَةَ دَرَجَةً ، وَعِطَارِدُ بِالْأَسَدِ عَلَى عَشْرِ دَرَجٍ ، وَالرَّأْسُ بِاللُّلُو عَلَى خَمْسٍ دَرَجٍ .

وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فِي الْجَيْشِ بَعْدَ الظَّهْرِ مِنْ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَامِنَ عَشْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِينَ^(٣) . وَسَارَ إِلَى قَصْرِهِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ بِسَائِرِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ ، وَالْعَزِيزُ فِي قُبَّةٍ عَلَى نَاقَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَعَلَى الْحَاكِمِ دِرَاعَةٌ^(٤) مَصْنُوعَةٌ^(٥) وَعِمَامَةٌ فِيهَا الْجَوْهَرُ ، وَبِيَدِهِ رَمْعٌ وَقَدْ تَقَلَّدَ السِّيفَ ، فَوَصَلَ إِلَى الْقَصْرِ وَلَمْ يُفْقِدْ مِنْ جَمِيعِ مَا كَانَ مَعَ الْعَسَاكِرِ شَيْءٌ ، وَدَخَلَ قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ ، وَأَخَذَ فِي جِهَازِ أَبِيهِ الْعَزِيزَ وَدَفَنَهُ .

-
- (١) يَبْدَأُ الثَّنَاءَ بِمَا يُقَابِلُ السُّطْرَ الْخَامِسَ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْوَرَقَةِ (١٥٠) مِنَ الْخَطِّطِ الَّتِي احْتَبَرَ أَصْلًا لِلنَّصْرِ .
(٢) أَصْلُهَا ، سَنَةِ ٩٩٦ . وَقِيلَ وَلَهُ الْأَرْبَعُ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ : النُّجُومُ الزَّوَامِرُ : ٤ : ١٧٩ .
(٣) فِي الْأَصْلِ سَبْعَ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً . وَنَحْنُ هَذَا خَطَأً يَتَكَرَّرُ كَثِيرًا فِي الْخَطِّطِ ، وَنَسْتَكْفِي بِالْإِشَارَةِ إِلَى بَعْضِهِ .
(٤) بَايَعَ لَهُ أَبُوهُ الْعَزِيزُ بَايَعَةً قَبْلَ وَفَاتِهِ بِبَلْبَاسٍ ، وَجَلَدَتْهُ الْبَيْتَةُ - كَمَا يَقُولُ النَّوْزِيُّ فِي نَهَايَةِ الْأَرْبَعِ - صَبِيحَةَ وَفَاتِهِ أَبِيهِ ، يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لَيْلَةَ بَقِيَّتِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَكَانَتْ بَيْتَةُ بَلْبَاسٍ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ عَشَرَ رَمَضَانَ . الْخَطِّطُ : ٢ : ٢٨٥ .
(٥) الدِّرَاعَةُ وَالْمُدْرَعَةُ نَوْحٌ مِنَ الْخِيَابِ ، وَقِيلَ جَبَّةٌ مَشْقُوقَةٌ الْمُتَقَدِّمُ ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ الصُّوفِ . لِسَانُ الْعَرَبِ .
(٦) الْقَرْبُ الْمَصْنُوعُ الَّتِي لَا يُضَالُّ لَوْنُهُ لَوْنُ آخَرٍ .

ثم بكر مائر أهل النّوالة إلى القصر يوم الخميس ، وقد نُصب للحاكم سريرٌ من ذهب عليه مرتبة مذهبة في الإيوان الكبير . وخرج من قصره راكباً وعليه مُعَمّة الجوهر ، فوقف الناس بصحن الإيوان وقبّلوا الأرض ومشوا بين يديه ، حتى جلس على السرير ، فوقف من مهنته الوقوف ، وجلس من له عادة الجلوس . فسلم عليه الجماعة بالإمامة واللقب الذي اختير له ، وهو الحاكم بأمر الله . وكان سنّه يومئذٍ إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وستة أيام .

وكان جماعة من شيوخ كنانة نخلفوا عن الحضور^(١) وتجمعوا نحو المصلّي^(٢) . فخرج إليهم أبو محمّد بن الحسن بن عمار^(٣) في طائفةٍ من شيوخهم ، ومازالوا بهم حتى أحضروهم بعد امتناعهم من الحضور ، وشكّوا من عيسى بن تَسْطُورس^(٤) ، وسألوا صَرْقَه ، وأن تكون الوَسْاطَة لرجل منهم . فُنذِب لذلك أبو محمّد الحسن بن عمار . فقرر أحوالهم فيما يُطلق لهم من الرزق بعد خطاب طويل ، على أن يطلق لهم ثمانى إطلاقات في كل سنة ، وأن يكون لكل واحد ثمانية دنانير ؛ وأن يطلق هذا الفضل^(٥) في يومهم بحضرة أمير المؤمنين . فأحضر المال ودفع إليهم بحضرة الحاكم الفضل ، وهو عشرون ديناراً لكل واحد منهم . وتخلّفهم ابن عمار بعد ما حلف .

(١) كان الوزير يعقوب بن كلس قد أخضع شوكتهم بمصر القوي ، أيام العزيز فكان تغلّفهم نوحاً من الاحتياج والرغبة في استعادة مكانتهم التي كانت لهم . فآثر نهاية الأرب للتورى .

(٢) كان الجامع الأزهر يسمى عقب التثالة بمصل القاهرة . لكن لعل المقصود هنا مصل العيد خارج باب النصر ، أحد أبواب القاهرة .

(٣) وهو من أصول أسرة بني عمار التي تولت حكم مدينة طرابلس بالشام ، كما سيأتي تفصيل ذلك في حقه . انظر :

مسجم الألساب لزابور ، وكذلك mohammadan Dynasties تأليف : S. Lane - Poole

(٤) قول الوزارة - الوساطة - العزيز بالله ، وكان يتولاها عند خلافة الحاكم . وسر النغبة عليه يشتمل فيها ينسب إليه من قول رد به الشاكين من سوء تصرّفه ومن تقديمه النصارى في مناصب الدولة : « إن شريعتنا متقدمة ، والدولة كانت لنا ثم صارت إليكم ، فجرّم علينا بالجزية والذلة . فليكن منكم إلينا إحسان حتى نقالبونا بمظه ! إن متناكم فانتصرونا ، وإن سالتناكم احتصرونا . فإذا وجدنا لكم فرصة فإذا فتوقفون أن نصنع بكم » . نهاية الأرب .

(٥) المقصود به الأموال التي كانت تمنح لرجال الدولة ، والجنود خاصة ، في المناسبات كمثل مناسبة تولي الخليفة .

وَحَلَّ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ يَاقِينَ الْخَادِمَ الصَّقَلِّيَّ وَحُمِّلَ عَلَى فَرَسَيْنِ ، وَقَالَ : يَتَوَلَّى الْقُصُورَ .
 وَفِي أَوَّلِ شَوَالٍ فُرِشَ عَلَى سَرِيرِ الذَّهَبِ فِي الْإِيوَانِ مَرْتَبَةٌ نَسِيجُ قُضَّةٍ ، وَخَرَجَ الْحَاكِمُ عَلَى
 فَرَسٍ أَدَمٍ بِعِمَّةِ الْجَوْهَرِ وَقَدْ تَقَلَّدَ السِّيفَ ، وَفِي رِكَابِهِ الْإِمَامُ حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّابِعِ ،
 وَفِي رِكَابِهِ الْإِمَامُ بَرْجَوَانُ ، وَالنَّاسُ قِيَامٌ ، فَقَبِلُوا لَهُ الْأَرْضَ ، وَدَعَوْا . فَقَالَ ابْنُ عِمَارٍ
 لِلْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ : مَوْلَانَا يَأْمُرُكَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَصَلِّ لِلصَّلَاةِ بِالنَّاسِ وَإِقَامَةِ الدَّعْوَةِ
 لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَهَضَّ قَائِمًا ، وَقَلَّدَهُ بَرْجَوَانُ بِسَيْفٍ مَحَلٍّ يَذْهَبُ مِنْ سَيْوْفِ الزَّيْزِ ، وَمَضَى
 فَصَلَ وَأَقَامَ الدَّعْوَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ .

وَنُصِبَ السَّرِيرُ الذَّهَبِيُّ فِي صُفَّةِ الْإِيوَانِ ، وَنُصِبَ السَّيَاطُ^(١) الْفُضَّةُ ، وَخَرَجَ الْحَاكِمُ مِنَ
 الْقُصْرِ ، وَكَانَ قَدْ دَخَلَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ أَشْقَرٍ ، فَجَلَسَ عَلَى السَّيَاطِ ، وَحَضَرَ مِنْ لَهُ
 رَسْمٌ ، فَأَكَلُوا وَانصَرَفُوا .

وَفِي ثَلَاثَةِ خُلْعٍ عَلَى ابْنِ عِمَارٍ ، وَقَلَّدَ بِسَيْفٍ مِنْ سَيْوْفِ الزَّيْزِ ، وَحُمِّلَ عَلَى فَرَسٍ بِسَرَجٍ
 ذَهَبٍ ، وَكَانَهُ الْحَاكِمُ ، وَقَبَّهَ بِأَمِيرِ الْمَوْلَةِ^(٢) وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَمِيرُنِي عَلَى دَوْلَتِي وَرِجَالِي .
 وَقَادَ بَيْنَ الْخَيْلِ ، وَعَمِلَ خَمْسِينَ ثَوْبًا مَلُونَةً مِنَ الْبَزِّ الرَّفِيعِ . وَمَضَى فِي مَوْكَبٍ عَظِيمٍ إِلَى دَارِهِ .
 وَكُتِبَ سَجَلٌ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي مَنصُورٍ بْنِ سُوْرِيْنَ^(٣) وَبِخَطِّهِ ، قَرَأَهُ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ^(٤)

(١) أما سباط الطعام فيعقد مرتين في عيد الفطر وعزة واحدة في عيد النحر ويضعه صاحب النجوم الزاهرة : ٩٧ - ٩٨ فيقول ما بهذه : طوله ثلثائة ذراع وعرضه سبعة ويصير بأنواع المأكول في الليل . . ويصط في وسط السباط واحد وعشرون مخروطًا ، ومن الدجاج ثلثائة وخمسون طائرًا ، ومن الفراوىج مثلها ، ومن فراخ الحمام مثلها . ويمكن الناس منه فيحتلون ويهبون مالا يأكلونه ، ويبجونه ويغزونه .

(٢) يقول النويري وهو أول من لقب من رجالهم - رجال الفاطميين - وذكر المقرئ في ذلك أيضًا في الخطط : ٢٩٠ : ٢٩١ ويقول صاحب النجوم الزاهرة : ٤ : ١٢٢ : وهو أول من تلقب من الخواريق وكان شيخ كتابة وسيدًا .

(٣) وهو أبو منصور بشر بن عبد الله بن سوريين الكاتب للقصر إلى . الخطط : ٢ : ١٤ .

(٤) وكان القاضي أحمد اثنين حشرا وصاية الوزير بالله بولاية العهد لولده ، وثانيهما أمين الدولة أبو عبد الله الحسن بن عمار . النجوم الزاهرة : ٤ : ١٢٢ : الخطط : ٢ : ٣٦ . وقد أقام القضاء في أسرة بني التتار فترة طويلة بدأت بأبهم المرز لدين الله .

بالجامع يتضمن وراثه الحاكم الملك من أبيه ، ويُعد الرعيّة فيه بحُسن النظر لم ؛ وأمر فيه بإسقاط مكوس كانت بالساحل^(١) . ففرح الناس .

وكانت عدّة من قتلهم ابن نسطورس - لما احترق الأسطول - على الخشبة ، فأمر بتسليمهم إلى أهليهم ، وأطلق لكل واحد عشرة دنانير من أجل كفته ، فكثرت الدعاء من الرعيّة للحاكم . وأمر بقلع الألواح التي على دور الأخباز وملئت لأربابها ومستحطيها ، فبلغت شيئا كثيرا^(٢) .

وخلع على القائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر القائد ، وردّ إليه البريد والإنشاء ، فكان يخلفه ابن سورين ؛ وحمل بين يديه كثير من الخيل والثياب ، وحمل على فرس عركبين . واستكتب أمين الدولة ابنُ عمار أبا عبد الله الموصل ، واستخلفه على أخذ رقايع النامس وتوقيعاتهم .

وأُقر عيسى بن نسطورس على [١٥١] ديوان الخاص . وخلع على جماعة بولايات عديدة وقُرئ سجل ، قرأه القاضي بالجامع ، يتضمن ولاية ابن عمار الواسطة ، وتلقيبه بأمين الدولة ، وأمر الناس كلهم أن يترجلوا لابن عمار ، فترجلوا بأسرهم له .

وفي ثلثي ذي القعدة تجتمع الكتّابيون عند المصلّى ، فأنفذ إليهم واستحضرهم ، وتقرّر أمرهم على النفقة فيهم ، فأنفق عليهم^(٣) . وحُوّل راجلهم على الخيل ؛ وكانوا نحو الألف رجل ، وأزكيت شيوخُ كتامة بأسرهم على الخيول بالمراكب الحصنة .

(١) الساحل المصري تغير بتغير السلطة الحاكمة في مصر . فن عهد الفتح العربي إلى زمن الإغشية كان بحيرة الروضة على ساحلها الجنوبي الشرق ، وأصبح في عهد الإغشية في الجانب الشرق ، شرق ثم الخليج سيح كان يجري النيل قد تحول تليلا إلى ذلك المكان . ثم أصبح لتقام القاطية ساحل آخر عند المتس في موقع ميدان محطة مصر الحالية مجاورا لملاح أولاد عنان .

(٢) في الأصل : فبلغ نبي كثير .

(٣) في الأصل : ففقد .

وفي ثاني عشره ، خلع على أبي تميم سلمان بن جعفر بن فلاح ، وقُلب السيف ، وحمل على فرس بمركب ذهب ؛ وقيدَ بين يديه أربعة أفراس مُسَوَّجة مُلَجَّمة ، وحُوِّل بين يديه ثياب كثيرة من كل نوع ؛ وتجرَّد معه عسكر ليسير إلى الشام .

وصارت قافلة الحاجِّ بكسوة الكعبة والصلوات والتفقة على الرِّسم المعتاد في النصف منه .
وركب الحاكم يوم الأضحى فصلً بالناس صلاة العيد بالمصل^(١) وخطب ، وأصعد معه المنبر القاضي محمد بن التَّعمان وبرزجوان وابن عمار وجماعة ،

(١) سبق أن أشرنا إلى أن مصل العيد كانت خارج باب النصر من أبواب القاهرة . ويصف صاحب النجوم الزاهرة : ٤ : ٩٤ موكب العيد ، فيقول ما يعضه : . . . يركب الخليفة بالمظلة والبيضة (الجوهرية التي تتوسط حمة الخليفة) وليامه الثياب البيضاء ، والمظلة أبدا زهبا تابع لزي الخليفة . ويخرج من باب العيد إلى المصل ، وصاحبه وأجناده من الفرمان والرجال زائدة على العادة ، فيقفون صفين من باب العيد إلى المصل . ويكون صاحب بيت المال قد فرش الطراشات في الممراب ، وعلق ستريزينة ويسرة ، حل الستراأمين الناعمة وسج اسم ذلك الأمل ، وعلى الأيسر الناعمة وهل أتاك حديث الغاشية . . . ويدخل الخليفة من شرق المصل إلى مكان يستريح فيه قليلا ثم يخرج (للملاحة والحلبة) محظوظا كما يخرج للبيعة . ويقف أسفل المنبر معه قاضي القضاة وصاحب الباب وصاحب اليق وصاحب الرسالة وإمام الأشراف الأقارب . . . وغيرهم .

سنة سبع وثمانين وثلاثمائة (١) :

في المحرم ورد سابق الحاج ، فأخبر بهما الحج والدعاء للحاكم في الحرمين .

وفيه نزع صمر القمح وغيره ، وعز وجوده ، واشتد الغلاء . ووقع في البلد خوف شديد من طَرَفِ رجلٍ من اللصوص في الليل وكَبَّيْهِ دورَ الناس فتحارسوا في الليل ، وأُخِلَّت نساء من الطُرقات ، وعظم الأمر في ذلك .

وفيه ضربت رقبة عيسى بن نسطورس .

ووصل الحاج في رابع عشر صفر ، فخلع على سُبُكَّتَيْنِ ، مقدّم القافلة ، وحمل على حمله من الخيل .

ووقف سعر الخبز على أربعة أروطال بدرهم .

وسار أبو عجم [سَلَمَانُ بْنُ (٢)] جعفر بن فلاح بعد أن شُئِعَ عليه وقِيَدَ بين يديه عدَّةٌ خيول ، وحُمِلَ معه شيء كثير من الثياب ، وأنفق في أهل عسكره ، فنزل مسجد تَبَرَّ (٣) ، فأقام إلى تاسع عشر ربيع الأول ، فخرج إليه الحاكم وحلَّفه ومن معه ، وعاد . فرحل ابن فلاح إلى القصور فأقام بها . وقرئ سجل يوم الجمعة للنصف منه بحدح كتابته ولعن مَنْجُوِيَكِينَ

(١) ورواها أول الحرم منها الرابع عشر من يناير سنة ٩٩٧ .

(٢) مابين الحاسنتين تصحيح استنادا إلى ما تقدم في نهاية الحديث من سوادت سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، واستعادة بما جاء في ذيل تاريخ دمشق : ٤٦ .

(٣) خارج القاهرة عما يلي المتفق قريبا من المطرية ، وكان يسمى مسجد التين . ويقال إنه بنى على رأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ، ويعرف أيضا بمسجد البئر والجسيرة . وتبر هذا أحد الأمراء على زمن كافور الإغشيلى وقد اضطر جواهر الصقل إلى محاربه حربه طويلا انتهت بفراره إلى مدينة صور بالثام حيث قبض عليه وأدخل القاهرة وضرب بالسياط وحبس حتى مرض ومات فسلخ جلده وصلب . الخطط : ٢ : ٤١٣ .

على سائر منابر مصر وفي القصر . وخط على جماعة من الحملانية^(١) وجّهوا إلى ابن فلاح ، فساروا معه .

وفي آخره أخرَجَ ابن عَمَّار إلى سلمان [بن جعفر] بن فلاح بخزانة مال ، على ثمانية وسنين بغلا ، في صناديق ، فيها أربعمائة ألف دينار وسبعمائة ألف درهم ، وستة وأربعين حِمْلًا من السلاح ، وعشر جمازات^(٢) عليها قُرُوع ؛ وست قباب^(٣) بفرشها وأهلتها ومناطقها وجميع آلاتها ، منها قبتان قرقرى مثقل وباقيا ديباج ؛ وست جمازات تجنب بآلة الدِّباج الملون ؛ وثلاثين جمازة بأجلتها^(٤) ، وعشرة أفراس وثلاث بغلات بمراكبها ، ومنديل حملته خادم فيه ثيابٌ شَرَفَ ، بها من ثياب العزيز وسيف من سيفه .

وفي ثالث ربيع الآخر ركب الحاكم وابن عَمَّار إلى القصور فودَّعا ابن فلاح ، وسار في ثلاثة من كتامة وسبعمائة فارس من الغلمان ، وانضم إليه من عرب الرملة^(٥) ثمانية آلاف .

وفي النصف منه شق الحاكم المدينة وقد زينت زينة عظيمة ، وزيدان يحمل مظلة عن يمينه ، وابن عَمَّار عن يساره ، ويرجوان وحده خلفه ، فدخل الصناعة .

(١) من رجال الأسرة التي حكمت كلا من الموصل و حلب ، مجتصين أو مستقلين . وكان لأصحاب حلب صلة بالفاطميين ، وقد دلى بعضهم قيادة الجيش أو الوزارة بمصر على فترات متباعدة ، ولم يكونوا حاضرين للفاطميين في جميع الظروف . وسيرد بعض التفصيل لذلك . انظر أيضا : معجم الأنساب لزمبابور : ٢ .

(٢) جملز البحر من باب ضرب ، والجهاز بالفتح والتشديد البحر الذي يركبه المبحر ، والجائزة فاقة الخبز ، والفاقة تدمو المبحر بالقصر إلى تسرع .

(٣) القبة كانت من مستلزمات الجيوش المقاتلة ، تضرب في ميدان المعركة ويلجأ إليها مجموعة من المقاتلة تستريح ولا تشترك في القتال حتى تشتد المعركة ومعدلات تبادر إلى الإستهلاك فترجع كفة المتقاتلين ويشتد أزرمهم . وقد استعملوا القنطرة على نطاق واسع في حروبهم . وتطلق القبة أيضا على المظلة .

(٤) الجبل النهاية كالغروب للإنسان يابس ليق من البرد ، والجمع جلال وأجلال ، وجمع الجلال آجلة .

(٥) بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا . معجم البلدان : ٤ : ٢٨٦ - ٢٨٨ .

وأما مَنْجُونَتَيْنِ فَإِنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ مَا فَعَلَهُ ابْنُ عَمَارٍ مِنْ إِكْرَامِ كِتَابَةِ وَحْطِهِ مِنْ مَرَاتِبِ الْمُصْطَفَيْنِ اللَّيْنِ اصْطَنَعَهُمُ الْعَزِيزُ مِنَ الْآتِرَاكِ خَافَ^(١) . فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى بَلَغَهُ خُرُوجُ سَلْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ فَلَاحٍ إِلَى الشَّامِ بِالْكَتَابِيِّينَ ، فَسَارَ إِلَى الرَّمْلَةِ مُسْتَعِدًّا الْقِتَالَ مِنْ يَجِيشِهِ مِنْ مِصْرَ ، فَالْتَقِيَا بِرَفِيعٍ . وَكَانَتْ الْوَقْعَةُ بَيْنَ الطَّوَالِعِ ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ مَنْجُونَتَيْنِ ، وَسَارَ ابْنُ فَلَاحٍ إِلَى مَنْجُونَتَيْنِ ، فَلَقِيَهُ بِظَاهِرِ عَسْكَلَانَ وَقَدْ انْضَمَّ إِلَيْهِ ابْنُ الْجِرَّاحِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَاسْتَأْذَنَ إِلَى ابْنِ فَلَاحٍ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ مَنْجُونَتَيْنِ . وَاقْتَتَلَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، رَابِعَ جُمَادَى الْأُولَى ، فَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِ مَنْجُونَتَيْنِ وَأَمِيرَ عِدَّةٍ مِنْهُمْ ، وَانْهَزَمَ مَنْجُونَتَيْنِ بَيْنَ بَقِيٍّ مَعَهُ ، فَقَطَعَ مِنْ عَسْكَلَانَ إِلَى دِمَشْقَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَأَهْلُهَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ غِلَاةِ الْأَسْمَارِ وَقِلَّةِ الْعُلَامِ وَقَدْ رَاجَتْ الْغَلَالُ . فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْبَلَدِ [٥١ ب] إِلَى الْجَامِعِ وَهُمْ كَثِيرٌ ، فَبِهِمْ حُمَالُ السِّلَاحِ وَمَنْ يَطْلُبُ الْفَتَنَ . فَقَالَ النَّاسُ : تَرَحَّلْ مَنْجُونَتَيْنِ عَنَّا ، وَقَالَ طُلَابُ الْفَتَنِ : لَا ، مَا نَقَاتِلُ مَعَهُ ، وَسَارُوا إِلَى دَارِهِ وَمَعَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْمَارِجِ^(٢) يُقَالُ لَهُمُ الْهَيَاجَنَةُ ، أَهْلُ شَرِّ وَفَسَادٍ ، فَتَهَبُوهَا وَمَا حَوْلَهَا مِنْ دُورِ أَمْرَاتِهَا . وَخَرَجَ مِنْهَزِمًا فِي سَيْسَرٍ مِنَ الْجُنْدِ فَرَاخِشَ ، فَتَزَلَّ عَلَى ابْنِ الْجِرَّاحِ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ فَلَاحٍ فَأَرْسَلَ بِأَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ فَلَاحٍ فِي أَلْفَيْ رَجُلٍ ، فَتَزَلَّ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ ، لَسْتُ بِقَبِيحٍ مِنْهُ ، وَبَعَثَ إِلَى ابْنِ الْجِرَّاحِ رَسُولًا بِأَنَّ مَنْجُونَتَيْنِ إِلَى مَوْلَانَا

(١) يَصُورُ سَرَّافُ ابْنِ عَمَارٍ فِي إِكْرَامِ قَوْمِهِ مِنْ كِتَابَةِ مَا ذَكَرَهُ لِلتَّوَرِي فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ ، فِي سَبَبِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي ثَارَتْ فِي دِمَشْقَ بِرِغَامَةِ مَنْجُونَتَيْنِ : « كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ عَمَارٍ أَظْهَرَ الْكُتَابِيِّينَ وَبَلَغَ فِي الْإِنْسَانِ إِلَيْهِمْ وَخَوَّلَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَبَسَطَ أَيْدِيَهُمْ وَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَا خَلَفَهُ الْعَزِيزُ . قَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّثِينَ إِنَّ الْعَزِيزَ كَانَ عِنْدَهُ عَشْرُونَ أَلْفَ حَلِيقَةٍ مَا بَيْنَ فَرَسٍ وَبَهْلٍ وَجَمَلٍ وَحِمَارٍ ، وَمِنْ الْأَمْوَالِ مَا لَا يَدْعُلُ تَحْتَ الْإِحْصَاءِ ، فَفَرَّقَ ابْنُ عَمَارٍ ذَلِكَ فَيَسِّرَ أَرَادَ اسْطِنَاعَهُ . . . الخ . وَيَقُولُ ابْنُ الْقَلَانِسِيِّ : ٤٦ : « وَتَدْبَأُ أَبَا تَيْمٍ سَلْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ فَلَاحٍ وَأَطْلَقَ كُلَّ مَا يَتَمَسَّ مِنَ الْمَالِ وَالْعَدَدِ وَالرِّجَالِ وَالسِّلَاحِ وَالْكَرَاعِ ، وَأَسْرَفَ فِي ذَلِكَ إِلَى حُدُودٍ يَقِفُ عِنْدَهُ » .

(٢) الْمَرْجُ الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ فِيهَا نَبْتٌ كَثِيرٌ تَخْرُجُ فِيهَا لِلنَّوَابِ أَيْ تَلْهَبُ وَتَجِيءُ . وَبِالْقُرْبِ مِنْ دِمَشْقَ ثَلَاثَةُ مَرُوجٍ هِيَ مَرْجُ طَلَوْدَ ، وَمَرْجُ الصُّفَرِ ، وَمَرْجُ وَاحِطٍ وَهُوَ الَّذِي يُقْصَدُ حَادَةً إِذَا ذَكَرَ مَقْرَدًا غَيْرَ مُضَافٍ . مِمَّجُ الْبِلَادِ :

فإنَّ لا نريد به سوءاً ، وهو آمن ، وبذل له مالا . فسار منجوتكين ودخل القاهرة في ثانی
عشر رجب ، فأنزله ابن عمار في دار ، وكان يركب في خدمته ، وإذا لقيه وهو راكب
ترجل له . وكان ابن عمار ينزله أدن الراتب ، وغير رسومه كلها .

وأما علي بن [جعفر بن] فلاح فإنه لما قدم من عند أخيه ولّى البلد لرجل من المغاربة
لم يكن عنده ما رآه ، بل كان فقراً خليطاً ، فشاقي العامة وواجههم ، فثاروا عليه بالسلاح ،
وركب المغاربة ، وكانت بينهم حروب . ثم إن شيوخ البلد خرجوا إليه وأصلحو الأمر .
وسار علي من الرملة فنزل على دمشق في عسكر عظيم يوم الاثنين لست بقين من رجب ،
وأقام لا يأمر بخير ولا شر .

وأما ابن عمار فإنه لما نظر في الأمر كان ينزل على باب الحجرة التي فيها الحاكم ،
ويدخل القصر راكباً ، فيشق قاعة الدواوين ، ويدخل من الباب الذي يجلس فيه خدام
الخاصة^(١) ، ثم يعدل منه إلى باب الحجرة ، فينزل ويركب منه . وكان الناس من الشيوخ
والرؤساء على سائر طبقاتهم يبكرون إلى داره والباب معلق فيفتح بعد وقت ، فيدخل إليه
الوجوه فيجلسون في قاعة الدار على حصير وهو في مجلسه لا يدخل إليه أحد ، فإذا مضت لهم
ساعة أذن للوجوه فالقاضي ، ويده كتامة والقواد ، فيدخل أعيانهم ، ثم يأذن لسائر الناس
فلا يقدر أحد على الوصول إليه ، فمنهم من يوى إلى تقبيل الأرض ، ومنهم من يقبل
الركاب ، ومنهم من يقبل ركبته .

وتسلم النظر والإمطيلات عامرة ، فأخرج لرجال كتامة وأحداً ألفاً وخمسمائة فرس ،

(١) . خدم الخاص ، أو الخاصية : فرقة من الخدم أو المالك تخص بخدمة الملائكة أو السلطان أو الأمير . وتشرّف
على حوائجهم وملازمه ، وقد يشرّف ونفسها على دخول الأمراء والكتاب لقمة . ويشارون من بين الخدم الذين دخلوا في
الخدمة مغاراً ، ويدخلون على غنومهم في خلوتهم ، ويركبون لركوبه ليلاً ونهاراً ، ولا يظفون في قرب أو بعد ، ويصيرون
عن غيرهم من المالك والخدم بمصاهم سيوفهم وملازمهم المزرقة . صبح الأضي . انظر كذلك : السالك : ١ : ٦٤٤ .

ولم يبق من شيوعهم إلّا من قاد إليه الفرسين والثلاثة مراكبها . وحمل لسمان [بن جعفر] ابن فلاح ما يتجاوز ألف رأس ، وجُلّ رحلي العزيز وأمتعه . وباع من الخيل والبغال والنُجُب والحمر ما يتجاوز الألوف ، حتى بيعت الناقة بسنة دنانير ، والحصار الذي قيمته أربعون دينارا بأربعة دنانير . وقطع أكثر الرسوم التي كانت لأولياء الدولة من الأتراك والبيد ، وقطع أكثر ما كان في المطابخ . وقطع أرزاق جماعة أرباب الراتب ، وفرّق كثير من الجوّاري طلباً للتّوفير .

واصطنع أحداث^(١) المغاربة ، فكثر عبث أشرارهم وامتدت أيديهم إلى أخذ الحرم في الطرقات ، وعروا جماعة من الناس ، فكثر الشكاية منهم ولم يُبدل كبير نكير ، فأفرط الأمر حتى تعرّضوا إلى الأتراك يريدون أخذ ثيابهم ، فثار لذلك شرّ قتل فيه واحد من المغاربة وغلّام تركي^(٢) ، فسار أولياء الكتاي ليأخذوا^(٣) التركي قاتله ويأثوا به إلى قبر المقتول فيحتفوه هناك ، فلما أعنفوه قتلوه على قبر الكتاي . فاجتمعت أكابر الطائفتين وتحزّبا ، ووقعت الحرب بينهما وقتل جماعة ، وانطلقت ألسنُ كل منهما في الآخرين بالقبيح . وأقاموا على مصافهم^(٤) يومين آخرهما تاسع شعبان ، فركب ابن عمّار في عاشره بألّة الحرب وقد حَفّت به المغاربة ، وتبادر إليه الأتراك ، فاقتتل الفريقان وقتل منهما جماعة وجرح كثير . وجئ لابن عمّار بعدة رمحوس طُرحت بين يديه ، فأنكر ذلك وظهر له الخطأ في ركوبه ، فعاد إلى داره .

وجاء برَجْوان ليصلح الأمر ، فثار الغلمان وركبوا دارَ ابن عمّار للقتل به ، فأركب

(١) الأحداث : رجال الشرطة المكلفون بإخاد الفن والاضطرابات وحساب مثيري الشغب ، وم أيضا رجال الحرس الإقليمي . انظر Dozy; Supp. Dict. Ar. وكذلك . Renaud; J. A; 1848. II

(٢) في الأصل : أن يأخذوا .

(٣) المصافح جمع مصف وهو الموقف في الحرب ، وموضع الصف في القتال . لسان العرب ، انظر أيضا :

Dozy; supp. Dict. Ar.

يرجوان إلى القصر وانبسعت أيدي المغاربة وأحداث الغلمان والنهابة ، فانتهبوا [١٥٢]
دار ابن عمار واسطبلاته ، ودار رشا غلامه ، وأخذوا مالا يحصى كثرة^(١) .

وانزل ثلاثين بقين منه ، وتحول من القاهرة إلى داره بمصر . فكانت أيام نظره أحد
عشر شهرا غير خمسة أيام . فأقام بمصر سبعة وعشرين يوما ، ثم عاد إلى القاهرة بأمر الحاكم
فأقام بها لا يركب ولا يجتمع به سوى خدمه ، وأطلقت له رسومه وجراياته وجرايات حشمه
على رقبته في أيام نظره .

وتقدم [الحاكم] إلى برجوان أن ينظر في التلبير على ما كان ابن عمار ، فنظر في ذلك
لثلاث بقين من رمضان ، وسار إلى القصر وجمع الغلمان الأتراك ونهائم عن التعرض لأحد
من الكتائبين والمغاربة . وقبض على عريف الباطلية^(٢) ، فلتمهم كانوا قد نهبوا شيئا كثيرا
لابن عمار ، وألزمه بإحضار ما نهب أصحابه . وأجرى الرُشوم والرواتب التي قطعها ابن
عمار ، وأجرى لابن عمار ما كان يجري له في أيام العزيز ، ولآله وحرمه ، ومبلغ ذلك من
اللحم والتوابل والفاكهة خمسمائة دينار في كل شهر ، يزيد على ذلك ثارة وينقص أخرى
على قدر الأسعار ، مع ما كان له من الفاكهة ، وهو في كل يوم سلة بدينار ، وعشرة أرطال
شمع كل يوم ، وحمل ثلج عن يومين ، فأجرى له ذلك مدة حياته .

(١) يذكر ابن القلاص أن برجوان غشى على نفسه من ابن عمار والكتائبين ، فأنهب فرصة غيبة كثير من الكتائبين
في الشام مع سلمان بن جعفر بن فلاح فاتفق مع شكر المصدي على الإيقاع بابن عمار « وقرأ أن يركبوا ويركب على أثرهما
جاعة من الغلمان ، لأن أسوا وأحسن ما يربنا وجسا وفي ظهورنا من يمنع منا » . فلما وصلا دار ابن عمار أسسا بما كان
يديره هو أيضا للإيقاع بهما فرجسا ، وجرد غلامهما السيوف لحايتهما . ثم دخل برجوان وشكر قصر الحاكم ببيكان ،
وفاطمة الفتنة واجتمع الأثر الك والدليل والمشاركة وعبيد الشراء بالصلاح . ثم دار قتال متيف بين الفريقين في الصحراء
فهزم ابن عمار وهبت داره ودور رجاله . ذيل تاريخ دمشق : ٤٨ - ٤٩ . ويشترك النورى معهما متجركين .

(٢) بدأ ظهور الباطلية بجاعة متبذرة - على ما يبدو - زمن المنز لدين الله ، ذلك أنه قسم البطال في إحقاق المتعصبات
على الناس ، فجاءت إليه طائفة وسأته نصيحتها المطاء ، فقال : فرغ الحال . فقالوا : رتنا نحن في الباطل . فسموا الباطلية .
وهم تعرف الحارة المعروفة في منطقة الأزهر ، وتسمى أيضا الباطلية . النجوم الزاهرة : ٤ : ٤٩٦ : أخطأ : ٢٧٠ .

وجعل برجوانُ أبا العُلا ، فهدى بن إبراهيم [النُصْراني] ، كاتبه ، يوقِّع عنه ، فنظر في قصص الرافعين وظُلُماتهم ، وطالعه بما يحتاج إليه ، فرتب العُلمان في القصر وأكَّد عليهم في مُلازمة الخدمة ، وتفقد أحوالهم . وأزاح علل أولياء الدولة ، وتفقد أمور الناس وأزال ضرورتهم ، ومنع من التَّرجُّل له . وكان الناس يلقونه في داره ، فإذا تكاملوا ركب وُهم بين يديه إلى القصر . ولقب كاتبه فهدى بن إبراهيم بالرئيس ، فكان يُخاطب بذلك ويُكاتب به ، ويركب أكثر الناس إلى داره حتى يخرج برجوان إلى القصر فيجلس فيه في آخر دهاليزه ، ويجلس فهدى في الدَّهليز الأول يوقِّع وينظر ويطلع ببرجوان بما يحتاج له ، فيخرج الأمر بما يكون . فلم يزل الأمر على ذلك حتى انتهت مَهمتهما .

وكان الحاكم يركب كلَّ يوم إلى الميدان^(١) ، فيجلس على سريريه بالطَّارئة^(٢) فتعرض عليه الخيل ، والقراء بين يديه ، وربما أنشده الشعراء ، ثم ينصرف إلى القصر فيجلس برجوان وكاتبه لِيأخذ رِقايع المتظلمين وأرباب الحاجات ، فلا يزالان^(٣) حتى لا يبقى منهم أحد ، ثم يندخلان^(٤) . فإذا فرغ الحاكم من غدائه ورفعت المائدة تقدَّم أبو العلاء فيجلس بين يديه وبرجوان قائم على رأسه ، حتى يقرأ جميع تلك الرقايع ويوقع عليها الحاكم في أعلاها بما يراه ، ثم يخرج بها فتُفرق كلها ويُمَصَّى بها إلى الديوان ، فتُنقَد من شهر مراجعة .

وكان الحاكم إذا جلس في الطَّارئة وأنشده الشعراء تناول برجوان قصائدهم فجعلها في كفه ،

(١) كان في مصر والقاهرة عدة ميادين منها ميادين ابن طولون ، الإخشيد ، قراقوش ، بركة الفيل ، القصر ، وغيرها ولعل المقصود هنا ميدان القصر ويقول عنه المقرئى إنه حمل عند بناء القاهرة بجوار البستان الكافورى وموضع الآن حى الخرنشف ، ولم يزل ميدانا لثقلاء الفاطميين إل أن زالت دولتهم فسطل . الخطط : ٢ : ١٩٧ .

(٢) الطَّارئة : بيت من شبيب ، فارسى مرعب . مختار الصحاح . وكان بالقاهرة حى يعرف باسم خط اصطبل الطَّارئة يحد المقرئى موقفه بآفة بين رصبة قصر الشوك ورجبة الجامع الأزهر ، ويقول : وكانت فيه طارئة يجلس الخليفة تحتها . الخطط : ٢ : ٣٥ .

(٣) في الأصل : فلا يزالان .

(٤) في الأصل : ثم يندخلان .

فإذا عرض رقاع الناس وفرغ من التوقيع قرأ القصائد وقد حضر من له تمييزٌ ومعرفة بالشعر . وكان الحاكم له من الحلق بذلك ما ليس لغيره ، فإذا أنشده الشاعر أو أنشد له أبو الحسن لا يُنشد ويُمرُّ بالبيت النادر أو المعنى الحسن إلا نَبَهَ برجوان عليه واستعاده مراراً ، ثم يوقع لكل واحد منهم بقدر استحقاقه وميلفه من صناعته ، فتخرج صلاتهم بحسب ذلك .

وفي يوم الثلاثاء تاسع شعبان أهدت ست الملوك^(١) إلى أخيها الحاكم بأمر الله ثلاثين فرساً مُسرَّجة ، أحدها مرصع وآخر بلور ، وبقيتها ذهب ، وعشرين بغلة مُسرَّجة مُلجعة ، وخمسين خادماً منها عشرة صقالبة ، ومائة تحت ثياب^(٢) ، وتاجاً مرصعاً ، وشاشية^(٣) مرصعة وأسفاطاً كثيرة من طيب ، وبستاناً من القصة مزروعاً من أنواع الشجر .

وفي رمضان سُومِحَ أهل القلزم بما عليهم من مكوس المراكب .

وصلى الحاكم بالناس صلاة عيد الفطر بالمصلى وخطب ، وأصعد معه المنبر الحسين بن جوهر والقاضي والأستاذ بَرْجَوَان وجماعة .

وسارت قافلة الحاج من بركة الجب^(٤) بالكسوة للكعبة ، والزيت والدقيق والقمح والشمع والطَّيب لمكة والمدينة ، في تاسع ذي القعدة . وفيه خرج جيش بن الصمصامة إلى الشام مكان سلمان بن جعفر بن فلاح ، فرحل ابنُ فلاح عن دمشق [٥٢ ب] في يوم الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة بصكره وسار إلى الرملة .

(١) ورد هذا القالب في الأصل بهذه صور : ست الملك ، سيدة الملك ، ست الملوك .

(٢) تحت : وهاء تصان فيه ثياب . القشوروس المخط .

(٣) الشاشية مايلبس على الرأس دون حمة ، أو مايدار حوله الهامة ، من قاش للشاش المعروف .

(٤) لعل المقصود به جب عميرة الذي ورد ذكره في الخط ، وهو المكان الذي كان الحجاج يخرجون إليه ويتجمعون فيه في المرحلة الأولى استعداداً للفرجة ، وهو في الشمال الشرق من القاهرة . وجب عميرة نسبة إلى عميرة بن قيس التميمي : الخطط : ١ : ٤٨٩ ؛ ٢ : ١٦٣ - ١٦٤ ؛ التجوم القاهرة : ٥ : ١١ ؛ مسجم البلدان : ٣ : ٤٦ - ٤٧ ؛ قوانين الدولتين : ١٦٠ .

ولمّا صلى الحاكم بالمصلّى صلاة العيد يوم النحر بالناس وخطب على رسه .

وورد الخبر من مدينة قوص بأنّ شلّة نزلت بهم من برق ورعد ومطر وحجارة نزلت من السماء ، منها ما لم يسمع بمثله ، وأنهم زلزلوا زلزلة شديدة قصفت النخل والجميز ، واقتلعت خمسمائة نخلة من أصولها . وانبثق بقوص وأعمالها زرقة خضراء على ظهر الأرض ، وغرقت عدة مراكب مشحونة بخلال تساوى أموالا كثيرة .

وفيهما كتب الحاكم بأمّ الله مع الشريف الداعي على بن عبد الله سجليّين لأبي مناد باديس ابن يوسف بن زيري^(١) ، أحدهما بولايته المغرب وتلقيبه نصير دولة الحاكم ، والثاني بوفاء العزيز بالله وخلافة الحاكم وأخذه العهد على بني مناد . فأنزل وأكرم وأخذ العهد على جميع قبائل صنهاجة وعمومهم بالبيعة للحاكم في جمادى الآخرة ، ثم عاد ، فقدم إلى القاهرة يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة بعد أن وصله نصير المولة بمال جليل وثياب وضيول .

(١) ولد في ربيع الأول سنة ٣٧٤ هـ ، وجدًا نجده حين ولاء الحاكم بأمّ الله ولاية المغرب شابا حدثا في الرابعة عشرة من عمره ، ولعل سر ذلك أنه من أسرة بنات مجدعا في طلبة الفناطين ، وتقول رجليها الحكم في صنهاجة والمغرب الأوسط ، وكانت عاصمتهم القيروان ، انظر مجمل الأنساب لزاميلور .

ودخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (١).

في المحرم كان غطاس النصارى^(٢)؛ فضربت الخيام والمضارب والأشرعة في عدة مواضع من شاطئ النيل؛ وتُصِبت أسيرة للرئيس فهد بن ابراهيم وأوقدت له الشموع والمشاعل؛ وحضر المنئون والمهلون^(٣)، وجلس مع أهله يشرب إلى أن جاء وقت الفطاس ففطس وانصرف. وورد سابق الحاج ثمان خلون منه.

وخلع على أبي الحارث فحل بن إسماعيل بن تميم بن فحل الكتاني، وقيد بين يديه، وحمل إليه، وقُلت صور^(٤)

وخلع على أبي سعيد، وقُلت الحسبة. وخلع على أبي الحسن يانس الخادم الصقلبي، وقُلت بسيف وُدُفِعَ إليه رمح وحُمِلَ على فرس بمركب ذهب ثقبيل، وحمل إليه خمسة آلاف دينار وحنة من الخيل والثياب ومائة غلام، وصار لولاية بركة.

وخلع على خود الصقلبي وقُلت بسيف، وحمل، وقيد بين يديه فرس، وحمل إليه ثياب، وقُلت الشرطة السفلى. وخلع على قيد الخادم الأسود بشرطة القاهرة^(٥)

(١) ويوافق أول المحرم منها الثالث من يناير سنة ٩٩٨.

(٢) وهو من أعياد النصارى، ويقع في الحادي عشر من شهر طوبة. ويحتفل به المسلمون والنصارى على السواء، وكان للاحتفال به أيام الفاطميين أهمية خاصة إذ كان يحضره الخليفة بنفسه ومعه رجال الدولة، وترتد فيه المشاعل والشموع، وتتكاثر فيه أنواع المأكولات والمشروبات. وكان من رسوم الدولة أنه يفرق على سائر أهل الدولة الترتيج والتارنج والهمون وأطنان القصب والسك يرسوم مقرونة لكل واحد من أرباب السيوف والأقاليم: الخطط: ٢: ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٣) في الأصل الملهيون، وهي كذلك في الخطط لنفس المؤلف.

(٤) من ثغور الشام الساحلية، يصف ياقوت مناعتها فيقول إنها داخلية في البحر مثل الكف على الساعد، تحيط بها مياه البحر من جميع جوانبها إلا الجانب الرابع الذي منه شروح بابها، بينها وبين عكا ستة فراسخ. معجم البلدان: ٥: ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٥) كانت شرطة مصر منذ زمن الخلفاء الراشدين بالفسطاط، فلما تأسست مدينة السكر، أيام الباسين الأوائل، أنشئت بها دار أخرى للشرطة عرفت بالشرطة العليا، ولم تلبث هذه أن انتقلت إلى داخل القاهرة بعد استقرار الفاطميين، وامتد نشاط شرطة الفسطاط، الشرطة السفلى، ليشمل السكر والقطائع أيضا. صبح الأعشى: ٤.

ووصلت قافلة الحاج سابع عشر صفر . وسار ميسور الخادم الصقلي والباعلى طرابلس
وخلع على فاتك الخادم الصقلي وجعل على الأسطول .

وفى سادس عشر ربيع الأول كان نُورُوزُ الفرس^(١) ، فأهذى الأتراك وقوادهم وجماعة
الأولياء إلى الحاكم الخيل والصلاح الكثير ، فقبل يسيراً منه وشكر ذلك لهم ، وردَّ الباقي
إليهم .

وفى أول ربيع الآخر قدم سلمان بن قَلّاح وأخوه من الرملة .

وفى سادس عشر كان فصيح النصرارى ، فخلع على نهد بن إبراهيم خلعة حُجِلت إلى داره
ومعها بغلتان^(٢) بحر كبيهما وألف دينار . ونُخلع على أبي سعادة أمين الخادم ، أخى برجوان ،
وقلَّد فُرَّةً وعسقلان فى سادس جمادى الأولى .

وورد الخبر بفتح صُور . وذلك أن أهل صور ثاروا على مَنْ عندهم من المغاربة وقتلوا
منهم جماعة ، وقتلوا مَنْ بَقِيَ ، وغلب على البلد رجل من البجوية يقال له العلاقة وأرسل
إلى الروم^(٣) ، فسيروا إليه بمرابك فيها رجال ، فخرج إليهم عسكره ، وسارت إليها المراكب
من مصر فقاتلوا مَنْ بها من الروم فانهزموا عنها فى مراكبهم ، وبَدَتْ أهلُ البلدُ قَالِحُ القتال
عليهم حتى مَلِكْت منهم . وامتنع العلاقة ومعه طائفه فى بعض الأبرجة ، ثم طلبوا الأمان .
فانتَهَبَت المدينة وأخذ منها ما لا يُعرف قدره كثرةً فى الرابع عشر من جمادى الآخرة . وحمل

(١) النوروز من المواسم الفارسية القديمة الّتي كان يحفل بها عند ابتداء فصل الربيع . وقد أبطل المسلمون الاحتفال
به فى أيامهم الأولى حتى جاء الهاسيون وأعادوه إلى ماكان عليه . وفى مصر كان الاحتفال بالنوروز للقطي من أجل أمهات
الفاطميين يلبون فيه الألباب النارية ويطوفون بالأسواق ويوقنون للثيران ، وكانت تطلق فيه الأصليات والمبات على نطاق
واسع من الدنانير والدرهم والكنى والصاب وأنواع الثياب ، وكذلك من الرمانوالبطيخ والبسر والتمر والسكرجى والحناب
والخرقة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر وغيرها . الخطط : ١ : ٤٩٣-٤٩٤ ؛ الفاطميون فى مصر : ٢٨٥ .

(٢) فى الأصل : ومعها بختين .

(٣) حل زمن الإمبراطور هلميل الثالث .

العلاقة مُقيّداً ، وسبق في جماعة معهم إلى القاهرة فُشِّهوا ، وقد أُلِيس العلاقة طرطورا من رصاص له عظم ويُقل على رأسه ، وكاد أن ينفوس على رقبته ؛ ثم قتل وُصِّل وقُتلت أصحابه^(١). وفي شعبان ورد الخبر من جَيْشٍ بمواقعة الروم على فامية^(٢) وأنطاكية . وذلك أن جيشا نزل على دمشق ، ونزل بشاراً إلى خُبرية أيضا ، لأربع خلُوتٍ من رجب ، وكتب إلى بشارة بولاية دمشق فأقرَّ عليها والياً من قبله ؛ وسار بحساكره ، هو وجيش ، في رابع عشر إلى فامية وبها الروم . فاشتدَّ القتال بينهم وبين الروم ، فانهمز المسلمون وملك الروم سوادهم . ثم ثابوا وعادوا إلى محاربة [١٥٣] الروم ، فواقعوهم ، فانهمز الروم وقتل منهم نحو خمسة آلاف وقُتِل مُقدِّمُهم ؛ وذلك لِتِسْعٍ بقيين من رجب . ورجع التهمزون إلى جيش ابن الصمصامة وقد خافوه ، فسار بهم إلى نحو مرعش^(٣) ، فحرقوا ، وهدموا ولم يَلْقَهُم أحد ونزل على أنطاكية فقاتل أهلها أياما ؛ ثم رحل عنها إلى شَيزَر^(٤).

وسار بشارة إلى دمشق ، فتنزلها لِلْمُتَصِفِ من شَرَّال على أنه قد ولي البلد ؛ فأقبل إليه جيش فنزل ظاهر المزة^(٥) ، لسبعٍ بقيين من ذي القعدة ، وقد هجم الشتاء ؛ فوأتى^(٦) الكتاب

(١) وكان على رأس الجيش الذي سار من مصر لحرب العلاقة أبو عبد الله الحسن بن ناصر الدولة ويافوت الخادم ، وفي الجيش جماعة من عبيد الشراء . وفي القاهرة سلخ جلد العلاقة وهو حي ، وحشي جلده تنبأ وُصِّل . وكان العلاقة قد سَكَّ لقروا في صور وكتب عليها : « عز بعد فاقة ، وخطارة بالبلقة ، للأبير العلاقة » . نهاية الأرب للزبيدي .
(٢) وبالحزمة أيضا ، مدينة وكورة من سواحل الشام ، كانت تعد من أعمال حمص . معجم البلدان : ١ : ٢٩٨ ، ١ : ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٣) من مدن التنوير التي كانت تحجز بين البلاد الإسلامية وبلاد الروم في منطقة الشام . بها حصن بناء مروان بن محمد ثم أكل الرشيد بناء المدينة ، وهي مدينة حصينة لها سوران وغتاق . معجم البلدان : ٨ : ٢٥ - ٢٦ .

(٤) قرب حمرة التمان ، بينها وبين حماة ، وكانت تعد من أعمال حمص ؛ وغير شهر الأردن بوسطها . معجم البلدان : ٥ : ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ وانظر أيضا : الاحبار لأسامة ابن منقذ ؛ تهذيب تاريخ ابن حساكر ؛ مقدمة كتاب لباب الآداب .

(٥) قرية كبيرة وسط بساتين دمشق ، بينها وبين المدينة نحو نصف فرسخ . معجم البلدان : ٨ : ٤٧ . وهي بكسر الميم ثم التشديد .

(٦) وصحت في الأصل : فوأتا .

من مصر بعزل بشارة عن دمشق وولايته طبرية ، واستقرار جيش على ولاية دمشق ، فدخلها واستقر بها .

وفي شهر رمضان صلى الحاكم بجامع القاهرة بالناس بعد ما خطب وعليه رداء ، وهو متقلد سيفاً وبيده قضيب ، وزر عليه جلال الالهة لما خطب : وقال خطبة مختصرة سمعها من قُرب منه . وهي أول جمعة صلاها ؛ ثم صلى جمعة أخرى^(١) ، وصلى^(٢) صلاة عيد الفطر في المصلى ، وخطب على الرسم المعتاد ، وحضر السباط .

وأحضرت امرأة من الشام في علة طولها ذراع واحد من غير زيادة ، وافت من خراسان ، ومعها أخ لها في قد الرجال ، فأُنزلت بالقصر وأقيم لها ولبن معها الأتزال ، وكانوا عدة ، وقُطع لها في وقت واحد مائة ثوب مثقل وحرير . وكانت مليحة الكلام نظيفة ، ولبشت بضعة وثلاثين يوماً وماتت ، فكانت لها جنازة عظيمة .

وسارت قافلة الحاج في ثالث عشر ذى القعدة بالكسوة والصَّلَاتِ على العادة . وصلى الحاكم يوم عيد النحر بالمصلّى وخطب .

ووصل خود من قبَل جيش بن الصمصامة في عشرين ذى القعدة ومعهم عدة أسارى ورمُوس كثيرة ، فطيفَ بهم في البلد ، ثم عُق عن الأسرى وأطلقوا .

(١) جاء في التاجم الزاهرة ، نقلاً من ابن عبد الظاهر ، بشأن خطبة الجمعة أنه كان من مادة الخليفة أن يخطب في شهر رمضان ثلاث خطب ، ويستريح فيه جمعة ، وكانوا يسمونها جمعة الراحة . ولصلاة الجمعة وخطبتها مراسم خاصة بهم تفصيلها في التاجم الزاهرة ؛ ٤ : ١٠٢ - ١٠٤ . ومن صلاة الجمعة أنظر أيضاً ؛ الخطط ؛ ٢ : ٢٨٠ - ٢٨٢ .

(٢) في الأصل : وصلا .

سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة^(١)

في حادى عشر المحرم ورد سابقُ الحاج فَأُخْبِر أن عدن احترقت كلها وتلف فيها من المال مالا يعرف له قيمة لكثرتة .

وفي ليلة الرابع [من صفر^(٢)] مات قاضى القضاة محمد بن النعمان فركب الحاكم وصلى عليه . وله من العمر تسع وأربعون سنة إلا يوما ؛ ومولده لثلاث خلون من صفر سنة أربعين وثلاثمائة ؛ وكانت مدّة ولايته القضاة بمصر وأعمالها أربع عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام . ودُفِن بداره ثم نقل إلى القرافة ؛ وقيدت دوابه إلى الاصطبل . وترك عليه ديناً للأيتام وغيرهم عشرين ألف دينار ؛ وقيل ستّة وثلاثين ألف دينار ؛ فبعث بهرجوان كاتبه أبا العلاء [فهد بن ابراهيم] فحتم على جميع ما ترك القاضى ، ولم يَمَكِّن ورثته من شئ ؛ وباع ذلك كله . وطالب الأمانة والعدول بأموال اليتامى المتبقية عليهم فى ديوان القضاة ، فزعموا أن القاضى قبضها ، وأنّام بعضهم بيّنة على ذلك وعجز بعضهم ، فأغرم من لم يتم بيّنة ما ثبت عليه . فاجتمع من البيع والأمانة ثمانية عشر ألف دينار ، أخذها الغرماء بحق النصف مما لهم . وأمر الحاكم ألا يُودّع عند عدل ولا أمين شئ من أموال اليتامى ، وأن يَكْتَرُوا مخزنا فى زقاق القناديل^(٣) وتودع فيه أموال اليتامى ، فإذا أرادوا دفع أموال اليتامى حضر أربعة من نقات القاضى ، وجاء كل أمين فأطلق لمن يلى عليه رزقه بعد مشورة القاضى فى ذلك ، لكتب على الأمين وثيقة بما يقبضه من المال لمن يلى عليه .

ورجم فى ولايته رجلا زنى فى ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وكان أكثر أباه

(١) ويوافق أول المحرم منها الثالث والعشرين من ديسمبر سنة ٩٩٨ .

(٢) ما بين الحاصلتين غير موجود بالأصل ، وقد زيد استقامة بما يسيى بهد كلمات .

(٣) كان زقاق القناديل من الدورب الشهيرة التى سكنها الأعيان بمدينة القسطنطينية فى زمانها ، وقد زال بزوالها .

ومكانه اليوم أرض فضاء مجاورة لجامع عمرو بن العاص من جهة الشرق .

عليلاً بالنقرس والقولنج^(١) ، وكان برجوان ، على كلالته يعود له إذا مرض فمن دونه . وكان يكتب بقاضي القضاة . وعلت منزلته حتى جاز حد القضاة ، وكانت النعمة تليق به ، وعم إحسانه سائر أصحابه وأتباعه . وكان حسن الخلق ، ندي الوجه ، فاخر الزى يلبس الدراعة والعمامة بغير طيلسان^(٢) ، كثير الاستعمال للطبيب والبخور في مجلسه ، وإن أعطى أعطى كثيراً واقراً .

ولما مرض رأى كأن الحق تعالى نزل من السماء ، فلما بلغ باب داره مات ، فقال له ابن قنيد عابر الرؤيا موت الحق إبطاله ، والله هو الحق ، ولا يزال الحق حياً حتى يصبر إلى بابك فيموت ، فمات هو بعد ذلك بقليل .

ومن شعره [٥٣ ب] :

أيا مُشَبَّه البدر بدر السماء	لسبح وخمس مغت واثنتين
ويا كامل الحسن في نَعْتِهِ	شملت فَوَادِي وَأَنْهَرَتْ عَيْنِي
فهل لي من مَطْمَع أُرْتَجِيهِ	وإلا انصرفتُ بِخَفَى حُنِينِ
ويشمت في شامت في هوائك	صفر اليليين ^(٣)
فإِذَا مِنْتَ وَإِذَا قَتَلْتَ	فَأَنْتَ الْقَدِيرُ عَلَى الْحَالَتَيْنِ

ومنه :

تأمل لدى الدنيا، تجدها مشوبة	سرورا يحزن في ثقلب أحوال
وقد قُسمت أشياءها بين أهلها	فمالُ يلا أمني، وأمنُ يلا مال

(١) مرض يصيب المي ، وقد يؤدي إلى انسدادها فترة ، ويسمر مع هذا المرض خروج الثقل والريح . القاموس المحيط .

(٢) الطيلسان ، حذقة اللام ، واليليس والطالسان : لباس يختص به العلماء - عادة - وهو خيال من التفصيل والحياطة . لسان العرب .

(٣) يفاض في الأصل لم أحت إلى ما يكمله .

وأقامت البلد بعد موته تسع عشرة ليلة بغير قاض .

وفى ثالث عشر منه استدعى برجوان أبا عبد الله الحسين بن علي ، ابن النعمان ، إلى حضرة الحاكم بأمر الله ، وأضعف له أرزاق عمه وصلاحيه وإقطاعاته ، وقال له : قد أرحمت عليك ، فلا توجد لي سبيلا إليك بتعريضك لمرهم من أموال المسلمين فقد أغنيئتك عنها . ثم خلع عليه ثيابا بيضا ورداءه حتى مذهبها وعمامة مذهبة ، وقلّده سيفاً وحمله على بغلة ، وقاد بين يديه بغلتين بسرورهما ولُجُمهما ، وحمل معه ثيابا كثيرة صحاحا ؛ وردّ إليه القضاء عصر وأعمالها ؛ ولم يَظُنْ ذلك أحد لضعف حاله - وكان الناس يتخيلون ولاية عبد العزيز بن محمد بن النعمان بعد أبيه لأنه كان يخلف أباه - فنزل إلى الجامع العتيق ، وقرأ سجّله على منبره . فنظر بين الناس ، وأوقف شهادة جماعة من الشهود ، وندب أربعة لكشف أحوال الشهود ؛ وألزم وفاة أمور الأيتام برفع حسابهم . وطالب عبد العزيز بن النعمان بما على أبيه من أموال الأيتام . وجعل موضعا بزقاق القناديل يكون مودعا لأموال الأيتام ، وجعل خمسة من الشهود يضبطون ما يرد إليه وما يخرج منه بحُجَجٍ يكتب فيها خطوطهم ؛ فاستُخِمين ذلك من فعله . وهو أول من اتخذ مودعا للأيتام من القضاة .

واستخلف عصر أبا عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر ، وبالقاهرة أبا الحسن مالك ابن سعيد الفارقي ، وعلى العَرَض والنظر بين المتحاكمين ، إذا غاب ، الحسن بن طاهر وأبا العباس أحمد بن محمد بن عبيد الله بن العوام . واستكتب أبا طاهر زيد بن أحمد بن السندی وأبا القاسم علي بن عبد الرزاق ؛ وجعل إلى أخيه أبي النعمان المنذر بن علي النظر في العيار^(١) ودار الضرب^(٢) . واستخلف على الإسكندرية وأعمالها .

(١) هي المؤسسة المختصة بمعايرة الموازين والمكاييل وضبطها ، ومن حضر من الرعية إلى المستخمين بها ورغب في ابتغاء شيء منها بآمره . وإذا وجدوا منجية زائدة أو ناقصة استهلكوها . ثوابين الثوابين : ٣٣٣ - ٣٣٤ ؛ الخطط : ١ : ٤٦٣ .
(٢) فيها يسبك ما يحصل إليها من الذهب المختلف حتى يصير ماء واحدا جاريا ، يقلب قصبانا تقطع من أطرافها مباشرة النائب في الحكم (المدير المستول) وتمصير سبيكة واحدة ، ثم يؤخذ من جلتها أربعة مثاقيل ، ويضاف إليها من الذهب الحار =

وقوى أمره ، وتشدد في الأحكام ، وقبل شهادة من أوقف شهادته وعزل آخرين ، واتخذ حاجبا. وتولى أمر الدعوة وقراءة ما يُقرأ في القصر من مجالس الدعوة وكتبها ، وعلت منزلته. وفي خامس عشرى صفر وصل حاج البيت . وصلى الحاكم في رمضان بالناس جمعتين ، وخطب وصلى صلاة عيد الفطر ، وخطب ، وأصعد القاضى معه في جماعة ، وجلس على الدماط .

وسارت قافلة الحاج أول دى القعدة بالكسوة والصُّلات على العادة . وصلى الحاكم صلاة عيد النحر وخطب على الرمم ، وأجرى الناس في أصحابهم على عوائدهم . وعمل عيد التدبير على العادة ، وطاف الناس بالقصر على رسمهم .

== المسبوك بدار الغرب أربعة مثاقيل ، ويمل كل منها أربع ورقات . وتجمع الورقات الثمان في قلع فخار ، يد تحرر وزنها ، ويوقد عليها الآتون ليلة ، ثم يجر القرع على الأصل ثم يضرب دنانير . ويمل بالنفضة ما يشبه ذلك . قوانين الدواوين ، ٣٣١ - ٣٣٣ ؛ الخطط : ١ : ٤٤٥ .

سنة تسعين وثلاثمائة (١)

في أول يوم من المحرم ظهر الحاكم ودخل الناس فهنئوه بالعام .

كان سعر الخبز ستة عشر وطلاً بدرهم . وسقط لإصطبل فهد بن ابراهيم فمات له نحو سنين بغلة .

وفي حادى عشر صفر وصلت قافلة الحاج من غير أن يدخلوا إلى المدينة النبوية .

وفي سادس عشر من ربيع الآخر^(٢) أنهذ الحاكم إلى برجوان عشية يستدعيه للركوب معه إلى القدس^(٣) ، فجاء بعد بقاءه وقد ضاق الوقت إلى القصر ، ودخل بالموكب ورؤساء الدولة والكتاب إلى الباب الذى يخرج منه الحاكم إلى القدس ؛ فلم يكن بأسرع من خروج عقيق الخادم وهو يصيح : قُتِل مولاي ؛ وكان عقيق عيناً لبرجوان في القصر وقد جعله على خزاناته الخاصة . فاضطرب الناس وبادرُوا إلى باب القصر الكبير فوقفوا عنده ؛ وأشرف عليهم الحاكم . وقام زيدان ، صاحب المظلة ، فصاح بهم : من كان في الطاعة فليتنصرف إلى منزله وي بكر إلى القصر المعمور ؛ فانصرف الجميع . وكان قتل برجوان في بستان يعرف بدويرة الثين [١٥٤] والعتاب كان الحاكم فيه مع زيدان فجاء برجوان ووقف مع زيدان . فسار الحاكم حتى خرج من باب الدويرة ، فعاجل زيدان وضرب برجوان بسكين كانت في حُفّه ،

(١) ويوافق أول المحرم منها الثالث عشر من ديسمبر سنة ٩٩٩ .

(٢) في نهاية الأرب للتوحي يحدد التاريخ بأنه الثالث عشر من ربيع الآخر .

(٣) ميناء القاهرة في زمن الفاطميين ومكانها قرب موقع حديقة الأزبكية . وقد انصر النيل منها في أواخر زمن الدولة الفاطمية فأصبحت هولاك ميناءها زمن الأيوبيين . الخطط : ٧ .

وَابْتَدَرَهُ قَوْمٌ ، وَقَدْ أَعْنَوْا لَهُ السَّكَابِينَ وَالْخَنَاجِرَ ، فَقَتَلَ مَكَانَهُ ، وَحَزَّتْ رَأْسَهُ وَطَرَحَ عَلَيْهِ حَائِطٌ (١) .

وسبب ذلك أن برجوان لما بلغ النهاية قصر في الخدمة ، واستقل بلذاته وأقبل على سماع الغناء ، وكان كثير الطرب شديد الشغف به ، فكان يجمع المغنين من الرجال والنساء بداره فيكون معهم كأحدهم ، ولا يخرج من داره حتى يمضي صدرُّ من النهار ويتكامل الناس على بابه ، فيركب إلى القصر ، ولا يمضي إلا ما يختار من غير مشاورة ، فلما استبد بالأمر تجرد الحاكم للنظر .

وكان برجوان من استبداده يكثر من الدالة على الحاكم ، فحقد عليه أمورا ، منها أنه قال بعد قتله إنه كان سيِّ الأديب جدا ، والله إنني لأذكر وقد استدعيته يوما ونحن رُكبان فصار لي ورجله على عنق دابته وبطن خُفَّ قبالة وجهي ، فشاغلته بالحديث ولم أره فكرة في ذلك . وغير ذلك مما يطول شرحه .

وأشهد الحاكم بعد قتل برجوان فأحضر كاتبه فهد بن إبراهيم في الليل وأمنه ، وقال : أنت كاتب وصاحبك عبدى ، وهو كان الواسطة بيني وبينك ، وجرت منه أشياء أنكرتها عليه فجازيته عليها بما استوجبه ، فكان أنت على رسلك في كتابتك آمنا على نفسك وما لك .

فكانت مدة نظر برجوان سنتين وعثمانية أشهر غير يوم واحد . وبرجوان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون .

(١) يذكر التورى صاحب نهاية الأرب أن زيدان الصقل ، خادم الحاكم بأمر الله ، دس له عند الحاكم وكان من جملة ماله له : « إن هذا يقصد أن يفعل بك كما فعل كافور الإخشيدي في أولاد سيده » . ويضيف التورى أنه كان في جملة ما وجد لبرجوان بعد مصرعه ألف سروال ديبق بألف تكة سرير ، وعلق على ذلك بقوله : « وناحيك موجود يكون هذا من جملة » . والبستان المذكور الذي قتل فيه برجوان هو بستان القلوة وبه قصر القلوة من مباني الفاطميين ويطلق على الخليج ويشرف من شرقه على البستان الكافورى ومن غربه على الخليج . انكسب : ١ : ٢٦٧ ، ٢ : ٢٧٧ .

وبكر الناس إلى القصر فوقفوا بالباب ، ونزل القائد أبو عبد الله الحسين بن جوهر القائد وحده إلى القصر وأذن للناس ، فدخلوا إلى الحضرة ، وخرج الحاكم على فرسٍ أشقر ، فوقف في صحن القصر قائماً ، وزيدان عن يمينه وأبو القاسم الفارقي عن يساره ، والناس قيام بين يديه ، فقال لم ينقسه من غير واسطة : إن برجوان عبدى ، استخدمته فنصح فأحسنتم إليه ، ثم أساء في أشياء عملها فتخلته ، والآن فأنتم شيوخ دولي - وأشار إلى كتامة - وأنتم عندي الآن أفضل مما كنتم فيه مما تقدم . والتفت إلى الأتراك وقال لم : أنتم تربية العزيز بالله و [في] مقام الأولاد ، وما لكل أحد عندي إلا ما يؤثِّره ويحبُّه ، فكونوا على رسومكم ، وامضوا إلى منازلكم ، وخلُّوا على أبلدى سفهائكم . فدعوا جميعاً وقبلوا الأرض ، وانصرفوا .

وأمر بكتابة سجل أنشأه أبو منصور بن سُوَيرين كاتب الإنشاء ، قرَّيه بسائر الجوامع في مصر والقاهرة والجزيرة والجزيرة^(١) ، نصه بعد البسملة :

« من عبد الله وولَّيه ، المنصور أبي علي ، الإمام الحاكم بأمر الله ، أمير المؤمنين ، إلى سائر من شهد الصلاة الجامعة في مساجد القاهرة المعزية ومصر والجزيرة : سلامٌ عليكم معاش المسلمين المصلين في يومنا هذا في الجوامع ، وسائر الناس كافة أجمعين ، فإن أمير المؤمنين بحمد إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلِّ على جدِّه محمد خاتم النبيين وسيِّد المرسلين وعلى أهل بيته الطاهرين . أما بعد ، فالحمد لله الذي قال ، وقوله الحق المبين : لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ . لَا يُسْأَلُ عَمَّا

(١) المراد بها جزيرة الروضة . وقد عرفت في أوائل العصر الإسلامي باسم الجزيرة لوقوعها في بحرى النيل ، وجزيرة مصر وجزيرة الفسطاط لوقوعها مقابل مدينة الفسطاط التي تطورت ونمت حتى عرفت باسم مدينة مصر . وعرفت كذلك باسم جزيرة المقياس حيث يوجد بها مقياس النيل الذي أنشأه أسامة بن يزيد التتوغى حامل التراج زمن سليمان بن عبد الملك . وأصبحت تعرف أيضاً بجزيرة الحسن منذ بنى ابن طولون حصنه بها سنة ٢٦٣ . ثم عرفت باسم جزيرة الروضة بعد أن أنشأ بها الأنفل بن بدر الجمالى بستاناً سماه الروضة ، سنة ٤٩٠ . النجوم الزاهرة : ٤ : ١٧٢ حاشية : ٧ .

يَعْمَلُ ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ ^(١) . يحمدہ امیر المؤمنین علی ما أعطاه من خلافته ، وجعل إليه فيها دون بريته من الصُّبْط والقَبْض ، والإبرام والنقص . معاشر الناس ، إن برجوان كان ليا مضى عبداً ناصحا ، أَرْضَى امیر المؤمنین حيناً ، فاستخدمه كما يشاء ، ففعل به ما شاء كما سبق في العلوم وجزاء عليه في المختوم . قال الله عز وجل : « وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ، وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقُدْرٍ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ » ^(٢) . ولقد كان امیر المؤمنین ملُكاً ، فلما أساء ألبسه النقم ، لقول الله تعالى : « فَلَمَّا آسَفُونَا [ب] انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ » ^(٣) . وقوله عز وجل : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ » ، أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ^(٤) . فحظره امیر المؤمنین حما صبا إليه ، ونزعه ما كان فيه ، وتمت مشيئة الله عز وجل ، ونفذ قضاؤه وتقديره فيه . «وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» ^(٥) . فَأَقْبَلُوا معاشر الثُّجَّارِ والرعية على معايشكم واشتغلوا بأشغالكم ، فهو أَعْوَدُ لثأنكم ، ولا تَطْفُوا في أمر أنفسكم ، فلاُمير المؤمنین الرأى فيه وفيكم . فمن كانت له منكم مطالبة أو حاجة فليَمْنِ إلى امیر المؤمنین بها ، فإنه مباشرٌ ذلك لكم بنفسه ، وبابه مفتوح بينكم وبينه . وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ^(٦) . وأنتم رعايا امیر المؤمنین الْمُفْتَحَ لها أبواب عدله وإحسانه وفضله . والله يريدہ فيها يريدہ ويعتمده من الخير لمن أطاعه من الأنام ، والحماية لحمى الإسلام ، « عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » ^(٧) . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم الجمعة ثلاث بقين من

(١) سورة الأنبياء : ٢٢ - ٢٣ .

(٢) سورة الشورى : ٢٧ .

(٣) سورة الزخرف : ٥٥ .

(٤) سورة القلق : ٦ - ٧ .

(٥) سورة الإسراء : ٥٨ - مع إسقاط واو اللفظ .

(٦) سورة البقرة : ١٠١ في الأصل : والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ثم شطبت الجملة الأخيرة وأضيف في مكانها : « والله واسع عليم » . وليس في كتاب الله آية بهذا النص فالمدلول من : « والله ذو الفضل العظيم » خطأ وتبدأ الآية كذلك : يختص برحمته . .

(٧) سورة هود : آية ٨٨ : « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » . وسورة الشورى : آية : ١٠ : « فلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب » .

شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلثائة . وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الأخيار وسلم تسلياً .

وكتبته سجلات على نسخة واحدة ، وأنفذت إلى سائر النواحي والأعمال .

ولثلاث خلون من جمادى الأولى خُلع على القائد الحسين بن جوهر ثوب ديباج أحمر ، ومنديل أزرق مذهب ، وتغلد سيفاً عليه ذهب ، وحُمل على فرس بسرّج ولجام ذهب ، وبين يديه ثلاثة أفراس بمراكبها ، وخمسون ثوباً من كل فن . وردّ إليه الحاكم التوقيعات والنظر في أمور الناس وتلبيز المملكة وإنصاف المظلوم . وخُلع على فهد بن إبراهيم ، وحمل على بغلة ، وبين يديه بغلة أخرى وعشرون ثوباً . فأنصرف القائد ، وخلفه فهد وسائر الناس بين يديه ، إلى داره . وتقدّم إلى فهد بالتوقيعات في رقاع الرافعين على رسمه ، وأن يعاضد القائد حسينا في النظر ويعاونوه ويخلفه إذا غاب . فكان القائد يبكر إلى القصر ومعه الرئيس فهد ، فينظران في أمور الناس وينهيان الأمور إلى الحاكم ، والقائد متقدم وفهد يتبعه ، فإذا دخلا إلى حضرة الحاكم جلس القائد وقام فهد خلفه فيعرضان الكتب والرقاع عليه . وأمر القائد ألا يلقاه أحد من الناس على طريق ولا يركب إليه إلى داره أحد لقضاه حق ولا سؤال في مصلحة ، ومن كان له حاجة يلقاه في القصر^(١) . ونهى الناس أن يخاطبوه في الرقاع التي تكتب إليه بسيدنا ومولانا ، ولا يخاطبونه ويكتبونه إلا بالقائد فقط ، ولا يخاطب فهد ويكتب إلا بالرئيس فقط .

وحمل فهد إلى الحاكم هدية ، منها ثلاثون بغلة بألوان من الأجمة ، وعشرون فرساً منها عشرة مسرجة ملجمة بجلال ملونة ، وعشرون ألف دينار ، وسقط فيه حلة ديبقية^(٢) مذهبة لم يُؤمئطها ، ودرج فيه جوهر ، وأسقاط كثيرة فيها البزّ الرفيع ، وخزانة مدهونة .

(١) في الأصل : فيلقاه .

(٢) نسبة إلى مدينة دين التي اشتهرت بصناعة الملابس الحريرية المزركفة ، وقد زالت . وكانت من أعمال العقيلية

عند بحيرة المنزلة .

وأمر أبو جعفر محمد بن حسين بن مهذب ، صاحب بيت المال ، بإحضار تركة برجوان فوجد فيها مائة منديل شرب ملونة مغممة كلها على مائة شاشية^(١) ، وألف سروال ديبقي بألف نكة حرير أرمني ، ومن الثياب المخيطة والصّحاح والحلى والمصاغ والطيب والفُرُش مالا يحصى كثرة ، ومن العين ثلاثة وثلاثون ألف دينار ، ومائة وخمسون فرسا لركابه ، وخمسون بغلة ، وثلاثمائة رأس من بغال النقل ودواب الغلمان ، ومائة وخمسون سرجا منها عشرون من ذهب ، ومن الكتب شيء كثير .

لما ركب القائد حسين رأى جماعة من قواد الأتراك قياما على الطريق ينتظرونه فوقف وقال : كلنا عبيد مولانا صلوات الله عليه وبما ليكه ، وليس والله أبرح من موضعي أو لنصرفوا هني ، ولا يلقاني أحد إلا في القصر . فأنصرفوا . وأقام خدما من الصقالبة ينوب على الطريق بمنعون الناس من المصير إلى داره ومن لقاؤه إلا في القصر ، وجلس في موضع رسم له بالجلوس فيه .

وتقدم حسين بن جوهر إلى أبي الفتح معمود الصقلبي صاحب السمر بأن يوصل الناس [١٥٥] بأشهرهم إلى الحاكم ولا يمنع أحدا ، وأن يعرف رسم كل من يحضر ومن يجلس للتوقيع إذا وقع له . فدخل الناس ليأخذ رقاعهم وقصصهم ، ووقع فيها ، والحاكم في مكانه جالس يدخل إليه أرباب الحوائج ويشاور في الأمور المهمة .

ووصل إلى الحاكم جماعة ممن كان يدخل في الليل إلى العزيز ، وأمرُوا بملازمة القصر وقت جلوسه ودوام الجلوس بالعشايا ، فدخل أول ليلة ، وهي ليلة الأربعاء سابع جمادى الأولى ، القائد حسين والقائد فضل بن صالح والحسين بن الحسن البازيار . فجلس حسين بن جوهر من اليمين ، وإلى جانبه فضل بن صالح ودونه ابن البازيار ، وبعده أبو الحسن علي بن

(١) مايليس على الرأس دون عملة ..

إبراهيم المرسى ، ويليهِ القاضى عبد العزيز بن محمد بن النُّعمان ؛ وجلس من اليسار رجاء ومسعود ابنا أبي الحسين ، ودونهما أبو الفتح منصور بن معشر الطيب ، وأبو الحسين بن المغربي الكاتب وأخوه . ووقف عنده [عِدَّةٌ ^(١) من الأقارب وجماعة من القواد ، منهم مُتَجَوِّتُكَيْن وغيره ، ثم دخل بعد ذلك جماعة منهم ابن طاهر الوزان . فجرى الرسم على ذلك إلى اثني عشر جمادى الآخرة . ثم صار السلام يخرج فينصرفون إلَّا ابن البازيار وابن معشر الطيب وعبد الأعلى بن هاشم من القرابة ، فإنهم يجلسون فرُبَّما أطالوا الجلوس وربما خدموا .

وركب الحاكم عِدَّةً مرار إلى ناحية سردوس ^(٢) وإلى بركة الجب وإلى عين شمس وحلوان للصيد وغيره . وفى سابع عشرى جمادى الآخرة قرئ سجل على سائر منابر المساجد الجامعة بأنَّ يلقب القائد حسين بن جوهر بقائد القواد . وخُطِبَ على جابر بن منصور الجودرى جِيَّةٌ مثقلة ومنديل بذهب ، وخُيِّلَ بين يديه ثياب كثيرة وقُلْدٌ بسيف ، وندب ناظرا في السواحل ^(٣) والمحسة بمصر .

وأما الشام فإن جيش بن الصمصامة لما استقر بدمشق ، وقد خرب البلد وضمُفَ وقُلِّ ناسُه وطمعت رعيته ، فكان فيهم جهال يأخذون الخُضارة ويَطْمَعُونَ في أموال أهل السَّلامة ، فصارت لهم أموالٌ وخيول ومشى بين أيديهم الرجال ، وقويت نفوسهم ، وصاروا يوالون خروجهم مع جيشي في وقائع الروم ؛ فوعدهم جيش بالأرزاق فاطمأنوا إليه . ثم إنه رتب جماعة وقبض على المذكورين وقيدهم ، وأمرَ بهم فحبسوا ، وأفاض عليهم العذاب حتى سلبهم

(١) زيد ما بين الحاصرتين لأن السيلك يقتضيه أمر نحوه .

(٢) في الخطط السمرقندى وفي مسجم البلدان وقوانين الدواوين أساديث عن خليج سردوس يفهم منها أنه كان من الحرف الشرقى ، لى من منطقة القلبيوية وأطراف الشرقية الحاليين ، ولا شئٌ غير هذا .

(٣) بمصر والقاهرة أكثر من ساحل أندلس ساحل الجزيرة (جزيرة الروسة) ، ثم ساحل مصر على الجانب الشرقى ، ثم ساحل المقس القاطنى الذى كان في موقع ميدان وسيس حاليا .

جميع أموالهم ، وتنتج من استنتر منهم فضرب أعناقهم وصلبهم على أبواب البلد فلم يبق منهم أحد .

فلما خلا له البلد من حُتال السلاح طمع في أهل القرى ، فعم كثيرا من الناس البلاد منه ، وشمل أهل المدينة والقرى ضرره ، حتى غلق أكثر الأسواق ، وضع الناس إلى الله بالدعاء وهو يَعدُّهم بحريق البلد وبلد السيف فيهم ، فهرب كثير من الناس عن البلد .

ووصل الخبر بقلوم عسكر الروم ، فأخذ جيش في جمع العرب ؛ ونزل ملك الروم على شِيزر وفيها عسكر من قبيل الحاكم ، فقاتلهم حتى ملكهم بأمان . ونزلت العرب الذين جمعهم جيش فبا بين حَرَمَسَا^(١) والقَابُول^(٢) ، وانتقل الروم من شِيزر إلى حصص فأخلوها وسبوا أهلها وأحرقوا ؛ وذلك في ذى الحجة سنة تسع وثمانين ، وهي دخلة الروم الثالثة إلى حصص ، فأقاموا بها وقد اشتد البرد وغلت عليهم الأسعار حتى بيعت العليقة عندهم بدينار فرحلوا ، وقد مات أكثر ذَوَابِهِمْ ، إلى طرابلس ، فنزلوا عليها وهم في ضيق ؛ ثم رحلوا عنها إلى مِيقَاتَرِينَ^(٣) وآمد^(٤) ، وهادَثُوهم . ثم ساروا إلى أرمينية .

وزاد جُوزُ جيش وأسرَف في الظلم ، وكان به طرف جذام فاشتد به ، وسقط شعر بدنه ، ورضخ جسمه واسودَّ حتى انمحت سِمْنَةُ وجهه وزاد وأروح سائر بدنه ؛ فكان يصيح :

(١) قرية كبيرة وسط بساتين دمشق ، بينها وبين المدينة أكثر من فرسخ . وهناك قرية أخرى من بساتين دمشق تعرف باسم حرمتا المنطرة . معجم البلدان : ٣ : ٢٥١ .

(٢) هي القابون التي يذكر بالقرن أنها تبعد عن مدينة دمشق ميلا واحدا في طريق القاصد إلى الرافق في وسط البساتين . معجم البلدان : ٧ : ٤ .

(٣) أشهر مدينة بإقليم ديار بكر بأرض الجزيرة الرافقية ، وكانت أصلا من الحصون الرومية ، ثم صار لها وإقليم ديار بكر جيمه أهية خاصة في بعض عصور التاريخ الإسلامي كما في أيام الأسرة الأرتقية بين سنتي ٤٩٥ - ٦٢٩ في منطقة حصن كيفا . معجم البلدان : ٨ : ٢١٤ - ٢١٨ .

(٤) أبيل مدن ديار بكر وأعطتها تحصينا ، تحيط بها مياه دجلة كاللؤلؤ ، وبها عيون قريبة يتناول ماؤها باليد . معجم البلدان : ١ : ٦١ - ٦٣ .

وَبَحَكْمِ اِقتلولى ، اَريحوى !! إلى أن هلك يوم الأحد لسبع غَلَوَن من ربيع الآخر . فكان مقامه بدمشق سنة عشر شهرا وستة عشر يوما^(١). ووصل ابنه أبو عبد الله بتركته إلى القاهرة فخلع عليه الحاكم وحمله . ورفع زيدان إلى الحاكم فَوَجَّأ بِخَطِّ جيش وفيه وصيَّةٌ وثبتُ بما خَلَّفَ مَفْصَلًا مشروحا ، وأن ذلك جميعه لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الحاكم بِأَمْرِ اللَّهِ [٥٥ ب] لا يستحق أحد من أولاده منه درهما ؛ وكان ذلك يبلغ نحو مائتي ألف دينار ، ما بين عين وورحل ومتاع . وقد قال فيه جيش : لو زَيْدُكَانَ يتسلم ذلك فَإنَّه على بغالٍ تحت القصر يظاھر القاهرة . فأخذ الحاكم النُزج وأوصله لِابْنَيْ جيش ، وخط عليهما ، وقال لما بحضرة أولياء الدولة ووجوهها : قد وقفت على وصية أبيكما ، رحمه الله ، من حين ومتاع فيما وصى به ، فخلوه هنيئًا مباركًا لكما فيه . فأنصرفا بجميع الحركة .

وأقطعت سيدة الملك على عبدة^(٢) سنة تسع وثمانين الخراجية إقطاعا مبلغه مائة ألف دينار ، منها ضياع في الصعيد وأسفل الأرض ثمانية وستون ألفا وأربعمائة وخمسون دينارًا ، منها بونيج^(٣) ستة آلاف وسبعمائة وخمسون دينارًا ، وصهرشت^(٤) سبعة عشر ألف دينار ، ودمهور خمسة آلاف دينار ، وباقى ذلك ، وهو أحد وثلاثون ألف دينار وخمسمائة وخمسون دينارًا ، من دُورٍ وبساتين ورصوم .

(١) يقول ابن القلانسي : « وكان سبب هلاكه لسوء خرج في سفره ، ولم يزل يستحث من الأُم ويضئ الموت ويطلب أن يقتل نفسه فلا يتمكن ولا يمكن » . ذيل تاريخ دمشق : ٥٤ .

(٢) أي خراج السنة . يقال جبر الخراج والدراهم يجرها : نظر كم وزنها وما هي . لسان العرب . انظر أيضا قوانين الفوارين : ٢٢٦ ، ١٥٧ .

(٣) من أعمال إقليم السويطة ، وهي الآن أبو قيج .

(٤) لعلها صهرجت الحالية وهي اثنتان صهرجت الكبرى وصهرجت الصغرى ؛ والأول بمركز ميت شر على الغاملي الشرق لقرعة الساحل وفي الجنوب الشرقية العز بنحو أربعة كيلو مترات ، والثانية بمركز مينة سمود في الجنوب الشرق لناحية بشلا بنحو ألف قسبة وفي الشمال الشرق لناحية نيفة بنا بنحو ثلثة قسبة . قوانين الفوارين ، المجلد التوفيقي : ١٢ ، ٢٧ .

وأما المغرب فإن الأستاذ برجوان لما ولى تدبير التّولة ثقل عليه أبو الحسن يانس الصقلي
:اليزيدى^(١)، فإنه كان ينافسه في الرئاسة ، فتجّيل حتى أخرجه إلى برقة كما تقدم ، فتوالت
كتب تَمُوصِلت بين بكار^(٢) يسأله أن يأتيه أحد ليلسمة مدينة أطرابلس ، وتقدم إلى الحضرة .
فقصده برجوان إبعاد يانس ، فكتب إليه حتى صار إليها وقدم إليها للنصف من جمادى
الأولى سنة سبعين ، فسلمه تَمُوصِلت البلد ومضى إلى القاهرة وقد تأخر أكثر عسكره مع
يانس ، فاختلفوا مع أصحابه حتى اقتتلوا وخرجوا أقبح خروج إلى إفريقية ، وشكوا ما نزل
بهم إلى نصير التّولة أبي مناد باديس^(٣). فبعث القائد جعفر بن حبيب على عسكر، فقاتل
يانس ، فقتل في رابع ذى القعدة . وبادر فتوح بن علي بن عيّان من أصحاب يانس إلى
أطرابلس ، فدخلها ، وانضم إليه بقية أصحابه وقاتل بها جعفر بن حبيب سنة إحدى وتسعين ،
واستلم الحاكم ، فأمّنه يحيى بن علي بن الأندلسي على عسكر ، فاختلف عليه أصحابه
وعاد أقبح عود إلى القاهرة . فلأود الحاكم قتله ، فأظهر كتاب زيدان صاحب المظلة بخطفه
أن يدفع إليه المال من برقة ، وأنه قبض ذلك من مال الحضرة ، فلم يجد ببرقة مالا ينفقه
على العسكر ، فقبل هذا العذر وقتل زيدان على ما فعل .

وكان مع يحيى بن علي عند خروجه من المغرب جماعة من بني قُرّة ، فكسروا عسكره
ورجعوا إلى موضعهم ، فبعث الحاكم يستدعيهم إلى القاهرة ، فحالفوا وامتنعوا ، فأعرض
عنهم مدة ثم كتب إليهم أمانا ، فبعثوا رهائن منهم ، فأمرهم بالوصول إلى الإسكندرية
ليقفوا على ما يأمرهم به ، فحليز أكثرهم ، وقدمت طائفة إلى الإسكندرية فقتلوا وحملت

(١) خص من خدام العزيز بالله ، أتاه في الإشراف على القصور السلطانية ، فلما توفي أمره الحاكم بأمر الله على ولايته
وشغل عليه ، حتى نقل به ذلك إلى ولاية برقة . وإليه نسب طائفة العسكر البانية الذين عرفوا حارة البانية بهم . الخطط :
١٦ : ٢ .

(٢) هو تَمُوصِلت بن بكار ، وكنيته أبو عبد ، الأسود الحاكى . لنجوم الزاهرة : ٤ : ٢٠٧ .

(٣) انتظر معجم الأتساب لزاملور : ١٠٩ .

رغوسهم إلى القاهرة ، وقتل من كان بها من رعايتهم ؛ فنفرت عنه بنو قرّة ، وكان منهم ما يأتى ذكره من قيامهم مع أبي ركوّة .

وفى ثالث رجب خلع على أبي القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان ، ونزل إلى الجامع العتيق وبين يديه ثياب صمّاح ، وحمل على يغلتين مُسرجتين مُلجّمتين ؛ وقرئ له سجل بالنظر في المظالم وسماح البيئة فيها .

وحُبيل رَحْلَ برجوان إلى القصر على ثمانين حمارا . وقرئ سجلّ بالقصر نصه بعد البسملة : « معاشر من يسمع هذا النداء من الناس أجمعين : إن الله - وله الكبرياء والعظمة - أوجب اختصاص الأمة بما لا يشركها فيه أحد من الأمة . فمن أقدم بعد قراءة هذا المنشور على مخاطبة أو مكانبة لغير الحضرة المقدسة يسيدنا أو مولانا فقد أحلّ أمير المؤمنين دمه . فليُبلغ الشاهد الغائب إن شاء الله » .

وأطفر في رمضان مع الحاكم جماعة رُتبوا عن يمينه ويساره ؛ وصل فيه جمعيتين بالناس ، وركب لفتح الخليج .

ووصل نحوصلت بن بكار الأسود ، عبد ابن زيري^(١) ، وكان قد ولّاه طرابلس المغرب ، فجارّ على أهلها وأخذ منها مالا كثيرا وفرّ خوفا من مولاه ؛ فسار من طرابلس المغرب ، ومعه ثيف وستون ولداً ما بين ذكر وأنثى ، في عسكر كبير ، بعد أن مرّ ببرقة ، ودفع لياثس [٥٦] العزيزي متوليها ثلاثين ألف دينار لخاصّة نفقته ، وأنفق في عسكره ورجاله مالا كثيرا ، وسلّم إليه مخازن فيها العسل والسمن والقمح والشعير والزيت وغيره . فجلس له الحاكم وأجلسه ، فكان من كلامه للحاكم : قد وصلت إلى حضرة مولانا بالأهل والمال

(١) أبو مناد بن يادوس ، ناصر للدولة ، من أسرة زيري التي حكمت لإفريقية والمغرب الأوسط في ظل الفاطميين ، ثم استقلالاً عنهم . صحيح الأنساب .

والولد ومعى ما يكفينى ويكفى عقبى ، ولكن الرجال الذين معى رجال مولانا ، وهو بحسن إليهم على ما يراه .

وأهدى إلى الحاكم مائة ألف دينار ومائة ألف درهم ، ونيفا وخمسين حملا من البز والظرف ، وثمانين فرسا منها أربعون بسرجهما ولجُمها ، وأربعين بغلا ، وخمسين بُخْتِي^(١) بأَكوارها^(٢) ، ومائتي جمل . فخلع عليه وعلى من حضر من أولاده ، وسار إلى دارٍ قد أُعِدَّت له فيها خمس وثلاثون حجرة ، في كل حجرة آلتها وفرشها ، قبلت النفقة على هذه الدار خمسة آلاف دينار .

وفي يوم عيد الفطر صُلِّيَ الحاكم بالناس بالمصلّى ، وخطب على رسمه ، وأصعد ابن النعمان وعدة من القواد معه المنبر ، فجلس على الدرج .

ولخمس خلون من شوال أذن لابن عمار في الركوب إلى القصر ، فركب ونزل حيث ينزل سائر الناس ، وواصل الركوب إلى الرابع عشر منه ، فأحضر عشية إلى القصر ، فجلس إلى بعد العشاء الآخرة ثم أذن له في الانصراف ، فلما انصرف ابتلعه جماعة من الأتراك قد أوقفوا لقتله ، فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه هناك ، ثم نقل إلى تربته بالقرافة ، فكانت مدة حياته بعد عزله ثلاث سنين وشهراً واحداً وثمانية عشر يوماً .

وسارت قافلة الحاج لاثنتي عشرة خلت من ذى القعدة . وعزل خود عن الشرطة السفلى ، وجُمِعت الشرطة لمسمود الصقلي ، فنزل بالخلع والطبول والبنود إلى الجامع الحقيق حتى قرئ سجله على المنبر .

(١) البخت والبختية ، بضم الباء فهما ، الإبل الخراسانية ، والجمع بخات بالتشديد الياء ، وبخات بالقصر وبخات والبخات بتقيد اللام مفتحة . القاموس المفيد .

(٢) الكور ، بضم الكاف ، الرجل بأداته ، والجمع أكوار ، وأكود بضم الواو ، وكوران ، وكوؤور . لسان العرب .

وفى ثالث ذى الحجة أمر الناس بتعليق القناديل على سائر الحوانيت وأبواب الدور كلها ، وفى جميع المحال والسكك الشارعة وغير الشارعة ، ففعلوا .

وصلى الحاكم صلاة عيد النحر بالمصلى ، وخطب ، وتحرى فى القصر على رسمه ، وجلس على السباط . وكان الناس بين عبد العزيز بن النعمان وبين قاضى القضاة الحسين بن النعمان فى شرو وبلاد ؛ وذلك أن عبد العزيز قبل شهادة جماعة اختارهم ؛ فكان مَنْ حاكم خصمه إلى الحسين اختار خصمه بالرافعة إلى عبد العزيز وبالعكس . وكان عبد العزيز إذا جلس للنظر فى المظالم حضر شهوده عنده وسمع شهادتهم وأشهدهم بما يقول ويُنصّى ؛ ولا يحضر أحد منهم عند الحسين ولا يقرب داره ، ويقيد الشهود القدماء يشهدون عنده ، غير أنهم لا يحضرون مجلس عبد العزيز مواصلين لذلك ولا يركبون معه .

وفىها عقد ليانس الصقلي على ولاية أطرابلس الغرب بعد موت المنصور بن بُلْكَيْن ، فوصل إليها فى ألف وخمسمائة فارس وملكها . فبعث باديس بن جعفر بن حبيب على عسكر فلقبه على زنزوير ، واقتتلا يومين ، فانهزم عسكر يانس وقتل .

في المحرم واصل الحاكم الركوب في الليل في كل ليلة فكان يركب إلى موضع موضع وإلى شارع شارع وإلى زقاق زقاق . وأمر الناس بالوقيد^(٢) ، فتزايدوا فيه بالشوارع والأزقة ، وزُينت الأسواق والقياسر^(٣) بأنواع الزينة ، وباعوا واشتروا ، وأوقدوا الشموع الكبيرة طول الليل ، وأنفقوا الأموال الكثيرة في المأكول والمشرب والغناء واللهو . ومنع الرجال المشاة بين يدي الحاكم أن يقرب أحد من الناس الحاكم ، فزجرهم ، وقال لا تمنعوا أحداً ، فأحرق الناس به وأكثروا من الدّعاء له . وزينت الصنّاعة^(٤) ، وخرج سائر الناس بالليل للتفرّج وغلب النساء الرجال على الخروج في الليل ، وتزايد الزحام في الشوارع والطرقات ، وتجاهروا بكثير من المسكرات ، وأفرط الأمر من ليلة التاسع عشر [٥٦ ب] إلى ليلة الرابع والعشرين فلما خرج الناس عن الحدّ أمر الحاكم ألا تخرج امرأة من العشاء ، فلما ظهرت نكل بها . ومنع الناس من الجلوس في الحوانيت .

وهبت في أول يوم من طوية نسّوم لم يُعهد مثله .

وورد سابق الحاج ، ثم قدمت قافلة الحاج في سادس عشر صفر .

(١) ويوافق أول المحرم منها الأول من ديسمبر سنة ١٠٠٠ .

(٢) وقعد النار - من باب وعد - وقعدت وقودا بالقم ، ووليدا بالفتح ، ووقدة بالكسر ، ووقدا ووقدانا بفتحين فيما . مختار الصحاح والمقصود تزوين المدينة بإنشاء الأتوار .

(٣) جمع قيسارية بمعنى السوق . قوانين التتواوين : ٣٨٧ ، ٤٥٧ . وأصل الكلمة إفرين ولا تسمى «Caesaria» نفس المصدر .

(٤) المكان المخصص لإنشاء السفن ، والحرب منها خاصة . ولول دار للصناعة أنشئت في مصر على ساحل جزيرة الروسة ، ثم نقلت على عهد الإغشيديين إلى ساحل مصر (قنسطاط) ، وانتقلت زمن الفاطميين إلى المنس في موقع ميدان محطة مصر الحالية . وفي عهد الأمر الفاطمي أميت إلى موقعها السابق بساحل مصر القنسطاط . انعط : ١ : ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ١ : ٩٩ .

وفي خامس ربيع الأول أعتق الحاكمُ زيدانَ ، صاحب المظلة^(١) ، وأمر أن يكتب على مكاتباته من زيدان مولى أمير المؤمنين .

وخلع على القاضي حسين بن النعمان وقيّد بين يديه بقلتان بسروجهما ولجمهما ، وحُبل إليه عدة ثياب لحضوره الخاقية .

وكثر وقود المصاييح في الشوارع والطرق ، وأمر الناس بالاستكثار منها وبكنس الطرقات وحفر الموارد وتنظيفها .

وخلع على فتح ، غلام ابن فلاح ، وندب إلى الخروج على الأسطول .

وقبض على رجل شامى قال : لا أعرف على بن أبي طالب ، وأقول إن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل ، غير أنى لا أعرف على بن أبي طالب . فحبس وروجع ؛ فأصرّ على أنه لا يعرف عليا ، فرفق به القائد حسين فلم يحترف بمعرفة على رضى الله عنه ، فخرج الأمر بقتله ، فضرب عنقه وصلب .

وفي سادس عشر جمادى الآخرة وصل رسول ملك الروم^(٢) ، فحشدت له العساكر من سائر الأعمال ، ووقفوا صفين والحاكم واقفٌ ليراهم . وسار الرسول بين العساكر إلى باب الفجوح ، ونزل ، ومضى إلى القصر يقبل الأرض في طول المسافة حتى وصل إلى حضرة

(١) المظلة ، ويبر عنها أيضا بالجر ، والثير ، والقبّة : قبة من حرير أصفر مزركش باللعب ، بأعلاما شكل طائر من فضة وقد يمل باللعب . وعرفت زمن المماليك بالقبة والثير ، بينما كان يطلق عليها زمن القاطنين المظلة . صبح الأعشى : ٤ « وكانت المظلة تتكون من اثني عشر شوزكا ، عرض أسفل كل شوزك شبر وطوله ثلاثة أذرع وثلاث ذراع ، وآخر الشوزك من فوق حقيق جدا ، فيجمع مابين الشوزاك في رأس عوده دائرة ، والعمود من الزان ملبس بأنابيب الذهب ، وفي آخر الأنبوبة ثل الرأس فلكة بارزة قدر عرض إبهام ، فيشد آخر الشوزاك في حلقة ذهب ، والظلة أضلاع من خشب الخلاج مكسوة باللعب على عدد الشوزاك ، خفاف بطول الشوزاك ، وفيها خطاطيف لطاف وحلق يملك بعضها بشما تنضم وتفتح ؛ ورأسها كالرمانة ويلوّه أيضا رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر . . . » التتويج للزاهرة : ٤ : ٨٤ - ٨٥ .

(٢) الأمير بطريرك بابل الثاني .

الحاكم بالقصر ، وقد فرّش إيوان القصر وعُلّق فيه تعاليق غريبة ، يقال إنه أمر بتفتيش خزائن القُرش إلى أن رُجِد فيها أحداً وعشرين عِدلاً ذكرت السيئة رشيدة بنت المعز أنها كانت في قطار القُرش المحمولة من القبروان إلى مصر مع المعز في جملة أعدال ، وأن كُتّاب خزائن القُرش وجلدوا على بعضها مكتوباً الحادى والثلاثون والثلاثمائة من عمل العبيد ، ديباج خمر ومذهب ؛ فقرش منه جميع الإيوان وسُتر جميع حيطانه بالتعاليق ، فكان جميع أرضه وحيطانه رقيقاً دليلاً على عظمته وسعته . وعُلّقت بصدر الإيوان المسجلة ، وهى ورقة مقطعة بفانخر الجواهر النفيس من كل أصنافه ، فأضاء لها ما حوله ، ووقعت عليها الشمس فلم تطفئ الأبصار تأملها كلالاً . فدخل الرسول وقبل الأرض ، ودفع الكتب وعرض المدينة .

وأنفذ الحاكم لأبى الحسن على بن إبراهيم النرمى ألف دينار وأربعة وعشرين قطعة ثياب مخفارة ، وسُمِّحَ بمبلغ ثلاثة آلاف دينار كانت عليه .

وجرى الرسم في القطر طول شهر رمضان على مائدة الحاكم كما تقدّم .

ولما كثر النزاع بين عبد العزيز بن النعمان والقاضى حسين بن النعمان كتب الحاكم بخطه ورقة إلى الحسين ، نصّها بعد البسملة : يا حسين أحسن الله عليك . إتصل بنا ما جرى من شاعات العوام ومن لا خير فيه ، وإرجافهم ، وأنكرنا أن يجرى مثله فيمن يحلّ محطك من خدمتنا ، إذ أنت قاضينا وداعينا وثقتنا . ونحن نتقدم بما يزيل ذلك ، ولم نجعل لأحد غيرك نظراً في شئ من القضايا والحكم ، ولا في شئ مما استخدمناك فيه ، ولا مكاتبة أحد من خلفائك بالحضرة وغيرها وسائر النواحي ، ولا أن نكتب أحدا منهم غيرك ؛ ومن تسمى غيرك بالقضاء فذلك على المجاز في اللفظ لا على الحقيقة . وقد منعنا غيرك أن يسجل في شئ فيتقدم إلى جميع الشهود والعدول بالألّ يشهدوا في سجل لأحد سواك . وإن تشاجر خصمان فدعى أحدهما إليك ودعى الآخر إلى غيرك كان الدّاعى

إلى غيرك عليه الرجوع إليك طائفاً مكرهاً فاجِرٍ على ما أنت عليه من تنفيذ القضايا والأحكام مستعيناً بالله عز وجل ، ثم بناءً عليك من جميل وأينا فيك مايسدك في الدنيا والآخرة . وقد أذنّا لك أن يكتب جميع من يكتب القاضي بقاضى القضاة كما جعلناك ، وتكتب من تكتبه بذلك وتكتب به في سجلاتك . فاعلم ذلك ، وأشهر أمرنا بجميع ما يقتضيه هذا التوقيع ليُمثّل ولا يتجاوز . وثَقّقَ الله لرضاه [١٥٧] ورضانا ، وأيدك على ذلك وأعانك عليه إن شاء الله تعالى . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تداً .

فقرأه القاضي على سائر الشهود ، وأمر أن يكتب في سجلاته قاضى القضاة ، وتكتب بذلك وتكتب عليه .

وجرى الرسم في ركوب الحاكم لفتح الخليج^(١) وفى يوم العيد إلى المصلّى على العادات . وسارت قافلة الحاج للنصف من ذى القعدة بالكسوة والصلوات ، وزينت البلد مرةً في شوال ثلاثة أيام ومرةً في ذى القعدة يوماً . وجرى الرسم في صلاة عيد النحر على ما تقدم ، ثم انصرف فنحر ودخل تربة القصر وحضر السباط .

وفيهما توفى أبو الفضل جعفر بن الفرات^(٢) ، في ثالث ربيع الأول ، عن اثنتين وثمانين سنة

(١) من مراسم احتفال فتح الخليج - نرى وقع اليد الواقع عند فتح الخليج يوم وفاة التيل في كل عام - أنه كان يصل إلى المقياس (بجزيرة الروضة) من المطابخ نحو عشرة قنايلير من الخبز وعشرة خراف مشوية ، وعشر جامات حلوى ، وعشر شحات ، ويتوجه القراء إلى مسجد المقياس لقراءة سَمِّيَ يوم الوفاة ، فيركب الخليفة بزبه الذي يتزاه به العيد ، دون مظلة ومعه الوزير ، ويؤزل بالمناطة ، ثم يركب المشارى (سفينة خاصة مثل هذه المناسبة) ومعه خواصه وخوادم الوزير ، وأكل قوام إلا الوزير الذي يجلس مع الخليفة ، ثم يمر المشارى بجانب المقياس ، ثم يحضر الخليفة تحليق المقياس (تطييبه بالزعفران والملك) ، ثم يعود إلى المشارى الذي يحمله إلى الملقى أو إلى القصر . التجميع الزامرة : ١ : ٩٩ - ١٠٠ : الخطط : ١ : ٤٧٠ ، ٤٩٣ .

(٢) أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات الوزير المحدث المعروف بأبن سزابة . برز في مناصب الوزارة والكتابة والإشراف المسالك منذ أيام الإخشيد ، وقبض عليه أكثر من مرة ، وكان على وزارة مصر عندما قدمها جوهر الصقل الذي أقره على الوزارة . وسزابة المرأة القصيرة ، وهي أم أبيه الفضل .

وثلاثة أشهر وخمسة أيام ؛ فصل عليه القاضي حسين بن النعمان ، ودفن في داره . وكان من الفضل والعلم واللين بمنزلة ؛ وحدث وأسمع وأثلى مجالس ، وكتب على الصحيحين مستخرجا . وكان كثير البرّ والصلات والصدقة ، شديد الغيرة حتى إنه ليحجب أولاده الأكابر عن حرمه وأهله وعن أمهاتهم . فإنه بلغه عن بعض أولاده أنه واقع أختا له وأختلها . وكان يفتنك منذ تجاوز أربعين سنة . ثم حُبل من مصر ودفن بالمدينة النبوية .

ولفيها قتل الحاكم مؤدّبَه أبا القاسم سعيد بن سعيد الفارقي يوم السبت لثمان بقين من جمادى الأولى وهو يسايره ، بأن أشار إلى الأتراك بعينيه بعد أن بيّت معهم قتله ، فأخلته السيوف ؛ وكان قد داخل الحاكم في أمور الدولة وقرأ عليه الرقاع واستأذنه في الأمور كهيفة الوزراء .

سنة احدى وتسعين وثلاثمائة (١)

في المحرم قتل الحاكمُ ابنُ أبي نجدة ، وكان بقلاً فترقتُ أحواله حتى ولى الحسبة ودخل فيها لا يليق به ، وأساء في معاملة الناس ، فاعتقل ، ثم قطعت يده ولسانه وشُهر على جمل وضربت عنقه .

وفي شعبان سارت هديةً إلى المغرب فيها ثلاثمائة فرس بجلال عشرة بمراكب ، وخمسة وأربعون بغلاً تحمل السلاح والكسوة ، وعشرون بغلاً تحمل صناديق فيها ذهب وفضة .

وفي شهر رمضان خُلع على تَمُوصِلَت بن بكار وقُلْد بسيف ، وحُل على عشرة أفراس بمراكبها ، وقُلْد إمارة الشام .

وجرى الرمم في سباط رمضان وصلاتي الميدين وخروج قافلة الحاج على ما تقدم .
وفيها تولى أبو عيم سلمان [بن جضر] بن فلاح في ثامن جمادى الآخرة . وقُتِل عدة أناس

(١) هكذا ورد في الأصل ، والواقع أن الحديث عن هذه السنة يبدأ قبل ذلك بصفحات ، ويبدو أنه ألحق الأحداث المصنوعة إلى ورودها بعد هذا العنوان الجديد بالأحداث التي سبقت استدراكاً عليها خاصة وأن أول هذه الأحداث حدث في شهر المحرم .

سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة (١)

في نصف صفر قدم الحاج .

وفي ربيع الأول قرئ سجل برفع المنكرات وإبطالها وبمنع ذلك ، فحُتم على عدة مواضع فيها المنكرات لئلا يقرأ .

وابتدئ في عمارة جامع راشدة^(٢) ، وكان مكانه كنيسة فبني جامعاً ، وأقيمت فيه الجمعة ،

وفي ثامن جمادى الآخرة ضربت رقبة فهد بن إبراهيم ، وله منذ نظر في الرئاسة خمس سنين وتسعة أشهر واثنى عشر يوماً . فحمل أخوه أبو غالب إلى سقيفة القصر من مال أخيه فهد جرابات فيها خمسمائة ألف دينار . فلما خرج الحاكم سأل عنها فترف خبرها ، فأعرض عنها ، وبقيت هناك مدة ثم أمر بها فردت إلى أولاد فهد ، وقال إنا لم نقتله على مال ، فحملت إليهم ، ثم رفع أصحاب الأخبار عن أبي غالب كلمة تكلم بها ، فقتل وأحرق بالنار .

وخلع على أبي الحسن علي بن عمر بن العباس مكانه ، وخلع على ابنه محمد بن علي ، وعلى الحسين بن طاهر الوزان ، وحملوا في رابع عشرة .
وسار الأمير ياروخ متقلداً طبرية وأعمالها .
وقبضت أموال من قبض عليه من النصارى الكتاب .

(١) ويوافق أول المحرم منها العشرين من نوفمبر سنة ١٠٠١ .

(٢) ويذكر التوربي في نهاية الأرب أن ابتداء عمارته كان في سابع عشر ربيع الآخر سنة ٣٩٣ . ويذكر في سبب إنشائه أن أبا المنصور الزيات الكاتب زرع هذا الموضع وبني النصارى عليه كنيسة ، فرفع أمره إلى الحاكم فأمر بهدم الكنيسة وأن يحمل موضعها مسجد ، ثم أمر بتوسيته فخرت مقابر اليهود والنصارى ، وبني فيه منبر من طين . وعرف الجامع بهذا الاسم نسبة إلى أنه يقع في حطة واشدة ابن أدب بن سفيانة ، من تلم ، بالفسطاط ، وكانت بالجبل المطل على بركة الجيش وهو الجبل المعروف بالرصدة . ولا يوجد الآن لهذا المسجد وموقعه يحيى « إسطنبول عترة » بأثر النبي . انطوط : ٧ : ٧٨٧ .

وأمر بإتمام بناء الجامع الذى ابتداءً بمعارته العزيز على يد وزيره يعقوب بن كلّس خارج باب الفتوح من القاهرة ، فقدّرت النفقة عليه أربعين ألف دينار ، فابتدى عمله^(١) .

وفى خامس عشر من شهر رجب ضرب عنق أبى طاهر محمود بن النحوى الناظر فى أعمال الشام لكثرة تجبّره وعصفه بالناس .

وفى غرة شعبان جُمع فى الجامع الجديد بظاهر باب الفتوح .

وقطع الحاكم الركوب فى الليل .

وردة إلى [٥٧ ب] أولاد فهد بن ابراهيم سرّوهم المحلاة وأمروا بالركوب بها . وأُطلق من احتقل من الكتاب النصارى .

وصلى الحاكم فى رمضان بالناس أجمعين بعد ما خطب ؛ وصلى صلاة عيد الفطر وخطب على الرسم . وأكثر من الحركة فى شهرى رمضان وشوال إلى دمنهور^(٢) والأهرام وغيرهما .

وسافر الحاجّ للنصف من ذى القعدة .

وأما الشام فإنه لما مات جيّش بن الصمصامة فى شهر ربيع الآخر سنة تسعين وبى دمشق شيخ من المغاربة يقال له فحلّ بن تميم^(٣) ، فلبث شهرا ومات ؛ فقدم عند الحاكم على [ابن جعفر^(٤)] بن فلاح فنزل على دمشق ليومين بقيا من شوال ، وأقام بها غير مُبَسَّط اليد

(١) بدأ العزيز بأه عمارته سنة ٣٨٠ ، وصل الجمعة فيه فى الرابع عشر من رمضان سنة ٣٨١ قبل أن تكمل عمارته ، وموقعه بين بابى الفتوح والصر داخل مدينة القاهرة ، وأُشرف على بناه الحافظ عبد اللّٰه بن سيد المصرى ، أبو محمد ، وكان إمام زمانه فى علم الحديث وحفظه ، انظر نهاية الأرب للزيرى ؛ النجوم الزاهرة : ٤ (فى مواضع) ؛ الخطط : ٢ : ٢٧٧ . ويعرف أيضا باسم الجامع الأثوور .

(٢) لعل المقصود بها شبرا دمنهور ، وهى التى أصبحت تعرف منذ زمن الأيوبيين باسم شبرا الخيمة .

(٣) فى ذيل تاريخ دمشق : ٥٧ يذكر ابن القلائس أن اسمه تميم بن إسماعيل المغربى القائله ويسرف بفحل . ويزيد التورى فى ألقابه ؛ المذى .

(٤) مابئين الحاصرتين من النجوم الزاهرة : ٤ : ٢٠١ ، ومن ذيل تاريخ دمشق : ٥٧ .

في ماله . فلَمَّا كَانَ في شهر رمضان ، سنة اثنتين وتسعين ، قدم من جهة الحاكم داعٍ يقال له خَتَكِين^(١) اللَّقَبُ بِالضَّيْفِ إلى دمشق ، فبرز ابن فَلَاحٍ وأقام بظاهر دمشق . فَأَرَادَ الضَّيْفُ أَنْ يَنْقُصَ الْجَنْدَ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ ، فَشَقَّوْا وَسَارَوْا يَرِيدُونَ ابْنَ عَقِيلُونَ النُّصْرَانِي ، وَكَانَ عَلَى تَدْبِيرِ الْمَالِ وَعِطَاءِ الْأَرْزَاقِ ، فَمَنْعَهُمُ الضَّيْفُ وَأَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ لَهُمْ ، وَكَانَ قَلِيلُ الْمُدَارَةِ ، فَجَرَّعُوا إِلَيْهِ وَقْتَهُمْ ، وَانْتَهَبُوا دُورَ الْكُتَّابِ وَالْكُنَّاسِ . وَتَحَالَفَ الْغَارِبَةُ وَالْمُشَارِقَةُ مِنَ الْعَسْكَرِ عَلَى أَنْ يَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً فِي طَلَبِ الْأَرْزَاقِ ، وَأَنْهُمْ يَمْتَنِعُونَ^(٢) مِمَّنْ يَطَالِبُهُمْ بِمَا فَعَلُوهُ ، وَحَلَفَ لَهُمْ عَلَى [بْنِ جَعْفَرٍ]^(٣) أَنْ يَنْفَعَهُمْ عَلَى مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ . فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَاكِمَ فَقَالَ : هَذَا قَدْ عَمِيَ . فَبَعَثَ يَعْزِلُهُ عَنْ دِمَشْقَ ، فَسَارَ عَنْهَا فِي يَسِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَذَلِكَ فِي شَوَّالٍ مِنْهَا . وَتَأَخَّرَ الْعَسْكَرُ بِدِمَشْقَ ، فَقَدِمَ إِلَيْهَا تَمُوصِلَتُ بْنُ بَكَارٍ مِنْ قِبَلِ الْحَاكِمِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ وَرَى مُفْلِحَ اللَّحْيَانِيِّ^(٤) دِمَشْقَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ . وَكَانَ خَادِمًا وَفِي وَجْهِهِ شَحَرٌ ، فَسَارَ إِلَيْهَا .

وفيها قتل أبو علي الحسن بن عُسْلُوج^(٥) في المحرَّم وأُحْرِقَ .

وقتل علي بن عمر بن العدَّاس^(٦) في شعبان وأُحْرِقَ .

(١) أبو منصور ختكين السفياني القائد . النجوم الزاهرة : ٤ : ٢٠٥ ، ٢٢٢ . يقول ابن القلائس : وانقضى رأيهم أن ينقص واجبات الأجناد وبغالهم ويظهر شيئا من الترفير ، وترك لهم تغيير الأولاد لكاتب نصراني يعرف بابن مبدون . ذيل تاريخ دمشق : ٥٧ - ٥٨ . وهذا يتفق مع ما جاء هنا بالكلية .

(٢) في الأصل : وأنهم يمتنعوا . .

(٣) ما بين الحاصرتين من النجوم الزاهرة : ٤ : ٢٠١ ، ومن ذيل تاريخ دمشق : ٥٧ .

(٤) كان قد تولى قبل ذلك مدينة صور . واسمه الكامل - طبقا لابن القلائس - القائد أبو صالح مفلح الحلياني . الخط : ٢ : ٢٨٥ ؛ ذيل تاريخ دمشق : ٥٨ - ٦٤ .

(٥) لم أشر إلا قبل صلح بين الحسن وكان قد أشرف على الأموال أيام المنزلة ليدفع مقاسمة مع يعقوب بن كلس ، ثم حمل أيضا لعزيز بالله ، ولعله هو المقصود ، ويرجع ذلك ما جاء في الطيارة المصققة بهذه الصفحة بالأصل ؛ انظر الصفحة التالية (٦) أبو الحسن علي بن عمر ، ابن القلائس ، تولى الوزارة لعزيز بالله بعد وفاة يعقوب بن كلس . وتولى النظارة كذلك بعد مصرع فهد بن إبراهيم النصاراني أيام الحاكم وكانت رتبة فهد قد عُزبت في ثامن جمادى الآخرة سنة ٣٩٢ بعد أن مكث في النظارة خمس سنين وتسعة أشهر . انظر ما تقدم ، وكذلك النجوم الزاهرة : ٤ : ٥٧ .

وقتل الأستاذ أبو الفضل زيدان ، صاحب المظلة لعشر يقين من ذى الحجة ، ضرب عنقه . وفيها استأذن عبد الأعلى بن الأمير هاشم بن المنصور أن يخرج إلى بعض ضياعه ، فأذن له الحاكم ، فخرج بجماعة من ندائه ، فبعث الحاكم عينا يأتيه بخبرهم ، فصاروا إلى مُنْتَزَهِهم فأكلوا وشربوا ، وجرى من حديثهم أن قال أحد أولاد المُتَافِزِي المنجم لابن هاشم : لا بد لك من الخلافة ، فأنت إمام العصر . فلما عادوا ودخل ابن هاشم على الحاكم وجلس أخرج الحاكم من تحت فراشه سيفاً مجرداً وضربه به ، فحول إلى داره وكتب يحتل عن ذنبه إن كان قبل عنه ، ويحلف ويذكر أن ضربته سالمة ، ويسأل الإذن في طبيب يعالجه ، فأجيب إلى ذلك .

فلما أفاق استأذن في الدخول إلى الحمام ، فأذن له ، فبعث الحاكم إلى الحمام من فبحه فيه وأتاه برأسه . وبعث إلى من حضر المجلس فقتلوا وأحرقوا بالنار ، وفيهم أولاد المُتَافِزِي وابن خريطة وأولاد أبي الفضل بن القرات وفتيان من كتامة . وتتابع القتل في الناس من الجند والرحبة بضروب مختلفة^(١).

(١) في هذا المكان بالأصل طيارة جاء فيها ستة أربع وتسعين وثلاثة . قتل الحاكم بأمر الله جماعة منهم العسكري متبعه ، وله أخبار ، وأبو علي صلوح ، وابن غرة الكاشي ، وحل بن البدر الشاعر الأحمي ، وحباس بن زيري الكاشي ، والمقداد بن جعفر الكاشي ، وحل بن سلمان الكاشي ، سقاء أخوه عقب غزوه من الحمام شربة سويق فات عند وصوله إلى بيته ، وقال : قتلته قطة مستورة وكانت أصب إلى من ضرب عنقه وإحرقه بالنار على عيون الأعداء . وقاتل ابن أبي خريطة صاحب برجوان ، وابن المُتَافِزِي المنجم ، وجعفر بن محمد البيني وأبو غالب أخو فهد بن إبراهيم بن كلس أخو يعقوب الوزير ، ورقيق الحمداني ، وإسماعيل بن سوار صاحب برجوان وابن جود الكاشي ، وخلف بن عبد الله بن الكاشي ، ويعين بن سليمان الكاشي ، ومحمد بن حل بن فلاح ، وابن نظرية الكاشي . الحمد لله . القاضى الأجل أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن محمد بن حماد بن الحسين بن قنص بن عبد الله بن إدريس بن أبي يوسف الطائي ، توفي بطرابلس الشام ليلة السبت نصف رجب سنة أربع وستين وأربعمائة . أمير الجيوش الملقب مصطفى الملك عدة الإمام وسيفه منتخب الدولة أنوفشكين الفزري صمصام الدولة القاضى الأجل ستة الحكام جلال الدولة وعمادها ذا الملال حتى أمير المؤمنين القاضى الناصح ثقة الثقات أمين الدولة أبو الحسن محمد بن عبد الله بن حل بن عباس . الوزير الأجل شرف الوزراء تاج الروماء المادل الأمير الأودح المكي من الذين حيث المسلمين عدة أمير المؤمنين أبو الفضل يعيسى بن أحمد بن اللبر ، قتله الوزارة أولاً سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . الوزير الأجل الكامل الأودح حتى أمير المؤمنين وخالفه أبو الفتح محمد بن جعفر بن المقرئ الأفضل جلس بن أبي الفتح بن يعيسى بن تميم المزي بن بغدیس وزير مصر في له . ويبدو أن هذه الطيارة تتكون من بعض أحداث كان المؤلف يزمع إضافتها في مواضعها ، وأن هذه المعلومات لم تكن قد اكتملت به .

سنة أربع وتسعين وثلاثمائة^(١)

في محرّم خلع على مظفر الخادم الصقلي ، وحمل على ثلاث بغلات بمراكبها ، ومعه ثياب كثيرة ؛ وندب لحمل المظلة . وخلع على مُتَوَلَّى الْأَسْوَدَ وَحُولَ لَوَاوُهُ ببرقة . وقبض على أبي داود بن المطيع . وخلع على [صاحب]^(٢) ديوان النفقات وضرب عنقه بسبب أنه سرق مائتي ألف دينار ذهب .

وقدم مفلح اللّحياني إلى دمشق في المحرم ، فصار عنها تَمَوَّصَلَت يريد مصر ، ونزل بِدَارِيَا^(٣) فمات بها في ثاني صفر . فلما ورد خبر موته إلى الحاكم خلع على ولديه وحملهما .

وقدم الحاج في ربيع عشره .

وفي ربيع الأول أُرْمِ الناس بَوَكُود القناديل بالليل في سائر الشوارع والأزقة بمصر . وخلع على أبي يعقوب بن نَسَطَاس المتطبّب وحمله على بغلتين ومعه ثياب كثيرة ؛ ومنحت له دارٌ بالقاهرة وفُرُشت ، وأُرْمِ بالخطمة . وكان قد هلك منصور بن معشر [١٥٨] الطبيب .

وهلعت كنيستان بجانب جامع راشدة .

وفي جمادى الآخرة حُوِّل إلى الشريف أبي الحسن على الترمسى رسمه يجارى به العادة في كل سنة ، وهو من الثياب عشرون قطعة بنحو خمسمائة دينار .

وفي رجب قرئ سجّلان ؛ أحدهما فيه إنكار الحاكم على من يخاطبه في المكاتبه بمولى الخلق أجمعين ؛ والآخر بمسير الحاج أول ذى القعدة^(٤) .

(١) ويوافق أول المحرم منها الثلاثين من أكتوبر سنة ١٠٠٣ . ويلاحظ أن المؤرّف قد أسقط سنة ٣٩٣ من الحديث بعنوان مستقل ، وإن كان قد ذكر بعض أحداثها في أخبار السنة السابقة ٣٩٢ . وسيعود المؤرّف إلى مثل هذا كثيرا .

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيانها .

(٣) قرية كبيرة بطرقة دمشق . مسجم البلدان : ٤ : ٢٤ .

(٤) كانت للمادة قبل ذلك أن يسير الحاج حول منتصف ذى القعدة ، واعتدال لم يكن من البهل أن يدرك مناسك الحج والزياره ما ؛ وسنتين بعد سنوات أن مرسوما آخر ميسر سير الحاج في منتصف شوال .

وقبض على ثلاثة عشر رجلاً ضُربوا وشُهِرُوا على الجمال وحُبِسُوا ثلاثة أيام بسبب أنهم
صَلُّوا صلاة الضحى

وفي شعبان خرج الكتاميون إلى باب الفتوح ، فترجَّلوا وكشفوا رُءُوسهم ، واستغاثوا
بعضهم أمير المؤمنين فأُوجِل إلى الحاكم جماعة منهم ، فوجدتهم ، وكُتِب لهم سجلٌ قرئ بالقصر
والجوامع بالرضا عنهم وإعادتهم إلى رسومهم في التكرمة .

وأُيرِ بهم جامع عمرو بن العاص بالإسكندرية .

وصلى الحاكم بالناس في رمضان صلاة الجمعة مرتين وخطب^(١) .

وفي سادس عشره صُرف الحسين بن النعمان عن القضاء . وكان قد ضرب في الجامع
فندب الحاكم جماعة من شيوخ الأُصفياء بركبون معه إلى كل مجلسٍ فيه جماعة من الخاصة
وأمر أصحاب سيوف الحل بالمشي بين يديه في كل يوم . فكان إذا حضر إلى الجامع العتيق
وقام يصلي وقف جماعة الأُصفياء صفًا خلفه يسُترونه ، ولا يصلُّ أحدُهم حتى يفرغ
من صلاته ويعود إلى مجلسه ، فإذا جلس في مجلسه كانوا قياماً عن يمينه وشماله . وهو أول
قاضي فعل ذلك معه ، وأول قاض كتب في سجلاته قاضي القضاء ؛ وعلت منزلته عند الحاكم
وتخصص به . وكان له عند الحاكم جماعة يملحونه ويبالغون في الثناء عليه ، منهم ربحان
الليثاني وزيدان ومصلى الليثاني ؛ فانبسطت يده وعظم شأنه ؛ ولا عَنَ بين رجل وأمرائه ؛
وتشدد على الناس ؛ فكان إذا أَبْطَأَ شَاهِدٌ^(٢) يوم جلوسه في الجامع عن الحضور إلى داره
والركوب معه رسم عليه وأغرمه مالاً ليأخذه . وألزم كُتَّابه بملازمة داره دائماً . وكانت

(١) وكانت رسوم الفاطميين تقضى بأن يصل الخليفة الجمعة ثلاث مرات ، ويستريح الجمعة الرابعة .

(٢) كانت الشهادة وظيفة دينية يقوم بها الشهود المدلون ، فإذا حضر القاضي لهم جلس الشهود المدلون حوله بمنة
ويسرة على مراتبهم في أقدية تمثيلهم . وكان الشهود المدلون يمينون من قبل الخليفة . صج الأعشى : ٤ : ٤٨٦ .

إليه الدعوة أيضا . وكان قاضي القضاة وداعي الدعاة ، وقد أفضّل على جماعة من أهل العلم والأدب والبيوتات .

فكانت مدّة نظره في القضاء خمس سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما . ومولده للثلاثين بقينا من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين . وهو أول قاضٍ أُخْرِقَ بعد قتله ، فإن الحاكم أخرجه بعد ما قتله في سادس محرم الآتي ذكره .

وفي سادس عشر رمضان قُلِّدَ أبو القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان القضاء إلى ما بيده من النظر في المظالم ، وُخِّلَ عليه ، وقُلِّدَ سيفاً محليّ يذهب ، وحوّل على بغلة وبين يديه سبط ثياب . فنزل في موكب عظيم إلى الجامع العتيق ، فجلس تحت المنبر وركب أبو علي أحمد بن عبد السمیع وقرأ سجّله . وانصرف إلى داره فنزلما وحكم ، واستخلف على الحكم أبا الحسن مالك بن سعيد الفارقي مضافا إلى ما كان مستخلفاً عليه من الحكم في القاهرة . واستكتب أبا يوسف منال لحضرته والتوقيعات عنه ؛ ثم كتب له سجل بأخذ الفطرة والنجوى^(١) وحضور المجلس بالقصر وأخذ الدعوة على الناس ، وقراءة ما يُقرأ على من دخل الدعوة .

فحضر يوم الخميس الثاني عشر منه ، وقرأ ما جرى الرسم بقراسته في القصر ، وأخذ النجوى والفطرة ، وأوقف سائر الشهود الذين قبلهم حسين في أيامه ؛ وصرف عدّة من المستخلفين بالأعمال ؛ واستكتب أبا طالب ابن السندی فوُضِعَ بين يديه ؛ واستكتب أبا القاسم على ابن عمر الوراق ؛ وكتب السجلات وكتب القضايا والأحكام . ولزم حسين داره وقد استبدّ خوفه ؛ وحملت كتب ديوان الحكم من داره إلى دار عبد العزيز .

(١) الفطرة والنجوى والحس رسوم مالية تؤخذ من يستقون المذهب الفاطمي ؛ مع بعض رسوم أخرى تغاوت بغيرها لدى تنسّق الأعضاء في فهم الدعوة والسير في سبيلها . وكان يفرّد لكل جماعة من الناس مجلس خاص يناسب مكانها الاجتماعية والمذهبية . انظر في الدعوة ورسومها وسماتها : الخطط : ١ : ٣٩١ - ٣٩٥ .

وفيه قرئ سجل بالإنكار على الكتاب ومن يجرى مجراه في أخذ شيء من البراطيل^(١) ونحوها .

وركب الحاكم لصلاة العيد بالمصلّى ، فصلى وخطب وحضر السباط بالقصر على رسمه في ذلك .

وبرزت قافلة الحاج في ثامن ذى القعدة بالكسوة والصّلات على العادة .
وصلى الحاكم بالناس صلاة عيد النحر ، ونحر في الملعب^(٢) .

وفيهما قتل سهل بن يوسف [٥٨ ب] ، أخو يعقوب بن يوسف بن كلثوم الوزير ، بسبب قوة طمعه وكثرة شرّه . وعندما قُدم للقتل سأل أن يدفع الساعة ثلثة ألف دينار حينئذ يفدى بها نفسه ، فلم يُجب .

وقتل أيضا القائد أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيار ، من أجل أنه كان إذا دخل من باب البحر^(٣) تكون رجله على عتق دابته ويكون الحاكم في النظرة التي على بابه ، فتصير رجله إلى وجه الحاكم ، وكان ابن البازيار قد اعتراه وجع النقرس ، فعُد ذلك الحاكم عليه ديناً قتله به في شوال لسوء التوفيق .

وفيهما قدم من برقة عدّة من بني قرّة إلى الإسكندرية ، فقتلوا عن آخرهم . وذلك أن يانس لما قُتل وصل حسكره إلى طرابلس ، فنازلم القائد جعفر بن حبيب فزحف إليه فلقول

(١) البراطيل جمع برطيل بمعنى الرشوة . يقال برطال فلان فلانا : رشاه ، وبرطال ارتضى وهو المقصود هنا .
(البرطيل أيضا الملول) للقاموس المحيط .

(٢) لعل المقصود به المنحدر الذي اتخذته القاطنون لنسر الأسماك في عيد الأسماك ، ونسر غيرها في عيد النديم .
وموضعه أرض فضاء بالقرب الأصفر من حي الجبلية . النجوم الزاهرة : ٤ : ٩٨ : حاشية : ٧ .

(٣) باب البحر من أبواب القصر النورية ، سمى بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه عندما يريد التوجه إلى شاطئ المقدس للزّوحة . وموضعه اليوم مدخل حارة بيت القناني شارع بين القصرين .

ابن خزرون ففرّ منه ؛ وخرج فتوح بن علي ومن معه من أصحاب يانس إلى فلفول وملكوه
عليهم ؛ فقام بدعوة الحاكم ، وعقد الحاكم ليحيى بن علي بن حَمْلُون الأندلسي على أطرابلس
وكتب لبني قرّة أن يسيروا معه ، فمَضَوْا من برقة معه وخلّوه ؛ فعاد إلى القاهرة ورجع
بني قرّة إلى برقة وأظهروا الخلاف ؛ فأَمَنَتْهُم الحاكم حتى قَلَمُوا وحدهم إلى إسكندرية فقتلوا.
واستقرت أطرابلس بيد فلفول وقتلوا بني قرّة^(١).

(١) بعد أن تولى فلفول سنة أربع مائة .

سنة خمس وتسعين وثلاثمائة (١) :

في سابع محرم قرئ سجل في الجوامع يأمر اليهود والنصارى بشد الزنار وليس الفيار^(٢) ،
وشعارهم بالسواد شعار الفاصيين الباسيين .

وفيه فحش كثير وقدح في حق الشيخين رضى الله عنهما .

وقرئ سجل في الأظمة بالمنع من أكل الملوخية المحبة كانت لمعاوية بن أبي سفيان ،
والبقلة المسماة بالجرجر المنسوبة إلى عائشة رضى الله عنها ، والمتوكية المنسوبة إلى المتوكل^(٣) .

وفيه المنع من عبث الخبز بالرجل ، والمنع من أكل الدلتيس^(٤) ، والمنع من ذبح البقر التي
لا عاقبة لها إلا في أيام الأصاحي ، وما سواها من الأيام لا يلجح منها إلا ما لا يصلح للحث .

وفيه التنكير على النخاسين والتشديد عليهم في المنع من بيع العبيد والإماء لأهل الذمة .

وقرئ سجل آخر بأن يؤذن لصلاة الظهر في أول الساعة السابعة ، ويؤذن لصلاة العصر
في أول الساعة التاسعة . وإصلاح المكابيل والموازين والنهي عن البخس فيهما ، والمنع من
بيع الفقاع^(٥) وعمله ألبة لما يؤثر عن علي رضى الله عنه من كراهة شرب الفقاع .

وضرب في الطرقات بالأجراس ونودي ألا يدخل الحمام أحد إلا بمئزر ، وألا تكشف
امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ، ولا تتبرج . ولا يباع شيء من السمك بغير قشر ،

(١) ويوافق أول المحرم منها الثامن عشر من أكتوبر سنة ١٠٠٤ .

(٢) تذكر هذا أيام الفاطمين ، فكان لايسمح لأهل الذمة باستخدام المسلمين في الأعمال الخفية ، وقرع عليهم شد
الزناير حول أوساطهم وجل الصليان أو القرائ يزنه خسة أوطال في أعتاقهم .

(٣) حرف المتوكل بكتابة العلويين ، ومن سور ذلك أنه أمر بدم قبر الحسين بن علي بكربلاء وعدم مسوله من
المنازل والور وأن يحرق ويهد ويسقى ، ويمنع الناس من إتياله أو زيارته .

(٤) لوح من السمك الصغير لا قشر له .

(٥) شراب كالزمان ، سمى به لما يرتفع في رأسه من الزبد . القاموس المحيط . ويصنع هذا الشراب من الشعير .

النجوم الزاهرة : ٩ : ٤ .

ولا يصطاده أحد من الصيادين . وَتَتَبَّعَتِ الْحَمَّامَاتُ وَقَبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ وَجَلَدُوا بِغَيْرِ مَثْزَرٍ
فَضَرَبُوا وَشَهَرُوا .

وفيه برزت العساكر لقتال بني قُرَّة وسارت .

وكتب في صفر على سائر المساجد ، وعلى الجامع العتيق من ظاهره وباطنه في جميع
جوانبه ، وعلى أبواب الحوانيت والحُجَرِ والمقابر والصَّحراء بسبِّ السَّلف ولَعْنهم ، ونقش
ذلك وَلَوْنٌ بِالْأَصْبَاغِ والذهب ، وعمل كذلك على أبواب القياسر وأبواب الدور ، وأكثره
على عمل ذلك . وأقبل الناس من النواحي والقُصَبِاع فدخلوا في الدعوة ، وجعل لهم يوم وللسماء
يوم ؛ فكثر الازدحام ومات في الزحمة عتَّة^(١) .

ولما دخل الحاجُّ ناهم من العامة سبُّ ويطش ؛ فإنهم طلبوا منهم سبِّ السلف ولَعْنهم ،
فامتنعوا .

ونودى في القاهرة : لا يخرج أحد بعد المغرب [إلى] الطريق ولا يظهر بها لبيع ولا شراء
فامتنثل الناس لذلك .

وفي ربيع الأول تَبَعَّتِ الدُّورُ وَمَنْ يُعْرِفُ بِعَمَلِ المسكرات ، وكُثِرَ من أوعيتها شئ كثير .
وفيه أمر الحاكم بشونة تحت الجبل مُلِئَتْ بالسُّنَطِ والبوص والخُفَاء ؛ فتخوَّف الناس
كافة ، مَنْ يَتَعَلَّقُ بِخُدْمَةِ الدولة من الأولياء والقواد والكتاب ، وسائر الرعية من
العوام . وقويت الشُّفَاعَاتُ وكثر الاضطراب ، فاجتمع سائر الكتاب والمتصِّرين من المسلمين
والنصارى ، وخرجوا بآجمعهم في خاصه إلى الرياحين^(٢) بالقاهرة ؛ ومازالوا يقبلون الأرض

(١) في المخطوط : ١ : ٣٩١ - ٣٩٥ تفصيل لمراسل الدعوة ومراسمها ورجالها المختصة بكل جماعة بينها والرسوم
التي يدفعها المستنون إليها . راجع أيضا : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية : محمد حيد الله حنا .

(٢) لعل المقصود بها الريمانية وهي حارة نسبت إلى جماعة الريمانية وهي فئة من عسكر الفاطميين نزّلوا بها وقت
إنشاء للقاهرة فمروا بها . وقد اتخذت هذه الحارة اسم بها الدين تراقوش ، أيام صلاح الدين ، إذ أنه سكن بها .

حتى وصلوا إلى القصر ، [١٥٩] فوقفوا على بابه يدعون ويتضرعون ، ويضيئون ويسألون العفو عنهم ، ومعهم رقعة قد كُتبت عن الجميع . ثم دخلوا باب القصر وهم يسألون أن يُعفى عنهم ولا يسأل فيهم قول ساع يسئ فيهم . وسلموا رقعتهم لقائد القواد ، فأوصلها إلى الحاكم ، فغفا عنهم وأمرهم على لسان قائد القواد بالانصراف والبكور لقراءة سجل بالخو عنهم ؛ فانصرفوا بعد العصر . وقرئ من القد سجل كتب نسخة للمسلمين ونسخة للنصارى ونسخة لليهود بالأمان والعفو عنهم .

وفي ليلة التاسع منه ولد للحاكم ولد ، فجلس في صبيحتها للهناء ، وأمر بإحراق الشونة فأحرقت . وكان سابع المولد^(١) ، فأخرج على يد خادم إلى قائد القواد ، فتسلمه حتى أهد المزين شعره ؛ و ذبح عنه الشريف أبو الحسن النرسي العقيقة بيده ، وحمل عثمان الحاجب اللثم والعقيقة ، فأمر له بالآلف دينار وفرس ملجم وعدة ثياب من أجل سَحْل الدم والعقيقة ؛ ودفع إلى المزين مائتا دينار وفرس . وسُمي المولد بالحارث وكُنِيَ بِأَبِي الْأَشْبَالِ .

وخرج قائد القواد إلى سائر الأتراك والديلم والرفقاء وقال : مولانا يقرأ عليكم السلام ويقول قد سميت مولاكم الأمير الحارث وكُنِيْتُهُ أَبَا الْأَشْبَالِ . فقبل الجميع الأرض وأكثروا الدعاء ، وانصرفوا . وروّنت البلد أروية أيام .

وفيه رسم الحاكم لجماعة من الأحداث أن يتقافزوا من موضع عالٍ في القصر ، ورسم لكل منهم بصلّة ؛ فحضر جماعة وتقافزوا ، فمات منهم نحو ثلاثين إنساناً من أجل سقوطهم خارجاً عن المله على صخر هناك ؛ ووُضِعَ لِمَنْ قَفَزَ مَالَهُ .

وفي ربيع الآخر اشتد خوف كافة الناس من الحاكم ، فكتب ما شاء الله من الأمانات للعلمان الأتراك الخاصة وزمامهم ومنّ معهم من الحمدانية ، والبكجورية ، والفلمان الرفقاء ،

(١) أي حل اليوم السابع .

والماليك ، وصبيان الدار ، وأصحاب الإقطاع ، والمرتقة ، والغلمان الحاكمة أُلْقِم .
وكتب أمان لجماعة من خدم القصر الموسمين بخدمة الحضرة بعد ما تجمعوا وساروا إلى تربة
العزيز وضجوا بالبكاء وكشفوا رموسهم . وكتبت عدة سجلات بأمانات للدليم والخيل
والغلمان الشرايبة ، والغلمان المرتاحية ، والغلمان البشارية ، والغلمان المقرقة العجم وغيرهم ،
والنقباء ، والروم المرتقة^(١) . وكتبت عدة أخرى بأمان الزوبيلين ، والمنادين ، والبطلين ،
والبرقيتين ، والعطوفية ، والجوانية ، والجودية ، والمظفرية ، والصنهاجيين ، وعبيد الشراه
بالحسينية ، والميمونية ، والفرجية . وكتب أمان لمؤذي أبواب القصر ، وأمانات لساتر
البيازرة والفهادين والحجالين ، وأمانات أخر لعدة أقوام ، كل ذلك بعد سؤالهم وتقرؤهم .

وفيه أمر بقتل الكلاب ، فقتل منها ما لا يحصى حتى لم يبق منها بالأزقة والشوارع
شيء ، وطرح بالصحراء وبشاطئ النيل ، وأمر بكنس الأزقة والشوارع وأبواب اللور
في كل مكان ، ففعل ذلك .

وفي جمادى الآخرة فصحت دار الحكمة^(٢) بالقاهرة ، وجلس الفقهاء فيها ، وحُجِلت
الكتب اليها ، ودخلها الناس للنسخ من كتبها وللقراءة . وانتصب فيها الفقهاء والقراء
والنحاة وغيرهم من أرباب العلوم ، وفُرِشت ، وأقيم فيها خدام لخدمتها ، وأجريت الأرزاق
على من بها من فقيه وغيره ، وجعل فيها ما يحتاج إليه من الحبر والأوراق والأقلام .

(١) هذا عصر يستحق الاحتماء إذ أننا لا نجد في الجيش الفاطمي وحرس القصر جماعات تنسب فقط إلى قبائلها
كالساكنين والزوبيلين والوراثين ، أو إلى قادتها كالحمدانيين والبيكرين ، أو إلى وظائف بينها كالوزيرية والركابية ، وإنما
نجد الجند المرتقة الذين يتكيفون بالجنسية مثل هؤلاء الروم المرتقة ومنهم المصطبة .

(٢) وتعرف أيضا بدار العلم . يقول المقرئ في الخطوط : ونقل إليها من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من
الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المسوبة مائة وخمسة مئة من الملوك ، وأباح ذلك
كله الناس فحضرها الناس على طبقاتهم لقراءة الكتب أو للنسخ أو للتعليم ، وأحضر الحاكم إليها جماعات من أهل الحساب
والمنطق والفقهاء والأطباء للمناظرة بين يديه ، فكانت كل جماعة تحضر على انفرادها . وأفلتها الأفضل بن بدر الجمال ، ثم
أنشئت دار أخرى جديدة سنة ٥١٧ هـ ، أنشأها الوزير المؤمن بالله . الخطوط : ١ : ٤٤٥ - ٤٥٨ - ٤٦٠ .

وفيه اشتد الطلب على الركابية^(١) المستخدمين في الركاب بعد أن قتل منهم في يومين أكثر من خمسين نفساً فتخبطوا ؛ وامتنع أحد من الناس أن يمشى بين يديه غلامٌ أو شاكراً^(٢) ، فكانت القواد ومن جرى رسمه أن يكونوا بين يديه يسرون وحدهم ، وإذا نزل أحدهم للسلام أمسك خادمه الدابة ، ثم عُيى عنهم وكتب لهم أمان . وكتب لعدة من الناس عدة أمانات .

وفيه مُنِعَ كُلُّ أَحَدٍ مَن يركب أن يدخل من باب القاهرة راجياً ؛ ومُنِعَ المكاريون أن يدخلوا بحميرهم ؛ ومُنِعَ الناس من الجلوس على باب الزُهومة^(٣) من التجار وغيرهم ؛ ومُنِعَ كُلُّ أَحَدٍ أن يمشى مَلَأِيَقَ القصر من باب الزُهومة [٩٥ ب] إلى باب الزُمرد . ثم أُذِنَ للمكاريين في الدخول وكُتِبَ لهم أمان . وتخوف الناس ، فخرج أهل الأسواق على طبقاتهم ، كل طائفة تسأل كتابة أمان ، فكتب ما ينيف عن المائة أمان لأهل الأسواق خاصة ، قُرِئَتْ كُلُّهَا في القصر ودُفِعَتْ لأربابها ، وكلُّها على نسخة واحدة . وهى بعد البسملة :

« هذا كتاب من عبد الله وولَّيه المنصور أبى على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، لأهل مشهد عبد الله إنكم من الآمنين بأمان الله الملك الحق المبين ، وأمان سيدنا محمد خاتم النبيين ، وأبيننا على خير الوصيين ، وذرية النبوة المهديين آياتنا ، صلى الله على الرسول ووصيه وعليهم أجمعين . وأمان أمير المؤمنين على النفس والأهل والدم والمال . لا خوف عليكم ، ولا تهديد بسوء إليكم ، إلا في حدٍّ يقام بواجبه ، وحتى يُوجد لمستوجه . فليؤتق

(١) الركابية والركابية الذين يحملون الناقية بين يدى السلطان أو الخليفة في المراكب ، وهم تابعون لبيت الركاب الذى تكون به السرج والهم ونحوها . والناقية للسرج أو النطاء المزركش الذى يوضع على ظهر الفرس فوق البرذعة . صبح الأعشى : ٤ : ١٧٠ . والركابية أيضاً المكاريون الماديون في الأسواق .

(٢) الشاكراى : الساعى أو الرسول الذى يحمل الرسائل .

(٣) من الأبواب القريبة للقصر الكبير ، سمى بذلك لأن القوم وسواتج الطعام كانت تدخل إلى القصر منه . والزهومة

الزفر .

بذلك وليعول بأمان الله . وكتب في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . والحمد لله
وصلى الله على محمد سيد المرسلين ، وعلى خير الوصيين ، وعلى الأئمة المهديين ذرية
النبوة ، وسلم تسليماً .

وفي يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان وُلِدَ للحاكم ولد ذكر ، فجلس الحاكم يوم
الخميس للهناء . وكان السابع يوم الثلاثاء ، فحمله شكر الخادم ، وحضر أبو الحسن على
ابن إبراهيم الترمي وعق عنه ، وحضر المزين فحلق شعره وتناول ماله من الرسم . وشاه
الحاكم علياً وكناه أبا الحسن ، وهو الذي وليَّ الخلافة وتلقب بالظَّاهر .

وفيه فُرِش جامع راشدة . وركب الحاكم يوم عيد الفطر وعليه ثوب مُصَمِّت^(١) أصفر ،
وعلى رأسه منديل منكر ، وهو محتك^(٢) بذوابة والجوهر بين عينيه . وقيدَ بين يديه ستة
أفراس يسروج مرصعة بالجوهر ، وست فيلَّة ، وخمس زرافات ، فصلى بالناس صلاة العيد
وخطبهم ، فلحن في خطبته ظالمه حقه والمرجفين به ، وأصعد معه قائد القواد وقاضى القضاة
عز الدين .

وفيه اضطرب السَّعر واختلف الناس في الدَّراهم والصرف ، فكانت المعاملة بالدراهم
الزائدة والقطع ، واستقر سعرها على ستة وعشرين درهماً بدينار^(٣) .

(١) الثوب المصمت الذي لا يخالط لونه لون آخر . انجزم التزامه : ٤ : ١٩٣ .

(٢) يعني أنه أدار حامتة على حنكه كما تفعل بعض جماعات العرب والمغاربة .

(٣) يبدو أن التعامل بالدراهم ، في مصر الفاطمية ، يرجع إلى عصر الخليفة الحاكم الذي توقع ثلة الإنتاج من الذهب
إزاء الزيادة في استخدام الأغراض مختلفة والإقبال المائل على اختراجه ، فهذه تفكيره إلى اتخاذ هذه الخطوة حتى لا تنفاجا
البلاد بأحداث قد تصير مواجهتها . وبذلك أصبحت مصر تستعمل نظام النقدين ، وأخذت الدولة تحدد نسبة كل من النوعين
للاخر طبقاً للظروف وقد صعب استعمال هذه العملة النقديّة الجديدة أزمة نقدية يدور أن ماذكر هنا صورة لها ، وقد
حدث مثلها في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة فاضطرب سعر الدرهم المتزايد بالنسبة لسعر الدينار فيبلغ - كما جاء في المتن - ستة
وعشرين درهماً بدينار ، وبلغ ستة سبع وتسعين وثلاثمائة أربعة وثلاثين درهماً بدينار . فاضطربت أمور الناس وتدخلت الحكومة
بصور متعددة لحاية نقدتها . انظر حالة مصر الاقتصادية في عصر الفاطميين لراشد البراوى : ٣٠٤ - ٣٠٥ .

وفي أول ذى القعدة برزت قافلة الحاج إلى مصلى القاهرة ، ثم رُفعت إلى جُبِّ عميرة في سابعه ، وسارت ليلة العاشر منه بالكسوة للكعبة والرُّسوم على العادة .

وفيه كُبر الخليج والماء على خمسة عشر ذراعاً وسبعة أصابع ، وهو آخر يوم من يُمسرى . وحضر الحاكم وعلى رأسه تاج مكلَّل بالجواهر . وتوَدَّى في الناس بأن يلعبوا بالماء في التَّورُّوز على عادتهم ، ففعلوا .

ونزل الحاكم يوم النحر إلى المصلَّى ، فصلَّى بالناس وخطب ، ونحر بها ثلاث بُدن ، وعاد إلى القصر فحضر السَّهَّاط ، ثم نحر في الملعب إحدى وعشرين بُدنةً ، وواصلَّ النحر أباناً .

وفيهما قُتِل القاضي حسين بن النعمان ؛ ضُربت رقبته ثم أُحرق بالنار . وذلك أن مُتَظَلِّماً رفع رقعةً إلى الحاكم يذكر فيها أن أباه تُوُفِّي وترك له عشرين ألف دينار ، وأنها في ديوان القاضي ، وقد أخذ منها رزق أوقاف معلومة . وأنَّ القاضي حسين بن النعمان حرَّفه أن ماله قد نجز . فدعا به وأوقفه على الرقعة ، فقال كقولَه للرجل من أنه قد استوفى ماله من أجرة . وأمر بإحضار ديوان القاضي ، فأحضر من ساعته ، فوجد أنَّ الذي وصل إلى الرجل أيسرُ ماله . فعُدَّ على القاضي حسين ما أقطعه وأجرى له وما أراح من جلَّله لتلا يتعرَّض إلى ما نهاه عنه مِنْ هذا وأمثاله . فقال : العفو والتوبة ، فأمر به فُضِّرت عنقه وأُحرق .

وقتل عدَّة أناس يزيد عددهم على مائة نفس ؛ ضُربت أعتاقهم وصلبوا ، وقتل عبد الأعلى بن هاشم من القرابة ، لأنه كان يتحدث بأنَّه يلي الخلافة ، وأنه كان يجمع قوماً ويعلمهم بولاية الأعمال . وقد تقدَّم خبره .

فيها ذكر المسبى خبر أبي ركة الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الأموي (٢) وُلِدَ بالأندلس وقدم القيروان ، فانتصب يعلم الصبيان بها القرآن ، ثم دخل إلى مصر فأقام بها ويزايفها يعلم الصبيان مدة ، ثم خرج إلى [١٦٠] الإسكندرية وقد أكثر الحاكم من الإيقاع ببنى قرة وأكثر من قتلهم وتحريقهم بالنار ، فخلعوا طاعته . وسبب ذلك أن بنى قرة كان شيخهم مختار بن القاسم ، فلما بعث الحاكم يحيى بن على الأندلسى يخرج فلول بن سعيد بن خزون بطرابلس على صنهاجة ساروا معه إلى طرابلس ، وجرت الهزعة عليه ورجعوا إلى برقة . فتذكر لم الحاكم ، فامتنعوا عليه ، فبعث لم بالأمان ، فقدم وقُدِّم إلى الإسكندرية فقتلهم عن آخرهم سنة أربع وتسعين . وكان عندهم معلم القرآن واسمه الوليد بن هشام ، يُنسب إلى المغيرة بن عبد الرحمن من بنى أمية ، وكان يزعم أن له أثاراً من علم ، ويخبر بأنه سيملك ما ملكه آباؤه ، وكان يقال له أبو ركة . فدعاهم إلى نفسه فبايعوه ، وثلقب بأمر المؤمنين الناصر لدين الله .

ثم بعث إلى لواتة ومزانة وزناتة فاستجابوا له ، ورحل إلى برقة ، والناس يبكرونه في كل يوم فيسلمون عليه بالخلافة ويقبلون له الأرض ، فيجلس في وسطهم ويقول : أنا واحد منكم وما أريد شيئاً من هذه الدنيا ، ولا أطلبها إلا لكم ، وليس معي مال أعطيكم

(١) ويوافق أول المحرم منها الثامن من أكتوبر سنة ١٠٠٥ .

(٢) ركن أباً وكة لركة كان يمهلاً في أسفاره على طريقة الصولية . ابن الأثير ١ : ٩٨ . وقد لعظم أمره على الحاكم حتى حزم على الخروج إلى الشام وبرز إلى بليس بالساكر والأنوال ، فأثير عليه بالعود إلى مصر ، فعاد . النجوم الزاهرة ٤ : ٢١٢ . ويذكر ابن القلائى أن أباً وكة كتب بآيات شرعية إلى الحاكم وأرسلها مع عتيق الداهى استئذنها بقوله : يا أمير المؤمنين إن اللانوب عظيمة ، واللهام حرام مالم يملها بضمك ، وقد أحسنت وأسات ، وما ظلمت إلا نفسى . وسلم عتيق الرقة إلى القائد الحسين بن جوهر الذى دفعها إلى الحاكم . ولكن ذلك لم ينه من مصر . ذيل تاريخ دمشق : ٦٥ - ٦٦ .

وإننا لي عليكم طاعة ، وإن نصرتموني نصرتم أنفسكم ، وإن قاتلتم معي أحلتكم حاكمي بأيديكم فيقولون له : يا أمير المؤمنين نحن مبايعون لأمرك مطيعون لك ، فمرنا بأمرك .

ثم يزل معهم يطوف قرى برقة ويأخذ البيعة ، إلى أن عظم أمره وهو فيما بين الإسكندرية وبرقة . فبعث إليه الحاكم جيشا عليه ينال الطويل التركي في نصف شعبان سنة خمس وتسعين ، فواقعه أبو ركة وقتله ومُعْظَمَ عسكره ، وظفر من الأموال والخيول والسلاح والنعم الجليلة بما قوى به ، واشتدَّ بأُمة .

وكان في ظهور أبي ركة طَلَع كوكب الذَّوَابَة ، فكان يضيئ كالقمر وله بريق ولعان ، ويقوى ويكثرُ نوره وأمر أبي ركة يشتد ويعظم . فلَاقَمَ هذا الكوكب شهورا ، ثم اضمحلَّ نوره وضعف لمعانه وأخذ أمر أبي ركة ينقص ويضعف إلى أن أُخِذَ أسيرا ، فتاب الكوكب ولم يُرَ بعد ذلك ؛ فكان شأن هذا الكوكب في دلالته على أبي ركة من أعجب العجب .

وابتدأ الحاكم في تجريد العساكر شيئا بعد شيء ، ونزل أبو ركة بعد ظفريه على برقة فحاصرها ، وصندل الحاكم أميرها يقاتله ، حتى اشتد الحصار ومُنِع أهلُ برقة من الميرة ، ففرَّ صندل ، ومعه شيوخ البلد ، إلى الحاكم ، وحثه على بعث الجيوش ، وأعلمه بقوة أبي ركة واستفحال أمره . ودخل أبو ركة إلى مدينة برقة واستخرج الأموال ، وأقطع بني قرّة أعمال مصر ، مثل دمياط وتنبيس والمحلة وغيرها ، وكتب خطه بذلك ؛ وأقطع دُورَ القواد والأكابر التي بالقاهرة ومصر ، وجَدَّد البيعة لنفسه . فندب الحاكم لقتاله القائد أبا الفتوح فضل بن صالح ^(١) في ربيع الأول سنة ست وتسعين ، وأتبعه بالمساكر فاجتمعت

(١) هو الفضل بن عبد الله بن صالح بن الأبراء الذين كانوا يميرون في ركاب العزيز بالله ، وقد أصبح من القواد الكبار مل زين الحاكم . نظم فيه أبو القاسم عبد القادر ، شاعر الحاكم ، أبياتا حسن تصديده في ملح الحاكم ، منها :

إنما للفعل غيرة	في وجوه الدلائل
أرى ،	ويأبى حقائق الروائع
كعبة الجود كفه	بين هاد ورائع
إنما . صلح الأمر	ر برلى ابن صالح

انظر : الفاطميون في مصر : ١٠٨ - ١٠٩ .

بالإسكندرية ، وسار بها ، فلقبه أبو ركوة بذات الحمام^(١) . وكانت بينهما حروب آلت إلى هزيمة العسكر والاحتواء على ما فيه من مال وسلاح ؛ فعظم شأن أبي ركوة .

ووردت الجند على الحاكم بذلك للنصف من رمضان ، فكان من تدبير الحاكم أن دعا بوجوه رجاله وقواده ، فأمرهم أن يكتبوا أبا ركوة ويعرفوه أنهم على مذهبه ورأيه ، وأنه إن توجه إليهم وقرب منهم صاروا في جملته وقتلوا معه ؛ وذكروا ما يقاسونه من قتل وجوههم وأكابرهم ، وأنهم لا يأمنون في ليلهم ولا نهارهم ، مع ما يسمعون من انتقاص الشرف ونحو هذا . فكتبوا بذلك وأنفذوا إليه عثة كتب من كل واحد منهم كتابا مع رسوله .

فلما تواتر ذلك عليه وثق به ولم يُشك فيه ، وحشد جموعه ووعدهم بأموال مصر ونمعتها ، وسار . فخلع الحاكم على أبي الحسن علي بن فلاح ، وسيره إلى ضبط بركة الحبش في عسكر ، فقام بها أياما ، ثم عدى إلى الجيزة ، وتلاحقت به العساكر براً وبحراً . واضطربت الأسعار بمصر ، وعدم الخبز وبيع مَبْلُولاً ستة أرتال بدرهم ، وكان يباع عشرة أرتال بدرهم ، وأنفق في العساكر [٦٠ ب] المتوجهة لكل واحد أربعة وعشرين ديناراً .

وكتب على بن صفوح بن دغفل بن الجراح الطائي ، فحضر في سابع عشر شوال ، وشُلع عليه ، وطُوق بطوق من ذهب ، وحمل .

وتزايد سعر الدقيق والخبز وروايا الماء ، وازدحم الناس عليها .

وشُلع على القائد فضل بن صالح ثوبٌ مقل طميم أحمر ومندبل ذهب ، وقُدل بسيف وحُبل على فرس بمركب ذهب ، وبين يديه تسعة من الخيل وثلاثون بنداً مذهبة

(١) هناك عدة قرى تحمل اسم الحمام ، منها واحدة يقسم أن يرب شرق النيل على مسافة ساعة منه وجنوب أنبوب على مسافة نصف ساعة ، ولذا يقال أنبوب الحمام ؟ وقرية أخرى جنوب مدينة أدفو من أعمال إسنا ، وثالثة في أول بلاد الفيوم .
الخط التوليقي : ١ : ٧٥ - رقي للتموس المحيط : ذات الحمام قرية بين الإسكندرية وإفريقية .

وأربعة عشر سقفا فيها أنواع الثياب . وصار إلى الجيزة ، وأكمل لكل واحد من العساكر
السائرة خمسون ديناراً . ونزلت إليه خزانة السلاح^(١) .

وورد الخبر بنهب الفيوم ، فجهزت إليها سرية ، فلوّقعوا بأصحاب أبي ركة ويعثوا
إلى القاهرة بعثة رهوس طيف بها .

وصار القائد فضل من الجيزة في رابع ذى القعدة والغلاء بالسكر ، فبيعت الروبة من
الشعير بخمسة دراهم والخبز ثلاثة أروطال بدرهم .

وأقام على بن فلاح في مضاربه بالجيزة ، وحُبل إليه خيمة وخمسة أفراس بمراكبها ،
وسيف ، وألفا دينار وثلاثون لوباً ، فأنفق في أصحابه .

فلما كان في ثامن عشر ذى القعدة وقع في الناس خوفٌ في الليل وضجيج ، نزلت
العساكر طائفة بعد طائفة ، والناس جُلُوس في الشوارع وعلى أبواب النور ليلهم كله ،
يبتهلون بالدعاء بالنصر ، فلحقت هذه العساكر بأبن فلاح وهو بالجيزة ، فسير عسكرياً
إلى الفيوم ، وأقام على خوف ووجل . فبلغ أبا ركة إقامة على بن فلاح بالجيزة ، فأسرع
إليه وكبس عسكريه ونهب سواده ، وأخذت خزائن السلاح ، ووقع القتال الشديد فقتل
خلق كثير من أصحابه وجرح خلق لا يحصى . ولما نزلت خزائن السلاح من عند الحاكم
مع قائد القواد ، وعظم البكاء والفُجيج على شاطئ النيل لكثرة القتل في السكر ، منع
ابن فلاح من حمل الموتى إلى مصر ، وأمر بدفنهم في الجيزة . واقتيد كثير من السكر فلم
يُعلم لهم خبر ، ولم يَسَلَم من السكر إلا القليل ، ففُتلت الأسواق ، وجلس الناس بالشوارع

(١) خزانة السلاح كانت بالقصر الكبير في صدر الشباك الذي يجلس فيه الخليفة تحت القبة . الخطط : ١ : ١٠٧ .
وكان الخلفاء يقومون بتفتيشها من وقت لآخر ، كما كانوا يقومون بتفتيش سائر الخزائن ، وفي مناسبات التفتيش يعطى لأمين
الخزائن مبلغ مائة تفضلاً من الخليفة ، فكان أمين خزائن السلاح يحصل كل خمسة وعشرين ديناراً . الفاطميون في مصر : ٢٦٥
نقلاً عن خطط القرطبي .

غماً لما جرى على العسكر ، وتزايد البكاء من الناس على فقد آبائهم ومعارفهم . وباتوا وأصبحوا يوم السبت العشرين منه ، فورد الخبر بدخول أبي ركة في جموعه إلى القيوم ، وصار فضل بن صالح لقائه ، فالتقى معه في ثالث ذى الحجة وحاربه ، فكانت وقعة عظيمة قُتل فيها مالا يحصى كثرة . وانهمز أبو ركة ، واستأنم بنو كلاب وغيرهم من العرب . فسارت العساكر في طلب أبي ركة ، وحضرت الرموس من القيوم ومعه الأسرى ، وهي تجاوز ستة آلاف رأس ومائة أسير ، فطيف بها بالبلد ، وقُتل الأسرى بالسيف بعد ما لحقهم أنواع البلاء بيد العامة ، يَصْفَقُونَ أَفْئِيتَهُمْ وَيَنْتَقُونَ لِحَاظَهُمْ ، ويضربونهم ، حتى تفتحت أكثاف كثير منهم ، فكان أمراً مهولاً . وتواتر مجيء من أخذ من عسكر أبي ركة فجئى بخلق كثير وعلة رموس .

ودخل ابن فلاح من الجيزة فخلع عليه . واستمر القائد فضل في طلب أبي ركة وهو يبحث بمن قبض عليه من الرجال وبرموس من يقتلهم شيئاً بعد شيء . وعاد علي بن الجراح من عند القائد فضل فخلع عليه .

وفي الثاني من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ورد الخبر من القائد الفضل بن صالح بحصول أبي ركة ووقوعه في يده ، فابتهج الناس لذلك ، وخلع على قائد القواد وعلى أولاده وعلى البدوي الذي خرج في طلب أبي ركة حتى أدركه ببلد النوبة ، وعلى أبي القاسم علي بن القائد فضل ، وعلى ابنه . وذلك أن أبا ركة دخل بعد هزيمته إلى بلد النوبة ، فنتبهه القائد فضل وبعث إلى ملك النوبة بالقبض على أبي ركة ، وسير إليه عسكرياً مع الكتاب . فلما بلغوا أطراف النوبة وجدوا أبا ركة قد اختفى بدير هناك وله فيه أربعة عشريوماً ، فدلّهم عليه رجل من العرب^(١) ، فقبضوا عليه في ربيع الأول منها

(١) راس هذا البر دير أبي شودة في أطراف النوبة وكان المساعد على القبض عليه الشيخ أبو المكارم هبة الله . ويذكر النوري ، نقلًا من بعض المؤرخين ، أنه اجبرت الأكياس التي خرجت مع قتاله فضل لما خرج لقاء أبي ركة فكانت زنتها نوازع خمسة وعشرين قتالوا ، وأن جلة ما ألقي في هذه الفتنة ألف ألف دينار . نهاية الأرب .

وأُتُوا به إلى القائد فضل . فسار به إلى مصر ونزل بركة الحبش^(١) يوم الجمعة للنصف من جمادى الآخرة ، فخرج إليه قائد القواد بسائر [رجال] الدولة ، وسلم عليه ، وأبو ركوة [١٦١] في مُضْرَب ومعه القائد فضل ؛ فأقام هناك إلى بُكرة يوم الأحد سابع عشره ؛ فسار من بركة الحبش يعساكره وأبو ركوة على جمل فوق سرير ، وعليه ثوب مُشَهَّر ، وفوق رأسه طرطور طويل ومعه رجل يمسكه . وذلك أنه لا أُنيس الطرطور صاح : يا فضل ، يا أبا الفتوح ، ما كذا صَحْنَتْ لى . فصُفَع صَفْعَةً منكراً وأمسك يديه هذا القائد خلفه ، وقد اجتمع الناس من كل جهة ، فكان جمعا لم يَرِ مثله كثرة ، وأوجرت الدور والحوانيت بحمله^(٢) وبات الناس على الطرقات حتى وُصل به إلى القصر ، فأوقِف ساعة على باب القصر وهو يشير بأصبعه ويطلب الغزو ، والصفُح في قفاه ؛ ويقال له قِيلَ الأرض فيَقْبَل ، ثم سير به إلى مسجد تَبَر . فلما خرج من باب القاهرة أشار إلى الناس يرحمونه بالحجر والاجر ، ويصفعونه وينتفون لحيته ، حتى عاين الموت مرارا ، إلى أن بلغ مسجد تبر ، فضرب عنقه وصُلب جسده ؛ وحُيِل رأسه إلى الحاكم ؛ فخلع على القائد فضل وغيره من القواد والعرفاء الذين كانوا معه ، وخلع على قائد القواد . فكان يوماً عظيماً مَهُولاً لكثرة اجتِناع الناس .

(١) بركة الحبش وهي بركة الخفاف وبركة حير وبركة الأشراف ، واشتهرت ببركة الحبش ، وهي بركة لم تكن حميفة المياه ، وإنما كانت حوضاً زراعياً يضره النيل وقت الفيضان عبر خليج يعرف بجليج بنى وأل كان يستمد مياهه من النيل جنوب الفيضان ، فيسوق الحوض وقت الفيضان إلى مايشبه البركة . وعرفت ببركة الحبش لأنها كانت من ممتلكات بعض الرهبان الأقباش . انجم الزاهرة : ٦ : ٣٨٠٢ . وأول من ذرع هذا الحوض قرة بن شريك ، وال مصر ٩١ - ٩٦ هـ . وعرفت ببركة الأشراف لأنها صارت بعد الأيوبيين وفقاً على الطالبيين ، كانت من أكبر منزهات مصر .. الخطوط : ١ : ٤٨٦ : ٢ : ١٥٢ - ١٥٧ : قوانين الدواوين : ١٠٢ .

(٢) هكذا في الأصل : فقد يكون المص : « وأثقلت الدور والحوانيت بحمل هذا الجمع » أو لعل حصة كدابة « وأجرت الدور والحوانيت بحملة » .

وَأَقَامُوا لِبَيْتَيْنِ فِي الدَّوَانِيتِ وَالشَّوَارِعِ وَعَلَى أَبْوَابِ الدُّورِ يَظْهَرُونَ الْمُسْتَرَّةَ وَالْفَرْحَ (١) .

وأظهر أبو ركوته في مواقف الألم صبرا وتجلدا ؛ وكان لا يخاطب القائد الفضل إلا باسمه أو بكنيته . ولما أقام في بركة الحبش ، وخرج الناس ورأوه ، كان يسأل من يلقيه عن اسمه وكان ينلو القرآن ويترحم على السلف . وكان شابا أسمر تعلوه حمرة ، مُسْتَنَ الوجه طويل الجبهة ، أشهل (٢) ، بَزُرْقَة ، أَقْفَى ، صغير اللحية ، أَصْهَبَ (٣) إلى الشقرة .
ظاهر القلوب تبين فيه الجِد ، لا يكاد يتجاوز ثلاثين سنة يوم قُتل . ويقال إنه وَكَّد رجل من موالى بنى أمية ..

ولما قُتل أبو ركوته نفذت الكتب إلى الأعمال كلها بخبر الفتح . فلما كان في رجب ورد شيوخ كل ناحية وقضاؤها ، وقضاة الشام وشيوخه ، لتهنئة الحاكم بالظفر وأخذ أبي ركوته . وقدم أبو الفتوح حسن بن جعفر الحنفى أمير مكة في شعبان لتهنئته ، فخلع عليه وأكرمه ، وأنزل بدار بَرَجْوَان .

وفيه أرجف الناس بأن القائد فضل بن صالح ينظر في أمور الدولة وتدبيرها بدل قائد القواد حسين بن جوهر ؛ وكان بينهما في الباطن تباعد من جهة الرتبة والحسد عليها : وكان القائد فضل قد تفاهم وعظمَ بينهما وترفعه على قائد القواد في قوله وفعله : قال المسيحي : قال لى الحاكم بأمر الله وقد جرى حديث أبي ركوته : ما أردت قتله ولكن جرى في أمره

(١) كان بالقاهرة شيخ يقال له الأبرارى إذا خرج شاربي صنع له طرطورا وعمل فيه ألوان المرق المصبوغة ، وأخذ قردا وجعل في يده درة يعلمه أن يضرب بها الخاربي من ورائه ، ويسل في سبيل ذلك مائة دينار ومشر قطع ثياب . وقد اشترك هذا الأبرارى مع قرده في موكب التتجير بأبي ركوته . النجوم الزاهرة : ٤ : ٢١٦ . ويذكر صاحب النجوم الزاهرة في موطن أن الحاكم أمر به أن يحمل إلى ظاهر القاهرة ويضرب عنقه حل ثل "إيزاء مسجد ريدان" ، فنصل إلى هناك ، ولما أزل فلذا به ميت يقطع رأسه وحمل إلى الحاكم فأمر بصلب جسده . النجوم الزاهرة : ٤ : ٢١٧ .

(٢) الشبهة في العين أن يشرب سوادها زرققة .

(٣) الصبغة والصبوبة احمرار الشعر .

ما لم يكن عن اختيارى ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، ما قصر عليك الفضل بن صالح في خدمته ، قال : وإيش تظن أن فضل أخذ ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، هذا قول الناس . فقال : والله العظيم ما أفلح فضل في حركته تلك ، ولا أنجح ميزاننا . أنفقنا ألف ألف دينار ذهباً صناعاً ، وإنما أخذه ملك النوبة وأنفذ به إلى . فقلت صدقت يا أمير المؤمنين وعلمت أن هذا مما قرّر قائد القواد الحسين بن جوهر في نفسه ليبطل فعل فضلي وخدمته ، فاستقر .

وأما خبر القاهرة فإنه جرى الأمر في يوم عاشوراء على العادة من تعطيل الأسواق وخروج المنشدين والتّاحة إلى جامع القاهرة^(١) ، فتظاهروا فيه بسبّ السّلف ، فقُبض على رجل ونودي عليه : هذا جزء من سب عائشة وزوجها ؛ وضربت عنقه . وتقدّم الأمر إلى أصحاب الشرطة ألا يتمرّض أحد لسبّ السّلف ، ومن فعل ذلك قُبض عليه ، فانكفّ الرعاع من السبّ والتعرّض للحاج .

وللنصف من صفر وردت قافلة الحاج .

وفي نصف ربيع الأول جمع الحاكم نحو ألى باقة نرجس وأتخف بها الأولياء .

واستهل رجب بيوم الأربعاء ، فخرج أمر الحاكم إلى أصحاب اللواوين بأن يؤرخوه بيوم الثلاثاء .

وفيه هبت ريح عاصفة ، ثم أرعدت ونزل المطر وفيه برّد كهيئة الصفائح إذا سقط إلى الأرض تكسر ، فكان فيه ما يبلغ وزنه زيادة على أوقيتين ، وفيه ما هو قدر البيضة ، فغطى الأرض ، وأقام الناس أياماً يتبعونه في الأسواق . ولم يُعْهَد [٦١ ب] مثله ذلك بمصر .

(١) في مناسبة ذكرى استبعاد الحسين ، رضى الله عنه ، وكان هذا الاحتفال الحزين يقام في العراق أيضاً على أيام

بني يرس .

وجرى الرسم في شهر رمضان كل ليلة على العادة ، وصلى الحاكم فيه بالناس صلاة الجمعة وخطب ثلاث مرات . وصلى يوم عيد الفطر بالناس وخطب بالمصلّى على عادته . وللنصف من ذى القعدة ^(١) سارت قافلة الحاج بكسوة الكعبة ومِدَلَات الأشراف وغيرها على [ما جرى به الرسم] ^(٢) .

وفتح الخليج في السابع والعشرين من مسرى ^(٣) والماء على خمس عشرة ذراعاً وأصابع ، فلم يركب الحاكم لفتحه ، ولم يُوفِّ ست عشرة ذراعاً إلى ثامن توت ، فخلع على ابن أبي الرقاد ، وحُوِّل .

واجتمع الناس اللذين جرت عادتهم بحضور القصر لسماع ما يُقرأ من كتب مجالس الدعوة ، فحُزِبوا يَجْمَعهم ، ولم يُقرأ عليهم شيء .

وفيها رحل بُنُو قَرَّة من البحيرة بأرض مصر إلى ناحية من عمل برقة مع كبيرهم مختار بن قاسم .

(١) كان الحاكم بأمر الله قد أصدر مرسوماً في سنة ٣٩٤ بأن يسير الحاج أول ذى القعدة بعد أن كانت العادة قد جرت بخروجه في منتصفه ، وبهذا خرج الحاج هذه السنة في الموعد القديم .

(٢) زيد ما بين الحاضرتين إضافة بما ورد في السنوات السابقة في مثل هذه المناسبة وفي الأصل فراغ صغير بعد كلمة « على » .

(٣) ويوافق اليوم الثاني والعشرين من ذى القعدة . وكانت الشئون الزراعية تخضع لتوقيت السنة القبطية ، وهي ثلثائة وستون يوماً ، ومنها التي « حنة أيام وربع يوم تحل بعد انقضاء شهر مسرى ، وفي كل أربع سنين تكون التمس » سنة أيام وتسمى حنة الكيس . قوانين الدولوين : ٣٥٨ .

سنة سبع وتسعين وثلاثمائة (١) :

في شهر ربيع الأول تزايد أمر الدراهم القطع المتزايدة ، فبلغت أربعة وثلاثين درهما بدينار ، ونزع السعر واضطربت أمور الناس . فرُفعت هذه الدراهم ، وأنزل من بيت المال بعشرين صندوقاً فيها الدراهم الجُدُّ لفتُرُق على الصَّيارِفَة . وقرئ سجلٌ برفع تلك الدراهم والمنع من المعاملة بها ، وأنظر مَنْ في يده منها شيءٌ ثلاثة أيام ، وأمر الناس بحمل ما كان منها إلى دار الضرب ، وبلغ كل درهم من الجُدِّ أربعة دراهم من القطع . وبيع الخبز كل ثلاثة أوطال بدرهم ، فنودي أن يكون الخبز كل اثني عشر وطلاً بدرهم جديد ، واللحم رطلين بدرهم ، وسرُّ أكثر الأشياء ، واستقرَّ كلُّ دينار ببنايين درهماً من الجُدِّ . وسكن أمر الناس بعد ما ضرب كثير من الباعة بالسَّياط وشُهِروا . وقُبض على جماعة من أصحاب الفُخَّاع والسَّماكين ، وكُبِست الحَمَّامات ، وضُرب جماعة لمخالفتهم ما نُهِرَ عنه وشُهِروا .

وفي تاسع ربيع الآخر أمر الحاكم بِمَحْوِ ما هو مكتوبٌ على المساجد والأبواب وغيرها من سبِّ السَّلف ، فمُحِيَ بأسره ، وطاق متولَّى الشرطة حتى أزال سائر ما كان منه .

وقرئ سجلٌ بترك الخوض فيها لا يعنى ، واشتغال كل أحد بمعيشتِه عن الخوض في أعمال أمير المؤمنين وأوامره .

وجرى الأمر في الفطر على السَّماط ليالي رمضان ، وفي صلاة الحاكم بالناس يوم النحر :
على ما تقدَّم .

(١) ويوافق أول المحرم منها السابع والعشرين من جمعدة ١٠٠٦ .

وركب الحاكم لفتح الخليج في ذى القعدة والماء على أربعة عشر ذراعاً وأصابع ، وهو تاسع توت ، فانتهى بعد فتح الخليج ماء النيل إلى ستة عشر أصبعا من خمسة عشر ذراعاً ، ثم نقص ، فتحرك السعر وازدحم الناس على شراء الغلال وابتدأت الشدة .

وفيها مات يعقوب بن نسطاس النصراني ، طبيب الحاكم ، سكران في بركة ماء ، فحمل إلى الكنيسة في تابوت ، وشق به البلد ، ثم أعيد إلى داره فدفن بها ، وسائر أهل الدولة في جنازته ومعه شموع كثيرة تنقذ ، ومداخن عدة فيها بخور . وكان طبيب وقته ، عارفاً بالطب ، آية في الحفظ ، ما يُغنى له قط صوت إلا حفظه . ولو غناه مائة مغنٍ في مجلس واحد لَحَظَّ سائر ما عتوه به وتكلم على ألقابها وأشعارها . وكانت له يدٌ في المُمِيقاً ، وانفرد بخدمة الحاكم في الطب فأنرى ، وترك زيادة على عشرين ألف دينار مينا ، سوى الثياب وغيرها .

وتوفى الأمير منجوتكين لأربع خلون من ذى الحجة ، فصل عليه الحاكم .

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة (١) :

في المحرم ابتداءً نقص ماء النيل من ثامن عشر توت ، فاشتد الأمر ، وبيع الخبز مبلولاً ، وضرب جماعة من الحجازيين وشهروا لتعلم وجود الخبز بالعشايا .

ووصل الحاج ثمان بقين من صفر .

وفي ربيع الأول خلع على علي [بن جعفر] بن فلاح بولاية دمشق حرباً وخراجاً (٢) .

واشتد الغلاء . فلما كان ليلة عيد الشعانين (٣) منيع التصاري من تزيين كنائسهم على ما هي عادتهم ، وقبض على جماعة منهم في رجب ، وأمر باحضار ما هو معلق على الكنائس وإنباته في دواوين السلطان ، وكتب إلى سائر الأعمال بذلك . وأحرق صلبان كثيرة على باب الجامع وفي الشرطة .

وفي يوم الجمعة سادس عشر رجب ولي مالک بن سعيد الفارقي القضاء وخليع عليه في بيت المال فميص مُصنّت وعمامة [٦٢] مذهبة وطيلسان محشي مذهب ، وقُلد بسيف . وقرأ سجله أحمد بن عبد المسيح وهو قائم ، فخرج وبين يديه سبط ثياب ، وحُمل على بغلة وبين يديه بغلتان . وكان مالک بن سعيد لما قرئ سجله قائماً على قدميه ، وكلما مر ذكر

(١) ورواها أول المحرم منها السابع عشر من صفر سنة ١٠٠٧ .

(٢) بعد عزل أبي صالح مبلغ العيان الذي كان يمارته في شئون الخراج والمال الكاتب التصاري منصور بن جيهون .
في تاريخ دمشق : ٦٢ - ٦٦ .

(٣) عيد الشعانين هو عيد الزينة ، ومنى الثمانين : التسييح ، ويكون في سابع أحد من صومهم . ومنهم من أن يخرجوا صف النخل من الكنيسة ، ويرون أنه يوم وكوب المسيح العنبر (الحمار) في القدس ودخله إلى صهيون وهو راكبه والناس بين يديه يسبحون وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وكان هذا العيد من المراسم التي تزين فيها كنائس التصاري بمصر . وفي رجب سنة ٣٩٨ ، هذه ، منع الحاكم الاحتفال به وقبض على عدد من وجدهم يعملون الخوص . الخطط :

٢٩١ : ١

أمير المؤمنين قَبِلَ الأرض. ثم سار من القصر إلى الجامع العتيق ، وكلما مرَّ بباب من أبواب القصر نزل عن بقلته وقَبِلَ الباب . فلما وصل إلى الجامع وقف خلف المنبر قائماً حتى انتهت قراءة السجّل ، وقَبِلَ الأرض كلما ذكر أمير المؤمنين . ثم عاد إلى داره بالقاهرة وتسلم كتب الدعوة التي تُقرأ بالقصر على الأولياء .^(١)

وفي يوم الجمعة سابع شعبان اجتمع أهل الدولة في القصر بعد ما طُلبوا لذلك ، وأُبروا الأيَّام لأحد ، فخرج خادم وأَسْرَ إلى صاحب السَّتر كلاماً ، فصاح : صالح بن عليّ ، فقام صالح بن عليّ الرُّوزباري ، فَاتَّخَذَ بيده ولا يعلم أحد ما يُراد به . فَادْخَلَ إلى بيت المال ، ثم خرج وعليه دُرَّاعَة مصمَّنة وعمامة مذهبة ، ومعه مسعود صاحب السَّتر ، فجلس بحضرة قائد القواد ، وأُخرج سجلاً قرأه ابن عبد السميع ، فإذا فيه رَدُّ سائر الأمور التي ينظر فيها قائد القواد حسين بن جوهر إليه . فعندما سمع في السجل صالحٌ ذَكَرَهُ قام وقَبِلَ الأرض . ولما انتهى ابن عبد السميع من القراءة قام قائد القواد وقبل خَدَّ صالح وهنَّاه وانصرف . فخرج صالح وبين يديه عدة أسفاط وثلاث بغلات بسروجها وتُجمُّها . قال المسبَّح : قال لي الحاكم بأمر الله ، أَخَصَّرْتُ ابن سُورين وحلفته على الإنجيل أن يكتب سجلاً صالح بن عليّ ولا يُطْلَع عليه أحداً من ابن جوهر ولا غيره ، وقلت له إنك تعرف ما أجازي به من يخالف أمرى فَكُنْ منه على يقين . فوالله ما اطلع عليه أحد غيري وغيره ، حتى كان .

وجلس صالح في مجلس قائد القواد من القصر ، ووقع عن الحاكم : ورفع إليه الأولياء وسائر المتصرفين قصصهم وأحوالهم ؛ ونَشَدَ أوامر الحاكم ، وطالعه بما تجب مطالعته به . وَقَدَّ ديوان الشام ، الذي كان يتولاه ، لأبي عبد الله الموصلي الكاتب . وخلع على الشريف

(١) داجع : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، تصرف على طيبة هذه الدعوة ووسومها وبجالتها وكذلك : الخطط المقرري ، الذي يفعل الحديث فيها ويطلبه .

أبى الحسن على بن إبراهيم الترمي لقنابة الطالبين وحمل على فرسين ، وقرئ سجله في القصر والجامع .

وخلع على صقر اليهودي وحمل على بغلة ، وقيد إليه ثلاث بغلات بسروج ولحم فقال وحمل معه عشرون سفل ثياب ، وأنزل في دار قرشت وزينت ، وعلق على أبوابها وحجرها الستور ، وأعطى فيها جميع ما يحتاج إليه ، وقيل له هذه دارك ، فحصل له في ساعة واحدة ما قيمته عشرة آلاف دينار . واستقر طبيب الحاكم عوضا عن ابن نسطاس .

وورد الخبر بأن ابن الجراح فر بعد قتل جماعة من أصحابه . وخلع على ياروخ وسار إلى دمشق وتبعه عسكر كثير .

واستهل رمضان ، فحضر الأسباط مع الحاكم القائد صالح قائد القواد^(١) ، والقاضي مالك بن سعيد ، وجلس فوق القاضي عبد العزيز بن النعمان . وقد صلى الحاكم بالناس صلاة الجمعة في جامع راشدة ، وصلى صلاة عيد الفطر وخطب على ما جرت عادته به ، وأصعد معه المنبر وقت الخطبة قائد القواد صالح بن علي ومالك بن سعيد القاضي والشريف الترمي وجماعة .

وفي ثالث شوال أمر الحاكم قائد القواد [السابق]^(٢) حسين بن جوهر والقاضي عبد العزيز بن النعمان بأن يلزما داريهما^(٣) ، ومثنا من الركوب وسائر أولادهما ، فلبسوا الصوف وامتنع الداخل إليهم ، وجلسوا على الحصر .

وفي ذى القعدة ولي غالب بن مالك الشرطتين والحسبة والنظر في البلد ، وقرئ سجله بالجامع العتيق وجامع ابن طولون ، وصرف خود ومسعود .

(١) في الأصل : وقائد القواد ، وهو خطأ لأن سالحا هو نفسه قائد القواد وقد سبق ذكر ذلك في الأسطر القليلة السابقة ، وسرد كذلك بعد أسطر .

(٢) زيد ما بين الحاصرتين للتوضيح .

(٣) في الأصل : دورهما . ولعل هذا يجب مقربة تعهيد الإقامة التي تنج في التول الحديثة في أيامنا هذه .

وفي ثالث عشرو سارت قافلة الحاج .

وفي تاسع عشرو عفا الحاكم عن قائد القواد والقاضي عبد العزيز ، وأذن لهما في الركوب
فركبا إلى القصر بزيهما من غير خلق شعر ولا تغيير حال .

وتوقفت زيادة النيل ؛ فاستمقى الناس ، وخرجوا ومعهم النساء والصبيان مرتين .
وفرى سجلاء بإبطال المكوس والمؤن التي تؤخذ [٦٢ ب] من المسافرين عن الغلال
والأرز .

وصلى الحاكم صلاة عيد النحر ، وخطب ونحر في المصلى والملاعب على عادته ورسمه
وبيع الخبز ثلاثة أربال بدرهم . وتعدّر وجوده . وجرى الرسم في عيد الغدير على
عادته . واشتد تكالبُ الناس على الخبز ، فاجتمعوا وضجُّوا من قلته وسواده ؛ ورفعوا
للحاكم قصة مع رغبة ، وكانت الحملة الدقيق^(١) قد بلغت ستة دنانير .

وفتح الخليج في رابع ثوت والماء على خمسة عشر ذراعا ، فبلغ التلايس^(٢) أربعة دنانير
والويبة من الأرز بدينار ، واللحم كلّ رطلين بدرهم ، ولحم البقر رطلين ونصفا بدرهم ،
والبصل عشرة أربال بدرهم والخبز ثمان أواق بدرهم ، وزيت الوقود الرطل بدرهم .

وفيها خرج النصراري من مصر إلى القدس لحضور الفصح بقمامة^(٣) على حاجتهم في كل

(١) الحملة من الدقيق توازي ثلاثة أربال مصري ، والرطل يساوي اثني عشرة أوقية زنة كل منها اثنا عشر درهما .
قوانين الدولوين : ٣٦٥ ، ٤٥٥ .

(٢) التلايس وزن مائة وخمسين رطلا ، أو نصف حلة . قوانين الدولوين : ٣٦٥ .

(٣) المقصود بها كنيسة القيامة بالقدس ، وقد أمر الحاكم بخدمتها في هذه السنة فكتب بذلك أمر فيه « فليصر طولها
مرضا وسفلها أرضا » نهاية الأرب .

وأصل تسميتها بالقسامة تاريخي يرجع إلى أن القبر المقدس بنى على الموضع الذي كانت توضع به القسامة خارج سور بيت
المقدس ، وهو الموضع الذي يزعم أن المسيح صلب فيه . مسجم البيلدان : ٧ : ١٥٨ - ١٥٩ .

سنة بتجمل عظيم كما يخرج المسلمون إلى الحج ، فسأل الحاكم خُكَيْنَ الضيف العضى (١) ، أحد قواده ، عن ذلك لمعرفته بأثر قُمامة ، فقال هذه بيعة تعظمها النصارى ويُحجُّ إليها من جميع البلاد ، وتأتيها الملوك ، وتُحمل إليها الأموال العظيمة ، والثياب والتُتُور والفرُش والقناديل ، والصلبان المصوغة من الذهب والفضة ، والأواني من ذلك ؛ وبها من ذلك شئ عظيم . فإذا كان يومُ الفُضج واجتمع النصارى بقُمامة ، ونُصِبت الصُّلبان ، وعلقت القناديل في المذبح ، تحيلوا في إيصال النار إليه بدهن البيلسان مع دهن الزئبق ، فيحدث له غيباء ساطع يظن من يراه أنها نار نزلت من السماء . فأنكر الحاكم ذلك ، وتقدَّم إلى بشر بن سُورين كاتب الإنشاء ، فكتب إلى أحمد بن يعقوب الداعي أن يقصد القدس ويهدم قُمامة ونُصبها الناس حتى يخفى أثرها . ففعل ذلك . ثم أمر بهدم ما في أعمال مملكته من البيع والكنائس ، فعُوف أن تهدم النصارى ما في بلادها من مساجد المسلمين فأمسك عن ذلك (٢) .

(١) وكان قد عزل عن دمشق سنة ٣٩٦ بعد أن فشل في تنفيذ سياسة توفير الأموال بإنفاص مرتبات الأجناد . انظر

فيل تاريخ دمشق : ٥٧ - ٥٨ .

(٢) جاء في نهاية الأرب : « ولها في قاصع عشر ذى الحجة أمر الحاكم بهدم كنائس القنطرة التي في طريق المكس وكنائس

حارة الروم ، لهدم جميع ذلك » .

سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (١) :

في ثالث المحرم نظر أبو نصر بن عبدون الكاتب النصراني في ديوان الخراج بانفراده من غير شريك .

وفي تاسعه ، وهو نصف ثوت ، أشيع وقاء النيل ، وخُلِعَ على ابن أبي الرِّدَاد^(٢) ، فابتدأ في النقص قبل أن يوفي ستة عشر ذراعاً من تاسع عشر ثوت ، فأمر الناس كافةً بالألا يتظاهروا أحد منهم على شاطئ النيل بشئ من الغناء ، ولا يسمع في دار ولا يشرب في المراكب . وكبست علةٌ دور ، وقُبِضَ على جماعة .

وقدم الحاج في حادي عشرى صفر .

ونودى ألا يدخل أحد الحمام إلا بمِثْرَر ، ولا يمشي اليهود والنصارى إلا بالغبيار ، وضربوا على ترك ذلك . وكبست الحمامات وأخذ منها جماعة وشهروا من أجل أنهم وُجِدوا بغير مِثْرَر .

ومُنِعَ أن يدخل أحد إلى سوق الرقيق إلا أن يكون بائناً أو مشترياً ، وأُفْرِدَ الجوارى من الغلمان ، وجعل لكل منهم يوم .

ومنع من نصب الشراعات التي كانت النساء تنصبها في المقابر أيام الزيارة . وأشيع بين الناس بأن النبيذ يُمنع من بيعه ، فازدحموا على شرائه ، وبيع منه شئٌ كثير ، فعزَّ حتى بيع كل عشر جرارٍ بدينار ، ولم يوجد لكثرة طلابه .

(١) ويوافق أول المحرم منها الخامس من صفر سنة ٩٠٨ .

(٢) المشرف على مقياس النيل ؛ وكان هذا الإشراف في أسرته من أيام بكار بن قتيبة قاضي المتوكل الذي تلقى كتاباً من الخليفة يأمره ألا يتناول أمر المقياس إلا مسلم يختاره ، فاختار أبا الرِّداد عبد الله بن عبد السلام المؤدب وأجرى عليه الرزق سنة سبع وأربعين وتوارثه أولاده . قوانين القنواوين : ٧٥ - ٧٦ .

ومنع كلَّ أحد من الناس أن يخرج من منزله قبل صلاة الصبح وبعد صلاة العشاء^(١) .
واشتد الأمر في هذا ، واعتُقل جماعة خالفوا ما أمر به .

وقرئ سجل بترك الخَوْض فيها لا يعنى ، والاشتغال بالصلوات في أوقاتها ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وألا يخوض أحد في أحوال السلطان وأوامره وأمرار الملك .

وقرئ سجل في ربيع الأول بالمنع من حمل النبيذ والموز ، وحذر من التظاهر بشئ منه أو من الفقاع ، والدَّالِيس ، والسملك الذي لا قشر له ، والقرمس العُشَن .

وقرئ آخر في سائر الجوامع بتسكين قلوب الناس وتطمينهم ، لكثرة ما اشتهر عندهم وداعلهم من الخوف بما يجرى من أوامر الحضرة في البلد .

وفي حادى عشر جمادى الآخرة قبض على عبد العزيز بن النعمان ، وعُلب حسين بن جوهر ففرَّ هو وابْنَاهُ [٦٣] وجماعة . وكثر الصَّياح في دار عبد العزيز ، وغُلِّقت حوائط القاهرة وأسواقها . فأفُرج عن عبد العزيز وتُودى في القاهرة بألا يفلت أحد . ثم رُدَّ حسين بعد ثلاثة أيام بابنيه ، وصاروا إلى الحاكم فأمرهم بالانصراف إلى دورهم ، وغُلِّع عليه وحل عبد العزيز وعلى أولادهما ، وكُتِبَ لهما أمانان .

وفي رجب كثرت الأمراض في الناس . وفشا الموت . وتخوَّف الناس من الحاكم فكتب عدة أمانات لأناس شتى . وأقطع مالك بن سعيد ناحية برنشت^(٢) .

(١) ما أشبه هذا بما يحدث في أيامنا هذه حين يصدر قرار بمنع التجول في الدول المصرية في أوقات العتَم . وقد سبق إلـك مثل هذه الخطوة زياد بن أبيه ، ابن أبي سفيان ، في العراق ، إذ قال في خطبه اليتراء : « غلباى ودلج الليل فإني لا أوق بدلج إلا مفكت دمه . . . » وقد أن برجل ظهر أنه خالف قرار منع التجول ، فاختار بأنه لم يسل به لتنبيه بالصمراء في طلب ثلاثة له غلت ، فقال زياد : « والله إني لا أفتك إلا صافقا ولكن في تلك صلاحا للأمة » . وأمر بقطه .

(٢) برنشت بفتح الباء والنون ، من أعمال الجيزية . قوانين الفواوين : ١١٧ .

وفى شعبان تراخت الأسعار .

وفى رمضان قرئ سجل فيه «يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون»^(١) ، ولا يعارض أهل الرواية فيما هم عليه صائمون ، ويفطرون ، وصلاة الخمسين للذين بما جامعهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يُدفعون^(٢) ؛ ويخمس فى التكبير على الجناز المَخْمُوس ، ولا يمتنع من التبريع عايتها المَرْمُوس ، يؤذَن بحى على غير العمل المؤذَنون ، ولا يؤذَى من بها لا يؤذَنون ، لا يُسَبُّ أحدٌ من السلف ، ولا يُحتسب على الواصف فيهم بما يصف ، والحالف منهم بما حلف ، لكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده.

وفيه ركب سائر العرائف والأولياء وأكثر أهل البلد إلى القصر وقد عظمت الزحمة ، واصطفت العساكر حول القصر بالسلاح ، ولم يَعرَف أحد ما هذا الاجتماع ، فخرج صالح ابن على بالخلق على فرس بسرَج ولجام ذهب ، وبين يديه فرسان وسفط ثياب ، وسجل يتضمن أنه لقب بثقة ثقات السيف والقلم .

وأعيد عبد العزيز بن النعمان إلى النظر فى المظالم .

وتزايدت الأمراض وكثر موت الناس ، وعزّت الأدوية ، فبلغ السكر أربعة دراهم للرطل ، ويذر الرمان كل أوقية بدرهم ، ودهن البنفسج كل أوقية بدينار ، والحناب والإجاص كل أوقيتين بدرهم وباقية لينوفر بدينار ، والبطيخة بثلاثة دنانير .

(١) لا يتبع الفاطميون أتباعهم عند الصيام واللفظ برؤية الهلال وإنما يمكن الحساب وحده أو الحساب مع الرؤية ، ويقولون الرؤية والحساب كالظاهر والباطن ، فالهلال كالظاهر لأنه مشاهد والحساب كالباطن لأنه مغول . ورأى هذا أيضا فى كثير من المناسبات حين يشاهد هلال شهر ما فيصدر قرار من القصر الفاطمى يده الشهر فى يوم آخر ، سابق أو لاحق ، وسنجد أمثلة لهذا فى خلال هذا الكتاب .

(٢) جهل الأصل عبارة نصها : ه ويخطه : صلاة التراويح أثناءها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأمر الناس بها فى شهر رمضان سنة أربع عشرة بجميع من الصحابة ، قام الناس أبى بن كعب بالمدينة وكتب عمر إلى الأمصار بإقامة التراويح . واستمر الصحابة بهذه يقيمونها ، وكان على رضى الله عنه إذا مر ليل رمضان قرأ القناديل زهر وسع القرآن يقرأ قال : نور الله قبر من نور علينا مساجدنا . وصلت عشرين ركعة لأنهم وزعوا القرآن عليها ليكون الختم فى آخر الشهر .

ولم يركب الحاكم لصلاة عيد الفطر وصلى القاضي مالك بن سعيد بالناس في المصلّى
وخطب .

وفي ذى القعدة أعيدت المكوس التي كانت رفعت .

وسارت قافلة الحاج في النصف منه .

وحمل سباط عيد النحر يوم التاسع من ذى الحجة على عادته ، غير أنه أبطل منه .

الملاهي والخيال واللعب الذي كان يعمل في كل سنة .

وصلى القاضي بالناس صلاة عيد النحر وخطب .

وفي يوم عيد الغدير^(١) منع الناس من عمله . ودرست كنانيس كانت بطريق المكس
وكنيسة بحارة الرّوم من القاهرة ونُهب ما فيها . وقتل في هذه الليلة كثير من الخدم
والصفّابة والكُتّاب بعد أن قُطعت أيديهم بالسّاطور على خشبة من وسط اللّواء .

وفيها مات أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المنجم لثلاث غلّون من
جمادى الأولى^(٢) ، وقتل القائد فضل بن صالح ، ضربت رقبته ليشبع بقين من ذى القعدة .

(١) يقول المقرئى إنه لم يكن عيداً مشروحاً ولا عمل أحد من سلف الأئمة ، وأول ما عرف بالإسلام في العراق أيام
عمر الدولة على بن بويه سنة ٣٥٢ فالتفّذه الشيعة من بعده عيداً فلم أستاذوا إلى حديث رواه البراء بن عازب ، رضي الله عنه ،
عن النبي صل الله عليه وسلّم ، في سفره عند غدير خم « إذ صلّى عليه السلام ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال :
أنتم تعلمون أنّ أولي المؤمنين من أنفسهم . قالوا : بلى . قال : أنتم تعلمون أنّي أول بكل مؤمن من نفسه . قالوا : بلى .
قال : من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . قال البراء : فلقبه عمر بن الخطاب ، رضي الله
عنه ، فقال : فتتأكل يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولد كل مؤمن وموتة . الخطط : ١ : ٣٨٨ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن أبي سبيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصفي المصري المنجم ، صاحب التزيج
الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس . يقول ابن خلّكان إنه رآه في أربع مجلدات . ويروي ابن خلّكان عن غيره أن ابن يونس
كان أباه مغفلاً يتم على طرطور طويل ويحمل رداءه فوق الهامة ، وث الثياب . ويذكر أنه مع هذا كان له إصابة بديعة غريبة
في التّجامة لا يشترك فيها غيره ، وكان أحد الشهود ، وكان مفتتاً في علوم كثيرة ، يقرب بالموءد ، وله شعر حسن . وفيات
الأعيان : ١ : ٤٧٤ - ٤٧٥ .

وقتل أبو أسامة جنادة أسامة بن محمد اللغوي^(١) لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة ،
ومعه الحسن بن سليمان الأنطاكي النحوي ؛ واستتر عبد الغني بن سعيد ؛ وكان ذلك
بسبب اجتماعهم بدار العلم وجلوسهم فيها .

وقتل رجاء بن أبي الحسين من أجل أنه صلى صلاة التراويح في شهر رمضان .
وقُتِل أصحابُ الأخبار عن آخرهم لكثرة أذيتهم الناس بالكذب عليهم وأخلعهم
الأموال من الناس .

وفيها قتل أبو علي بن ثمال الخفاجي متولى الرحبة^(٢) من قبل الحاكم ، وملكها بعده
صالح بن مرداس الكلابي متملك حلب^(٣) .

(١) هكذا في الأصل ولم أجد إل التبريد به فيما لدى من مراجع ولعل صفة البهارة : وقاتل أبو أسامة جنادة بن
أسامة . . . الخ .

(٢) المقصود بها رحبة مالك بن طوق صاحبها أيام هارون الرشيد ، وهي على حصة أيام من حلب ومثالية أيام من
دمشق مجسم البلدان : ٤ : ١٣٦ - ١٣٨ .

(٣) أسد اللؤلؤة أبو علي ، من بني كلاب ، رأس الأسرة المرداسية التي حكمت حلب بين سنتي ٤١٤ - ٤٧٢
(١٠٢٣ - ١٠٧٩) بعد نزاع استمر فترة مع الفاطميين . مجسم الأنساب لزامبارو .

في حادى عشر صفر صُرف أبو الفضل صالح بن على الروزبارى ثقة ثقات السيف والقلم ، وقرّر مكانه أبو نصر بن عبدون الكاتب النصرانى ؛ فوقع من الحاكم فيما كان بوقع فيه صالح ، ونظر فيما كان ينظر فيه ، وأذن لصالح فى الركوب إلى القصر .

وسار ابن عبدون فى الموكب مع الشيوخ فى المنتهى وقال يشى لا يساير أمير المؤمنين بأعل من ذلك .

وكتب من إنشاء ابن سورين [٦٣ب] لنخدم قمامة بالقدس .

وأحدث الحاكم ديوانا سماه الديوان المفرد برسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم .
ووصل الحاج فى حادى عشر منه .

وفى ربيع الأول كثرت الأمراض والموت ، وعزت الأدوية المطلوبة للمرضى .
وشهر جماعه وُجد عندهم ققاع وملوخية وترمس ودلينس بعد ضربهم .
وهُدم دير القصير (٢) ونهب .

ولقب ابن عبدون بالقاضى ، وكتب له سجل بذلك ، وحُمل على بذلتين .
واشد الأمر على اليهود والنصارى فى إلزامهم لبس الغيار .

ورُد لإقطاع حسين بن جوهر إليه وإلى أولاده وصهره عبد العزيز بن النعمان ، وقُرئ لهم بذلك سجل .

(١) ويوافق أول المحرم منها الخامس والعشرين من أغسطس سنة ١٠٠٩ .

(٢) دير القصير ، ضد الطويل ، وهى دير يفتس القصير ، ودير البيل ، ودير هرتل . فوق جبل المنظم على سطح قلعة مثل على الصحراء ، وإتيل ، مقابل قرية المسيرة . الخطط : ٢ : ٥٠٢ و ٥٠٩ .

وصلَّى القاضي بالناس صلاة عيد الفطر على الرسم .

وقرئ سجل بإبطال ما كان يؤخذ على أيدي القضاة من الخمس والفطرة والنجوى .
في تاسع ذي القعدة قرَّ حسين بن جوهر وأولاده وصهره عبد العزيز بن النعمان وأولاده
بجماعة منهم في أموال وسلاح ، وخرجوا ليلاً ، فلما أصبحوا سبَّ الحاكم خيلاً في
طلبهم نحو وجرة فلم يدرَهم . وأُحيط بدورهم ، فأُخذت للديوان المفرد . وفرَّ أبو القاسم
الحسين بن المغربي^(١) في زَيِّ حَمَالٍ إلى حِصَان بن علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح .

وفيه قرى عدَّة أمانات بالقصر للكاميين من جند إفريقية ، والأتراك ، والقضاة ،
والشهود ، وسائر الأولياء والأمناء ، والرعية ، والكتاب ، والأطباء ، والخدام السود ،
والخدام الصقالبة ؛ لكل طائفة أمان .

وحول سائر مائِ دُورِ حُسَيْن بن جَوهر وعبد العزيز بن النعمان إلى القصر بعد أن احصاه
القاضي مالك بن سعيد وضبطه .

وقرئ سجلٌ بقطع مجالس الحكمة التي كانت تُقرأ على الأولياء في يومي الخميس
والجمعة . .

وقرئ سجلٌ في الجامع العتيق بإقبال الناس على شأنهم وتركهم الخوض فيما لا يعينهم
وسجلٌ آخر بردة التشويب في الأذان ، والإذن للناس في صلاة الصلح وصلاة القنوت . ثم
جُمع في سائر الجوامع وقرئ عليهم سجلٌ بأن يتركوا الأذان يحيى على خير العمل ، ويزاد في
أذان الفجر : الصلاة خير من النوم ؛ وأن يكون ذلك بين مؤذني القصر عند قولهم :
السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله ؛ فامتثل الناس وعمل .

-(١) استجار بحسان بن الجراح فأجاره . بعد أن امتنع منه إلى قصيدة يمدحه بها ويؤكد فيها شهادته وكرمه مع
المستعدين . وكذلك أبو القاسم علماً أفيها بلغنا على ذكائه جم وبراعة في الكتابة ، فأقام لدى ابن الجراح فترة ثم رحل إلى العراق
على زمن القائد بالله ، وتولّى الوزارة للأمير قرواش أمير بني عقيل بالموصل . ودفع بالكوفة . ذيل تاريخ دمشق : ٩٢ : ٩٤

وسار محمد بن نزال بعسكر إلى الشام^(١) .

وقرى سجلٌ مُنلَّد فيه بشرب النبيذ وجميع أنواع المسكر .

وصلى الحاكم بالناس في المصلَّى صلاة عيد الحر ، وخطب ونحر ، وحضر السَّمَاط على رسمه .

وقرئت عدة أمانات بالقصر .

وفيه سارت المساكر بعدة مواضع تطلب قائد القواد حسين بن جوهر وصهره عبد العزيز ، وشاع الخبر بأنَّه عند بني قرة .

وقرى سجلٌ في الجوامع بالرخصة فيما كان يُشدد فيه في الجمعة الماضية من أمر النبيذ .
وقُتل في هذه السنة عنة كثيرة من الخدَّام والفراشين والكتاب وغيرهم .

ومات أبو منصور بشر بن عبيد الله بن سُورين كاتب السجلات في صفر . وتوفى صقر اليهودي ، طبيب الحاكم في ربيع الآخر . وتوفى أبو عبد الله اليمنى المؤرخ ، وله تاريخ النحاة ، وسيرة جوهر القائد . وقُتل أبو الفضل صالح بن علي الروباري ليلة الثاني عشر من شوال . وقُتل غالب بن هلال متولّي الشرطتين والحسبة في شوال .

(١) واليه عليها بعد عزل القائد حامد بن ملهم ، ولكنه لم يلبث أن عزل في رمضان من نفس السنة (٤٠٠ هـ) .

ذيل تاريخ دمشق : ٦٦ .

في رابع المحرم صُرف ابن عبّون النصراني ، وخُلع على أحمد بن محمد القشوري الكاتب ، وقرئ سجله في القصر بأنّه تقلّد الوساطة والسّفارة بين أولياء أمير المؤمنين الحاكم وبينه ، وأمّر الرّعايا ، وقوّضت له الأمور وعُول عليه فيها .

وكان سببُ صَرْفِ ابن عبّون عن الوساطة والسّفارة أنّ كُتِبَ الحاكم تَكَرُّرٌ إلى قائد القواد حسين بن جوهر وإلى صهره عبد العزيز بن النعمان بأنّهم وعوْدُهم ، فأبى ابن جوهر أن يدخل وابن عبّون واسطة ، وقال : أنا أحسنت إليه أيام نظرى فسعى فيّ إلى أمير المؤمنين ونال مني كلّ مَنَال ؛ لا أعود أبداً وهو وزير . فصُرف لذلك ، وحضر حسين وعبد [١٦٤] العزيز ومن خرج معهما ، فنزل سائر أهل الدولة إلى لقائه ، وتلقّته الخلع ، وأفيضت عليه وعلى أولاده وصهره عبد العزيز بوقيد بين أيديهم الدواب . فعندما وصلوا إلى باب القاهرة ترجّلوا ومشّوا ، ومشى معهم سائرُ الناس إلى القصر ، فمشلوا بحضرة الحاكم ، ثم خرجوا وقد غُصِي عنهم . وأُذِنَ للحسين أن يكتِّبَ بقائد القواد ، ويكون اسمه تالياً لقبه ، وأن يخاطب بذلك ؛ فانصرف إلى داره ، فكان يوما عظيما . وحُمِلَ إليه جميعُ ما قبض له من مال وغيره ، وأنتم عليه . وواصل هو وعبد العزيز الركوب إلى الفهر .

وكتّب لابن عبّون أمان خطّه الحاكم بيده ، وكان يقول عنه : ما خدمني أحد ولا بلغ في خدمته ما بلغه ابن عبّون . ولقد جمع لي من الأموال ما هو خارج في أموال النوايرين ثلاثمائة ألف دينار .

(١) ويوافق أول المحرم منها الخامس عشر من أغسطس سنة ١٠١٠ .

وأقام ابن القشورى على رسمه ينظر عشرة أيام ، إلى ثالث عشره ، فبينما هو يوقع
إذ قبض عليه وضربت رقبته من أجل أنه بلغ الحاكم عنه أنه يبالغ في تعظيم حسين بن
جوه ، وأكثر من السؤال في حوائجه .

وفى يومه أجلس أبو الخير بن زُرْعَة بن عيسى بن تَسْطُورس الكاتب النصرانى
فى مكان ابن القشورى ، وأمر أن يوقع عن الحاكم فى أوامره ، فجلس ونظر فى الوساطة
والسفارة بغير خِلَع . ومنع من الركوب فى المراكب بالخليج ، وسدت أبواب القاهرة
التي مما إلى الخليج ، وأبواب الدُور والطاقات المطلّة عليه والمُخَوخ^(١) .

وخُلع على قاضى القضاة مالك ، وقُدِّد النظر فى المظالم مع القضاء ، وقرئ سجله بالجامع .
وكُتِب سجلّ بإعادة مجالس الحكمة . وأخذ النحوى^(٢) . وشُدِّد على النصارى فى لبس
الغيار بالعمائم الشديدة السواد ، دون ما عداها من الألوان .

وليه قبض على حسين بن جوه وعبد العزيز بن النعمان ، واعتُقِلا ثلاثة أيام ، ثم
حلفا أنهما لا يغيبان عن الحضرة وأشهدا على أنفسهما بذلك ، وأُفرج عنهما ، وحلف لهما
الحاكم فى أمان كتبه لهما .

واحتُقل ابن عبثون ، وأمر بعمل حمامه ، ثم ضُربت عنقه وقُبض ماله .

(١) الشريعة بضم الخاء الأولى الكثرة تؤدى القسوة إلى البيت ، وخرق ما بين كل دارين عاصيه باب . القاموس

المعجم .

(٢) أبو ظاهر عمود بن محمد النحوى من أهل بغداد ه قدم إلى مصر وتعاون مع ابن النداس ضد عهد بن إبراهيم
النصرانى حتى قتل الحاكم وول ابن النداس مكانه فى النظار وول النحوى الشام . ولم يلحق أن صار إلى ماصار إليه لهد .
إذ دبر الحاكم قتل ابن النحوى بالرمة فضربت عنقه وأُرسلت إلى مصر ثم ضربت عنق ابن النداس . واجع ابن القلائس ؛
ذيل تاريخ دمشق : ٨٨ وما بعدها .

وفى سابع عشر صفر وصل الحاج من غير زيارة المدينة النبوية ، فأمر أن يكون مسير الحاج للثعبان من شوال^(١) وأن يبدلوا بزيارة المدينة ، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال .

وفى سابع ربيع الآخر خلع على زُرعة بن عيسى بن نسطورس ، وحُبل ، وقرئ له سجل في القصر لقُب فيه بالشافي .

وخلع على أبي القاسم على بن أحمد الزيدى ، وقرئ له سجل بنقابة الطالبين^(٢) .

وقرئ سجل في سائر الجوامع ، فيه النهي عن مُعارضة الإمام فيما يفعله ، وترك الخوض فيما لا يفي ، وأن يؤذن بحى على خير العمل ، ويترك من أذان الصبح قول : الصلاة غير من النوم ، والمنع من صلاة الضحى وصلاة التراويح ، وإعادة الدعوة والمجلس على الرسم . فكان بين المنع من ذلك والإذن به خمسة أشهر .

و ضرب جماعة وشُهِروا لبيعهم الملوخية والسّمك الذى لا قشر له . وقبض على جماعة بسبب بيع التبيل واعتقلوا ، وكُتبت مواضع ذلك . ومنع النصارى من الغطاس فلم يتظاهروا على شاطئ البحر بما جرت عادتهم به .

وفى ثانى عشر جمادى الآخرة ركب حسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان على رسمهما إلى القصر ، فلما خرج التسلم قيل لحسين وعبد العزيز وأبى على أخى الفضل ،

(١) كانت العادة قبل سنة ٢٩٤ أن يسير الحاج في منتصف ذى القعدة ، فصدر مرسوم حاكى في سنة ٢٩٤ بأن يتقدم سيره إلى أول ذى القعدة ، وقد نفذ هذا سنتين ، ففى سنة ٢٩٦ خرجت قافلة الحاج في منتصف ذى القعدة ، ثم بعد ذلك حول هذا التاريخ ، حتى صدر مرسوم هذه السنة : ٤٠١ ، بأن تخرج القافلة منتصف شوال .

(٢) نقابة الطالبين هيئة رسمية أنشأها الفاطميون للنظر في شئون الملوك ، وكان يتولى رئاستها واحد من كبار شيوخهم وأتباعهم قدار ، يسهر على صحة الأنساب وإثباتها ورعاية مصالح الملوك وعود مرشاهم والسير في جنازهم . وعرفت هذه النقابة فيما بعد باسم نقابة الأشراف ، ولها نظير في القسم الشرق من البلاد الإسلامية ، في ظل الباسين . النجوم الزاهرة ، الحاكم بأمر الله عهد عبد الله حاتم .

أطيعوا لأمر تريده الحضرة منكم . فجلس الثلاثة وانصرف الناس ، فقبض على ثلاثتهم وقتلوا في وقت واحد ، وأحيط بأموالهم وضياعهم ودورهم ؛ فوجد لحسين بن جوهري في جملة ما وجد سبعة آلاف مبطنة حريرا من سائر أنواع اللباج والعتابي وغيره ، وتسع مئزر صيني مملوءة حب كافور فنصوري وزن الحبة الواحدة ثلاثة مثاقيل . وأخذت الأمانات والسجلات التي كتبت لهم . واستدعى أولاد حسين وأولاد عبد العزيز ووعدوا [٦٤ ب] بالجميل ونخل عليهم ، وحملوا على دواب .

وفيه ذبحت نعجة فوجد في بطنها حمل وجهه كوجه انسان .

وفي شعبان وقع قاضي القضاة مالك إلى سائر اليهود بخروج الأمر العالي المظلم أن يكون الصوم يوم الجمعة والعيد يوم الأحد .

واشتد الأمر في منع المسكرات ، وتنشيع مواضعها . وأبطلت عدة جهات من جهات المكوس والرسوم . ومنع الفناء واللهو ، وأمر ألا يتابع مقنية ؛ وألا يجتمع الناس في الصحراء ومنع النساء من الحمام . وأن يكون الخروج للحج في سابع شوال .

وركب الحاكم لصلاة العيد على رصمه .

وفي ثاني شوال سار على [بن جعفر] بن فلاح بالعساكر لقتال حسان بن علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح عند هزيمته ياروخ وقبضه عليه وعلى أصحابه بالرملة ؛ فقاتلهم في ثالث عشره وقتل منهم وظهر عليهم ؛ وخلع طاعة الحاكم ، وأقام الدعوة لأبي الفتح حسين بن جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحنسي ، أمير مكة . وقتل ياروخ ^(١) .

(١) سبب خروج بني الجراح أن ابن ميمون الكاتب المتصرف سعى بين المفرد عنه الحاكم بقتل أعزى الوزير أبي القاسم وثلاثة من أهل بيته ولجأ الوزير إلى حسان بن الفرج بن دغفل بن الجراح ، ثم حسن له أن يخرج عن طاعة الحاكم ففعل هو وقومه وقتلوا عامل الحاكم على الرملة ، ودعوا للحنسي المذكور في القتل وقتلوه الراشد باقه . فأرسل الحاكم إليهم جيشا بقيادة ياروخ المذكور الذي هزم بين رنح والداوم ، ونقل ياروخ إلى الرملة وقتل بها صبغا . فلجأ الحاكم إلى الدبلوماسية حتى نجح في إصلاح الأمور . نهاية الأرب .

وفيه تأخر الحاج إلى نصف ذى القعدة ، فخرجوا في سابع عشره ، ورجعوا في ثالث عشره من القلزم ؛ فلم يحج أحد من مصر في هذه السنة .

وصلى مالك بن سعيد بالناس صلاة عيد النحر ، وخطب ، ونحر في المصل والملاعب مدة أيام النحر . ولم يركب الحاكم ولا نحر .

وفيها مات أبو الحسن علي بن ابراهيم الترمي نقيب الطالبين في رابع ربيع الآخر وقد أناف على السبعين .

وقتل فيها من الكتاب والرؤساء والخدام والعامة والنساء عدد كثير جدا ؛ قتلهم الحاكم .

وفيها خطب قرواش بن المقلد بن المسيب ، أمير بني عقيل^(١) ، للحاكم بالموصل والأربار والمدائن والكوفة وغيرها ؛ فكان أول الخطبة : « الحمد لله الذى أنجّلت بنوره غمرات الغضب ، وأنهت بمعظمته أركان النصب ، وأطلع بقدرته شمس الحق من المغرب » . ثم بطلت الخطبة بعد شهر وأعيدت لبني العباس .

(١) قرواش بن مقلد بن المسيب العقيليّ ثانی أمراء المقلدین الذين حكموا الموصل وما التحق بها بين سنّ ٣٨٦ - ٣٨٩ (٩٩٦ - ١٠٩٦) . ولقب قرواش بمحمد الله ، أما أبوه مقلد ، أول أمراء هذه الأسرة ، فكان يلقب حسام الدولة . انظر : *Mohammadan Dynasties* . وقد أحضر قرواش الخطيب يرم الجسعة رابع المحرم وخلع عليه ثياب ديبقيا وعمامة صفراء وسراويل ديبقيا أحمر وخفين أحمرين وقلعه سيفاً وأعطاه نسخة ما يخطب به . وتجيد نص الخطبة في النجوم الزاهرة : ١ : ٢٢٥ - ٢٢٧ .

سنة اثنتين وأربعمائة^(١) :

في المحرم قُلت الشريطان لمحمد بن نزال ، وأُمر بتتبع المنكرات والمنع منها ، وأُلبى بياض زبيب أكثر من خمسة أطلال ، ولا تباع الجرار . ومُنِع التصاري من الاجتماع في عيد الصليب^(٢) ، وأن يظهروا في المضي إلى الكتائب .

وأوفى النيل سنة عشر ذوا في ربيع عشر صفر ، وهو سادس عشر توت .
وفي تاسع ربيع الآخر شُلع على عَيْن الخادم وقُلت بسيف ، وقرئ سجله بأنه لُقّب بقاتل القواد فلْيَكْتَبْ بذلك ويكْتَبْ به ؛ وقيدَ معه عشرة أفراس بسروجها ولُجْمها .
وهنمت اللؤلؤة^(٣) .

وفي جمادى الآخرة شُبع بيع قليل الزبيب وكثيره ، وكُوْنِبَ بالمنع من حمله ، وأُنقِى النيل منه شئ كثير .

وفي رجب قُطع الرسم الجارى من الخبز والحلوى الذى كان يقام في الثلاثة أشهر من يبيت بجامع القاهرة في ليالى الجمع والأنصاف . وحضر القاضي مالك إلى جامع القاهرة في ليلة النصف من رجب . واجتمع الناس بالقرافة^(٤) على عاديهم في كثرة اللعب والمزاح .

(١) ويوافق أول المحرم منها الرابع من أغسطس سنة ١٠١١ .

(٢) ويحتفل به في اليوم السابع عشر من شهر توت وكان من الأعياد المستحقة ، وسببه عدم ظهور الصليب على يد هيلانة أم الإمبراطور تسطنطين : الخطط : ١ : ٢٦٦ .

(٣) منظره للقاصدين على الخليج كانت تعرف باسم قصر اللؤلؤة ، بالقرب من باب القنطرة ، وكانت من أهم المبالى المائية وأعظمها زخرفة كانت تُشرف من شرقها على البستان الكافورى ومن غربها على الخليج الذى لم يكن فيه من المبالى شئ ، فكان الجالس في المنظره يشرف على البساتين المترامية وجميع أرض الحبالا وسائر أرض القوق ، بناها العزيز بالله . الخطط : ١ : ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(٤) هي في الأصل المقبرة الإسلامية التى أنشأها ابن العاص بأمر ابن الخطاب في سفح المقطم ؛ وكان المقوقس قد سأل ابن العاص أن يبنيه ليأبى بسبعين ألف دينار لأن جوارح الجثة . والقرافة هم بنو هعمن بن سيف بن وائل بن المخاض^(٥) ، وقيل قراة اسم امرأة من بني وائل . ويذكر ياقوت أن القرافة مقبرة عظيمة بمصر لتقيلة من المغافير لم لم ينو قراة .

وقرئ: سجل في القصر بأنَّ أحدًا لا يلتصق من أمير المؤمنين زيادة رزق ولا صلة ولا إقطاع ولا غير ذلك من المنافع .

واستهلَّ شعبان يوم الاثنين ، فأمُر أن يُجعل أوَّلُه يوم الثلاثاء ؛ وأخذ جميعُ ما عند التجار من السلاح بضمنه للخزانة . ومُنِع النساء من الخروج بعد العشاء الآخرة .

وفي ليلة النصف من شعبان كثر إيقادُ القناديل في المساجد ، وتنافس الناس في ذلك .
وصلى مالك بن سعيد بالناس صلاة العيد .

وتشدَّد الأمر في الإنكار على بيع الفقاق والملوخية والسَّمك الذي لا تشر له . ومُنِع الناس من الاجتماع في السَّتم ومن اتِّباع الجنائز . وأُحرق زبيب كثير كان في محارق التجار . وجمع الشرطنج من أماكن متعددة [١٦٥] وأُحرق . وجمع الصيادون وحلَّقوا أنهم لا يصطادون سمكا بغير قشر ، ومن فعل ذلك ضُربت رقبته . وتَوَالَّى إحراقُ الزبيب عدة أيام بحضرة الشهود ؛ وتَوَلَّى مؤنة الإنفاق على حمله وإحراقه متوَلَّى ديوان النفقات ؛ فأُحرق منه ألفان وثمانمائة وأربعون قطعة بلغت مؤنة الإنفاق عليها خمسة آلاف دينار في مدة خمسة عشر يوما .

وقرئ: سجل بمنع الناس من السفر إلى مكَّة في البرِّ والبحر ، ومن حَمَلَ الأمتعة والأقوات إليها ؛ فردُّ قومٍ خرجوا إلى الحجِّ من الطريق .

« وقد أصبحت القرافة من المنزهات الجميلة المارة أيام الغاملين ، ذلك أن الرؤساء كانوا يلزمون جامع الأولياء بها في الصيف ويحضرهم الحلاوى والأشربة والجرايات ، فكثُر الطفليُّون به وانتشرت المساجد وعمرت المنطقة لأجل ما يحصل إليها وما يصل فيها من الحلاوات والهرومات والأطعمة وقد قيل فيها :

إن للقرافة قد حوت حدين من فيها وأخرى ، فهي نعم المسؤل
يشي الخليج بها السباع مواصلا ويطوف حول قبولها المتطل

الخطط : ٧ : ٤٤٣ - ٤٤٥ .

ومرض غين الخادم ، فركب الحاكم لعيادته ، وسير إليه خمسة آلاف دينار وخمسة وعشرين فرسا مُسَرَّجة مُلجِمة ؛ وقُلَّد الشرطة والحسبة بمصر والقاهرة والجزيرة . والنظر في جميع الأموال والأحوال . ونزل إلى الجامع العتيق ومعه سائر السكر يخلعه ، وقرئ سِجِّله وفيه تشدُّده في المسكرات والمنع من بيع الفقاع والملوخية والسلك الذي لاقتصر له ، والمنع من الملاهي ومن اجتماع الناس في المسائم واتباع الجنائز ، والمنع من بيع العسل إلا أن يكون ثلاثة أرطال فما دونها .

وفي ذى الحجة وردت هدية تُنمِّي على العادة في كل سنة .

ولم يركب الحاكم لصلاة عيد النحر ، فعلى بالناس مالك بن سعيد وخطب . ولم يخرج من النساء إلى الصحراء فلم تُر امرأة على قبر .

ومُنِع من الاجتماع على شاطئ النيل ، ومن ركوب النساء المراكب مع الرجال وغروجهن إلى مواضع الحرج مع الرجال . وفيه حُمِل عيد الغدير على رسمه وفُرِّقَت فيه دراهم كثيرة .

ومنع من بيع العنب وألأ يُتجاوز في بيعه أربعة أرطال ، ومنع من اعتصامه ، فبيع كلُّ ثمانية أرطال بلدرم ، وطُرح كثير منه في الطرقات ، وأمر بدَنُوسه ؛ ومنع من بيعه ألبنة ، وغُرِّق ماحمل منه في النيل . وبعث شاهدين إلى الجيزة فأخذ جميع ما على الكروم من الأعناب وطرحته تحت أرجل البقر لدَنُوسه ، وبعث بذلك إلى عدة جهات . وتُبَّع مَنْ يَبِيعُ العنب ، واشتد الأمر فيه بحيث لم يستطع أحد بيعه ؛ فاتفق أن شيخا حمل خمرا له على حماز وهرب ؛ فصَدَّقَهُ الحاكم عند قاتلة النهار على جسر ضيق ، فقال له : من أين أتيت ؟ قال من أرض الله الضيقة . فقال : يا شيخ ، أرض الله ضيقة ؟ فقال : لو لم تكن ضيقة ما جمعتني وإياك على هذا الجسر . فضحك منه وتركه .

ولمّا أخذ بنو قريجه هدية ياديس بن المنصور صاحب إفريقية وزحفوا إلى برقة ،
ففرّ عاملها في البحر وقتحوها . وفيه نزع السر .

وفيها مات أبو القاسم وليّ الدولة ابن خيران الكاتب في شهر رمضان .
وانتهى ماء النيل في زيادته إلى ستة عشر ذراعاً ونصف [ذراع^(١)] .

(١) في هذه السنة في شهر ربيع الآخر عقد القادر بالله ، الخليفة الباسي ، مجلساً أسفّره عدداً من السلاطنة والأشراف
ببغداد للعلم في صحة نسب الداعين إلى بيت النبوة ، فذهبوا جميعاً أن التاجيم بمصر ، وهو منصور بن نزار الملقب بالخاكم
— حكم الله عليه باليوار والتمزي والتمكال — ابن سعد بن إسماعيل بن حبل الرحمن بن سعيد — لا اسمه الله — لأنه لما صار إلى
المغرب نسي اسمه الله وتلقب بالمهدي هو ومن تقدمه من سلالة الأرجاس الأنجاس — عليه وعليهم اللعنة — أدماء عوارج
لانسب لهم في ولد حل بن أبي طالب . . . ونجد تفصيل ذلك وقصته في كتب كثيرة منها الجزء الأول من هذا الكتاب ، وفي
التجويد الزاهرة : ٤ : ٢٢٩ — ٢٣١ ، والكمال لابن الأثير : ٩ : ٨١ .

سنة ثلاث وأربعمئة^(١) :

في محرم نُخِمْ على مخازن العسل وجميع ما عند التجار والبيعة منه ؛ وُفِعت مكوسُ الساحل . ومنع الناس من عمل حُزْن عاشوراء . وُغُرِقَ في أربعة أيام خمسة آلاف وواحد وخمسون زيراً من أزيار العسل . ونَزَعَ السر ، وكثُرَ الازدحام على الخبز ، ففرَّق الحاكم مالاً على الفقراء . وكثر ابتياع الناس للسيوف والسكاكين والسلاح ، وحَمَلَه من لم يحمله قطُّ من العراِمِ والصُّنَاعِ ، وكثر الكلام فيه ، فقرأُ سجلُّ على منابر الجوامع بتطمين الناس وإعراضهم عن سماع أقوال المرجفين .

وفي ثاني ربيع الأول خُلع على أبي الحسن على [بن جعفر] بن فلاح ولقب قطب الدولة ، وقرأ له سجل بالتقدّم على سائر الكتائب والنظر في أحوالهم ، والسفارة بينهم وبين أمير المؤمنين . وحُمِلَ على فرس وبين يديه ثياب .

وهلك زُرْعَة بن عيسى بن تَسْطُورس من حُلَّتِه في ثاني عشره ، فكانت مدّة نظره في الوساطة سنتين وشهراً ، فتأسف الحاكم على فقدته من غير قتل ، وقال ما أسفت على شيء قطُّ أسفني على خلاص ابن نسطورس من سيفي ، وكنت أودُّ ضَرْبَ حنقه ، لأنّه أفسد دولتي ، وخانني ونافق عليّ ، وكتب إلى حسان بن الجراح في المداجاة [٦٥ب] عليّ وأنه يبعث من يهرب به إليه .

وشُخِعَ علي إخوته الثلاثة وأُقرّوا على ما يأمّريهم من الدولين . وأمر النصارى إلا الحبايرة بلبس المعائم السود والطيايسة السود ، وأن يعلّق النصارى في أعناقهم صلبان الخشب ، ويكون ركب مُروّجه من خشب ، ولا يركب أحد منهم خيلاً ، وأنهم يركبون البغال

(١) ويوافق أول المحرم منها الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٠١٢ .

والحمير ، وألّا يركبوا السروج واللجم محلاةً ، وأن تكون سروجهم ولججهم بسيور سود ، وأنهم يشدون الزنانير على أوساطهم ، ولا يستعملون مسلما ، ولا يشترون عبدا ولا أمة ، وأذن للناس في البحث عنهم وتتبع آثارهم في ذلك ، فأسلم عدة من النصارى الكتاب وغيرهم . وشدد الأمر عليهم ، ومنع المكاريون من تركيبهم ، وأخذوا بتسوية السروج والخفاف ومنعوا من ركوب النيل مع نواتية مسلمين .

واستدعى الحاكم حسين بن طاهر الوزان - وكان منقطعا إلى غين الخادم الأسود - وعرض عليه الوساطة فاجاب بشرطة أن يكون لكل قبيل من طوائف العسكر زمام عليهم يرجعون إليه ، ويكون نظره على الأزمة ، فيجعل لكل طائفة يوما ينظر في أمورهم وخاصة زمامهم فقط ، ففعل ذلك ، وخلع عليه . وفوض في الوساطة والتوقيع ، وقرئ سجله بالقصر في تاسع عشر ربيع الأول . وأمر الحاكم فنقش على خاتمه : بنصر الله العظم الولي^(١) ينتصر الإمام أبو علي .

وفيه أمر النصارى بعمل ركب السروج من خشب الجبّيز .

وقُبض على جماعة بسبب اللعب بالشطرنج وضربوا وحبسوا .

وألزم النصارى أن يكون الصليب الذي في أعناقهم طوله ذراع في مثله ، وكثرت إهاناتهم وضيق عليهم ، وأمروا أن تكون زنة الصليب خمسة أرتال وأن يكون فوق الثياب مكشوبا ، ففعلوا ذلك . ولما اشتدّت عليهم الأمور تظاهر كثير منهم بالإسلام ، فوقع الأمر بهدم الكنائس^(٢) ، وأقطعت بجميع مبانيها وبمآلها من رباع وأراض لجماعة^(٣) ، وعملت مساجد وأذن في بعضها وبيعت أوانيها . ووجد في المعلقة^(٤) بمصر وفي كنييسة

(١) في الأصل بنصر الله العظيم الولي . . . والتبت هنا أول وأخير وهو مأخوذ من المخطوط : ٢ : ٢٨٧ - ٢٨٨ ، ويوافق ما جاء في نهاية الأرب .

(٢) فقال جماعة من النصارى أن يتولوا هدم كنائسهم بأنفسهم وأن يبنوها مساجد . نهاية الأرب .

(٣) من الصقالبة والفراشين والسعدية ، ولم يرد سؤال من سأله شيئا منها . نهاية الأرب .

(٤) كنيسة المعلقة بمدينة مصر في خط قصر الشيخ ، حل اسم البنية مرم الفناء . انطلس : ٢ .

يو شئونه مال جزيل من مصاغ وثياب وغيره . وتتابع هدم الكنائس ، وكتب إلى الأعمال بهلما فهلمت .

وأشيع سير أبي الفتوح أمير مكة من الرملة إلى الحجاز ، وكان قد قدم إليها فباعه ابن الجراح ولقبه بالراشد بالله أمير المؤمنين ، ودعا له بالرملة^(١) !

وفي جمادى الأولى لقَّب الحسينُ بن طاهر الوزان بأمين الأمناء وكتب له سجل بذلك . وظهر لحسين بن جوهر مال عظيم ، فلأنهم به الحاكم على ورثته ولم يعرض لشيء منه .

وفي ذلك الحين كان وصولُ أبي الفتوح إلى مكة وإقامته الدعوة للحاكم بها ، وضربت السكة باسمه . وابتدأ مالك بن سعيد بعمل رصده^(٢) فلم يتم .

وفي جمادى الآخرة اشتد الإنكار بسبب الفقاع والريب والسمك . وقُبض على جماعة فاعتقلوا وأمر بضرب أعناقهم ، ثم أطلقوا . وتشدد في [منع]^(٣) ذبح الإيقار السالة من العيب ومنع النساء من الغناء والتشيد . وأقطعت الكنائس والديارات بنواحي بمصر لكل من التمسها .

(١) وكان أبو القاسم الوزير المنوب الذي خرج على الحاكم وقد غلب الجمة التي بوع فيها لأبي الفتوح بالخلافة ، وانفتح الخطبة بالآيات الأولى من سورة القصص : « ولم تلك آيات الكتاب المبين » فنظر عليك من لبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . . . والآيات وأشار إلى مصر ، يعني الحاكم بأمر الله . وسبب حودة أبي الفتح إلى مكة أن الحاكم لجأ إلى ملازمة بني الجراح بعد أن فشل في محاربتهم ، فأدرك أبو الفتح أنه لا مقام له إذا تم الصلح فادعى أن أخاه قد قار بمكة وأن واجبه يلحوه إلى العودة إليها لإخاد الخوذة . انظر تفصيل ذلك في نهاية الأرب .

(٢) الرصد مكان مرتفع يطل من غريبه على رашدة ومن قبليه على بركة الخيش ، يصبه من رآه من ناحية راشدة جهلا ، وهو من شرقيه سهل يتوصل إليه من القراقة دون ارتقاء . وقد بدأ عمل الرصد في عهد الحاكم لكنه لم يتم فأتمه الأفضل بن بدر الجبال إذ أقام فوقه كورة لرصد الكواكب . وسبب اهتمام الأفضل بذلك أنه حل إليه تقويم سنة خباسة لهجرة ، قيل مائة تقويم فوجد فيها اختلافا كبيرا ، فأنكر ذلك وجمع أهل العلم والحساب وسأل من السبب فقبل له التقويم الشامي بحسب على رأي التزيج المأمون المهجور ونحن نعمل على رأي التزيج الحاكمي وهو أحدث وأصح ، وأشاروا عليه بسل رصد مستجد يصحح الحساب وتحصل به القاطعة والسمة والذكر الباقي . فشرع في ذلك وأتمه . الخطط : ١ : ١٢٥ - ١٢٨ .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق .

وفي رجب قرئ سجل بمنع الناس من تقبيل الأرض للحاكم ، بمنعهم من تقبيل ركبته ويده عند السلام عليه في المواكب ، والانتهاه عن التخلُّق بآخلاق أهل الشرك من الانتحاض إلى الأرض فإنَّه صنع الروم ، وأمروا أن يكون للسلام عليه : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . ونُهِوا عن الصَّلَاة عليه في المكاتب والمخاطبة ، وأن تكون مكانيَّتُهم في رقايعهم ومراسلاتهم بإنهاء الحال ، ويقتصر في الدعاء على سلام الله وتحياته وتوَالِي بركاته على أمير المؤمنين ، ويدعى له بما سبق من الدعاء لا غير . فلما كان يوم الجمعة لم يقل الخطيب سوى : اللهم صلِّ على محمد المصطفى وسلِّم على أمير المؤمنين على المرتضى ، اللهم وسلِّم على أمراء المؤمنين آباء أمير المؤمنين ، اللهم اجعل أفضل سلامك على [١٦٦] سرِّك وخليفتك .

وأنزل من القصر سبع صناديق فيها ألف ومائتان وتسعون مصحفاً إلى الجامع العتيق ليقرا فيها الناس . وأحصيت المساجد التي لا غلَّة لها فكانت ثمانمائة مسجد وتيف ، فأطلق لها في كل شهر تسعة آلاف ومائتا درهم وعشرون درهما ، لكل مسجد اثنا عشر درهما . ومنع من ضرب الطبول والأبواق التي كانت تُضرب حول القصر في الليل ، فصاروا يطوفون بغير طبل ولا بوق . وأنزل إلى جامع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفاً . وأبطلت مكوس الحسبة ، وأذن للناس بالتأهب للحج في البر والبحر .

وفي رمضان صلى الحاكم بالناس مرَّة في جامعہ براشدة ، ومرة بجامعه خارج باب الفتوح

وفيه ظهر جراد كثير حتى أبيع في الأسواق . وصلى بالجامع العتيق بمصر جمعة ، وهو أول من صلى فيه من الخلفاء الفاطميين . ومنع النساء من الجلوس في الطرقات للنظر إليه . وأخذ القصص^(١) بيده ووقف لأهلها وسمع كلامهم ، وخاطله التَّوَّام وحالوا بينه وبين

(١) القصص هي الرقاق التي يكتبها أصحاب المظالم يحكون فيها ما وقع بهم من ظلم ويغالون فيه .

موكبه . واستمأحه قوم فوصلهم بصلات كثيرة ، وأهدى إليه قوم مصاحف فقبلها وأجازهم عليها . ووقف عليه اثنان من تربة عمرو بن العاص وشكوا أن حبسهما قبض عليه للثيوان من أيام العزيز ، فخلع عليهما ووصلهما بألف دينار . وكثرت في هذا الشهر إنعاماته ، فتوقف أمين الأمانة حسين بن طاهر الوزان في ذلك ، فكتب إليه الحاكم بخطه بعد البسملة :

الحمد لله كما هو آياه .

أصبحت لا أرجو ولا أتقى سوى إلهي ، وله الفضل

جسدي نبوي ، وإمامي أبي وديعي الإخلاص والعادل

المال مال الله عز وجل ، والخلق عباد الله ، ونحن أمانؤه في الأرض . أطلق أرزاق الناس ولا تطفئها . والسلام .

وركب في يوم الفطر إلى المصلّى بغير شيء مما كان يظهر في هذا اليوم من الزينة والجنائب^(١) ونحوها ، فكان في عشرة أفراس جياذ بين يديه بسروج ولجم محلّة بالفضة البيضاء الخفيفة ، ومظلة بيضاء بغير ذهب ، وغليه بياض بغير طرّز ولاذهب ولاجوهر في عمامته ، ولم يُقرش المنبر .

وفيه وقعت فتنة بين طوائف المسكر شهِروا فيها السلاح ، فركب الحاكم وأصلح

بينهم

وولد لعبد الرحيم بن إلياس [ابن]^(٢) عم الحاكم مولود فبعث إليه ثلاثة أفراس مسرجة

(١) الجنائب جمع جنيب وهو الخيول التي كانت تدير وراء السلطان أو الخليفة لاحتمال الحاجة إليها . انظر محيط

المحيط ٤ : Dozy, Supp. Dict. Ar.

(٢) ملين الحاصرتين ساقط من الأصل والتصحيح استانة بما سيجي" بعد قليل ، وبما جاء في الخطط : ٢ : ٢٨٨ ؛

وبما ساء في النجوم الزاهرة : ٤ : ٢٣٥ .

ملجمة ومائة قطعة من الثياب وخمسة آلاف دينار عينا وسائر ما كان لأبيه أنى الأشبال الترفى ، وكان شيخا جليلا .

ومنع الناس من سب السلف وضرب في ذلك رجلٌ وشهرٌ ، وتدوى عليه : هذا جزاء من سب أبابكر وعمر ، وتبرأ الناس . فشق هذا على كثير من الناس ، وتجمعوا يستغيثون بباب القصر : لاطاقة لنا بمخاصمة أحد أو الصبر لكل ماجرى ؛ فصرفوا ونهوا ، فمضوا وهم يستغيثون في الطرقات . فقرأ سِجْلُ بالقصر فيه الترحم على السلف من الصحابة والنهْيُ عن الخوض في مثل ذلك . ورأى في طريقه وقد ركب نَوْحًا فيه سبٌ على السلف فأنكره ووقف حتى قُلع . وتبع الألواح التي فيها شيء من ذلك ، فقلعت كلها ، ومضى ما كان على الحيطان منها حتى لم يبق لها أثر . وشدد في الإنكار على من يخالف ذلك ، ووعده عليه بالعقوبة .

وسارت قافلة الحاج في رابع عشر ذى القعدة إلى بِرَكَةِ الجُبِّ ثم رجعا من ليثهم (١) . وخلع على قطب التَّوَلَة أنى الحسن على بن فلاح وسار في عسكر لقتال ابن الجراح . وأَمَلَكَ ابنا عبد الرحيم بن إلياس بزواجي حسين بن جوهر ، وقرأ كتابهما في القصر ، وقد كتب في ثوب مصمت وفي رأس كل منهما بخط الحاكم : « يعقد هذا النكاح بمشيئة الله وعونه ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » . وخلع على ابني عبد الرحيم وحمل عنهما المهر وهو ألفا دينار .

وصلى الحاكمُ بالناس صلاة عيد النحر كهيئته في عيد الفطر ؛ ونحر عنه عبد الرحيم والمؤذنون يكبرون خلفه كما يفعلون بين يدي الحاكم ، والقاضي مالك إلى جنبه ومعه الرُحِم

(١) - لعل السر في رجوع الحاج به غروجهم -الفتنة- التي وقعت بين طوائف المسكر وخوف امتصاصها . أو لعل السبب أنهم خرجوا متأخرين عن الموعد الذي كان قد تحدت منه سنوات والذي كان سبب تعديده أنهم كانوا إذا خرجوا متأخرين لا يتكئون من زيارة الروضة الشريفة . وقد صدر مرسوم سنة ٤٠١ بالمرج في منتصف شوال وبالباء بزيارة الروضة الشريفة .

[٦٦ ب] ، وكلما رى الرمح لينحر به قبله قبل أن يبحر به ، فعل ذلك ثمانية أيام ، فبعث إليه الحاكم ثياباً جليلة وجواهر ثمينة ، وحمله على فرس بسرّج بالجوهر .
 وواصل الحاكم الركوب إلى الصحراء بحداء في رجله ، وعلى رأسه قُوْطَةُ . وكان يركب كل ليلة بعد المغرب . ووقف إليه خراساني يذكر أنه أخذ منه متاعاً برسم الخزائنة ولم يُدفع إليه ثمنه ، فدفع إليه جميع ما كان له وهو نحو خمسة آلاف دينار ، فشقّ به البلد ، وكثر الدُّعاء للحاكم . وحُمِلَ إلى عبد الرحيم عشرة آلاف دينار في أكياس مكتوب عليها : لابن عمنا وأعزُّ الخلق علينا عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهديّ بالله ، سلّمه الله وبلّغنا فيه ما نؤمّله .

وبعث إلى ملك الروم هدية مبلغ سبعة آلاف دينار .
 وفيها وصلت هدية الحاكم إلى نصير الدولة أبي مناد^(١) مع عبد العزيز بن أبي كُتَيْبَةَ لثلاث عشرة خلت من المحرم ، ومعه سجلٌّ بإضافة برقة وأعمالها إليه ، فخرج إلى لقائه ومعه القضاة والأعيان ، فكان يوماً مشهوداً .
 وفي أواخر رجب قُتلج أبو الفتوح يوسف بن عبد الله بن أبي الحسين أمير صقلية^(٢) ، فتعطلّ جانيبه الأيسر ، فقام بالأمر ابنه أبو محمد جعفر بن يوسف وكان بيده سجلّ الحاكم بولايته بعد أبيه ، ثم وصل إليه سجلّ لقب فيه تاج الدولة وسيف الملك . ثم أنفذ إليه تشريعاً ، وعقد له لواء ، وزيد في لقبه الملك .

وفي ذي القعدة مات مفرّج بن دغفل بن الجراح برتبة لُد^(٣) ، من فلسطين .

(١) أبو مناد باديس بن المنصور بن يوسف يكنى بن زبيري ، صاحب إفريقية في ظل الفاطميين بين سنتي ٣٧٦ - ٤٠٦ (٩٩٦ - ١٠١٦) . معجم الأنساب .

(٢) يسميه زامباور في معجم الأنساب ، أمبأدا حل مصادر متحدة ، أبا الفتح يوسف بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن ، ويذكر أنه اعتزل سنة ٣٨٨ ليخلقه جعفر بن يوسف ، أبو محمد المذكور في المتن . وهما من الولاة الكلبيين الذين حكموا صقلية بين سنتي ٣٣٦ - ٤٦٤ (٩٤٧ - ١٠٧١) مع شيء كثير من الاضطراب بسبب ضعف الفاطميين وتدخل النورمانديين .

(٣) يعرفها بقوت بأنها قرية قرب بيت المقدس من أرض فلسطين . معجم البلدان : ٧ : ٣٢٦ - ٣٢٧ . وهي الآن مدينة عطية .

في محرم أمر ألا يدخل يهودى ولا نصرانى الحمام إلا ويكون مع اليهودى جرس ومع النصرانى صليب . ونهى عن الكلام فى النجوم ، فتغيب عدة من المنجمين وبقى منهم جماعة وطردوا ، وحُذِر الناس أن يخضوا أحدا منهم ، فأظهر جماعة منهم التوبة فمضى عنهم ، وحُفِرُوا ألا ينظروا فى النجوم .

وأمر بخلق سائر القواوين وجميع الأماكن التى تباع فيها الغلال والفواكه وغيرها ثلاثة أيام من آخر حزن عاشوراء ، فلما كان يوم عاشوراء أغلقت سائر حوانيت مصر والقاهرة بأمرها إلا حوانيت الخيازين . ونزل الذين عادتهم النزول فى يوم عاشوراء إلى القاهرة من المنشدين وغيرهم أفرادا غير مجتمعين ولا متكلمين ، فما اجتمع اثنان فى موضع . وخرج الحاكم فى أمره وبنيته القاضى إلى بليس ، فنظر إلى العسكر المجهز مع على بن فلاح ، وعاد من الغد ، ورحل العسكر .

وأكثر الحاكم فى هذا الشهر من الصدقات وإعطاء الأموال الكثيرة جدا . وأغلق سائر محاليله وجواربه . وفتح فيه الخليج يوم السابع عشر من شمسرى والمساء على أربعة عشر ذراعا وغمانية أصابع .

وفى أول صفر صُرف القائد غين عن الشُرطتين والحسبة ، وتقلدها مظفر الصقلي حامل المظلة . وأذن لليهود والنصارى فى سيرهم إلى حيث ساروا من بلاد الروم . وورد الخير بوصول عساكر مصر ودمشق إلى الرملة وخروج العرب منها . وأمر ببناء جامع الإسكندرية وأطلق مالا كثيرا للصدقة والتفرقة .

وفيه جُمع سائر الناس على اختلالهم بالقصر وقرئ عليهم سجل بأن أبا القاسم

(١) ويرافق أول المحرم منها الثالث عشر من يوليو سنة ١٠١٣ .

عبد الرحيم بن إلياس بن أبي علي بن المهدي بالله أبي محمد عبيد الله قد جعله الحاكم بأمر الله ولياً عهد المسلمين في حياته والخليفة بعد وفاته ، وأمر الناس بالسّلام عليه وأن يقولوا له في سلامهم عليه : السلام على ابن عمّ أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين ، وتعيّن له محل يجلس فيه من القصر . ثم قرئ السّجل على منابر البلد وبالإسكندرية ، وبعث بذلك سجلاً إلى إفريقية ، فقرأه بجامع القيروان وغيره ، وأثبت اسمه مع اسم الحاكم في البُيُود والسكّة والطراز . فعظم ذلك على نصير الدولة أبي مناد باديس وقال : كَولاً أن الإمام لا يُعترض عليه في تدبير لكتائبه ألا يصرف هذا الأمر عن ولده إلى بني عمه .

وخلع على عبد الغني بن سعيد ودفع له ألف وخمسمائة دينار وخمس عشرة قطعة ثياب ، وحمل على بغلة [١٦٧] ولرفيقه مثل ذلك . وسير مع رسول متملك الروم هدية عظيمة .

وبلغ الحاكم أن أبا القاسم علي بن أحمد الزيدى النقيب عليه عشرون ألف دينار ، فوقع له بها ما عيّنه من الخراج ، وبعث له بثلاثة آلاف دينار أخرى .

وكثر ركوب الحاكم وهو بدراًعة صوف بيضاء وعمامة فُوطة ، وفي رجله حذاء عربي بقبالكين^(١) ، فأقبل الناس إليه بالرفقاع ما بين متظلم أو مُستمنح ، فلأجل في الصلوات والعطايا ما بين دور وفراهم وثياب ، فلم يرد أحد خائباً . ورد ما كان في الديوان من الصّبياع والأملاك المأخوذة لأربابها ، وأقطع كثيراً من الناس عدة آخر . وفي ربيع الأول بسط الحاكم يده بالعطاء .

وفي ثامن عشر ربيع الآخر أمر الحاكم بقطع يد أبي القاسم أحمد بن علي الجرجاني^(٢) ، ففعلنا جميعاً ، وهو يومئذ كاتب قائد القواد غين . وسبب ذلك أنه كان في خدمة ست

(١) ثياب التل ، ككتاب ، زمام بين الأصح للوسطى والى ثوبا . لقلوس المحيط .

(٢) جرجانيا من أعمال النهروان بين واسط وبغداد في الجهة الشرقية لنهر دجلة . ذكر ياقوت أنها كانت محروقة في

زمنه . معجم البلدان : ٣ : ٨٠ .

الملك ، أخت الحاكم ، فانفصل عنها . وهى غير راضية عنه ، وتخدم عند غين ، ثم بعث إليها رقعة يستعطفها ، فارتابت منه وسيرتها فى طيِّ دَرَجِها^(١) إلى الحاكم ، فأمر بقطع يديه وقد اشتد غيظه . ويقال بل كان عقيل صاحب الخبر يحملُ الرقاع بالخبر إلى القائد غين ليوصلها إلى الحاكم وهى مختومة ؛ فجاءه فى يوم بالرقاع على عادته فدفعها غين إلى كاتبه أبى القاسم الجرجاني حتى يجد فراغا فيحملها إلى الحاكم ، ففك الجرجاني الختم وقرأها ، فإذا فى بعضها طعنٌ على غين وذِكْرُهُ بسوءه ، فقطع ذلك الموضع من الرقعة وحكَّ وأصلحه ، وأعاد الختم . فبلغ ذلك عقيلا فأوصله إلى الحاكم فأمر بقطع يديه .

وفى ثالث جمادى الأولى قطعت يد غين بعد قطع يد كاتبه الجرجاني بخمسة عشر يوماً ، وكانت يده [الأخرى^(٢)] قد قطعت قبل ذلك بثلاث سنين وشهر ، فصار مقطوع البدين^(٣) . ثم إن الحاكم بعث إليه بآلاف من الذهب وعدة [أسفاط]^(٤) من الثياب وأمر بحدواته . وأبطل عدة مكوس من جهات كثيرة . فلما كان فى ثالث عشره أمر بقطع لسان غين فقطع^(٥) .

وفى رجب أمر برفع ما يؤخذ من الشرطتين ؛ وقتل الكلاب ، فقُتلت بأجمعها ؛ وأبطل مكس الرطب ومكس دار الصابون ، ومبلغه ستة عشر ألف دينار ؛ وأطلق أموالاً جزيلة للصدقة . وأكثر من الركوب فى الليل . ونزل ليلة النصف من شعبان إلى القرافة ومشى فيها وتصلق بشئ كثير ، وأبطل عدة جهات من جهات المكس . ومنع النساء أن يخرجن إلى

(١) الدرج بالذال المفتوحة والراء الباكنة القراطى الذى يكتب فيه ؛ ويحرك . القاموس المحيط .

(٢) زيادة يقتضها السياق .

(٣) « ولما قطعت يده حلت فى طين إلى الحاكم فيمت إليه بالأطباء » . انخط : ٢ : ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٤) ما بين الحاصرتين مضاف من انخط : ٢ : ٢٩٨ .

(٥) « وحمل إلى الحاكم قير إلى الأطباء ومات بعد ذلك » . نفس المصدر .

الطُرقات في ليل أو نهار سواء أكانت المرأة شابة أم عجوزاً ، فاحتبسن في بيوتهن ولم تُر امرأة في طريق ، وأغلقت حماماتهن ، وامتنع الأساكفة^(١) من عمل خفاف النساء وتطلعت حوانينهم .

وفي سادس عشره وقع في الناس خوفٌ وفزع من شاعة القول وكثرة إشاعته بأن السيف قد وقع في الناس ، فتهارب الناس وعُلقت الحوانيت فلم يكن سوى القلب . وضرب قوم خالفوا النهى عن بيع الملوخية والسملك الذي لا قشر له وشهروا . وضرب كثير من النساء من أجل خروجهن من البيوت وحُيسن . وقرئ سجلٌ بالمنع من تفتيش المسافرين في البحر والبر والنهى عن التعرض .

وفي رمضان صُلّي بالناس في الجوامع الأربعة : جامع القاهرة ، والجامع خارج باب الفتوح ، وجامع عمرو ، وجامع راشدة^(٢) ، وتصدّق بأموال كثيرة ، ودعا فوق المنابر بنفسه لعبد الرحيم بن إلياس ، فقال : اللهم استجب منّي في ابن عمي ووَلِيّ عهدي والخليفة من بعدي ، عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهديّ بالله أمير المؤمنين ، كما استجبت من موسى في أمّيه هرون .

وفيه ركب قائد القوّاد غين إلى القصر في موكب عظيم ، فخلع عليه . وضرب على السكة اسم عبد الرحيم وفي عهد المسلمين . ومُنِعَ مَنْ عادته الطّواف في الأعياد بالأسواق لأخذ الهبات من الرّجالة والبوّاقين^(٣) . واجتمع الأولياء وغيرهم بالقصر في يوم الخميس ثامن عشره لِمَاع ما يقرؤه القاضي من كتب مجالس الحكم ، فمِنَعُوا [٦٧ ب] من ذلك .

(١) الأسكف بالنسج والإسكاف بالكسر والأسكوف بالقم والسكاف كشداً واليكب كسبيل : الخفاف . أو الإسكاف كل صانع سوى الخفاف فإنه الأسكف . لقيطوس المحيط .

(٢) جرت عادة الفاطميين على حضور ثلاث جمع فقط من رمضان ، وكانوا يرتاحون الجمعة الرابعة . وقد حل الحاكم بجنين فقط أكثر من مرة . أما هذه السنة فقد حل الجمعة أربع مرات دون راحة .

(٣) نافعي الأبرواق .

وركب لصلاة الجمعة بجامع القاهرة ، فازدحم الناس عليه بعد ركوبه من الجامع إلى القصر ، فوقف لم وأخذ رِقَاعَهُمْ ، وحادَثَهُمْ ، وضاحَكَهُمْ ، فلم يرجع إلى القصر من كثرة وقوفه ومحادثته العوامَ إلى غروب الشمس ، ووَقَّعَ صِلَاتٍ كثيرة . وركب لصلاة العيد بنير زى الخلافة ، ومظَلَّتْهُ بيضاء ، وعبد الرحيم يسايره وهو حاملُ الرمح الذي من عادة الخليفة حمله^(١) ، وأصعده معه المنبر ودَعَا له . ولم يعمل في القصر سباط ، ولا رُوَيْتَ امرأة ، ولا أبيع شيءٌ مما عَادَتْهُ يباع في الأعياد من اللعب والتمثيل . واشتدَّ الأمر في منع النساء من الخروج ، وحُبِسَ عدة عجائز وعُطِمَ وُجِدَتْ في الطرقات .

وواصل الركوب في الليل . وأطلق لخليج الإسكندرية خمسة عشر ألف دينار .

وَقُرِئَ سَجَلٌ بَأَنَّ كُلَّ من كانت له مظلمة فليرفعها إلى ولي العهد ، فجلس عبد الرحيم ووقعت إليه الرقاع فوَقَّعَ عليها . وللنصف من ذى القعدة سار الحاج . وفي يوم النحر ركب عبد الرحيم بالساكر إلى المصلى فصَلَّى بالناس وخطب ، ونحر بالمصلى وبالملكعب ، ولم يُعْمَلْ سباطٌ بالقصر .

واصل الحاكم الركوب في العشايا . واصطنع خادما وكتابا أسود سناه بأبي الرضا سعد ، وأعطاه من الجواهر والأموال ما يَجِلُّ وصفُها ، وأقطعهُ إقطاعات كثيرة ؛ فقصده الناس لحوائجهم ولزموا بابَه لِهُمَاتِهِمْ ، فنكلمَ لم مع الحاكم فلم يردَّ سؤاله في شيء . وكان مما يسأل فيه إقطاعات للناس تتجاوز خمسين ألف دينار .

وفيه بعث أبو مناديا ديسى ، أمير إفريقية ، حميد بن تَمَوْصَلْت على عسكر إلى برقة ، فخرج منها بخود الصقلي إلى مصر فتسلَّمها حميد .

(١) وكان من بين مظاهر الزينة والأبهة كالسيف ، ولها مكانة خاصة في المراكب فالرمح « لطيف في غلاف منظوم من لؤلؤ » ، وله ستان مختصر بحلية ذهب ، وله شخص مختص بحمله . « وواليف الخاص » ، وجلبت ذهب مرسعة بالجواهر في خريطة مربعة بالذهب ، لا يظهر سوى رأسه ، فيخرج مع المظلة ، وحامله أمير عظيم القدر وهو أكبر أمير . النجوم الزاهرة : ٨٦ : ٤ .

في المحرم نزايده وقوم النار وكثر الحرق في الأماكن ، فأمر الناس باتخاذ القناديل على الحوانيت وحل أرباعها ، وطرح السقايف والرواشين^(٢) وأمر بقتل الكلاب ، فقتل منها كثير . وعظم الحريق ، ووقعت في أمره شاعات من القول ، فقرأ سجل في الجوامع بزجر السفهاء والكف عن أحوال تفتل ، وأن يدخل الناس إلى دورهم من بعد صلاة العشاء . فأغلقت الدور والحوانيت والدروب من بعد صلاة المغرب وكثر الكلام وعظم الترحم في الليل .

وفيه وصل على [بن جعفر] بن فلاح من الشام . ووصلت قافلة الحاج في تاسع صفر من غير زيارة المدينة ، وقد أصابهم خوف شديد ، وهلك منهم خلق كثير من الجوع والعطش^(٣) .

وفيه ركب الحاكم مرتين ، فرفعت إليه الرقاع ، فأمر برافعيها فحسبوا . وحبس^(٤) عدة قياصر وأملأه مع سبع ضياع بإطقيع^(٥) وطوخ^(٦) على القراء والمؤذنين

(١) ويوافق أول المحرم منها الثالث من يوليئ سنة ١٠١٤ .

(٢) السقيفة : الصفة . والروشن : الكوة . للقاموس المحيط .

(٣) اضطرب الحج في هذه السنوات بسبب اضطراب الأحوال في المجاز وغروج الأعراب على الحاجاج ونهبهم وسلبهم ، وقد امتنع الحج من العراق لنفس السبب مرات ، مثلا في السنوات : ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، وقبل ذلك أكثر من مرة .

(٤) حبس بمعنى أوقف . والقياس جمع قيسارية وهي السوق .

(٥) إطقيع من أعمال مركز الصف بالجيزة الآن . وكانت حاضرة إقليم الإطقيعية الذي يمتد جنوبا شرق النيل . انظر :

الملوك : ١ : ٨٤٣ ؛ قوانين النوارين : ١٠٢ .

(٦) يورد ابن علق أسماء أربعة عشر موقعا تعرف باسم طوخ مضافا إلى اسم آخر . منها : طوخ الأقلام ، طوخ

البتون ، طوخ الجبل ، طوخ الخيل ، طوخ تنده ، طوخ دسو . . . وغيرها .

بالجوامع وعلى ملء المصانع^(١) والمارستان^(٢) وضمن الأكفان .

وفي ربيع الأول واصل الركوب وأخذ الرقاع ووقف مع الناس طويلا ، ثم امتنع من أخذ الرقاع وأمر أن ترفع إلى عبد الرحيم وإلى القاضي مالك ، وإلى أمين الأمان ، فتناولوا الرقاع . وأكثر من الحببات والصلوات والإقطاعات والخلع .

فلما كان يوم السبت سادس عشرى ربيع الآخر ركب في الليل على رسمه إلى الجُب^(٣) وتلاحق به الناس وفيهم قاضي القضاة مالك بن سعيد ، فلما أقبل على الحاكم أعرض عنه فتأخر ، وإذا بصليبي يقال له غادى ، يتولى السّتر والحِجّة ، أخذه وسار به إلى القصور وألقاه مطروحا بالأرض ، فمرّ به الحاكم وأمر بمواراته ، فدفن هناك بشيابه وثقبه . وكانت مدة نظره في الأحكام عشرين سنة ، منها ستّ سنين وتسعة أشهر قاضي القضاة وباقيها خلافة لىنى النعمان . وكان ينتظر في القضاء والمظالم والأحباس ، والدعوة ، ودار الضرب ، ودار العيار ، وأمر الأضياف ، فعلت منزلته وقصده الناس في حوائجهم لكثرة اختصاصه بالحاكم وتزايد إقطاعائه من الثّور بقرشها والضياع العديدة ، ومواصلة الركوب معه ليلا ونهارا ، ومشاورته في أمور الدولة ونظرة في أمور الدواوين كلها . وكان سخيا جوادا

(١) المصنعة بفتح الميم وضم النون وقصمها كالحرفى يجمع فيه ماء المطر . مختار الصحاح .

(٢) المارستان : بيت المرضى ، سرب ، وأول من بنى المارستان في الإسلام الوليد ابن عبد الملك سنة ٨٨ هـ ، وجعل فيه الأطباء وأجرى عليهم الأرزاق ، وأمر بحبس المهملين ثلاثين يوما وأجرى عليهم وعلى الميان الأرزاق . وألحق ابن طولون بجانه خزائن لأدوية والأشربة يجلس فيها الطبيب يوم الجمعة يحدث للمرضى لقصة . وأثناء مارستانا كالمائة ٢٥٩ وشرط الأيمانج فيه جندي ولاملوك ، وأمر ألا يخرج المريض من هذا المارستان إلا إذا أكل فروجيا وذهبها حلالة الشفاء . وتحتاج إنشاء المارستانات بعد ذلك فنها في مصر المارستان الكافورى ومارستان المغائر وغيرها . الخطط : ٤٠٥ : ٢ - ٤٠٧ .

(٣) من متراحات القاهرة كان الخليفة الفاطمى يخرج إليه لقزعة راكبا ومعه النساء والحشم . وهو ينسب إلى حميرة فيقال جب حميرة بن تميم الصبي . وتعرف هذه المنطقة أيضا ببركة الجب أو بركة الحبلج إذ يمتنع بها الحبلج قبل سفرهم . الخطط : ٤٨٩ : ١ . وهذا الجب غير الجب الذى كان يحبس به الأعداء بالقلمة وقد حرمه المصنوعون ٦٨١ . الخطط : ٢١٣ : ٢ .

فصيحاً [١٦٨] بليغاً ، لم يُضَبَّطْ عليه قطّ صياحٌ ولا حنةٌ ، ولا سُمعت منه في خطاباته أبداً كلمةٌ فيها فُحشٌ ولا قذعٌ ولا قبحٌ .

وكان سبب قتله أنه اتَّهم بمؤالة سيدة الملك^(١) ومراعاتها ، وكان الحاكم قد انتَفَلَقي منها فلما قُتل امتدحى الحاكم أولاده وشاطبهم ، ولم يتعرَّض لشيء من تركة أبيهم ، وأمر ابنه أبا الفرج أن يركب في المركب ، وأقره على إقطاعه ، ومبلغه في السنة خمسة عشر ألف دينار .

وفي جمادى الأولى ردَّ الحاكم على بنى عمرو بن العاص حبس جثم عمرو بن العاص ، ومبلغه في الشهر نحو مائتي دينار .

وتزايد ركوب الحاكم حتَّى كان يركب في اليوم الواحد عدة مرات ، وعظمت هباته وعظيَّاته . ثم أمر بابتياح العمير ، وصار يركبها من تحت السرداب^(٢) إلى باب البستان إلى المقس ، ويفلق الأبواب التي يتوصل منها إلى المقس وقت ركوبه ، ومنع الناس من الخروج إلى هذه المواضع .

وفي جمادى الآخرة قلم رسول ملك الروم ، فاصطفت القساكر من باب القصر إلى سقاية ريدان^(٣) يعلِّدها وأسلحتها ، وركب الحاكم بصوفٍ أبيض وعمامة مفوطة بمظلة مثله ، وولَّى العهد يسايره وعليه ثوب مثقل ، ومعهم الجواهر . وأحضر الرسول ومعه

(١) هي الأميرة سلطانة بنت الملك ، أخت الخليفة الحاكم بأمر الله .

(٢) أنشأ المنز به دخوله القاهرة وزعم أن طالعه نفس عليه بذلك ، وتوارى فيه نحو ستة أناب فيها العزيز بالله وعهد له . وكان الماردة إذا رأوا غماماً ترجلوا وسلموا يزعمون أن المنز فيه . ثم خرج المنز بهد ذلك وقد ليس الحرير الأخضر وجعل على وجهه البراقيت تلح كالنواكب ، وجلس الناس كما كان يفعل . النجوم الزاهرة : ٤ : ٧١ ، ٧٨ .

(٣) كانت في الأصل بستاناً لريدان الصقلي أحد عظام العزيز بالله ، وعرفت ثانياً بهد باسم الريدانية وهي قرب البهسية الحالية . السلوك : ١ : ١٣٧ : حاشية : ٦ .

عبد الغنى بن سعيد بهدية إلى القصر ، فخلع على عبد الغنى ، وأنزل الرسول في دار بالقاهرة
وبلغ الحاكم أن ثلاثة من الركابية^(١) أخذوا هبة من الرسول ، فأمر بقتلهم ، فقتلوا من
أجل ذلك .

وفي جمادى الآخرة ركب الحاكم ومعه أمين الأمانة ، الحسين بن طاهر الوزان ،
على رسمه ، فلما انتهى إلى حارة كتامة^(٢) خارج باب القاهرة أمر فُضِّبَتْ رقية ابن
الوزان ودُفِنَ مكانه . فكانت مدة نظره في الوساطة سنتين وشهرين وعشرين يوما ، وكان
توقيعه عن الحاكم : الحمد لله وعليه توكل . وتقدم الأمر لسائر أرباب الدواوين بلزوم دواوينهم .
واعتلَّ الحاكم أياما فركب على حمار بشائبة مكشوفة ، وأكثر من الحركة في العَشِيَّات
إلى المقس والتعمية إلى الجيزة وهو على الحمار . وأكثر من الركوب في النيل .

وفي حادى عشر شعبان أمر أصحاب الدواوين بأن يمثلوا ما يرسم به عبد الرحيم بن أبي
السيد الكاتب ، متوَلَّى ديوان النفقات ، وأخوه أبو عبد الله الحسين ، وجُعِلَا في الوساطة
والسفارة ، ثم قرئَ لهما سجلٌ بذلك ، وخلع عليهما وحُمِلَا ؛ فوقما ، وكان توقيعهما :
الحمد لله حمدا برضاه .

وفي حادى عشره خُلع على أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي العوام ،
وأُعْطِيَ سجلاً بتقليده قضاء القضاة ، وحُمِلَ على بغلة بمسرج ولجام مصفَّح بالذهب ، وقيد
بين يديه بغلة أخرى ، ونزل إلى الجامع فقرأَ سِجْلَهُ على المنبر ، وفيه : « فقلدك أمير
المؤمنين القضاء والصلاة والخطابة بحضرته ، والحكم فيما وراء حجابيه من القاهرة المعزية ،

(١) الركابية والركابارية : الماملون في بيت الركاب الذي تكون به السروج والهم ونحوها . صبح الأعشى :

١٢٠٧٠ ٤

(٢) نسبة إلى قبيلة كتامة الذين كانوا يكونون البلد الغالب من جنح الفاطميين في مصر الأول ، وقد قدموا مع جوهر .
وموضع هذه الحارة اليوم المنطقة التي تتوسطها حارة الأزهرى وعطفة القديندارى وما يتصل بها في الجنوب الشرق الجاه
الأهر . التبرج الزاهرة : ٤ : ٤٦ : حاشية : ٤ .

ومصر وأعمالها . والإسكندرية ، والحرمين ، وبرة ، والمنزب ، وصقلية ؛ مع الإشراف على قُور الضرب بهذه الأعمال . والنظر في أحباس الجوامع والمساجد ، وأرزاق المرتزقة ووجوه البر ؛ وتستخلف على الحكم . ونقل ديوان الحكم من بيت مالك بن سعيد إلى بيت المال بالجامع الحقيق ؛ وهو أول من فعل ذلك من القضاة . وكانت دواوين الحكام في دورهم فجعلها بالجامع ، وجعل جلوسه بالجامع الحقيق يوم الاثنين والخميس ، وبالقاهرة يوم الثلاثاء ، ولحضور القصر يوم السبت .

وفي يوم الجمعة رابع رمضان ركب ولي العهد ، فصل بالجامع الأنور^(١) الجديد بباب الفتوح في مركب الخلافة ، ثم صلى جمعة أخرى بجامع القاهرة ثم جمعتين بالجامع الجديد . وفيه كثرت صلاتُ الحاكم وموابه وإقطاعاته للناس حتى خرج في ذلك عن الحد . وركب ولي العهد يوم الفطر في مركب الخلافة ؛ وصلى بالناس في المصل ، وخطب . وخرج الحاكم عن المهود في العطاء والإقطاعات حتى أقطع التواتية الذين يجدفون به في المشارى^(٢) . وأقطع المشاعلية^(٣) ، وكثيرا من الوجوه والأقارب ، وبني قُرة ؛ فكان مما أقطع الإسكندرية والبحيرة ونواحيها .

وفي نصفه قتل ابنا أبي السيد ، حسين [٦٨] وعبد الرحيم ، ضربت أعناقهما بالقصر ؛ فكانت مدة نظرهما اثنين وتسعين يوما .

وواصل الركوب في كل غداة وهو على الحمار . وقرئ سجل بأن يكون ما يرفعه الناس من حوائجهم في ثلاثة أيام ، يوم السبت للكتامين والمنازرة ، ويوم الاثنين

(١) هو جامع الحاكم ، وكان يعرف أيضا باسم جامع القاهرة .

(٢) المشارى ، والمشرى ، نوع من السفن التي كان يركبها الخليفة في النيل أيام النزهة والاحتفالات ، مثل اصطال فتح سد التلج ، حين يبحث مجلس الخليفة في وسادته يجيد به رجال الدولة والخوارج في بيت عشي حكم مل السطح ، بيتا الأخصى والخوارج والملاحون أسفل السفينة .

(٣) الأشخاص المكلفون بأعمال الإضاءة ، وهم النضوية وأرباب القصر . : Dozy, supp. Diet. Ar.

للمشاركة ، وبوم الخميس لساثر الناس كافة ؛ وأن يتجنبوا لقاء أمير المؤمنين ليلاً ونهاراً
بالرقاع ، فما يتعلق بالظالم فلن ولي العهد ، وما يتعلق بالدعوى فلن قاضي القضاة ،
وما استصعب من ذلك ينتهي إلى أمير المؤمنين .

وفي سابع عشره تقلد أبو العباس فضل بن جعفر بن الفرات الوساطة ، ولم يُخلع
عليه ؛ فجلس ووقع ، ثم قتل في اليوم الخامس من جلوسه .

وتشدد الأمر في منع النساء من الخروج في الطرقات ومن التطلع في الطيقات ، بأنسهن^(١) ،
شبابهن وعجائزهن . ومنع مؤذنو القصر وجامع القاهرة من قولهم بعد الأذان : السلام على أمير
المؤمنين ، وأن يقولوا بعد الأذان : السلام من الله .

وفيه غلب بنو قرّة على الإسكندرية وأعمالها . وأقطع القاضي ابن أبي العوام ناحية
تلبانة عدى^(٢) . وأكثر الحاكم فيه من الركوب ، فركب في يوم واحد ست مرات ،
تارة على فرس ، وأخرى على حمار ، ومرة في محفة تحمل على الأعناق ، ومرة في عشارى
في النيل بشاشية لاعمامة عليها . وأكثر من إقطاع الإقطاعات للجند وعبيد الشراء . واستمر
على مواصلة الركوب إلى ليلة النحر قرب العشاء ، وشق البلد والطرادون يفرقون الناس
عنه . وصلى ولي العهد صلاة عيد النحر ، ولم يفتح بشئ ؛ ونهى الناس عن ذبح البقر .

وفيه قلّد ذو الرياستين قطب الدولة أبو الحسن عليّ بن جعفر بن فلاح الوساطة
والسفارة . وفيها بعث نصير الدولة أبو مناد باديس من إفريقية هدية عظيمة إلى الغاية
لحاكم بأمر الله ، فوصلت إلى مدينة برقة لأربع عشرة بقيت من رجب ، وسارت منها في

(١) في الأصل : بأنسهم .

(٢) تلبانة عدى من نولى-المرقاية ، وأغرى بنى الاسم في حرف رسيى (ناحية البحيرة) وهما غير تلبانة
الأبراج ، وتلبانة الواقعة بالشرقية بمرکز منيا القمح . قوانين الدولتين : ١٢٢ ، ١٢٣ ؛ السلوك : ١ ؛ ٣٥٣ ؛ الملط
القروينية : ٩ : ٤٠ - ٤١ .

سابع رمضان حتى وصلت لُك^(١) فَأَخَذَهَا بَنُو قُرَّةَ عَنْ آخِرِهَا . وَكَانُوا قَدْ انْتَجَمُوا مَعَ كَبِيرِهِمْ مَخْزَارَ بْنَ قَاسِمٍ مِنَ الْبَحِيرَةِ ، وَمَعَهُمْ مَوَاشِيهِمْ ، وَقَصَلُوا مَدِينَةَ بَرْقَةَ ، فَفَرَّ مِنْهَا حَمِيدُ بْنُ تَمُوصِلْت إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، فَمَلَكَ بَرْقَةَ مَخْزَارُ بْنُ قَاسِمٍ .

وَفِيهَا بَعَثَ الْحَاكِمُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي كُثَيْبَةَ ، وَمَعَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حَسَنٍ ، إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ بِخُلْعٍ وَسَيُوفٍ وَتَشْرِيفٍ لِمَنْصُورِ بْنِ نَصِيرٍ الدَّوْلَةَ أَيْ مَنَادَ بَادِيَسَ لَوْلَايَةِ مَا يَتَوَلَّادُ أَبُوهُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَلَقَبَهُ عَزِيزُ الدَّوْلَةِ .

(١) يَذْكُرُ يَاقُوتُ فِي التَّحْرِيفِ هَذَا أَنَّهَا بَيْنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَمَرْابِلِسَ الْغَرْبِ ! وَلَمْ أَجِدْهَا فِي غَيْرِهِ . وَرَأَيْتُ فِي الْمَغْرِبِ الْبَكْرِيَّ مَدِينَةً لِكَايَ بِالْقَرْبِ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ . وَيُزَعِّمُهَا الذَّكُورُ حَسَنُ إِبْرَاهِيمَ حَسَنٌ بِمَا يَتَّبِعُهُ تَحْرِيفُ النَّوْرِيِّ هَذَا إِذْ قَالَ : قَرْبَةُ قَرْبِيَّةٌ مِنْ بَرْقَةَ . وَهَذَا أَقْرَبُ التَّحْرِيفَاتِ لَهَا بِمَا يَنْبَغِي الْحَادِثَةُ الْمَذْكُورَةُ هُنَا إِذْ هَاجَمَ بَنُو قُرَّةَ الْمَدِينَةَ يَدَّ أَنْ ابْتَدَعَتْ مِنْ مَدِينَةِ بَرْقَةَ . مَجْمَعُ الْبُلْدَانِ : ٧ : ٣٣٧ ؛ الْمَغْرِبُ : ١٢٦ ؛ الْفَلَاسْطِينُ فِي مِصْرَ : ٢٩٥ ؛ نَهْجَةُ الْأَرْبَابِ النَّوْرِيِّ .

سنة ست وأربعمائة^(١) :

فيها عُرض الاستيثار^(٢) على الحاكم بأسماء الفقهاء والقراء والمؤذنين بالقاهرة ومصر ، فكانت جملته في كل سنة واحداً وسبعين ألفاً وسبعمائة وثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثي وربع دينار ، فأُضي جميع ذلك .

وفيها زاد ماء النيل وغرق الضياع ، وغلت الأسعار ، وهلكت البساتين ، وامتلأ كل مكان من المدينة ، وغرق المقياس وانتهت الزيادة إلى ثلاث أصابع من إحدى وعشرين ذراعاً ، وبلغ الماء إلى نصف النخل مما يلي بركة الحبش ، وغرق المتوق^(٣) . ولم يبق طريق يُسلك إلى القاهرة إلا من الشارع والصحراء .

(١) ويوافق أول المحرم منها الحادي والعشرين من يونيو سنة ١٠١٥ .

(٢) في اللغة الاستيثار : المشاورة . ويذكر للرحوم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة أن معنى الاستيثار المجلس ، وذلك في شرح قول المفريزي : « وفيها رسم يسيل استيثار بجميع أرباب الرواتب والرزق ليضطروا بتواضعهم للعرض ، ويقطع من يختار منهم » اهـ . ويبدو أن المقصود - كما يفهم من هذا النص ومن المتن هنا - القائمة الرسمية التي تحوى أسماء ... للاستيثار . ولعل هذا كان الأصل في استعمال كلمة « الاستيثار » التي تستخدم حالياً في أمور رسمية تستدعي الاحتياط والموازنة ، مثل استيثار المرتبات ، استيثار التقديم إلى المدارس ، استيثار التقدم لشغل الوظائف . راجع السلوك : ١ : ٨٥٠ .

(٣) هكذا في المتن . وسيرد في أحداث سنة ١٠١٥ أنها من أعمال الكوم الأحمر عند تم التخليج على جانبيه القريب .

سنة ثمان وأربع مائة^(١) :

قدم مصر داع عجمي^(٢) اسمه محمد بن إسماعيل النُّزَيّ واتصل بالحاكم فأنتم عليه . ودعا الناس إلى القول بلهجة الحاكم ، فأنكر الناس عليه ذلك ، ووثب به أحد الأتراك ومحمد في موكب الحاكم فقتله ، وثارت الفتنه ، فنهبت داره وغلقت أبواب القاهرة . واستمرت الفتنه لثلاثة أيام قتل فيها جماعة من النُّزَيّة ، وقبض على التركي قاتل النُّزَيّ وحبس ثم قفل .

ثم ظهر داع آخر اسمه حمزة بن أحمد ، وتلقّب بالمهادي ، وأقام بمسجد تبر خارج القاهرة ، ودعا إلى مقالة النُّزَيّ ، وبت دعائه في أعمال مصر والشام ، وترخص في أعمال الشريعة ، وأباح الأمهات والبنات ونحوهن ، وأسقط جميع النكالييف في الصلاة والصوم ونحو ذلك . فاستجاب له خلق كثير ، فظهر من حينئذ مذهب النُّزَيّة ببلاد صيدا وببيروت وساحل الشام^(٣) .

(١) ويوافق أول الحرم منها الثلاثين من مايو سنة ١٠١٧ . ويلاحظ أنه لم يتحدث عن سنة ١٠١٧ . وقد سبق مثل ذلك ، وصيرده مثله أيضا .

(٢) في الأصل داعيا صعبا .

(٣) وهو أصح من الزوزن ويلقب بالبلاد وعرف بجاني المستجيبين ، واقفة نفسه رجلا لفتحهم بالقاب خاصة منهم رجل يقال له مفير القدرة . نهاية الأوب للنزوي . ومسجد تبر المذكور خارج القاهرة ، وكان يسمى أيضا مسجد الكتب ، والقبتر ، والجميزة ، أنشأه تبر أحد أمراء كافور الاخشيدى ، وقد اشترك في مقاومته الفاطميين لدى دخولهم مصر ، وقبض عليه بالشام بعد أن فر إليها ، وضرب ، وقفل ، وسلخ ، وصلب . الخطط : ٢ : ٤١٣ .

في آخر شوال ركب الوزير عليّ بن جعفر بن فلاح إلى البركة التي قبّل الخليج خارج القاهرة ، فثار عليه فارسان ، فأخذهما فألقاه ، وقراً ، فلم يُعرف خبرهما ، وحمل إلى داره فمات من الأخذ . وولى الوزارة بعده الظهير صاعد بن عيسى بن نسطورس فأقام إلى رابع ذى الحجة . وقيل تولّى بعده شمس الملك مسعود بن طاهر الوزان .

وفيها عزل الحاكم سليل الدولة^(٢) عن دمشق ، وولّيتها عبد الرحيم بن إلياس ، وسار إليها لعشرين من جمادى الآخرة^(٣) ، فبيّتها هو في قصره إذ هجم عليه قوم ملثمون فقتلوا جماعة من غلمانها ، ثم أخذوه ووضعوه في صندوق وحملوه إلى مصر . فلم يكن بها أكثر من شهرين ، ثم أعيد إلى دمشق فأقام بها ليلة العيد . وورد من مصر رجل يقال له أبو الداود المغربي ومعه جماعة ، وأخرجوا عبد الرحيم وضربوا وجهه ، وأصبح الناس يوم العيد وليس لهم من يصلّي بهم . وهجّب الناس من هذه الأمور .

وفيها صرمح ضامن الصعيد الأعلى بما عليه وهو أربعة وستون ألف دينار وسبعمائة وخمسة وستون ديناراً .

(١) ويوافق أول المحرم منها العشرين من مايو سنة ١٠١٨ .

(٢) سيد الدولة أبو منصور ، وكان قد وصلها واليا لخمس بقين من ذى القعدة سنة ٤٠٨ فوصله كتاب النزل في الخلع من ديعب الآخر سنة ٤٠٩ . ذيل تاريخ دمشق : ٦٩ .

(٣) يذكر ابن القلانسي أنه وصل دمشق لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ٤١٠ ، وأنه ظل على ولايتها إلى يوم الأحد لثان بقين من ديعب الأول سنة ٤١١ . وهذا يكون قد بقى بها أكثر من الشهرين اللذين ورد ذكرهما في المتن . ذيل تاريخ دمشق : ٦٩ : ٧٠ .

فيها اشتد الغلاء بديار مصر حتى أبيع اللقيط رطلا بدرهم واللحم أربع أواق بدرهم ، ومات كثير من الناس بالجوع . وبلغت عدة من مات في مئة رمضان وشوال وذى القعدة ، مائتي ألف وسبعين ألفا سوى الغرياء وهم أكثر من ذلك

وفي سنة عشر وأربعمائة سبى الحاكم بأمر الله أبا القاسم بن اليزيد إلى شرف الدولة الحاكمة أبي تميم المعز بن نصير الدولة أبي مناد باديس ، ومعه سيف مكلل بتفيس الجواهر وخلمة من لباسه ، فقدم المنصورية^(٢) لست بدين من صفر سنة إحدى عشرة . وتلقاه شرف الدولة ونزل إليه فقرا عليه سجلا عظيما ، فكانت أيام فرح . ثم ورد بعده محمد بن عبد العزيز بن أبي كدينة بسجل آخر ومعه خمسة عشر علما منسوجة بالذهب ، فخلع على أبي القاسم ومحمد ، وسحلا ، وطيف بهما في القيروان والأعلام المذكورة بين أيديهما .

وللبيتين بقيتا من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة فقد الحاكم . وسبب فقده أن أخته ست الكل سلطانة كانت امرأة حازمة ، وكانت أسن منه ، فدار بينها وبينه يوما كلام ، فرماها بالفجور وقال لها : أنت حامل . فراسلت سيف الدين حسين بن علي بن دواس ، من ممدى كرامة ، وكان قد تخوف من الحاكم ، وتواعدا على قتل الحاكم وتحالفا عليه . فأحضرت ست الكل عيلدين وحلفتهما على كتمان الأمر ، ودفعت إليهما ألف دينار ليهتلا الحاكم . فأصعد إلى الجبل في الليل ، وكان الحاكم قد رأى أن عليه قطعا^(٣) ،

(١) ويوافق أول المحرم منها التاسع من مايو سنة ١٠١٩ .

(٢) أنشأها المنصور بن القاسم سنة ٣٣٧ بالقرب من القيروان ، وبقيت عاصمة الفاطميين حتى انتقلوا إلى مصر فصارت حاضرة بني باديس حتى عريت سنة ٤٤٢ . معجم البلدان : ١٧٨٢٨ .

(٣) لم أجد إلى مايقع في تفسير سبي « القطع » المذكور هنا . وقد ورد مثل له أول تقوم المعز إلى مصر إذ كان مفرى بالنجوم ، فنظر في طالع ومولده فسبح له « قطع » فيه ، فاستشار منجمه فيما يزيله عنه ، فأشار عليه أن يعمل سردابا تحت الأرض ويخاري فيه إلى حين جوار الوقت ، ففعل ذلك . انظر النجوم الزاهرة : ٤ : ٧٠ - ٧١ .

فلما كان في الليلة التي فيها قال لأمه : على قطع في هذه الليلة علامة. ذلك ظهور كوكب الذنابة ، ودفع إليها خمسمائة ألف دينار ذخيرة لها^(١) ، فتمتعت من الركوب ، ونام . ثم انتبه آخر الليل وقام ليركب ، فتملقت به ، فامتنع مضى ، وركب الحمار إلى باب القاهرة ، ففتح له أبو عروس صاحب الشرطة الباب وأغلقه خلفه ، وخرج متبعاً له . قال : فسمعتُ يقول : ظهر والله الكوكب ، ولم يكن معه سوى ركابي وصبي يحمل دواته . فعارضه وسط الجبل سبع فوارس من بني قرّة ، فخدموه وسألوه الأمان وأن يسعهم بما يُصلح شأنهم ، فأمّنهم ، وأمر الركابي أن يحملهم إلى الخازن يدفع إليهم عشرة آلاف درهم . ودخل الشعب الذي كان يدخله وقد وقف العبدان له ، فضرباه حتى مات ، وطرحاه ، وشقاً جوفه ولقاه في كساء ، وقتلاه الصبي وغرقا حماره ، وحملوا الحاكم في كساء إلى أخيه فدفنته . وأقامت مدة ، وأحضرت الوزير خطير الملك وعرفته الحال ، وأمرته أن يكتب عبد الرحيم بن إلياس يستدعيه من دمشق . فكتب إليه على لسان الحاكم يأمره بالمبادرة ، واستدعت ألف ألف دينار فرقعتها في الأولياء وبعثت قائد الساحل . فلما قدم عبد الرحيم عُكِّل به إلى تَتَيْس فقتل بها^(٢) .

واضطرب الناس لغَيْبَةِ [٦٩ب] الحاكم ، فأُرسلت إليهم : إنه أخبرني أنه يغيب سبعة أيام ، وإنه يواصلني بأوامره . ورُتِبَت رِسايا يمضون عنها إلى الحاكم ويجيئون منه

(١) في النجوم الزاهرة : « فلما كان في تلك الليلة قال لوالدته على في هذه الليلة رقي شد قطع عظيم والدليل عليه علامة تظهر في السماء طلوع نجم سماه ، وكان بك وقد انتهكت وهلكت مع أختي فإن ما أخاف عليك أمر منها . فتسلى هذا الفتاح فهو هذه الخرافة ، وفيها صدائق تشتمل على ثلثائة ألف دينار ، خذها وحولها إل قصرك تكون ذخيرة لك » . للنجوم الزاهرة : ٤ : ١٨٧ .

(٢) في النجوم الزاهرة أكثر من رواية من سورة وفاة ولي العهد ، نقلها صاحبنا عن عدة من المؤرخين . فها أن صاحب تَتَيْس بعث به إل ست الملك ضحيته في دار وواصلته بالملاطفات حتى مرضت فأحضرت الظاهر لإعزاز دين الله وحذوته ت ، وأرسلت مضاف الخادم لقتله فقتل . ورواية أخرى تقول إنه حبس في داره مدة ودخل إليه يوماً بطبخ وسمه سكين فأدخلها في سرقته حتى غابت ، ومات متصراً . للنجوم الزاهرة : ٤ : ١٩٤ - ١٩٥ .

إليها . ففي أثناء ذلك اشتدت شوكتها ، وكثّ الناس عن الاستقصاء في المسألة . وأحضرت ابن دؤاس وواطئته على أخذ البيعة للظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم ، وأظهرته وعلى رأسه تاج جئته العزيز . وقام ابن دؤاس فقال لمن حضر من أهل الدولة ، تقول لكم مولائنا هذا مولاكم فسلموا عليه . وقبل ابن دؤاس الأرض ، فبايع الناس إلا غلاما تركيا كان عمل ليلا بين يدي الحاكم فإنه قال : لأبأبع حتى أعرف خبر مولاى . فقتل ، وقام ابن دؤاس بتدبير الأمر . ثم إن ست الملك دسّت عليه وقتلته وقتلت جميع من أطلع على سرها ، وقتلت جماعة خافتهم . ثم لم تطل أيامها وماتت بعد أيام .

قال ابن أبي طى لما ذكر هنا الخبر في كيفية قتل الحاكم : وكان الحاكم شديد السطوة ، عظيم الهبة جريئا على سفك الدماء . خطب له على منابر مصر والشام وإفريقية . وكان يتشبه بالمأمون ويقصد مقاصده واشتغل بعلوم الأوائل ، واعتدّ بعلوم النجوم ، وحمل له رسدا ، ووقف الكواكب ، واتخذ بيتا بالمقطم ينقطع فيه عن الناس ويخلو لمخاطبة الكواكب . وكان يركب الحمار وعليه ثياب الرهبان ، ووراءه غلام اسمه مفلح يحمل اللواء والسيف والورق في كيس معلق في كتفه وهو يمشى ورائه ، فإذا مرّ بسوق انهمز الناس واستتروا عنه ، ويطلق أبواب الحوائث فلا ينظرون إليه ، إلّا أن يكون لأحد منهم حاجة فإنه يقف عليه ويكتب العبد بين يديه ما يأمّره به في رقعة إلى الوزير .

وكان لا يحضره الجيش إلّا في الأعياد ، فيركب في ذلك اليوم بشيابه على الفرس . وكان مُهاباً عند أهل مملكته ، وكان لا يحضر مجالس الجدل ويحتجب أياما كثيرة مشغلا بما هو فيه ، وكان له سعى في إظهار كلمته ، فبعث دعائه إلى خراسان وأقام فيها مذهب الشيعة ، واستجاب له عالم عظيم ، فبعث إلى البلاد بالأموال في استمالة الرجال إلى ما يريد .

وكلن أبو عبد الله أنوشكين التجارى^(١) الدرزي أول رجل تكلم بدعوته ، وأمر برلع مجاعة به الشرع ، وسير مذهبه إلى بلاد الشام والساحل ، ولم مذهب في كتاب السر لا يطلعون عليه من ليس منهم . وكان الدرزي يبيع البنات والأمهات والأخوات . فقام الناس عليه بمصر وقتلوه ، فقتل الحاكم به سبعين رجلا . وأنفذ الدرزي إلى الحجر الأسود برجل ضربه وكسره ، وأدعى الربوبية . وقدم رجل يقال له يحيى اللباد ، ويعرف بالزوزنى الأخرم^(٢) ، فساعدته على ذلك ، ونشط جماعة على الخروج عن الشريعة .

وركب يوما من القاهرة في خمسين رجلا من أصحابه إلى مصر ، ودخل الجامع بدابته ، وأصحابه كذلك ، فسلم إلى القاضي رقعة فيها : باسم الحاكم الرحمن الرحيم ، فأنكر القاضي ذلك ، وثار الناس بهم وقتلوه ، وشاع هذا في الناس فلعنوه^(٣) . ويقال إنه خرج يوما وعليه قباء أطلس وفي وسطه سيف ، فخلع القباء وقال : هذا الظاهر قد خلعت ، ثم جرد السيف وقال : هذا الباطن قد سلته .

قال : وفي السنة التي قتل فيها الحاكم أشاع أنه يريد أن ينزل في أول رمضان إلى الجامع ومعه الطعام ، فمن أبي الأكل قتله . وكان دعائه إذا ركب يقولون : السلام عليك يا واحد يا أحد ، ويخلون فيه الغلو المفرط . وأدعى أنه حصل له كتاب الجفر . ولما غلب على الحرمين وحد العلويين أهل المدينة إذا هم مكنونه من فتح دار جعفر بن محمد الصادق بوعود كثيرة ، ففتحها ، وكانت مغلفة ، فإذا فيها قعب خشب ومصحف وسرير سمف وقدره ، ولم تكن

(١) ولقب نفسه منذ المصادي وسية المستجيبين . نهاية الأرب .

(٢) في نهاية الأرب أن الأخرم شخص آخر يسمى حسن بن حيفرة الفرغاني ، وقد ظهر قبل أنوشكين التجارى ، في سنة ٤٠٩ هـ ، وبينما كان يسير في موطنه في أحد الأيام تقدم إليه رجل من الكرخ وأوقفه عن فرسه ووالى الضرب عليه حتى لقيه ، فأمر الحاكم يقتله لوقته . وثيب الناس دار الأخرم بالقاهرة . نفس المصنف .

(٣) وأسم القاضي - قاضي القضاة - أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي التوام . توفي سنة ٤١٨ هـ . النجوم الزاهرة :

١٨٣ : ٤ : ساشية ٣ نقلا عن الكتبي .

فتحت قبل ذلك^(١) ، فرأى بالسريـر ، وأخذ أعداءه وهم بيعة قمامة في سنة ثمان وثمانين
وثلاثمائة ؛ وخرج رسمه إلى الوزير على لسان خادم أن يكتب : أمرت حضرة الإمامة بهدم
قمامة ، وأن يُجسّل علّوها خفضاً ، وسأوها أرضاً .

وبلغه [١٧٠] أن المخاربة تلعنه ، فقرب الفقهاء المالكية وأمرهم بتدريس مذهب
مالك بن أنس في الجامع . وكان يحب العلماء ويقدم مايرد فيه ، وإذا رأى رأياً عزم
عليه وأمضاه . وكتب إليه رجل : إن فلانا مات وخُلف مالا ، فوقع بخطه على ظهر الرقعة :
السعاية قبيحة إن كانت صحيحة . وكتب إليه آخر : إن فلانا مات وخلف بنتاً ، وقد
أنحلت جميع مال أبيها ، فوقع على ظهر الرقعة : المال مال الله ، واليتيم جبره الله ، والساعي
لعنه الله ، وعلى مذهبنا يجوز أن ترث البنت جميع مال أبيها . ومنع النساء الخروج
من البيوت ، فقليل إن فيهن من لاتجد من يقوم بشأها فتموت جوعاً ، فأمر الباعة
بالتطواف في السكك وأن يبيعوهن من خلف الأبواب ويناولوهن بخافز طوال السّاعات .
وكان أمر ألا يكشف مغطى ، فسكر رجل ونام في قارعة الطريق وغطى نفسه بمنديل ،
فصار الناس يمزّون به ولا يقدر أحد أن يكشف عنه . فمرّبه الحاكم وهو كذلك ، فوقف عليه
وقال له : ما أنت ؟ فقال : أنا مغطى ، وقد أمر أمير المؤمنين ألا يكشف مغطى . فضحك
وطرح عنده مالا ، وقال : استعن بهلما على ستر أمرك . وقرر الحاكم بعد ابن الفرات ذا
الرياستين قطب الدولة أبا الحسن على بن جعفر بن فلاح ، واستمر إلى أن قتل الحاكم .

انتهى ما ذكره ابن أبي طى ، وفيه تحامل شعر به واحد من مؤرخى مصر ذكره .

وقال الروحي على ما حكاه عنه ابن سعيد : ولم يزل الحاكم خليفة إلى سنة إحدى
عشرة وأربعمائة ، فخرج ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال ، فطاف ليكنه كلها على رسمه

(١) وقد حدث هذا في سنة أربعمائة ؛ وكان الذي فتح الحيرة القائد خنكين الشيف السدي الداعي ، وحضر معه
إلى مصر جماعة من الطوليين فرد الحاكم عليهم السريـر وأخذ الباقي وقال أنا أسق به ، فانصروا داعين عليه . للتجوم الزاهرة :

وأصبح عند قبر الفقاعى^(١) ، ثم توجه إلى شرق حلوان ، وتبعه ركابيان ، فأعادهما .
 وبقى الناس على رسومهم يخرجون يلتصقون رجوعه إلى يوم الخميس سلبخ الشهر المذكور ،
 ثم خرج خواص من بطانته قبلوا دبر القَصِير ، ثم أمعنوا في الدخول في الجبل ، فبينما
 هم كذلك إذ بَصُرُوا بالحمار الذي كان راكبه على قُنَّة الجبل وقد ضربت يدها بسيف
 فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه . وتنبَّح الأثر فقاد إلى أثر الحمار في الأرض وأثر راجل
 خلفه وراجل قُدَّامه ، فلم يزالوا يقصُّون هذا النصَّ حتى انتهوا إلى البركة التي في شرق
 حلوان ، فنزل فيها رجل فوجد فيها ثيابه وهي سبع جباب ، ووجدت مزوَّرة فيها آثار
 السكاكين ، فلم يشكَّ في قتله^(٢) . فكانت مدته سنا وثلاثين سنة وسبعة أشهر ، وكانت
 رلأيته خمسا وعشرين سنة وشهرا . وكسفت الشمس يوم موته . وكان جوادا بالمال
 سفكا للدماء قتل عددا كثيرا من أمانل دولته وغيرهم صبيرا ، وكانت سيرته من أعجب
 السير .

قال : ومنع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلا ونهارا ، ومنع الأساكفة من عمل
 الخفاف المنجدة لمن ؛ فأقمن على ذلك سبع سنين وسبعة أشهر إلى خلافة الظاهر .

قال أحمد بن الحسين بن أحمد الروذباري في كتاب^(١) الأدياء على ما نقله ابن سعيد :
 وقتل الحاكم ركابيا له بحرية في يده على باب جامع عمرو بن العاص وشقَّ بطنه بيده .
 وعمَّ بالقتل بين وزير وكاتب وقاض وطبيب وشاعر ونحوي ومُتَنٍّ ومختار وصاحب سمر

(١) كان في طريق الذهاب من القاهرة إلى ناحية البساتين ، وروقه اليوم قراة سيدى عقبة على بعد ٥٠٠ متر تقريبا
 غرب مسجد سيدى عقبة وقبل مسجد الإمام الشافى . النجوم الزاهرة : ٤ : ١٨٥ : حاشية : ٤ .

(٢) يقول ابن تغرى بردى في معاد الخلة التي دبرتها أخت الحاكم لقتله إنها أعطت المبدئين الذين أخضرها سيف الدولة
 ابن دراس سكينين من عمل المنارية تسمى الواحدة سهما «ياقوت» ولها رأس كراش المبخع الذي يقصد به الحجام .
 النجوم الزاهرة : ٤ : ١٨٧ .

(١) في الأصل هنا كلمة لم أعتد إلى قراة سليمة لما حتى بعد الاستماعة بما لدى من مراجع .

وحماي وطباخ وابن عم وصاحب حرب وصاحب خبر ويهودى ونصرانى ، وقطع حتى أبدى الجوارى فى قصره . وكان فى مدنه القتلُ والغيلة حتى على الوزراء وأعيان الدولة يخرج عليهم من يقتلهم ويجرحهم . وخطفت العمائم جهاراً بالنهار ، وكان لعبيد الشراء فى مدنه مصائب وخطوب فى الناس . وكان المقتول رُبما جُرَّ فى الأسواق ، فلوقع ذلك فنة عظيمة .

قال : كان الحاكم يركب حمارا يسى القمر ويشيرُ به على الناس . وكان له صوفيّة يرقصون بين يديه ولم عليه جازٍ مستمر . ووقف رجل للحاكم فصاح عليه ، فمات لِرُوقته . وكانت غيبته إلى يوم جلوس ولده الظاهر ثلاثة وأربعين يوما .

قال ابن سعيد عن مجموع وقف عليه : وواصل الحاكم فى ركوبه الوقوف على المعروف بابن الأزرق الشواه ومحاذنه بدار فرح ، وخلع عليه وأجازه . وفى يوم استدعى الحاكم أحد الركابيّة السودان المصطنعة [٧٠ ب] ليحضر إلى حانوت ابن الأزرق الشواه ، فوقفه بين اثنين ورماه برمح ، ثم أضجعه ، واستدعى سكيناً فلبحه بيده ، ثم استدعى شاطورا ففرق بين رأسه وجسده ، ثم استدعى ماء فغسل يده بأشنان ثم ركب . وحُمِل المقتول إلى الشرطة فأقام ليلة ثم دفن بالصحراء . ثم بعث المؤمن بعد ثلاثة أيام فنبشه وغسله وأنفذ إليه أكفانا كفن بها ، ثم أمر قاضى القضاة بالصلاة عليه ، وأمر ألا يتخلف أحد فحضر الشهود وأهل السوق ، وصلى عليه قاضى القضاة ، ودفن بالقرافة ، وواراه قاضى القضاة وجعل التراب تحت خده ، وأمر ببناء قبره وتبيضه فى وقته ، ففعل ذلك . وتظلم إليه رجل فى ركوبه إلى مصر فى ناصح الركابي ، فوقف عليه وسأل ناصحا عن دعواه فظهر أنها صحيحة ، فأمر أن يدفع ماله إليه ، فلم يجد معه فى الوقت ذلك القدر ، فأئزمه ببيع فرسه الذى كان راكبا عليه ، فباعه ووئى الرجل ما كان له عليه ، كل ذلك بحضرته وهو والى على ظهر دابته ، ثم سار .

وقال الصوطى : كان الحاكم أجود الخلفاء بماله ، وبه تقشّرت حاله فيها سفكه من الدماء الى لا يحصىها إلا الله . وكان الأمر في مدة العزيز فيه انحلال وعفو كبير عن الناس ، وظنوا أن ذلك يجوز في مدة الحاكم وجروا على رسمهم ، فتجرد له منهم مُطَّلَع على جميع أمورهم غير مُطَّرَحٍ لِعُقُوبَةٍ ، فهلك الجَمُّ الغفير منهم . وكان في مدة أبيه العزيز بالله قد تكشف على أقوام من يطمعن في الدولة ويسوء المقالة فيها ، فلما صارت له الخلافة انتقم منهم أشد انتقام وعصمهم بالعقوبة .

قال : ومن حكايته المشهورة في العدل أن رجلا عربيا ورد على مصر من مجملاسة (١) يريد الحج ، فأودع ماله عند رجل في السوق ، فلما عاد من الحج طلب ماله فأبى أن يدهمه إليه . فتوصل إلى أن أطلع الحاكم على أمره ، فقال له اجلس في دكان مقابلا لدكانه ، فإذا جرت في ذلك السوق فاعمل كأنك تعرفني وكأني أعرفك . فلما مر الحاكم وقف على الرجل وسأل عن حاله وأكثر معه الوقوف ، وانصرف فجاء الرجل الذي عنده الوديعة إلى الرجل وأكب عليه وسأله الصنف عما سلف منه ، وأحضر إليه جميع ماله . فعرف الحاكم بذلك ، فأصبح الذي أنكر الوديعة مقتولا معلقا بـرجله .

وكان نقش خاتمه : ينصر الولي العلي ينتصر الإمام أبو علي (٢) .

(١) مدينة في جنوب المغرب الأقصى ، بينها وبين فاس عشرة أيام ، وتقع على طريق من يريد غانة التي كانت - ولا تزال - تعرف بإنتاج الذهب مجسم البلدان : ٤ : ٤١ .

(٢) سبق في أثناء الحديث عن سنة ثلاث وأربعمائة أن نقش خاتمه كان : ينصر الله العظيم الولي ينتصر الإمام أبو علي .

وخطب له معتمد الدولة ، أبو المنيع قرواش بن المقلد^(١) بالموصل والأنبار وقصر ابن هبيرة^(٢) والمدائن .

ومن خط ابن الصيرفي يروى أن الإمام الحاكم بأمر الله قال لبعض الأعيان الذين شربهم بمجالسته وميزهم بمحاورته ، فقال : أكلت حتى شبعت ، وشربت حتى رويت ، والشبع والرئ غابتا الأكل والشرب ، فإذا قلت ومنت ، فنقول : حتى إذا أتى شيء جعلته غاية النوم ؟ فلم يحرجوا ودغب إلى كرمه في الإفادة ، فقال تمت حتى ريت ، والروث غاية النوم ، وأنشد :

فلما تمسمُ بنُ مَرٍ فألفأهمُ القومُ روثاً نيماً^(٣)

(١) رأس أمراء بني عقيل ، أصحاب الموصل ، تولى الإمارة بقلب معتمد الدولة بين سنتي ٢٩١-٤٤٢ (١٠٠٠-١٠٥٠) وقرواش ، يفتح القاف ، مناه بالتركية حيد أسود . النجوم الزاهرة : ٥ : ٤٩ ، ودغبه ابن خلكان بكسر القاف ،

Mohammadan Dynasties

(٢) تنسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الذي كان قد تولى العراق من قبل آخر الخلفاء الأمويين ، مروان بن محمد ، ابن هذا القصر قرب الأنبار ، وقد دخله السلاج بعد إعلان الخلافة العباسية وأتمه وسماه المشاشية ، لكن الناس ظفروا يطلقون عليه اسمه القديم . معجم البلدان : ٧ : ١١٢-١١٣ .

(٣) هذا البيت غير مكتمل إلا أن حروضا .

الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي ابن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور

أمه أم ولد تدعى رقية ، ويقال اسمها آمنة بنت الأمير عبد الله بن المعز ، وإن ست الملك سلطنة ، أخت الحاكم ، كانت تعادى آمنة هذه . ومولده بالقصر من القاهرة حل مضي ثلاث ساعات من ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان ، سنة خمس وتسعين وثلثائة ، وبويع بالخلافة في يوم عيد الأضحى سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وله من العمر ست عشرة سنة وثلاثة أشهر^(١)

وانفق في هذا اليوم أن صُلِّي للحاكم في خطبة العيد ، ثم بويع الظاهر بعد عودة القاضي من المصلّى ، فكان بين الدعاء في الخطبة للحاكم وبين أخذ البيعة للظاهر ثلاث ساعات ، ولم يثقف مثل ذلك .

وتوفي ببستان الدكة^(٢) خارج القاهرة ، في ليلة الأحد النصف من شعبان سنة سبع

(١) قاله صاحب النجوم الزاهرة : ٤ : ٢٤٧ ، ففلا من مرآة الزمان ، إنه ولد الخلافة وله من العمر ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخسة أيام . وذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان : ١ : ٤٦٣ - ٤٦٤ أنه تول به فقد أبيه بمدة ، لأن أباه فقد في السابع والعشرين من شوال ، وكان الناس يرجون ظهوره ويتبعون آثاره إلى أن تحققوا عدمه ، فأتوا ولده الظاهر في يوم النحر . ويذكر ابن الأثير : ٩ : ١١٠ أن الجند أتوا خسة أيام به فحلب الحاكم ثم اجتمعوا إلى ست الملك وحملوه في أسر حيث تأجلتهم يومين ، فلما كان اليوم السابع ألبست أبا الحسن على ابن أخيها الحاكم أسفر الملابس والجند يحسبون الدود المهدد ، ثم صاح الوزير : يا صبيد الدولة مولدنا تقول لكم هذا مولدكم أمير المؤمنين فاجسوا له ، ولقب الظاهر لإعزاز دين الله . (ويلاحظ أن ابن الأثير يكتبه أبا الحسن ويكتبه ابن خلكان أبا حاتم ، ويذكر صاحب النجوم الكهين سا) .

(٢) الدكة كان مكانها بستانا من أعظم بساتين القاهرة فيما بين أراضي القوق والمقس ، وبه منظره لقلعة الفاطميين تشرف طائفتها على النيل الأعظم ولا يصل إليها وبين الجيزة شيء . وقد زالت بزوال الدولة الفاطمية وبني الناس في موضعه . الخطط : ٣ : ١٢٠ - ١٢١ .

وهشرين وأربعمائة ، وعمره إحدى وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام . ومدة خلافة خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام ، كانت فيها قصص وأنباء .

ذلك أنه لما [١٧١] فقد الحاكم استدعت السيلة ست الملك سيف الدولة حسين بن علي بن دؤاس الكشامى إلى حيث كانت جالسة وقالت له : المَعُول في قيام هذه الدعوة عليك ، وهذا الصبي ولدك ، وينبغي أن تتولى الخلة إلى غاية وسعك وتبذل فيها كل ما عندك . فقبل الأرض وشكر ودعا ، ووعده بالإخلاص في الطاعة ، ويلوِّغ ما في القدرة والاستطاعة . فأخرجت علي بن الحاكم بأمر الله ولقبته الظاهر لإعزاز دين الله ، وألبسته تاج المعز جد أبيه ، وهو تاج مرصع بالجواهر الفاترة ، وجعلت على رأسه مظلة مرصعة . وأركبته فرسا رائعا بمركب ذهب مرصع ، وأخرجت بين يديه الأمير الوزير رئيس الرؤساء خطير الملك أبا الحسن عمار بن محمد ونسيما صاحب السيف ، في عدة من الأستاذين (١) نخدم . فلما برز وشهد تقدم الوزير وصاح : يا عبيد النولة ، مولاتنا تقول لكم هذا مولاكم أمير المؤمنين فسلموا عليه ، فقبل ابن دؤاس الأرض ومَرَّغ خُطْبَةً بين يديه ، وفعل ما يتلوه من سائر طبقات العسكر مثل ذلك ؛ وضربت البوقات والطبول ، وعلا الصياح بالتكبير والتلهيل ، والظاهر يسلم على الناس يمينا وشمالا . وفتحت أبواب القصر ، وأدخل الناس على العموم حتى سَلَّمُوا وصلحوا ؛ ولم يزل واقفا لم إلى الظهر . ثم صُرفوا وجُمعوا من غد وأُعلنت البيعة عليهم ، ووضع العطاء ، وأطلق مال الفضل للجند كافة ؛ ولم يجر خلاف من أحد ، إلا أن غلاما تركيا كان يحمل الرمح بين يدي الحاكم قال لا أُنابيع حتى أعرف خبر مولاي ؛ فأخذ وسُحب على وجهه وغرق في النيل ، وقامت الهيبة .

(١) الأستاذون : الخدام والخواص ، ومنهم أرباب الوظائف المختصون بشئون الخليفة واحتياجاته ، وأعظمهم مكانة الأستاذون المختصون الذين يدبرون عائلهم حل أسألتهم ، ومن أقرب الخدام إلى الخليفة ، ومنهم من يحمل رسائل الخليفة إلى الوزير ، ومن يشرف على إعداد جلسته . . الخ . . . صبح الأعي : ٣ : ٤٧٧ .

وكتب إلى بلاد الشام والمغرب بوفاء الحاكم وقيام الظاهر ، ورسم لهم أخذ البيعة على نفوسهم ومن عندهم من سائر طبقات الناس . وأقيمت المآتم على الحاكم في القصور والقاهرة ثلاثة أيام . وجمعت السيدة عامة أهل مصر وخاطبتهم بالجميل والملاطفة ، ووعظتهم بحسن السيرة والمعاملة ، وأمرتهم بذكر حوائجهم ومصالحهم في كل وقت ، والمطالعة بحسب إنا لحقهم من عامل أو ناظر ليفعل في ذلك ما توجه السياسة العادلة . وأطلقت للنساء الخروج من منازلهن والتصرف في أمورهن . وارتفعت جواهر كان الحاكم وهبها ، وحلت إقطاعا ، أقطعها ووثبت الأمور ترتيبا أصلحها وعلها .

وزارت ابن دؤاس في منزله ، وجعلت مصادر التدبير على يده . فلما أحكمت ما أحكمته وأكثت ما أكثته ، أحضرت ابن دؤاس وقالت له : قد علمت ما بيني وبينك من المواقف والعهود ، وأنا امرأة ، وإنما أريد هذا الملك لهذا الصبي ، وقد أحسن الله المعونة ، وأجرى الأمور على المحبة ، وأنت زعيم الدولة فيها والمتنظر إليه منها ، وقد رأيت أن أنجز وعدك وأظهره ، وأردت إليك أمر السيفيين ، مضافا إلى الشرطتين ، وأجمل أمرك في الأمور والخزائن نافذا ، ورأيتك في التقريرات والتدبيرات محتدا ، إذ كنت المولى المخلص والشريك المخالط ، وأشرفك بخلق وحيلان^(١) يظهر للخاص والعام بها موضعك ومهلك ، وتخصصك وتحققك . فادخل الخزائن واختر كل ما تريد لفخامته ولجلاله ، واطلب يوما تختار لنفاز فيه عليك الخلع ويقرأ العهد بتقليدك . فلما سمع من ذلك ما سمع سر به وقبل الأرض شكرا عليه . وشاع هذا الحديث فر كب الناس إليه وهنؤه بالنعم المتجردة له .

وأحضرت السيدة بعد ذلك كاتب ابن دؤاس وقالت له : قد تقدمنا إلى سيف الدولة بما عرفته ، وبما اعتمد التخفيف فيها أطمعه أو وقف فيه دون الغاية التي نريدها ، وبينى لك أن تعمل أنت تذكرة بجميع ما يستوفى فيه شروط المنزلة التي قدمناه إليها ، والحال

(١) الحيلان بالنقم ، ما يحصل عليه من الثواب في الحبة عامة . الثاموس المحيط .

التي أكلناه لها ، وتستظهر له لا عليه في ذلك ، وتحضرها لتقف عليها وننجز ما فيها .
 فقبل الأرض وقال : السمع والطاعة . فقالت له واكتب أيضا رقعة واذكر فيها مبلغ
 جاريك لتوقع بإضماره ، وقد أمرنا عاجلاً باعطائك ألف دينار وعشرين قطعة ثياباً
 وبغليظ بمركبين . فأعاد الشكر والدعاء ، وصار إلى [٧١ب] ابن دواس فأعلمه ما خطب
 به وعمل به من حسن الاعتقاد فيه ، فتضاعف سروره بذلك ، ووافقه على ما كتب به
 التذكرة من الثياب ، والسيوف المحلاة ، والمناطق المرسمة ، واللواب والمراكب الذهب
 الثقبلة ، وغير ذلك من أسباب التشريفات الزائدة ، وعاد الكاتب بها فعرضها ، وتقدم
 بأعداد جميع ما فيها ، وكتب له العهد . وأخبر ابن دواس وينوعه وكاتبه ، وامتلأ القصر
 بالخاصة والعامة ، وخرج يقضد الخادم ، وكان قريباً من السيدة ، وهو أستاذ الظاهر ، فعمل
 ابن دواس إلى الخزانة حتى يشاهد ما أعد له ، وكان عظيمًا جليلاً ، وقال له : السيدة تقول لك
 إن أردت مزينا فاطلبه ، فقبل الأرض ودعا ، وعاد فجلس في صفة على باب الستر ووجوه
 الدولة بين يديه ، وكل منهم يتطأطأ له ويحيطه من نفسه كل ما يتقرب إليه به .

فلما تعالى النهار خرج نسيم الصقلي صاحب الستر والسيف ، وبين يديه مائة رجل
 تعرف بالسعدية ، يختصون بركاب السلطان ويحملون سيوفاً محلاة بين يديه ، ويعرفون
 لأجلها بأصحاب سيوف الجلي ، وقد جرت عادتهم في أيام الحاكم بأن يتولوا
 قتل من يؤمر بقتله . وقال لابن دواس : أمير المؤمنين يسلم عليك . فقام وقبل الأرض ،
 وفعل الناس مثل ما فعله ، وقال : قد جعل هؤلاء القوم - يعني أصحاب السيوف - برسمك
 إكراماً لك وتنوياً بك . فقبل الأرض ثلاثاً ومرغ خديه ، ودعا هو والحاضرون للظاهر
 بما يهدي مثله به ؛ ووقف القوم قياماً بين يديه . فعاد نسيم فألقى ماجرى ، فرسمت له السيدة
 أن يخرج ويضبط أبواب القصر بالختم والصقالبة ، ففعل . وقالت له بعد ذلك ، انخرج
 وقف بين يديّ ابن دواس وقل : يا عبيد مولانا ، أمير المؤمنين يقول لكم هذا قاتل مولانا

الحاكم . رَأَاهُ بالسيف وأمر العبيد السعدية بَأَن يقتلوه . فخرج نسيم ومعه جماعة من الصقالبة وفعل ما أمر به ، وأخذ رأس ابن دُوَّاس ودخل به إلى حضرة السيدة فوضعه بين يديها . فأمرته بإيفاد الصقالبة^(١) إلى دُورِهِ والتوكيل به والقَبْض على جميع أسبابه ، وقتل كاتبه ، وإخراج جثته ورميها على باب القصر ، ففعل جميع ذلك . ولم يعترض فيه معترض ، ونفرض الناس .

وأخبر مؤبَّد ابن دُوَّاس فوجدت في بعض صناديقه السكين التي كان يحملها الحاكم في كُمِّه أضلَّت عند قتله . وأقامت جثة ابن دُوَّاس ثلاثة أيام ، ومناد ينادي عليها : هذا جزء من غدر بحواليه ، ثم دُفِن إلى صبيده فلغته .

وقبضت السيدة بعد هذا على خطير الملك عمار بن محمد . وكان يتولى ديوان الإنشاء وإليه زَم^(٢) المشاركة والأثر ، وهو الوسطة بين الحضرة وبين هذه الطوائف ، ثم خلع عليه في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، ووقع عن حضرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على ما يوقع عليه الحاكم ، فجعل توقيعه : الحمد لله رب العالمين ، ثم قام بعد الحاكم بالبيعة لأمر المؤمنين الظاهر كما تقدم . وفي سنة اثني عشرة خُلع عليه للوسطة وكتب سجله بذلك ، وزال أمره في ذى القعدة من السنة المذكورة ، فكانت مُدَّة سبعة أشهر وأياما ، وقتل في الحج .

وولى بعده بدر الدولة أبو القتوح موسى بن الحسن ، وكان يتولى الشرطة السفلى ثم خلع عليه أولا بالصعيد في جمادى الآخرة سنة اثني عشرة ، ثم ولى ديوان الإنشاء

(١) الصقالبة جماعة حر الألوان سبب اللصوص تجاور بلاد الخزر (عند بحر قزوين - الخزر) وبعض بلاد الروم ، وكانوا يصلون إلى مصر مع النخاسين تجار الرقيق ، تكاثر عددهم أيام الفاطميين حتى أصبحوا يكونون مصرا حاما من عناصر الجيش والحرس الفاطميين .

(٢) وظيفة الزمام من وظائف الأستاذين المختكين يشرف شاغلها على ديوان بيته أو على فئة يمينها من الخدم أو جماعة الحرس . الخ .

عوضاً عن ابن خيران ؛ وخلع عليه للوساطة في محرم سنة ثلاث عشرة عوضاً عن خطير الملك ؛ ثم قبض عليه في العشرين من شوال منها في القصر ، فاعتقل وزال أمره ؛ وكانت مدة وساطته تسعة أشهر . ثم أخرج في يومه مسحوباً ، وسجن ، ثم أخرج من الغد وقتل في الفج ؛ فوجد له من العَيْنِ ستائة وعشرون ألف دينار .

وقُتِلَت السيدة جماعة ممن كان اطلع على سرّها في قتل الحاكم ، وعظمت هيبتها في نفوس الأباعد والأقارب .

وفي سنة ثمان عشرة شرب الظاهر الخمر وترخص فيه للناس وفي سماع الفناء وشرب الفجاع ، وأكل الملوخية وسائر أصناف السمك ، فأقبل الناس على اللهو .

وكان قد وَلَّى حلب غلام يعرف بأَمير الأمراء عزيز الدولة أبي شجاع فأنك الوحيدي ، غلام مُنْجُو تَكِين ، في شهر رمضان سنة سبع وأربعمائة ، وكان أرمينيا ديناً عاقلاً ؛ فولاه الحاكم بأمر الله [١٧٢] حلب وأعمالها ، ولقبه أمير الأمراء وعزيز الدولة تاج الملّة . ودخل حلب يوم الأحد ثاني شهر رمضان منها ؛ وتمكن من البلد واستفحل أمره وعظم شأنه ، فعصى الحاكم^(١) ، ودعا لنفسه على المنبر ، وضرب السكة باسمه . فمات الحاكم عقب ذلك . فإلاطفته السيدة وآنسته ، وواصلته بما مال إليه من حمل الخلع والخيول بالمرآكب في سنة اثنتي عشرة حتى استمالت قلبه . ولم تزل تعمل الحيلة حتى أفسدت عليه غلاماً له يعرف ببدر ، كان يملك أمره وعظمته تحت يده ، وبذلت له العطاء الجزيل على الفتك به ، ووعده أن تقبمه مقامه في موضعه . وكان لعزيز الدولة غلام هندي بهواه ويحبه حبا شديداً ؛ فاستفواه بدر وقال له : قد حرفتُ من مولاك ملالاً لك وتغيّراً منه فيك ، وأطلعتُ منه على عَزَمَةٍ في قتلك ، ودفعته دفعاتٍ عنك لأنّي لا أشتي أن يتمّ مكروه عليك .

(١) في الأصل : فصى على الحاكم .

وتركه مدة ووهب له دنانير وثيابا ، وأظهر له المحبة ، وتوصل إلى أن خلاجه ثم قال له : إن علم نبأ التعبير عزيز الدولة قتلنا ، وما إشفاقى على نفسى وإنما إشفاقى عليك . فقال له الصبي : فأى شيء أعلم يا مولاي ؟ قال : قد عرفت محبتي لك ، وإن ساعدتني اصطغبتك وأعطيتك ، وعشنا جميعا فى خفض وأمن . قال له : فارسم ما شئت حتى أقفله ، قال : تحلف لى حتى أقول لك ، فاستحلفه وخطعه ، ووافق على قتل عزيز الدولة . فقال له الصبي كيف أقتله ؟ قال : الليلة يشرّب ، وسأزيد فى سقيه حتى أسكره ، فإذا استدعاك على الرسم لغززه^(١) ونام فقم كأنك تهريق ماء ، فخذ سيفه واضربه حتى تفرغ منه . فقبل الصبي وصيته . وكان عزيز الدولة فى الصيد ، فلما عاد دخل الحمام وخرج منه فأكل ثم انتقل إلى مجلس الشراب ، وحضر من جرت العادة بحضوره من نكمائه ، ثم قام فى آخر وقت وقد تبين فيه السكر ، والصبي بين يديه يحمل سيفه حتى وأقنى إلى مرقدته واستلقى على فراشه ، وأمر الغلام أن يغززه . فلما مضى هزيع من الليل وثقل عزيز الدولة فى النوم وتحقق الصبي ذلك سلّ السيف وضربه به ، وكان سيفا ماضيا ، ففلق رأسه ، وأتبع الضربة بأخرى فقتله . ودخل بدر وشاهده ميتا ، فصاح ، واستدعى غلمان الدولة وأمرهم بقتل الصبي ، فقتلوه ، وحوّط الخزان والقلعة .

وشاع قتل عزيز الدولة ، وكان ذلك فى ليلة السبت الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة . وكتب بدر إلى السيدة بقتله ، فأجابته ، وأظهرت الوجد على عزيز الدولة ، وشكرت بدرأ على ما كان منه فى ضبط الأمر وحراسة الخزان ، ولقبته وفى الدولة ، وقلدته موضع مولاه ، ووهبت له جميع ما حازه .

(١) غزه يغزّه مثل نفسه . القاموس المحيط . ولعل المقصود به ما يسمى بالتكيس الذى يقوم به بعض الخدم أو الجوارى لخدمة قبيل النوم .

وكان سيد الدولة على بن أحمد الضيف ناظرا بالشام^(١)، فنلطف بيدر غلام عزيز الدولة حتى تسلم البلد منه والقلمة ، وولاهما أصحاب الظاهر . وسبب ذلك أن كتابا وصل إليه من الظاهر بخطه يعطّب نفسه ، وأظهر هذا الكتاب في حلب، في أيام الملك رضوان أخذه من بعض أهلها ، وكان في ورق إبراهيم أسمر عريض ، فيه ثلاثون سطرا بخط وسط . وكان صدر الكتاب : عرض بحضرتنا يابدر - سلمك الله - ما كتبت على يد كاتبك ابن ملبر ، وعرفنا ما قصدته ، ولم نسيئاً لنا بك لقول فيك ولا شاعة ذكر . وقد بعثنا بأحد ثقاتنا إليك وهو علي بن أحمد الضيف ليحجّد الأخذ عليك . فلما دخل ابن الضيف على بدر بالكتاب استرسل إليه وطرح القيد في رجله ، فقبض عليه وأنزله من القلعة . وأقام بحلب سنة . وسلمها موصوف الخادم إلى أصحاب الظاهر وثقاته .

وفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة في ذي الحجة والناس يطوفون بالكعبة قصد رجل دَيْلُي من الباطنية الحجر الأسود فضربه بلبوس فكسره ، وقتل في الحال ، وقتل معه جماعة ذكر أنهم كانوا معه وعلى اعتقاده الخبيث^(٢) .

ولما تسلم بدر مدينة حلب من عزيز الدولة فأنك بقي بها سنتين ، ثم ملكها موصوف

(١) يعرف القلقشندي بوظيفة ناظر نظار الشام فيقول : « وهو الذي يقوم مقام الوزير بالديار المصرية » السلوك :

١ : ٦٦٧ ، حاشية : ٣ .

(٢) جاء في النجوم الزاهرة : لما وصل الحاج المصري إلى مكة الشرفة وثب شخص من الحاج إلى الحجر الأسود وضربه بلبوس كان في يده حتى شقه وكسر قطعا منه ، وعاجله الناس فقتلوه . ثم ينقل من ملال الصاب كتابا كتبه الظاهر يبدؤه بالنبي جل جلالته ذهبت في القلعة في حل بن أبي طالب أبدا بعيدا وادمت فيه مالدت النصاري في المسيح ، ثم نهجت عنها فرقة وقالوا في آياته وأجاده منكرنا من القتل وزورا . ثم يتبرأ الظاهر من هذه الاتهامات ويصطرق إلى سادة الحجر الأسود ويستنكرها ويتبرأ من مرتكبيها ، ويثبت الكتاب بقوله : « لقد ارتقى هذا الملعون مرتين طليبا ومقاما جسيما أذكر به ما كان أقدم عليه غلام تغريب المعروف بالحجاج - له الله - من إحراق البيت وعلمه وإزالة بنيانه وردمه » . النجوم الزاهرة : ٢٤٨ - ٢٥٠ . انظر أيضا : الكامل : ٩ : ١١٤ - ١١٥ .

الخادم . واستدعى منتخب الدولة أنوفتكين النُزيرى^(١) من قيسارية^(٢) ، فلما كان في الرملة خرج إليه توقيعُ بولاية فلسطين ، فدخلها في المحرم سنة أربع عشرة ، فخافهُ حسان بن مفرج بن دغفل [٧٧ب] بن الجراح ، وجرت له معه وقائع وحروب انتصر فيها النُزيرى على حسان وعظم أمره . فسمى إلى به الوزير فقبض عليه بحسقلان .

وكان قد ولي الوزارة الأمير شمس الملك المكين الأمين أبو الفتح مسعود بن طاهر الوزان بعد قتل بدر الدولة أبي الفتح موسى بن الحسن في المحرم سنة أربع عشرة ، ورُدَّ إليه النظر في الرجال والأموال . فجرى له مع نجيب الدولة على رسمه فيها يتولاه من ديوان تيس ودمياط ، والجيش الحاكم ، ودواوين السيدة ست الملك ، ولا يكون لشمس الملك في ذلك نظر .

وبعث الظاهر رسولا إلى بلاد إفريقية ، فقدم مدينة المنصورة لأربع بقين من جمادى الأولى ، ومعه تشریف جليل لشریف الدولة أبي تمم المعز بن باديس ، وثلاثة أفراس بسروج ثفيلة ، وخلعة ومنجوقان^(٣) قد نسجا بالذهب على قصب من الفضة ، وعشرون بندا ملهبة ، وسجلٌ كُتِب فيه بشرف الدولة وعضدها . فتلقاه شرف الدولة ، وقرئ السجل بجامع القيروان .

(١) تحدث ابن القلانسي عن هذا القائد بطول فكان مما قال إنه تميز في حله بالشجاعة والثبات وحسن السياسة والنسبة في العسكرية والرحمة وتشبثت شمل أولي القصاد من الأعراب وغيرهم . وذكر أنه لقب الأمير المظفر أمير الجيوش هذه الأيام سيف الخلافة عند الدولة شرف الممالق . ومولده بلاد مالوراء التبرجيث سي وبيع ، وتنقل في الخدمة حتى وصل دمشق سنة ٤٠٠ . فاشتره القائد زبر بن أوتيم التلملي . ثم انتقل إلى ملكية الحاكم سنة ٤٠٣ ، وصار يرافق حتى سيره مع سيد الدولة الضيف في السكر إلى الشام سنة ٤٠٦ . ثم تولي بعلبك ، ثم قيسارية ، ثم تنقل في الوظائف حتى انتهى إلى ولاية دمشق . ذيل تاريخ دمشق : ٧١ وما بعدها .

(٢) على الساحل للشام ، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . صميم البلدان : ٧ : ١٩٥ - ١٩٦ .

(٣) المنجوق . نوع من الأعلام والبنود .

وأهل جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وأربعمائة بيوم الثلاثاء ، ففيه خلع على أبى
الفرج بن مالك بن سعيد ثوب وعمامة مذهبان ، ورداء محشى مذهب ، وحمل على بغلة
بسرج ولجام محلى ، وقلد قضاء تنبیس وشار إليها . وخلع على أحد أولاد ابن جراح
ثوب مثقل مذهب وعمامة طائفة ، وحمل على فرسين بسرجين ولجامين مذهبين . وفى
غده ركب الظاهر إلى نواحي القصور وعاد .

وفى ثالثة وصلت نحو المائة رأس من جهة ابن البازيار وشهرت .

وهلك محمدين عبد الله بن المنبر بأخذ الخطير عمار فى القصر . وفى رابعه وكُل بدكاكين
الرواسين فى جميع الأسواق ، وأخذ ما فيها من الرموس^(١) ، وكان قد طلب خمسمائة رأس
وألف رطل رقاقا .

وفى سادسه جلس الظاهر للسلام ، ودخل الناس على رؤسومهم ، وانصرفوا . وفى ثامنه
جُمع الناس كافة إلى صحن الإيوان بالقصر ، وخرج رفق الخادم ومعه منشور وسجل ،
فتمَّ المنشور إلى أبى طالب على بن عبد السميع الهامى الخطيب ، فرق المنبر وقرأه على
الكافة . فتضمن أن جماعة من أوغاد الأرياف يرتكبون الجرائم ويَحْمُونَ بِأهل الدولة من
الولاة . فنهوا عن حمايتهم . فلما فرغ من قراءته استدعى أبو عبد الله محمد بن على بن
ابراهيم النرسى ، نقيب الطالبين إلى الخزائنة الخاصة ، فخلع عليه ثوب ديبقى مذهب
مصغف بأطواق ، ومن تحته ثوب مصمت مذهب وغلالة مذهبة ، وعلى رأسه عمامة شرب
مذهبة . وخرج وفى يده سجل يتضمن استمراره فى النقابة على عادته ، وكان قد أرجف
بصرفه عنها .

(١) يقع سوق الرواسين على رأس سوقة أمير اليهودى ، وقيل له ذلك من أجل أن هناك خانة تصنع فيه الرموس .
وكان من أحسن أسواق القاهرة ، فيه حدة من البيامين ، ويشتمل أيضا على نحو شرين سائوتا ملونة بأصناف المأكول .
الخط : ٩٥ : ٢ .

وفى تاسعه ركب الظاهر فى عساكره إلى عين شمس ، وعاد . وفى يوم الجمعة حادى عشره كان نَوْرُوزُ القَبْطِ ، وانتهت زيادة النبل فيه إلى أربعة عشر ذراعاً وأصبح واحد .

وفيه خطب بجامع راشدة على منبره خطبتان فى وقت واحد . وذلك أن أباً طالب على ابن عبد السميع خطب بهذا الجامع بعد سفر الغيف البخارى إلى الشام بأمر قاضى القضاة ، فسعى ابن عُصْفُورَةَ ببعض الخدام حتى خرج له الأمر بأن يخطب ، فخطباً معاً أحدهما دون الآخر . ثم استقر أبو طالب فى الخطابة وأن يخلُغَه ابن عصفورة .

وفى ثالث عشره ركب الظاهر لفتح الخليج وسدَّ البلد إلى الصُّنَاعَةِ^(١) ، فطُرح بين يديه عشارى^(٢) . ثم سار على شارع الحمر إلى سدِّ الخليج ، ففتح بين يديه ولعبت الشاربات فيه ، وكان يوماً حسناً . وكان عليه وقت نزوله إلى مصر قميص طميم مذهب ، وعلى رأسه شاشية مرصمة ؛ وعاد وعليه ثياب بيض دبيقية مذهب وعمامة شرب مسكى مذهب .

وفى ثانى عشره وصلت هدية من المحدث بأسرمان ، وهى عشرون فرساً ، وثمانون بُخْتِيّاً وعدة عبید وإمام سُودَان ، وفهد ، وغنم ثوبية ، وطيور ، ونسانس ، وأنياب فيلة .

وفى ثلاثة أيام ، آخرها سلخه ، انصرف ماء النبل انصرافاً فاحشاً ولم تَرَوْ منه الضِّياح ، وكثر ضجيج الناس واستغاثتهم ، وخرج أكثرهم بالمصاحف منشورة إلى الجبل يدعون الله

(١) المقصود فتح سد النيل عند منطقتهم الخليج . وقد تقدم شئ من التصريف بهذا الاحتفال .

والمقصود بالصناعة دار الصناعة والزرانة ، وهى المكان المخصص لإنشاء وتسيير السفن والمراكب بأنواعها ؛ حرية وتجارية أو للزعة . وقد نقلت دار الصناعة زمن الفيلسوفين إلى منطقة القس فى موضع ميدان رسيس ، أو محلة مصر ، الحال . لكن يظهر من النص هنا أن هذا الاحتفال كان يقام فى موقع دار صناعة مصر (القسطنطينية) التى كانت على ساحل مصر جهة الشرق وهى التى أنشأها الإغثية . وكانت أول دار للصناعة فى مصر الإسلامية بجزيرة الروضة على ساحلها الجنوبي الشرقى . المخطوط : ٤٩٣ - ٤٧٠ : ١ .

(٢) الشاربات مبنية صغيرة للزعة وللحفاة بصفة خاصة ، وهى من طائفتين أحدهما مجلس الخليفة ووزيره وخاصة ، وأسلطها هوائج والمأكولات والأدوات التى يجتمع إليها فى الزعة ، والقرية . وكان المشارى الذى يركبه الخليفة لفتح سد الخليج لا يحمل إلا الخليفة والوزير وعدة قليلة من الخاصة لا تجاوز أصابع اليد الواحدة . للتبويب الزاهرة : ٤ : ١٠٠ .

فلم يُقَاتُوا . وتعلّر وجود [٧٣ ا] الخبز ، وازدحم الناس على شراء الغلال ، ووقف سعر التليس على دينار إلا أنه لا يوجد إذا طلب ، وأبيع سراً التليس القمح بدينارين ، والحملة الدقيق بدينارين وربع ، والخبز أربعة أرتال بلدرم ، وثمن الحمل الدقيق بعشرين درهماً^(١)

وأهل شهر رجب بيوم الأربعاء . وفي ثلثه توجه أبو القاسم بن رزق البغدادي في الرسالة إلى الحجاز . وفي خامسه خلع على داود بن يعقوب الكتامي ثوب مثقل وعمامة ، وقُلِّد الحسبة والأسواق والسواحل ، فنزل في مكعب عظيم وبين يديه اثنتا عشرة نجبية تحيط به إلى مجلس الحسبة بمصر ، فنظر في الأعمار عوضاً عن ابن غرة فاستقامت الأحوال . وقُلِّد ذو القرنين أبو المطاع بن الحسن بن حمدان الإسكندرية وأعمالها غرباً وأمر ولده فاضل ولُقِّب عظيم الدولة ، واستقر حوضه إلى البلد .

وفيه قرئ بالإشراق سجل برقع المناكر وترك التظاهر بشئ منها ، وألا يخرج النساء من بعد العصر إلى الطرقات بالقرافة ، وأن تُنزّه هذه الأشهر الشريفة عن المناكير ، وألا يجتمع الناس كما كانوا يجتمعون بالجزيرة والجيزة وبالقرافة على شئ منها من المحظورات ، وأن يمنع الغناء ظاهراً إلا بالقصيب فإنه مباح .

وفي ثامنه قُلِّد محمد بن عبد الله بن ملهم ديوان الخراج شركة . وركب الظاهر إلى مسجد نبر ، وعاد . وفي ضمه تعلّر وجود الخبز ، وأمر ببله في الماء في القصارى ، قيل وبيع ثلاثة أرتال بلدرم ، ثم وجد . وفتحت مخازن جماعة من أهل الدولة .

(١) التليس مائة وخمسة وعشرون مطلاً مصرياً والحملة ثلثائة مطلاً . قوانين الدولتين : ٣٦٥ . وهذا شئ غريب : أن يكون تليس القمح ، وهو ما يراعى نصف حلة الدقيق وزناً ، بدينارين بينما تكون حلة الدقيق بدينارين وربع دينار . ويذكر ابن عاتق أن الرطل المصري يساوي مائة وأربعة وأربعين دوهاً . قوانين الدولتين : ٤٤٥ .

سنة خمس عشرة وأربع مائة^(١) :

أهل الحرم بيوم السبت . وفي تاسعه أُخذ رجلٌ يقال له أبو زكريّا ، كان نصرانياً فأسلم ، وكتب الحديث وقرأ القرآن ، وحجّ . ثم ارتد إلى النصرانية وقال : ما عول في سحر نبيكم ؛ فضرب عنقه بعد ما ثبت عليه هذا . وفي ثالث عشره أُخذ كتابيٌّ يعرف بأحمد بن طاطوا وعليه أثر الدُفّر ، فزعم أنّه ورّد من الكوفة ، وأنّه كان مع الحاكم بأمر الله ، أرسله إلى الناس لينتهوا عمّا هم عليه ؛ فضرب عنقه .

ولسبع عشرة بقيت منه سار أبو القاسم بن رزق البغدادي إلى صِقْلِيَّة بسجّل وهدية فيها مفتّيات من القصر . وفيه ركب الظاهر إلى نواحي عين شمس وعليه ثوب بُنْكِيّ^(٢) أحمر معلم^(٣) مذهب ، على رأسه عمامة شرب بُنْكِيّ مذهب ؛ وعاد .

ولعشر بقيت منه امتنع شمس الملك الأمين المكيّ أبو الفتح مسعود بن طاهر الوزان من النظر في الوساطة حقناً من الشريفيّين العجميّين ، لأنهما يتولّيان الأمر دونه ، ومكاتبة أعيان الشام وغيره ، وقراءة التّخريج^(٤) ، وعرض كتب البريد وكتب المُطلّقات ؛ وأقام في داره ثلاثة أيام . فاستدعاه الظاهر وأمره بالعود إلى خدمته ، فعاد إلى النّظر ، وجلس على رسمه على باب الذهب^(٥) بأمر وينهى .

(١) ويوافق أول المحرم منها الخامس عشر من مارس سنة ١٠٢٤ . ويلاحظ أنّه لم يرد ذكر مستقل للسنوات ٤١١ - ٤١٤ .

(٢) هذه كلمة إنجليزية الأصل تدل على اللون الوردي الـ *Pink* . وهذا تطويع لكلمة الأجنبية بتسريبها إذ لم يجد الكاتب بين يديه الكلمة العربية التي تحقق غرضه .

(٣) أعلمت العرب بسجلت له علما من طراز وغيره ، وهي العلامة . المصباح المنير .

(٤) لعل المقصود بالتخريج ما يقوم به المعترف الذي يتولى الديوان على ما يجب استخراجها من المال في حبه ، ويتمّ الجرائد ، ويقابل بكل ما يرد عليه من حساب ، ويستوفيه ، ويخرج ما يجب تحريمه فيه ، ويخرج الأموال ويعمل المطالبات . قوانين الدواوين : ٣٠١ .

(٥) من الأبواب الثرية للقصر الكبير القاطي ، وكانت تدخل منه المواكب وجميع أهل الدولة .

ولخمس بقين منه كان ثالث فِضْح النَّصَارَى . فاجتمع بفنطرة القس من النصارى والمسلمين فى الخيام المنصوبة وغيرها خلق كثير طول نهارهم فى لهوٍ وتهتك قبيح ، واختلط الرجال بالنساء وهم يعاقرون الخمر ، حتى حُمِلَت النساء فى قفاف الحمالين من شدة السكر ؛ فكان المنكر شديدا فى هذا اليوم .

وركب الظاهر فى موكب إلى القس بعمامة شرب مغوطة بسواد ، ولوب ديبق مُدِيرٌ بسواد ، فدار هناك طويلا وعاد .

ولثلاث بَقِينٍ منه وردَ من أهل الريف زيادةً على خمسة آلاف رجل فأرَبِن من عُدَّة الدولة وعمادها ، رفق الخادم ، متولى السيارة بأَسفل الأرض لصفه . وقدم الخبر باحتماع العرب الملاليين والكلابيين وبنى قرة وجهينة على الخارجى بالصعيد ؛ وبعث حيدرة بن نقبایان ، متولّى الصعيد ، يطلب عسكرا ، فسُيِّر إليه خلقٌ من العبيد ، والباطلية ، والبرقية ، وغيرهم .

[وأهلٌ] صفر وأوله الاثنين . فى ثلاث قدم الحاج وفيه خلائق من أهل خراسان ، معهم أمتعة ، ورسول صاحب خراسان^(١) جديّة إلى الظاهر ، فأكرّم وأنزل . وكان من خبرهم أن حاج خراسان تأخّر عن الحج فى سنتى عشرة وإحدى عشرة ؛ فاستغاث الناس بالسلطان يمين الدولة أبى القاسم محمود بن سُبُكْتِكِين^(٢) ، فتقدّم إلى قاضى قضاة تملكه أبى محمد الناصحى فى الحج ، ونادى بذلك [ب ٧٣] فى أعمال خراسان ، وأطلق للعربان ثلاثين ألف دينار سوى ما سِيرَهُ للصّدقات ؛ فساروا وحجوا ، وعادوا سالمين . ثم حجّوا بعد ذلك فى سنة

(١) أبى هل الحسن بن عمه المعروف بمسكك ، والى خراسان من قبل بين الدولة محمود بن سبكتكين . التاجوم

الزاهرة : ٤ : ٢٦٠ *

(٢) صاحب غزّة . وكان قبل ذلك واليا بخراسان (قبل أن يضمها سلاطين غزّة) . توفى سنة ٤٢١ (١٠٣٠) .

..سجيم الأساب : Mohammadan Dynasties

أربع عشرة ، ومنهم أبو علي الحسن بن محمد المعروف بحسّك ، صاحب عين الدولة والخصيص به ، وفي مهمته مايدفع إلى العرب في طريق مكة وغيرها من رسومهم ، فدفع كل من استضعفه ، ووعد من قوى جانبه ونجّحت أذيتَه بإزاحة عِلْيَهم عند مرجعه ، واحتج عليهم بالوقتِ وضيقه وخيفته الفوت ، فاتّخروا مطالبته . فلما قضى الحج وعاد بمن معه إلى المدينة النبوية اجتمع هو وأبو الحسن محمد بن الحسن الأقماسي العلوي ، أمير الحاج البغدادي ، وُعدة من وجوه الناس ، للنظر في أمر العرب ، فاستقر رأيهم على السير إلى الرملة من وادي القرى والمضى على الشام إلى بغداد . فساروا إلى الرملة ، وقدم الخبر بقدمهم إليها على الظاهر في ثاني عشر صفر ، وقالوا إنهم في ستين ألف جعل ومائتي ألف إنسان - بكتاب بعث به إليه الأقماسي يستأذنه فيه على عبور بلاد الشام . فسر بذلك وكتب إلى جميع ولاة الشام بتلقّيهم وإنزالهم ، وإكرام مقدمهم ، وعمارَة البلاد لهم بالطعام واللف ، وإطلاق الصّلات للفقهاء والقراء وإقامة الأتّزال الكثيرة لحسّك ، صاحب عين الدولة ، والتناهى في إكرامه . وتقدم إلى مقدّمي عساكر الشام بحفظهم والمسير في صحتهم ، وأن يتسلمهم صالح بن مرداس^(١) من دمشق ويوصلهم الرّحبة^(٢) ، ويدفع إلى الأقماسي ألف دينار وعتّة كثيرة من الثياب ، وإلى حسّك مثل ذلك ، ويقيده إليه فرسًا بركب ذهب . فساروا من الرملة موقّورين مجبورين شاكرين حتى وصوا إلى بغداد ، وعزّج حسّك عنها خوفا من الإنكار عليه . فاشتد ما فعله الظاهر على الخليفة القادر بالله ، وأنكر عودتهم على الشام ، وصرف الأقماسي عما كان إليه وقبضه ، وأنكر على حسّك ، وكتب فيه إلى عين الدولة ، واستدعى منه الفرس والقماش والخلع الواصلة إلى حسّك

(١) أول أمراء الأسرة المرداسية التي حكمت حلب بين سنتي ٤١٤ - ٤٧٧ (١٠٧٣ - ١٠٧٩) .

(٢) هناك أكثر من رحبة من أشهرها رحبة ماك بن طوق على مسافة خمسة أيام من حلب وثمانية أيام من دمشق ومائة فرسخ من بغداد ، وهي على شاطئ الفرات جنوب قرقينيا ، ولعلها المقصودة هنا . وهناك رحبة بضم الهاء قرية بجلاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة . مسجم البلدان : ٤ : ٧٣٤ - ٧٣٩ .

لُتُحْرَقَ بِيَعْلَادَ ، فَبِعَثَ بِهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سِتْ عَشْرَةَ ، فَأُحْرَقَتْ بِمَحْضَرِ مِنَ النَّاسِ وَشُبَّكَ الذَّهَبُ وَفُرِّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ . وَغَمَّ الظَّاهِرُ حَسْنَ الشَّيْءِ عَلَيْهِ مِنْ حَاجَةِ خِرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَهُ النَّهْرَ ، لَمَّا كَانَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَزِيَارَتِهِمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ .

وَفِي ثَانِي عَشْرِهِ وَافَى عِمَادُ الدُّوْلَةِ رَفَقَ مِنَ السَّيَارَةِ بِعِلَّةٍ عَظِيمَةٍ وَثَلَاثُمِائَةِ رَأْسٍ مِنَ الْخَيْلِ وَالْبَغَالِ فَإِنَّهُ أَخَذَ كُلَّ فَرَسٍ وَجَدَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ سَبْعُونَ بِنْدًا مَذْهَبَةً ، وَعَشْرُونَ مَنَاجِقًا ، فَتَلَقَّاهُ جَمِيعُ أَهْلِ الدُّوْلَةِ . وَكَانَتْ عِلَّةٌ مِنْ قَتْلِهِ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ ، وَهِيَ خَمْسَةُ وَثَلَاثُونَ يَوْمًا ، مَائَتَيْنِ وَثَلَاثَةَ أَنْفُسٍ . وَقَدَّمَ زَيْنُ الْمَلِكِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ مَسْعُودٍ مَصْرُوفًا عَنْ مَدِينَةِ مَنُورَ ، فَتَلَقَّى وَأَكْرَمَ .

وَفِي سَادِسِ عَشْرِهِ رَكِبَ الظَّاهِرُ إِلَى نَاحِيَةِ عَيْنِ شَمْسٍ وَعَادَ . وَقَدَّمَ الْخَبِيرُ مِنْ حَسَنِ بْنِ جَعْفَرٍ الْحَسَنِيَّ أَنَّهُ أَقَامَ الدَّعْوَةَ لِلظَّاهِرِ بِعُرْفَاتٍ وَغَيْرِهَا ، وَمَنْعَ أَهْلِ خِرَاسَانَ مِنَ الدَّعْوَةِ لِصَاحِبِهِمْ . وَثَلَاثَ عَشْرَةٍ بَقِيَتْ مِنْهُ رَكِبَ الظَّاهِرُ إِلَى الْمَشْتَمِيِّ (١) ، وَدَخَلَ حِمَامَ نَجَاحِ الطُّوْلُونِيِّ ، ثُمَّ رَكِبَ الْعَشَارِيَّاتِ فِي النَّيْلِ إِلَى الْمُتَوَقِّعِ بِالْكُومِ الْأَحْمَرِ (٢) ، وَقَطَعَ لَهُ الْجِسْرَ حَتَّى عَبَرَهُ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَصْرِ .

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِإِحْدَى عَشْرَةٍ بَقِيَتْ مِنْهُ جُمُوعُ النَّاسِ كَافَّةً إِلَى الْإِيْوَانِ بِالْقَصْرِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي صَحْنِ الْإِيْوَانِ خَرَجَ الْقَائِدُ أَبُو الْفَوَارِسِ مَعْضَادُ ، الْخَادِمُ الْأَسْوَدُ ، وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ طَلِيعٌ حَسَنٌ وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ شَرْبُ ، طَائِرَةٌ كَثِيرًا ، بِالذَّهَبِ مُحْرَقُ اللَّوْنِ ، وَمَعَهُ سِجِلٌّ قُرِئَ عَلَى الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ بِتَلْقِيهِهِ بِالْقَائِدِ عَزَّ الدُّوْلَةُ وَسَنَّاها أَبِي الْفَوَارِسِ مَعْضَادُ الظَّاهِرِيَّ ،

(١) الْمَشْتَمِيُّ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَمَدَتْ لُزُومَهَا . الْكَلِمَةُ : ١ : ٤٩٠ .

(٢) مِنْ أَعْمَالِ الْبُيْزِيَّةِ . قَوَائِمُ الْفَوَارِسِ : ١٠٠ . وَهَكَذَا كَانَ أَمْرُ عَرَفَ بِالْكُومِ الْأَحْمَرِ كَانَ يَوْمَئِذٍ مَعَهُ فَمِ الْمُلْكِ عَلَى جَانِبِ الْفَرَسِ ، وَلَهُ الْمَقْصُودُ هُنَا وَقَدْ سَمِيَ الْكُومُ الْآخِرُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَ بِهِ أَقْنَعُ الطُّوْبِ . الْكَلِمَةُ : ١ :

وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَبَهُ وَكَتَبَهُ ؛ وَهُوَ سَجَلٌ بَلِيغٌ . ثُمَّ حُمِلَ بَعْدَ قِرَائَتِهِ عَلَى أَرْبَعَةٍ مِنَ الْخَيْلِ بِسُرُوحٍ مَصْفُوحَةٍ ثِقَالٍ ، وَعَلَيْهِ سَيْفٌ ذَهَبٌ تَقَلَّدَ بِهِ ؛ وَخَرَجَ جَمِيعُ الْمَصْطَنَعَةِ وَسَائِرِ الْقَوَادِ وَالنَّاسِ مَعَهُ إِلَى دَارِهِ ؛ فَكَانَ يَوْمًا حَسَنًا .

وفيه ورد الخبر بِأَنَّ الثَّائِرَ الَّذِي قَامَ بِالصَّعِيدِ الْأَعْلَى أَنْزَلَ حَيْدَرَهُ بَنَ نَقِيَابَانَ حَتَّى حَصَلَ فِي يَدِهِ ، وَكَانَ شَرِيفًا حَسَنِيًّا ، فَأَقْرَأَهُ قَتْلَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي جُمْلَةٍ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ تَفَرَّقُوا [١٧٤] فِي الْبِلَادِ ، فَمَنْهُمْ مَنْ مَضَى إِلَى بَرْقَةٍ وَمِنْهُمْ مَنْ مَضَى إِلَى الْعِرَاقِ ، وَأَنَّهُ أَظْهَرَ لَهُ قِطْعَةً مِنْ جِلْدِ رَأْسِهِ وَقِطْعَةً مِنَ الْقُوَّةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ حَيْدَرُهُ وَلَمْ يَقْتُلْهُ ؟ فَقَالَ : غَرَّتْهُ لِلَّهِ وَالْإِسْلَامِ ؛ فَقَالَ : وَكَيْفَ قَتَلْتَهُ ؟ فَأَخْرَجَ سَكِينًا فَضَرَبَ بِهَا قُوَادَ نَفْسِهِ ، فَمَاتَ بَعْدَمَا قَالَ هَكَذَا قَتَلْتَهُ . فَقَطَعَ حَيْدَرُهُ رَأْسَهُ وَأَنْفَلَهُ إِلَى الْحَضْرَةِ مَعَ مَا وَجَدَهُ مِنْهُ .

وقدم الخبر بوقوع الحرب بين بنى قُرَّةَ ببَرْقَةٍ .

ولعشرَ بَقَيْنَ مِنْهُ جُلُوسَ الظَّاهِرِ فِي قَصْرِ الذَّهَبِ^(١) بَعْدَ أَنْ زُيِّنَ وَبُسِطَ وَعُلِّقَتْ فِيهِ السَّائِرَاتُ الدِّيبَاجُ وَالسُّتُورُ الْمَذْهَبَةُ ، وَعُلِّقَ جَمِيعُ السَّقَائِفِ كُلِّهَا بِالسُّتُورِ وَفُرِشَتْ بِالْفُرُوشِ . وَحَضَرَ أَمْرَاءَ الْأَنْرَاقِ وَقَدْ لَبَسُوا أَفْخَرَ ثِيَابٍ مِنَ الثَّقِيلِ^(٢) وَالطَّعْمُ ، وَحَضَرَ جَمِيعَ الْكُتَّابِيِّينَ وَسَائِرِ الْجُنْدِ ؛ وَدَخَلَ النَّاسُ أَجْمَعُونَ ؛ وَوَقَفَ شَمْسُ الْمَلِكِ مَسْعُودُ بْنُ طَاهِرِ الْوِزَانِ عَلَى يَمِينِ السَّرِيرِ ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ وَكَافَّةُ عِبِيدِ الدَّوْلَةِ قِيَامٌ ، فَلَمْ يَجْلِسْ أَحَدٌ . وَجَى بِالرَّسُولِ الْوَارِدُ مِنْ خِرَاسَانَ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ صَغِيرٌ فَقَبِلَ التُّرَابَ لِلظَّاهِرِ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُطَوَّفَ بِهِ الْقَصْرَ كُلَّهُ ، فَطَافَ جَمِيعَ الْقُصُورِ الْمَحْمُورَةِ ؛ وَقَامَ الظَّاهِرُ وَانصَرَفَ النَّاسُ . وَلِئَانِ بَقَيْنَ مِنْهُ أَهْدَى

(١) قصر الذهب هو قاعة الذهب ، إحدى قاعات القصر الكبير وكان يدخل إليها من باب الذهب ومن باب البحر ، وكلاهما من أبواب القصر الفريجية . موضع القصر الآن خلف مدرسة النحاسيين من شارع بيت القناصين وساحة بيت القناصين بجى الجالية . التبريد الزاخرة : ١ : ١١٣ . وكان الخلفاء يجلسون به لوكوب يوم الاثنين والخميس وبه كان يسلم سباط شهر ومقايان . الخطوط : ١ : ٣٨٥ .

(٢) الثوب الثقيل : المنسوج بخيوط الذهب .

هذا الرسول إلى الحضرة المظهرة نحو خمس عشرة ناقة محملة ورة^(١) طلحا وإملج^(٢) .
وخير ذلك ، فقبل منه .

ولسبح بقين منه تُسَلَّم ديوانُ الكتاميين من الأمير شمس الملك [مسعود بن ظاهر]
الوزان ، ورُدَّ النظر فيه إلى القائد عزَّ الدولة ، ضاد ، فاستخدم في تدبير أمواله أبا اليسر
اصطخر بن مينا الأميوطي شركة بينه وبين صَليَّة بن يُوُصف الفلأحي اليهودي الوافد ،
ونظر هو في أمر رجاله وفي التوقيع في أيامهم . ثم بعد أيام أخذ من شمس الملك بعض
إقطاعه ، وقبض منه ، ورد إلى عَيْن الدولة سمادة وبقية في يده بقية الأعمال . وفي هذا
الشهر سار ذو القرنين ابن حمدان^(٣) إلى دمشق .

شهر ربيع الأول ؛ أوله الثلاثاء . في خامسه وصلت هبة والى القيوم ، وهي مائة
وخمسون فرسا بأجلَّة . وفي سادسه خرج الأمر لابن خالد الغرابيلي ، متولَّى ديوان البريد ،
بأن يُسَلَّم إلى صاحب ديوان الشام جميع ما يرد من حساب الشام ، ورُفِعت يد شمس الملك
عنه . ورسم أن يكون الشيخ العميد محسن بن بدواس زماما^(٤) على أبي عبد الله محمد بن
أحمد الجرجاني في ديوان الشام ، مفرداً عن نظر شمس الملك ؛ كما أفرد ديوان الكتاميين
عن نظره . فصارت هذه العصبة منفردة بمعضاد في التدبير والتقرير ، وهم الشريفان الهجميان

(١) شجر حظام كالطلاح ، ككتاب ، والإملج شجر له ثمر ، من الأصفر والأسود وهو النسيج ، ومن كابل
يحفظ البقل ويزيل الصمغ وينفع في الخواثيق . وكان بالقاهرة مكان يعرف بصحراء الإملج ، شرق الخندق ، تنهى إليها
حمارة خلة الحسنية بالقاهرة من جهة باب الفتوح ، وقد كثر بها شجر الإملج الهندي تصرف به . الخطط : ٢ : ١٢٨ ؛
القاموس المحيط .

(٢) وهو الأمير وجيه الدولة أبر الطاع بن الحسن بن حمدان . وكان قد تول دمشق قبل ذلك أيام الحاكم بأمر الله
سنة ٤٠١ ، وتولاها للمرة الثانية سنة ٤١٢ ؛ وهذه هي المرة الثالثة . ذيل تاريخ دمشق : ٦٩ - ٧١ .

(٣) وهو وظيفة تشبه وظيفة للمشرف ، واختصاصاته أن يكون حل البيوان محملاً بضمه ، محملاً بضمه ، يكتب
حمله على ما يرفع من الحساب وما يخرج من الصولات .

والجزيرة ثمان عصب الدولة أبو القاسم علي بن أحمد وأخوه أبو عبد الله محمد بن أحمد ،
ومحسن بن بدواس (١) وابن خيران (٢) . وفي رابع عشره خلع
على جناح بن يزيد الكتامي ، وحمل على فرسين ، وقُلت طيرة .

وفي سابع عشره ركب الظاهر وعاد . وفي هذا الشهر اشتد غلاء القمح ، وبيع التليس
بثلاثة دنائير ، والشعير أربع وبيات بدينار ، والخبز رطلين ونصفا بدينار . . وعز
وجود الثين فُبيع الحمل بدينار ، وظلت أصناف الحبوب وعامة ما يؤكل . ولم يُر (٣)
التيل لها تقدم من السنين أقل نقصانا منه في هذه السنة .

وفي ثالث عشره ركب الظاهر إلى مسجد تبر ، وعاد . وفيه نزل القائد الأجل
معضاد والشيخ العميد أبو القاسم الجزيري ومحسن بن بدواس صاحب بيت المال إلى
مصر ، فألبثوا تركة (٤) بنت أبي عبد الله بن نصر امرأة أبي جعفر (٥) بن قائد القواد
الحسين بن جوهر ، فوجد فيها (٤) وبرات مَكْلَّة بالجوهر ، وأمر جليل من المال
والجوهر — لأن للسلطان منها الثلث .

وفي هذا الشهر أمر ببناء حظير دائر على مقياس النيل بالجزيرة ، ووكل به الشريف
أبو طالب محمد بن (٤) الهجيمي متولى الصناعة ، فبناه بالحجر الأبيض ، وأنفق عليه
مالا كثيرا . ونقل إليه الحجر من حظير كبير كان مبنيا على الشاطئ بناحية طرا (٥) .

(١) فراغ في الأصل يح نحو ثلاث كلمات .

(٢) ول الدولة أبو علي بن خيران ، كاتب ديوان الإنشاء : في تاريخ دمشق : ٨٠ .

(٣) في الأصل : ولم يزل النيل . . . والمثبت هنا أنه لما انتهت ارتفاع الأسعار واندام بعض الأصناف .

(٤) مواقع هذه الكلمات يباين بالأصل كل منها يح كلمة واحدة .

(٥) في الطريق إلى المداي وطلوان . وكانت تعد من أعمال الإغريقية التي تعد جنوبا شرق النيل . انظر قرأتين

لدواوين : ٨٧ - ٨٢ : ١٦٢ ؛ السلوك : ١ : ٨٤٣ .

وفيه دخل كلبٌ إلى الجامع العتيق بمصر فطاف بالجامع بأشوره ، فقام إليه الناس وقتلوه في الصحن ، فجرى دمه على الحصر فقتل بعد إخراجة من الجامع .

وقد وصلت هدية من بلد التوبة فيها عبيد وإماء ، وخشب أبنوس ، وفيلة ، وزرافات [٧٧٤] . شهر ربيع الآخر ، أوله الخميس . في رابعه ورد الخبر بأن عبد الله ابن إدريس الجعفرى ومعه أحد بنى جراح طرّق أيلة^(١) ونهبها ، وأخذ منها نحو الثلاثة آلاف دينار وغللا ، وسبي النساء والأطفال . وسبب ذلك أنه سأل حسان بن جراح أن يردّه إلى ولايته على وادى القرى^(٢) ، ورغب أن يتوسط له مع الظاهر ، فلم يجبه ، ففعل ما فعل . فخرجت سرية من القاهرة لحربه .

وفيه نزل الظاهر إلى البهارستان متذكرا في عبيده ، فطافه ، وأطلق لكل من المجانيين خمسين درهما ، ولقيم عليهم خمسمائة درهم ، ورسم بعمارته وإجراله الماء إليه على رسمه ، وأن يُطبخ للمجانين كل يوم ما يأكلونه بعد أدويتهم . وفي ثامن قدم الخبر بنهب عبد الله بن إدريس بلد العريش وإحراقه وأخذ جميع ما كان فيه بعمارته بعض أولاد ابن جراح . وفيه اجتمع في قافلة المغرب خلق من التجار ومعهم من الأموال قريب من مائى ألف دينار بالجيزة ، فقتلوا بطائفة من المبيد والجوالة والقيصرية قد تجمعوا لنهبهم فبعث معهم نحو ثلثائة فارس وأربعمائة راجل ، وساروا إلى المغرب .

(١) مدينة معروفة على قة القلزم ، أول حدود الحجاز ، كانت محطة لقوافل دبح الكوس في الأزمنة المتأخرة ، بينها وبين القدس ست مراحل . من أمبارها أنه في سنة ٥٦٦ كان الفرنج قد ملكوها وتحصنوا بقلعتها فأنشأ صلاح الدين سفنا وحلها ففصله على الجبال ثم جمعها بنسها إلى بعض عند حصنها في البحر فأكل حمارها حتى تمكن من فتحها . مجمل البلدان : ١ : ٣٩١ ؛ كتاب الروضتين لأبي شامة ، المخطوط التوفيقي : ٨ : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) يطلق على البلاد الواقعة بين دمشق وأطراف الحجاز ، وقد يمتد هذا الإطلاق إلى أطراف المدينة المنورة . قارن مجمل البلدان : ٨ : ٣٧٥ .

وفى ثامن عشره جلس الظاهر للناس فى المجلس الذى كان يجلس فيه أبوه بقصر الذهب ،
ودخل الناس إليه من باب العيد على طبقاتهم . ودخل ناصر الدولة حسين بن الحسن
ابن حمدان ، متولى طرابلس ، وقد صرف عنها ، فتلقى بالنود وعلتها أربعون
بنداً ملونة ، وخمس بنود ملهبة ، وعدة من الطبول ؛ فقبل التراب ، ثم قبل يد الظاهر ،
هو الشريف الحسى ابن موسى المقيم بدمشق ؛ ووقفا ؛ فأمر بالجلوس على يسار القائد
معضاد فجلس . ثم انتفضى السلام وانصرف الناس . فلما كان وسط النهار نزلت طائفة
من جوارى القصر فى طائفة من الخدم إلى دار الجواهر ودار الصرف ودار الأنماط ، فابتاعوا
ما أحبوا . وعادوا .

ولسبع بقين منه ركب الظاهر بنير مظلة فى عساكره ومراكبه إلى مسجد تبر ، وعاد ؛
ثم نزل عقب ذلك مخفياً إلى الجزيرة والبساتين . وركب من الندى العشاريات إلى الجزيرة
وما والاها ، وعاد . وفى عشية السبت ، لست بقين منه ، غرق حداث فى النيل ، فطرده
الماء إلى الشط ، وأراد أهله حمله ، فمنعهم أصحاب الشريف أبى طالب العجمى ، متولى
الصناعة ، من ذلك ، وطالبوهم عنه بدينارين وقيراطين ، واجب الصناعة من حق من
غرق فى النيل ، فدفع إليهم ذلك ، وحمل الرجل حتى غسل ودفن فى يوم الأربعاء .

وللبلتين بقيتا منه جلس الظاهر فى قصر أبيه بباب الذهب على سرير المصقول المذهب ،
وعليه ثوب ديبقى معلم ، وعمامة شرب مثقل مذهبة ، وتحت فرش ديبقى مذهب ، ودخل
الناس من باب العيد فسلموا ، وجلس من عادته الجلوس ساعة ؛ ثم انصرفوا .

وفى هذا الشهر ارتفع السر من أجل أن المراكب الواصلة بالقمح أخذت كلها
ورفعت إلى القصر من القس . وفيه طاف العامة والسوقة أسواق مصر بالطبول والأبواق
يجمعون من التجار والباعة ما ينفقونه فى مضيقهم إلى سجن يوسف ، فقيل لهم شغلنا
بعدم الأقوات يمنعنا عن هذا . فأنهوا حالهم إلى الظاهر ، فرسم لشاق الدولة أبى طاهر بن

كافي ، متولى الشرطة السفلى ، بتقرير الرسم على التجار حتى يدفعوا إلى العامة ما جرت به رسومهم ، وأذن لهم في الخروج إلى سجن يوسف ، ووعدوا أن يطلق لهم الظاهر ضعف ما أطلق لهم في السنة الماضية من الحب ، فخرجوا .

[شهر] جمادى الأولى ؛ أوله الجمعة . فيه ركب الظاهر مبكرا مع حرمة وخدمه إلى المشتبه فأقام يومه . وفي ثالثه ركب بمساكره إلى عين شمس وعاد .

وكان الشريف أبو طالب بن العجمي صاحب الصناعة قد تنكر على ابن أبي الرُّدَاد ، وأهانته ، وتغابها في الخطاب ، فضربه الشريف واعتقله . فأقام قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن أبي العوام مشارفين على ابن أبي الرُّدَاد ، لسؤاله القاضي ذلك ، وهما أبو الحسن سليمان بن رستم ، والخليل بن أحمد بن خليل ليُنْهيا إليه ما يصح من أمر المقياس ، فوجدا مجارى للماء مسددة ، ووجدا ابن الرُّدَاد يتناول في كل سنة خمسين دينارا لكنس المجارى ، ووجدا الماء قد [٧٥] انتهى إلى حد ، فلما فتحت المجارى طلع الماء إلى حد أكثر من الحد الذي كان عليه

وفي رابعه نزل صليبي من صقالية القصر بمنشور معظم إلى قاضي القضاة ، وهو بالجامع العتيق ، فأمره بقراءته على المنبر ، فأراد أبو طالب على بن عبد السميع العباسي أن يتولى قراءته دون أخيه أبي جعفر ، وهو الأكبر ، وقد صرف عن قراءة السجلات وليس له إلا خطابة الجامع العتيق . فقال له أبو جعفر : ويحك : ماتحتشم مني لستى ولأنتى أنورك الأكبر ، ولأنتى هُرِعتْ لمولانا الحاكم بأمر الله ، قدس الله روحه ، وقد هَمَّ بضرب عنقك حتى خلصتكَ من القتل وضميت له عَنكَ التوبة والإنابة ! ! فدفع القاضي السجل إلى أبي جعفر ، فقرأه فوق المنبر على كافة الناس . ومضمونه أنه انتهى إلى أمير المؤمنين أن المستخفَّين في الصناعة يحملون تعويق من ينزل البحر من الناس ، ويعتدون القوارب

من إنقاذ مَنْ يلبس الخلاص منهم ليُخلّوا على ذلك واجباً قد أقامه متولّى الصناعة ، محمد الحسينى المجسى ، على كل غريقي دينارين ونصفاً ، وأنّ ذلك لما أنهى إلى حضرة أمير المؤمنين أنكره وأكبره ، ومنع من أخذ درهم واحد فما فوقه عما هذا سببه ، والمنع منه . فكثرت الدعاء للظاهر .

وفى ثامنه ركب الظاهر فى خاصته وخطمه إلى الرُميلة بظاهر المقدس ، فطاف طويلاً ثم عاد .

وفى تاسمه ركب القائد الأجل عز الدولة ومصطفىها معضاد الخادم الأسود فى جميع الأتراك ووجّه القواد ، وشقّ مدينة مصر إلى الصناعة ، ثم خرج منها وعدّى بمنّ معه إلى الجيزة ، حتى رتب للظاهر عسكرياً يقيم معه هناك ، وأخذ فى يوم الاثنين حادى عشرة أربع عشاريات وأربعة عشر بغلاً من بذار النقل ، ومعه خاصته وحرمه إلى سجن يوسف . وعاد منه يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه . وركب فيه إلى مسجد تبرّعاً .

وأقام أهل الأسواق نحو الأسبوعين يطوفون الشوارع بالخيال والساجات والتائبيل ، ويطلعون إلى القاهرة بذلك برسم أمير المؤمنين ، ويعودون ومعهم سجلٌ قد كتب لهم بنالاً يُعارض أحدُ منهم فى ذهابه وعودته . ولم يزالوا على ذلك إلى أن تكامل جميعهم . وكان دخولهم من سجن يوسف فى سادس عشرة ، فشقوا الشارع بالخيال والساجات والتائبيل ، وتعلّل الناس فى ذلك اليوم عن أشغالهم ومعايشهم ، واجتمع خلق كثير لنظرهم . وظل الناس أكثر هذا اليوم على ذلك ، وأطلق لهم ثمانية آلاف درهم وكانوا فى اثنى عشر سوقاً .

وفى عشريه قتل طائفة من القيصرية غلاماً من الأتراك ، فركب الأتراك بالسلاح وقتلوا القيصرية ، فتكافؤوا ، ولم يجسّر أحد منهم على الإيقاع بصاحبه . وفى ثانى عشريه ركب الظاهر التّيبل ومضى إلى بستان السيّدة العمة ، لم إلى خيمة وردان لأنهم مقيمون

في الجزيرة للتنزه هناك . ولم تزل العشاريات تلعب في البحر الليل كله والمسرة متصلة بينهم ، فقدم في آخر النهار مركب يحمل حطباً من الصعيد ، فقلب نُوتَيْته وقطع الجسر ، وغرق مركبان منه ، وقطع ثلاث قطع ، وغرق عشاريان من فيهما .

وفي هذا الشهر كوتب أبو الحارث نقيان بن محمد بن نقيان الخيملي ، متولى حرب تنيس ودمياط ، بالمسير إلى حلب ليتسلمها عوضاً عن محمد سند الدولة أبي محمد الحسن ابن محمد بن نقيان الكاتب عند وصول حديثه إلى الحضرة ؛ فسار . وكان من خبر مدينة حلب أن عزيز الدولة فاتكا لما قتل وأقيم من بعده غلامه بدر مكانه ، ثم قبض عليه على بن الضيف ، وأقام بحلب سنة ، وولى سند الدولة أبو محمد الحسن بن نقيان قنزل صالح بن مرداس الكلابي على حلب ونازها ، وقد كره الناس ابن نقيان وموصوفاً الخادم لسوء سيرتهما ، فسلموا البلد إلى صالح . والتجأ ابن نقيان وموصوف إلى القلعة وتحصن بها ، فاستخلف صالح على مدينة حلب أبا منصور سليمان بن طوق ، ومضى إلى بعلبك فملك قدامتها بعد حرب ، وقتل جماعة من أصحاب الظاهر . واجتمع هو وحسان بن جرّاح وإخوته ، وسان ابن عليان على فلسطين وتحالفوا [٧٥ ب] على اجتياح كلمتهم ومحاربة الظاهر ، وتقاسموا البلاد كما سيأتي ذكره إن شاء الله .

وأما ابن طوق فإنه حصر قلعة حلب حتى أخذها بمباطنة من أهلها وأمسك ابن نقيان وموصوفاً ، فقتل ابن نقيان في يوم الخميس ثمان بقين من ربيع الآخر من هذه السنة ، واغتنل موصوفاً . فركب أبو الحارث بن نقيان البحر من تنيس إلى طرابلس ، ودخل حلب يوم الأحد سابع عشرين جمادى الأولى هذا ، وملكها ، وسمى سابق الدولة أبو طاهر بن كافى متولى الشرطة السفلى بمصر من قبل بدر الدولة بأخذ تنيس ودمياط ، واستخلف أخاه جلال الدين على الشرطتين العليا والسفلى من قبل بدر الدولة .

وفي رابع عشره ركب الظاهر إلى طرف الخندق وعاد ؛ ثم ركب من الغد إلى مسجد
نبر وعاد .

[شهر] جمادى الآخرة ؛ أوله الأحد . فيه جلس الظاهر للناس للسلام عليه ، فدخلوا
على رسومهم ، فسلموا وانصرفوا . وفي رابعه ركب إلى مسجد نبر في عساكره ، وعاد ،
فطلب البغاء من الطيور فحمل إليهم منها شيء كثير ، فابتاع ما أحب بأوفر الأثمان .
وفي ثامنه جلس للسلام ، فدخل الناس فسلموا وانصرفوا ؛ ثم ركب إلى المشتى . وركب
في ثاني عشره إلى مسجد نبر في مواكبه ، فلقيه عند سقاية ريدان خادم أسود يقال له عنبر ،
كان مقربا للحاكم بأمر الله ، كثر كلامه فطردته السيدة ، فقال : يا أمير المؤمنين خذ
لنفسك ، فوَحَّ مافي هذا المصحف - وأخرج مصحفا - إن أباك باقي ، وبعد قليل يجيء
إلى قصره ، وقد نصحتك . فقبض عليه واعتقل ، وقبل إنه اختل عقله .

وفيه قرر الشريف الكبير أبو طالب الحسنى المعجى القزوينى والشيخ نجيب الدولة
أبو القاسم على بن أحمد الجرجاني والشيخ العميد محسن بن بلواس مع القائد الأجل
مُضَاد أن يكون دخولهم على الظاهر الأخير في كل خلوة ، وأنهم يَكُونُون أمر الاهتمام
بالدولة ليتوفر على لذاته ، وينفردوا بالتدبير . واستقر أمر الثلاثة على اللخول في كل يوم
على الانفراد وألا يُستدعى معهم [أحد] . وصار شمس الملك مسعود بن طاهر الوزان ،
ومظفر صاحب المظلة ، وولى الدولة ابن خيران ، وداعى الدعاة ، ونقيب نقباء الطالبيين ،
وقاضى القضاة ربما دخلوا في كل عشرين يوما مرة ، وهؤلاء الثلاثة الذين يقضون ويُمضون
ويشيرون ويفعلون في أمر الدولة ما يروونه ، مع اجتماعهم بِمُضَاد دون كل أحد .

وفي سابع عشره ركب الظاهر في العساكر ورجال الدولة بأحسن زى وأكمل عتة ،
وركب عبيد الدولة بالآلات والسلاح والطريقة الحسنة والمُتة الكاملة . وشق شارع مصر

إلى صناعة الجسر ، وعليه ثوب طمع مثقل وعمامة مذهبة طمع ، وعلى رأسه مظلة حمراء مثقلة مذهبة ، فغير وليس ثوبا ديبقيا أبيض مذهبا وعمامة شرب بيضاء مذهبة ، وركب فرساً كميناً وقف عند الصناعة ووجد الجد في طرح مركب حربي جليد ، فتعذر طرحه ، فتركه وسار لفتح الخليج . فورد الخبر بأن سيار الضيف متولى سد الخليج أمر بتخفيضه ليقرب أمره عند حضور أمير المؤمنين لفتحها ، فغلب الماء وانكسر السد . فلما وصل الظاهر إلى السد وقف بجذبه الشرق ، وعبرت العشاريات مزينة على العادة ، ولعبت ، ثم عاد إلى قصره ، فكان من الأيام المشهودة .

وفي ناسع عشر نودى في مدينة مصر بآلا يتعرض أحد للبيع شيء من الأبقار بوجه ولاسبب ، فإن من تعرض لذلك حلّ دمه وماله ، لأن الناس عدموا العوائل^(١) في هذه السنة ، وكانوا على عاقبتهم في ابتياع الفواكه والخمور والحيوانات ، إلا أن أمرهم في ذلك كان أقلّ للقلاء وتعلل الأصناف . وضرب فيه بالأجراس في آخر النهار ألا يلب أحد بالماء ببلد مصر في يوم التوروز ، ولا في القاهرة . فطلع الجزارون يستغيثون في تمنعهم من ذبح الأبقار ، وأن عندهم منها ما ابتاعوه وأنفقوا عليه في علفه حمل الدنانير ، وليس هو ما يعمّل ولا يصلح للزراعة ، فإن الرأس من البقر يقوم عليهم بمائة دينار وأكثر . وسألوا الإذن في ذبح ما عندهم ، فاجبوا إلى ذلك . وذبحوا في هذه الثلاثة الأيام ما لا يحصى كثرة ، وبيع بطن البقر ولحمه رطلا بدرهم ، وازدحم الناس [١٧٦] في طلبه . فلما كان آخر

(١) المقصود بالعوائل ما يصلح فيها لهرث والنسج ونحو ذلك من عمل القلاحة . وفي النجوم الزاهرة أنه كتب مل لسان الظاهر في هذا الصدد كتاب قرئ على الناس ، به " إن الله تعالى يتعاقب لسمه وبالحق حكمة خلق شروب الأنعام ، وعمل فيها منافع الأنعام ، فوجب أن تحصى البقر المخصصة بمجارة الأرض ، الملقاة لمصلحة الخلق ، فإن في ذبحها غاية الفساد ، وإضرار البلاد والبلاد " . النجوم الزاهرة : ٤ : ٢٥٢ . وقد أصدر الحاكم بأمر الله مثل هذا الأمر في مناسبات مشابهة . وكان الحاج ابن يوسف التتقي من أوائل حكام المسلمين الذين اتخذوا مثل هذا القرار متعلما من الخرافة للمؤمنين .

نهار الثلاثاء رابع عشره ، وهو رابع التَّوَرُوز ، أحضر المحتسب الجزارين والمُراسمين^(١) ومنهم من ذبح الأبقار ، فانقطع بيع لحمها من الأسواق .

وفي خامس عشره ركب الظاهر إلى مسجد تبر في عساكره ، وعاد .

شهر رجب ، أوله الاثنين . في ثانيه ركب الظاهر إلى نواحي القصور وعليه عمامة ياقوتية مذهبة وثوب ديبقي بياض مذهب بغير مظلة ؛ وعاد .

وفيه قدم الخبر بأن منتخب الدولة أنوشكين اللّزبى متولى حرب فلسطين ، أنفذ إلى بيت جبرين^(٢) ، إقطاع حسان بن جراح ، من قبض على أمواله ؛ فبعث إلى أعوان اللّزبى وأخذهم وضرب أعناقهم . فلما بلغ ذلك اللّزبى قبض بالرملة على أبى الغول الحسن بن فيروز ، صاحب حسان ، وعلى كاتبه وسجنهما في حصن ياقا مقبلين .

وفي رابعه زين العامة أسواق البلد ، وخلقوا^(٣) وجوه الصبيان ، ونادوا بوفاه النيل ستة عشر ذراعا ، فخلع على ابن أبى الرّداد خلعا ديبقية مذهبة ورداء محشوا مذهبا وعمامة شرب مذهبة ، وحمل على بغلين بسرّجين . ولجامين مذهبيين ، أحد السّرجين مُصَفَّح ؛ وأعطى ستّ عشرة قطعة ثياب وثلاثة آلاف درهم . وبلغ الماء اصبعين من سبعة عشر ذراعا ، فكان يوما حسنا كثر فيه سرور الناس .

وفيه خلع على بقى الخادم الأسود ، غلام بلىر الدولة نافذ ، ثوب مثقل طمى وعمامة قاضى مذهبة ، وسيف ذهب ؛ وقُلّد الشرطتين بمصر ؛ وحمل على فرس بسرج ولجام مذهب ،

(١) الذين يمثلون الحريّة ، وهى القم المفرى . وكانت هذه الحريّة تملّ بكثرة في أيام الأعداء ، وفي التّراثة في ليال الصيف ، مع مائر الشرابات والخلوى المتنوعة وتباح مع أنيز بما يشبه " السانتوتش " في أيامنا هذه .

(٢) يعرفها ياقوت بأنها بلاد بين بيت المقدس وغزة ، ومنها إلى القدس مرحلتان وإلى غزة أقل من ذلك ، وكان بها قلعة حصينة غربها صلاح الدين لما استنقذ بيت المقدس من الصليبيين . معجم البلدان : ٢ : ٣٢١ .

(٣) الخلوقة كسبور وكتاب ضرب من الطيب ، وخلقته بالخلوق طويه وزيته . القاموس المحيطة .

عوضاً عن جلال اللولة^(١) ابن كافي . ونزل إلى الشرطة السفلى في جمع كثير ، فنظر في الحسبة مضافاً إلى الشرطتين ، وأمر أن يباع الخبز الجشكار كل خمسة أرتال بدرهم ، والخبز الأربعة أرتال بدرهم^(٢) . فقلقت الطواحين والحوانيت جميعها ، وأصبح البلد يوم الجمعة ، خاصة ، على حالٍ صعبة من تعلُّل الأخباز وعدم الدقيق . فلما كان غداة يوم السبت ، سادسه ، أعيد دؤاس بن يعقوب الكتاني للحسبة وصُرف بقي عن الحسبة والشرطة ، فأقام يوماً واحداً وانصرف . ونودي أن يكون الخبز الذي يباع في الأفران خمسة أرتال بدرهم ، وتباع بقية الأخباز بغير تسعير ، فظهرت الأخباز بالأسواق ، وبيع الخبز السُميد رطلين ونصفاً بدرهم ، وما دونه ثلاثة أرتال بدرهم .

وفي عاشره ركب الظاهر إلى نواحي القصور بغير مظلة ، وعاد .

وكانت ليلة النُصف من رجب ليلةً مشهودة ، حضرها الظاهر والسيدات وخدم الخاصة والمصطلعة وغيرهم ، وسائر العوام والرعايا ، وكان مجعلاً لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله . وأوقدت المساجد كلها أحسن وقيد^(٣) .

وليه ورد الخبر بأن حسان بن جراح [خرج] عن الطاعة . وكان سبب ذلك أنه فسد ما بينه وبين الذُبَيْري ، واستوحش كل واحد من الآخر ، فكتب الذُبَيْري إلى الظاهر يذكر له تغيير حسان في خدمته ، وفساد نيته في طاعته ، ويستأذنه في حربه ؛ فكان ما تقدم

(١) ينافس في الأصل يتسع لكلمة واحدة .

(٢) الجشكار أردأ أنواع الخبز الخفيف والحواري الخفيف الأبيض ، أو هو لباب الخبز ، وهو العلامة أيضاً .

(٣) يتحدث المقرئ من ليال الوقود (الوقيد) فيذكر أنه كانت توجد فيها التنايل والتنايل والشمع في أماكن الاحتفالات ، ويصحب هذا بالإكثار من الأطعمة والحلوى والبخور في مجامر الذهب والفضة . ويذكر من ليال الوقيد : ليال الجمع والتمتع من رجب ومن شعبان ، كما يتحدث عن مواكب الخلفاء والنفوس في الموكب الرسمي ويصف هذا الموكب بما يدل على مدى احتفال الناطقين بهذه الأعياد . ويذكر كذلك أن الحاكم بأمر الله أبطل مثل هذه الاحتفالات . كما يشير في هذه المناسبة إلى أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، كان يصيح في أهل مكة ويقول : يأهل مكة أوفتوا ليلة هلال المحرم فلو حضروا فهاجكم حاج بيت الله وأحرمهم حتى يصبروا . القلقل : ١ : ٢٦٥ - ٢٦٧ .

ذكره . ثم اتفق أن اعتلَّ حسان علةً أنشأ منها ، وكثر الإرجاف به فيها ، وكتب أصحاب الأخبار يذكرونها إلى الظاهر ؛ فكاتبَ الذُّبَيْرِي بِقَصْده وانتهاز الفرصة في أمره ؛ فسار إليه وهو بناحية نابلس . فبلغ حسان عن سيره ، وقد أبلَّ من مرضه فاستنهض أهله وأصحابه ، وجمع نحواً من ثلاثة آلاف فارس ، وتلقى الذُّبَيْرِي ، فعاد إلى الرملة وحسان في إثره ، فحصره واستدعى رجاله من الجبال والشراة إليه ، فصار إليه منهم عدد كثير . وقتله الذُّبَيْرِي على باب الرملة ثلاثة أيام بلياليها بعد ما كبس حسان طبرية ، ونهبها ، وقتل من بها ، وفرَّ منها ثُوثُليها مجد الدولة فتاح بن بويه الكشاي إلى عكا . فبلغ حسان ، عن أخيه ثابت ، أنه انتهى إلى الذُّبَيْرِي ، فبعث جريدة^(١) كبست حلة ثابت ونهبها .

وفيه أفرد صدقةُ بن يوسف الفلاحى بالنظر في ديوان الكتامين . وأقام الظاهر أياماً لم يركب ولم يدخل إليه أحد .

وإلى حادى عشره ورد الخبر بأن حسان بن جراح اجتمع مع سنان بن عليان بن البنا ، وانضم إليه سائر إخوته ، وساروا جميعاً بظاهر فلسطين ؛ فقابلهم [٧٦ ب] الذُّبَيْرِي كما تقدم ، إلى أن فارقه ثابت بن جراح ولحق بأخيه حسان . وقدمت نجدةٌ من صالح بن مرزاس لحسان ، فبعث الذُّبَيْرِي يطلب من الظاهر نجدةً بألف فارس وألف راجل ، ففجرت جماعة يسيرة ، ودفع إلى كل فارس أربعين ديناراً ، فاشتملت الجريدة على ألفين فارس وراجل ، تولى التفقة فيهم معضاد المخادم والشرىف العجى ونجيب الدولة الجرجاني . فلم يخرج من الجريدة إلا طائفة يسيرة مضوا إلى الریش ؛ وبطل أمر من تجرد بعد ذلك .

وسمى بحسن بن بدواس كاتب حسان بن جراح يحرضه على الفتنة ، وكاتب ملك الروم^(٢) يطعمه في الدولة . وانتصب له الطائفة التي تحضر عند الظاهر في المعاملة .

(١) الجريدة الفرقة من السكك الفرسان لا رجالة بينهم ، والفرقة من الجند إذا خرجت بسرعة من غير أنفال لمبة تنطى الإسراع في الخروج . لسان العرب ؛ Dozy, Supp Dict. Ar.
(٢) وهو الإبراطور باسيل الثاني .

وفى ثانی عشریه ورد الخبر بأنّ الذّزبیری غلب عن مقاومة حسان ، ففرّ من الرملة آخر الليل فی عشرة من الغلمان الأتراك ، وسار فی ليلته إلى قيساريّة . وذلك أنّ حسانا هجم برجاله على بعض حوانيت الرملة ، وطرح النار ووضع السيف ، ثم دخل بجموعه ، بعد فرار الذّزبیری ، إلى المدينة ، فنهبوا الأموال واستباحوا الحرم ، وقتلوا القتل الفریع . وعندما دخل حسان إلى المدينة ترّجل من باب البلد وقبّل التراب من باب المدينة إلى دار الإمارة ، ثم أحضر القاضي وشيوخ فلسطين وأشهدهم أنّه عبد الدولة وخادما وصنيعتها ، ودخل تحت طاعتها ، وأنّه لا يبدأ أحداً من أهل البلد يسوء ، وإنما كره مقام الذزبیری فی الرملة ، وذكر سوء ماعامله به وأنّ ذلك أوجب قتاله ؛ وأن البلد للأمير المؤمنين يولّي فيه من رغب فيه من عبیده ، فيسمع له ويعطيه ، ويخدمه طاعة لله ولمولانا صلوات الله عليه . وأقام نصر الدين نزال واليا على الرملة ، وقال هذا عبد أمير المؤمنين وابن عبده ، يغبط البلد إلى أن يصل أمر أمير المؤمنين . فخلع على القادم بهذا الخبر وكثر الشّور به .

وفى ثالث عشریه خلع على سقّ الدولة حمد ، ابن أخی الباهر ، وقلد سيارات أسفل الأرض عوضاً عن عدة الدولة بقى الخادم الأسود ، وحمل على فرس بسرج مصفح مغموس ، واليس صمامة ملهبة وثوبا طميا .

وفى آخره ورد الخبر بأنّ حسان بن جراح إنما أظهر ما تقدّم ذكره حيلةً وخديعة . وذلك أنّه أحضر العسكرية بالرملة ، وقرأ عليهم ملطفاً وصل إليه من الحضرة يعتذر إليه فيه ، ويطلب أنّ اعتقال أبي الغول وكتابه لم يكن عن رأي أمير المؤمنين ، وإنما جرى من الذّزبیری برأيه . فلما أوقف العسكرية على اللطف قبّلوا خطّ أمير المؤمنين وعرفوه ، أمّروهم أن يسيروا به إلى صقلان ويوقفوا أهلها عليه ، فإن كانوا تحت السمع والطاعة للأمير أمير المؤمنين فليسلم الحسن بن سرور الأنصاري الكاتب إلى ، وإلاّ سرت إلى صقلان ونقضتها حجرا حجرا ونهبتها وقتلت أهلها . فمضى العسكرية باللطف إلى صقلان ،

وأوقفوا عليه الوالى والعسكر ، فسلم إليهم أبو النول ورفيقه . فلما وصلا إلى حسان ركب لوفته وخشب سبعين رجلا من العسكرية ، وقتل خائفة من الحمدانية وغيرهم ، ووضع السيف والنهب في الرملة ، وأضرع النار في الدور والحوانيت حتى جعلها دكا ، وسبي النساء والأولاد ، وقبض على تحرير الوحيدى وأخذ منه أربعين ألف دينار . وأخذ من مبارك الدولة فتح ، المقيم بالقدس ، ثلاثين ألف دينار ، وأخذ جميع ما جمع المزبرى .

وأزجف بمصر أن خمسمائة فارس بعثها حسان إلى العريش ، ثم لم يعلم أين قصدت ، فخاف الناس أن يطرقهم في القرافة ، فانقل أهل القرافة إلى مصر ، وانتقل جماعة من بلييس إلى مصر . فسار بديع الصقلي في الرسالة إلى حسان . وتحرك السر بمصر ، واضطربت العامة . وندب مائة فارس من القيصرية للإقامة بالقرافة لحفظ الناس ، فإن الخوف اشتد حتى لم يطلع أحد إلى القرافة ، وتحملوا منها ، فمئعوا من النقلة وأعيدوا إليها .

وجرت الأمور في هذه الشهور المباركة على ما كان الرسم جرى به من عمارة المساجد والجوامع وتكثير القتاديل والزيت وكثرة [١٧٧] الوقيد . وقد دخل الشريف المعجمي إلى الظاهر ، فأفانهر أنه براعى أمر الدولة ويتخوف مايجرى من الفساد ، فأمر الظاهر بأن يجتمع مع الشيخ نجيب الدولة أبى القاسم الجرجاوى والشيخ العميد محسن بن بدواس ، صاحب بيت المال ، وأن يدبر الأمور بما يراه . فاستدعى المذكورين وقال لابن بدواس : احمل المال الذى عندك لينفق في الرجال . قال : ما عندى إلا يسير ، والله لو طلبتم منى دينارا واحدا ماكنتنكم منه لأنه موفور لخواص مهيأت مولانا صلوات الله عليه . فقال الشريف : فتقترض من التجار وتصادر من تجب مصادرتة ، فقال الجرجاوى : وأى مال مع التجار وتجار مصر هلكى من الغلاء ؛ لكن إن أردتم المال فمن أم الحاكم بأمر الله ، قدس الله روحه ، وعتمته ؛ وبالجمله فقد أغنى الله مولانا ، صلوات الله عليه ، بتوافر أمواله وتراث آيائه الأئمة الطاهرين عما نراه نحن أو نقوله بآرائنا . فامسك الشريف عن غير رضا .

وفيه سُيِّر جماعة من المجردين في المراكب الحربية لحفظ حصون الشام ، فساروا إلى تنيس ودمياط ، ومَضَوْا إلى صُور وطرابلس وغيرها . وجُرِّدت طائفة إلى بلبيس لحفظها .

[شهر] شعبان ، أوله الأربعاء . فيه قدم أحد إخوة حسان بن جراح ، فُتِّلَقَى وأكرم وأنزل في دار حسين بن جوهر ، وحمل إليه الفُرُش والآلات الفضة ، ونحو ذلك مما يصلح لثله ، وأقيمت له الجراية . وضمن أنه يخرج مع العسكر إلى الرملة ، فخلع عليه ، وحمل على قرسين ، وقلَّد بسيف ومنطقه ذهب . .

وفي خامسه جلس الظاهر في قصره للسلام ، ودخل الناس . فقال الكتاميون : يامولانا ، صلوات الله عليك ، بلغنا سُفُلَ قَلْبِ مولانا بأمر ابن جراح ، ومَنْ هذا الكلب حتى يُسْفَلَ قلبُ مولانا ، صلوات الله عليه ، به وما مقداره ؟ ! والله يامولانا إنَّ لك من العبيد ما لو أطلق مولانا سبيلهم عليه لقلعوه شجرة شجرة ، من عبيدك الكتامين ، وعبيدك القيصرية ، والعبيد والباطلية والأتراك ، وسائر المرائث والقبائل . غير أننا قد هلكنا والله يامولانا . ففقرنا وجوعا ، وليس لواحد منا مالٌ يرجع إليه ، ولو كانت لنا أموال لكفيننا هذا الأمر وغيره . فقال لهم : نسمي صاحبُ السُر : حسبكم ياشيوخ ، حسبكم ! فأمسكوا ، ولم يكن من الظاهر جواب .

وفيه ورد الخبر بأن حسان بن جراح كتب إلى صالح بن مرداس يستدنيه ليفع الاجتماع على ما يديران أمرهما ، فسار صالح ونزل على حلب ونازلها وأخذها ، كما تقدَّم ، وأخذ بعليك ، وعظم أمره . واجتمع هو وصمصام الدولة سنان بن هليان بن البنا على حسان بفلسطين ، وتحالفوا على اجتماع الكلمة وأن يكونوا بدأ واحدة على صاحب مصر ، وقسموا البلاد بينهم ، فصار لحسان الرملة إلى باب مصر ، ولحمود أخيه طبرية وما يتصل بها

من الساحل ، ولسنان بن عليان دمشق وسوادها ، ولصالح مابقى من الشام إلى عانة^(١) . فاجتمع سنان مع صالح ومعهما حشود العرب ، وحصروا دمشق ونهبوا القوطة^(٢) ومائر السواد ، وقتلوا فلاحى الضبياع . وانتهبوا أموالها ، وألحوا في قتال أهل دمشق . فاجتمع الناس بدمشق إلى ذى القرنين ابن حمدان ، متولّيها ، وقرروا أن يكون القتال يوماً يكون أمره [إليهم] ويوما يقاتل فيه عنكر السلطان . فاتصلت الحرب كل يوم ، وقتل من العسكر ومن أهل دمشق ومن العرب خلائق . ونُهبَت مواشى الناس من الضبياع وغَلَّتهم وأموالهم ، فأخذ لمحمد الدولة^(٣) من ضباعة عشرة آلاف غرارة من القمح . وبعث حسان بنجدة من رجاله إلى سنان ، وكان الشام بأسره . قد اضطربت أحواله . وتغلّبت الثُّرَيَّان على البلاد ، ونهبوا عامة أموال أهلها .

وفيه قدم صاعد بن مسعود ، عامل الصعيد الأعلى ، بأشدعاء ، فغدا في سادسه شريكا لصَدَقة الفلاحى في ديوان الكماميين .

وفى ثامنہ قدم الخبر من دمشق بأن سنان بن عليان بن البنا لما وصلت إليه سرية حسان ابن جراح ، وهى نحو الثلاثة آلاف فارس ، طلب من أهل دمشق ثلاثين ألف دينار يقومون له بها معجلة ومؤجلة^(٤) ، فمنعهم القاضى الشريف فخر الدولة [٧٧ ب] أبو يعلى حمزة ابن الحسن بن العباس بن الحسن بن أبي الجيّن الحسين بن على بن محمد بن على بن إسماعيل ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب ، ورأى أن يجمع ذلك

(١) عانة : بين الرقة وحيث مشرة على الفرات ، كانت تمد من أعمال الجزيرة ، وها قلعة حصينة . معجم البلدان : ١٠٢١ - ١٠٢٣ .

(٢) القوطة الكورة التى منها دمشق ، تحيط بها جبال عالية لاسيما من جهة الشمال ، وسياهاا تخرج من هذه الجبال وتندسر إلى التوطة في عدة أنهر ، والقوطة كلها أشجار وأنهار متصلة ، قل أن يكون بها مزارع المستنلات . نفس المصدر : ٣١٤ - ٣١٥ .

(٣) يهاش بالأصل يتبع لكلتين .

(٤) في نهاية الأدب للتورى : « فأجاباه أهل البلد إلى ذلك فتمهم الشريف ابن الحسن » .

وينفقه في قتال العرب ؛ فوافقوه على ذلك وحلف الناس . وهدم دروب البلد وحملها إلى الجامع حتى لا يعتنق أهل البلد باللُّرُوب ويَحْطُوا بين العسكر والعرب . وَرُجِفَ بالناس ؛ فاشتدَّ القتال بينهم وبين العرب ، وقُتِلَ من العرب نحو المائتي فارس ، وأصيب ستان بسهم ، فطلب من الناس الصلح على ترك الحرب أربعين يوما . فلما تقرر ذلك خرج إليه الشريف ابن أبي الجن وشيوخ دمشق ووجوه الجند ، وحَلَفُوا ستانا ووجوه العرب ، فاستقرَّ الأمر بينهم على هذا .

وورد الخبر بأن بنى قُرَّة أقاموا إنسانا دَعَوَهُ بِأَمِير المؤمنين ببرقة ، وحملوا على رأسه المظلة . وفيه ظهر في الثيل بأعمال أسفل الأرض فرس البحر .

وفيه ورد الخبر بأن التَّجْرِيْدَةَ التي توجهت إلى نُنَيْس طلبوا أَرْزاقهم وضيّقوا على العامل ففرَّ منهم إلى دمياط ، فبعثوا في البلد وأُسلِموا ، وقطعوا من يد عامل السلطان خمسة وعشرين قطعة ، وأخلّوا من المودع ألفا وخمسمائة دينار . فخرج إليهم عنبر ، الزُّمَام ، في خمسين فارسا من عرفاتهم للقبض على الجنّة وتأديبهم واسترجاع ما أخلّوه .

وقدم الخبر بأن حسان بن الجراح كتب إلى ستان يُؤَيِّخُهُ على ما فعل ويَحْتِهُ على معاودة الحرب ، وَيَعِدُّهُ بالممدد ؛ فعاد إلى قتال أهل دمشق بعد ما كان قد انصرف عنها . فلأن حسانا بعد ما نهب الرملة وحمل منها أربعمئة جمل مُوقَرَةٌ مَالًا وثِيَابًا ومصاغا وغير ذلك ، بعثها إلى جِلَّةٍ وأضرَم النار في شوارعها ، وكسر الأمتعة ، حتى كان الناس يمشون في بخار من الصابون والزيت في أسواق مدينة الرملة . ثم وصل كتابه يسأل فيه لإضافة القُدس وتابلس إلى إقطاعه مُصانعةً له على الكفِّ عن القتال ؛ وأن يُنْفَذَ إلى أبي الفول ثياب من ثياب الظاهر التي يلبسها وشاشية من شواشيهِ . فَأُنْفَذَ إليه ذلك وأُجِيبَ إلى إقطاع نابلس مضافا إلى إقطاعه ؛ ولم يُجَبِّبَ إلى القدس .

وفي يوم السبت ثامن عشره دخل نسيم صاحب السُر بطالفة من الصقالبة إلى بيت المان

والشيخ العميد محسن بن بلواس جالس وبين يديه حُشْبَانَاتُهُ ، فقال له : أجمع يا شيخ هذه القراطيس واختمها . فجمعها وخطمها بخاتمها ، ثم أقامه وخطم الخزان ، وأخرج رجلاً ، فاعتقله بحجرة من القصر . وركب رفق فخطم بيت المال والخزانة الخاصة ودار ابن بلواس وسائر ما يتعلق به . فلما كان المساء أخرج ابن بلواس فُضْرِيَتَ عَنقِهِ وهو يصيح : والله ما خُنت ولا سرقت ولا غَشَشْتُ ، وهذه منصوبة نُصِبتَ عليّ . وقيل إنه وُجِدَ عنده خطُّ حسان بن جراح ، وخطُّه عند حسان بحثه على الإيقاع بالدولة . وقيل إن هذا صنَّعَ عليه من أعمال الشريف العجمي . وقيل في سبب قتله مُعَانَدَتُهُ لمضاد وعُلوُّه عنه إلى رفق الخادم وأنه كان استشار خليل الدولة محمد بن علي بن المداس صديقه لما عاداه هذه انطافة ، فأشار عليه أن يباينهم بالعداوة ويكشفهم بها . واستشار أيضا شمس الملك مسعود بن الوزان ، مع ما بينه وبينه من العداوة ، فأشار عليه بمثل ذلك . وقيل إن الظاهر أخرج كتابا مختوما إلى الشريف العجمي فنظره ، ثم رفعه إلى أبي القاسم الجرجاني فنظره ثم قال : هذا خطُّ ابن بلواس ، فقري ، فإذا فيه طعنٌ على الدولة ، وبآخروه : إذا وافيت بالماكر لم تجد أحدا تلقاك ولا يمانعك ، وإذا تكاثرتي فلا تُنفذ كيبك إلا على أيدي الرهبان فلانهم اللغات المأمونون . فقال الظاهر : أي شيء يستحق هذا ؟ فقال الجرجاني : مولانا مالك العفر والسيف . فقال : انصرفوا . فلما خرجوا أمر بضرب عنقه . وقيل إنه وُجِدَ أغلف لأنه كان نصرانياً . ومن العجب أنه كان في غاية التحفظ والتحرز ، وكان يخاف أن يقتله الحاكم بأمر الله ففجأته ، ثم لما آمن واطمأن كان حظه .

في يوم الثلاثاء لليلة بقيت منه أخضر عز الدولة مضاد الكلابيين وأمرهم بالبُكُور من الند ، وأمر الأتراك [١٧٨] وجميع العسكر بلبس السلاح ، وأن يتسلحوا من الخزانة ما يخرج لهم من ذلك ، ويقف الجميع حول القصر حتى يؤمروا بما يفعلونه . فوقفوا من الند بأنجمهم حول القصر إلى صُحُرة النهار ، فجاءهم الأمر بأن مولانا صلوات الله عليه يركب

في غد ، فليحضر من ليس له منكم سلاح يُدْفَع إليه من الخزانة ؛ فقال الكتاميون قد شَغَلْنَا الجوع وطلبُ الخبز عن هذا . فلما كان آخر النهار حُمِلَ قومٌ من مترجَّةِ الكتاميين على سبعين فرسا ، وفُرقَ فيهم وفي غيرهم السلاح .

شهر رمضان ؛ أوله الخميس . فيه ركب الظاهر في عساكره وعليه قميص مُدَبَّر مذهب ديبقى وعمامة مثله ، وعلى رأسه المظلة المذهبة يحملها بهاء الدولة مظفر الصقلي ، وخلفه ابن فتوح الكشاش يحمل الرمح ، وبين يديه الأتراك والكتاميون والقيصرية والعبيد والباطلية والنهلم وسائر الطوائف ؛ وركب رجال الدولة خلفه مع نسيم الصقلي ، وصار إلى مسجد تبر ، وعاد . وكان يوما حسنا من توافر الناس وكثرة الجمع والزي الحسن .

وفي يوم الجمعة ثانيه ركب أيضا إلى صلاة الجمعة في الجامع الأزهر ، وعليه طليسان شرب مُقَوِّط بعمامة بياض مذهب ، وثياب دبيقية ، والمظلة دبيقية مذهب ، وطلع معه المنبر قاضي القضاة أحمد بن أبي العوَّام وإبراهيم الصانع المؤدب المدرووف بالجليس ، فأرخيا عليه سجف القبة التي في أعلا المنبر ، وهي مشفأة بمصمت بياض ، والمنبر يُبَخَّر بين يديه في المباخر الذهب والقضبة والجوهر . فخطب ، ثم كشف عنه القاضي ونزل ، فعلى وعاد إلى قصره .

في رابعه ورد الخبر بانصراف صالح بن مرزاس عن دمشق إلى حلب ، وأن كاتبه باع جميع ما كان له بحلب من غلة ودار وآلة ، وخرجَ فجمع الدرب وقصد حصار المدينة .

في خامسه ولي طيب الخازن بيت المال ، وطلع عليه ، وحمل على بثلة بسرج ولجام ؛ وطلع على ميسرة الخازن ، وحمل على فرس بسرج ولجام مذهب ؛ وولى خزانة الخاصة وجعل حدة الدولة رفق الخادم الأسود ، يخرج إليهما بالأوامر ويدخل . وطلع على ثلاثة من أولاد ابن جراح وحملوا على ستة أفراس .

وفى ثلثى عشره -أُخذ دِبان الشام من محمد بن أحمد الجرجاني وردَّ إلى أبي طالب الغرابيل .

وفى يوم الجمعة سادس عشره ركب الظاهر إلى الجامع الأتور^(١) خارج باب الفتح وعليه رداء بياض محشَّى قصبا ، وثياب بياض دبيقية ، وعمامة بياض مذهبة ، وفى يده القضب الجوهري ، وعلى رأسه مظلة مدبَّرة فخطب ، ثم صلى ، وعاد .

وقدم الخبر بأن أهل دمشق هادئوا سنان بن علوان إلى آخر الكوانين^(٢) . وقدم كتاب حسان بن جراح بأنه تحت الطاعة ، فلا يجب أن يشغل السلطان قلبه بأمر الشام ، وأنه يقوم بأمر فلسطين ويجبي خراجها وينفقها في رجاله ، ودمشق فيها ابن عمه سنان ، صمصام اللؤلؤة ، وحلب مرثود تدبيرها إلى صالح بن مرثداس أسد اللؤلؤة ، وأنه قد كفَّى السلطان أمر الشام كله . فطرد رسوله ولم يكتب له جواب .

وفى خامس عشره زيد في لقب منتخب الدولة أنوشتكين النُزيري أمير الأمراء^(٣) . وفى سابع عشره هرب ابننا جراح ولحقا بحسان بن جراح ، وأخلد جميع ما كان في الدار التي أنزل فيها^(٤) ، وتركا أُنحأ لهما مريضا ، فوكل به .

في سلخه حمل نجيب الدولة أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني سباط العيد على العادة ، وفيه مائتا قطعة من التماثيل السكر ، وسبعة قصور كبار من السكر ، وشقَّ البلد بالخيال والطبائين والفرجة .

(١) وهو جامع الحاكم وجامع القاهرة .

(٢) ماكانونان : الأول يعني شهر ديسمبر والثاني يعني شهر يناير .

(٣) وكانت ألقابه قبل ذلك : الأمير المظفر أمير الجيوش حدة الإمام سيف الخلافة حدة الدولة شرف المال . ذيل تاريخ دمشق : ٧١ . وزيد على ذلك أيضا مصطفى الملك ، حدة الخلافة . نفس المصدر : ٧٤ .

(٤) في الأصل : التي أنزلوا فيها .

[شهر] شوال ، أوله السبت . فيه ركب الظاهر في صاكره ، وبين يديه فيل وزرافات ويُنود مذهبة بقصب وفضة ، والطبول تضرب والجنائب تُقَاد أمامه ، وجميع قواد الأتراك والمُصْطَنعة في السلاح ، وعليه ثوب خز بعمامة نظيره ، وفي يده القضيب ، وعليه السيف ومعه الرمح ، وعلى رأسه المظلة المنهبة يحملها مظفر ، وبين يديه الخدم السودان وعليهم أصناف المذهبات - إلى المصل . فصل ورق المنبر ، واستدعى قاضي القضاة ، فطلع ، ثم استدعى إبراهيم الجليس المؤدب ، فطلع ، ثم استدعى شمس الملك [٧٨ب] أبا الفتح مسعود بن طاهر الوزان ، فطلع ، ثم استدعى تاج الدولة^(١)

ابن أبي الحسين ، صاحب صقلية كان ، ثم استدعى زين الملك علي بن مسعود بن أبي الحسين ، ثم استدعى علي بن فضل ، ثم عبد الله بن الحاجب ، ثم جُلل بالبنددين النصويين علي المنبر^(٢) ، وخطب ، ثم نزل وعاد إلى قصره . وأُخْضِر السَّمَاط فحضر أهل الدولة ، ولم يحضر الظاهر ، وكان في منظره يشاهدونه . وفي ثامنه صرف نجيب الدولة مجلي بن نسطورس عن ديوان الأجناس بآبي غالب الصيقي النصراني كاتب ديوان الخراج . فيه ضربت خيمة بظاهر باب الفتوح ، ووَقَّع الاختام بتجريد الصاكر إلى الشام .

وفي هذا الشهر تحرك السر ، وبلغ التلبس القمح دينارين وثلاثين ، والتلبس الشعير دينارا واحدا ، والخيز رطلين بلهم . وقدم الخبر بأن العرب بمكة قامت بين الحسينيين والصلبيين ، فخرج منها أبو الفتوح حسن بن جعفر ، وأن الفلاة بها شديد .

(١) يياض في الأصل يتسع لتسوية كلمتين .

(٢) كان من مهام الوزير في أيام الجمع واليهين أن يزر القبة على المنبر أثناء الخطبة . وكان يتدل على جانبي المنبر لواءان لستر الخليفة في أثناء الخطبة ، فإذا صد الخليفة المنبر وقف على جانبي المدرج الوزير وقاضي القضاة وصاحب الباب وأسفلهالار الصاكر وصاحب السيف وصاحب الرسالة وصاحب دفتر المجلس ونقيب الأشراف الطالبين . فإذا نهض الخليفة لقبة أشار الوزير إلى كل واحد من هؤلاء فيأخذ كل واحد نصيبا من اللواء الذي يحاذيه فيسترون الخليفة ويسترون . الخطط ، التهجيم الزاهرة : ٤ .

وقدم الخبر بمحاربة النُزَيْرِي لأصحاب حسان بن جراح على عسقلان ، وأن عِدَّة جند النُزَيْرِي خمسة آلاف قد نهكتهم الحرب والغارات . وقبض على رجل قدّمه حسان بن جراح إلى بني قُرّة بالبحيرة يدعونهم إلى نُصْرته ويبدّهم مواعيد كثيرة ، فأجابوه بالموافقة ، وأخذت منه الكتب وحبس .

وكانت ليلة الميلاد^(١) في يوم الخميس عشية ، فاشتغل الناس عما كانوا يبتاعونه فيها من الفواكه والحلوى بما هم فيه من الأمراض ، وتواتر الموت ، بحيث لم تخل دار أحد من عِدَّة مرضى من الدّم وأوجاع الحلق ، وبلغت الرّمانة ثلاثة دراهم ، والبطيخة البرلمى ثلاثين درهما ، والأوقية الشراب بدرهم ، والقمح ثلاثة دنائير التّليس ، والأردب الشعير ، بدينار ، والوطل اللحم ثمانية دراهم . وعز وجود شيء من الحيوان مثل الدجاج والفرايج ، وبلغت راوية الماء ثلاثة دراهم . فتهالك الناس من كل جهة ، وكسرت الأسواق ، فكانت النياب والأئمة ينادى عليها فلا يُوجد من يدفع درهما فما فوقه .

وفيه قطع على حاج المغاربة الخارجين في البرّ عهد تملّز أمر الحج ، فتقدمت جماعة من المغاربة القادمين من بلاد المغرب بغير أمير ، فلما جاوزوا بِرّكة الجُبّ قطع عليهم الطريق وأخذت أموالهم ، فهلك منهم عدة وعاد من بقى .

ذوالقعدة ؛ أوله الأحد . فيه اشتدت عقوبة جوارى محسن بن بلواس في طلب المال . وكانت ليلة الغطاس^(٢) في ليلة الأربعاء رابعة ، فجرى من هو صحيح على العادة في شرله

(١) الميلاد اليوم الذى ولد فيه المسيح ، عليه السلام ، ويحتفل به نصارى مصر في التاسع والعشرين من كيك . وكان من رسوم الفاطميين فيه أن تفرق فيه الجماعات الملوثة من الخلاوات القاهرية ، والمتارد التي فيها السك ، وقرابات الجلاب ، وطائفة الزلاية والبورى . الخلط : ١ : ٤٩٤ .

(٢) ليلة الغطاس من أمياد النصارى التي كان يشارك فيها الفاطميون وإن كان الاحتفال بها جاريا قبل قنوم الفاطميين إلى مصر ، ويحتفل بها في الحادى عشر من شهر طوبة يخرج الناس فيها - مسلمين ونصارى - إلى النيل ويوقنون المشاط والشموع ويركبون الزواجر ويضربون الخيام على الشاطئ ويكثرون من إفسار المأكّل والشارب في آنية الذهب والفضة =

الفواكه والحلجان وغير ذلك . ونزل الظاهر إلى قصر جده العزيز بالله بمصر لنظر الغطاس ، شكرًا ، مع حرمة ، بعد ما نزل القائد عدة الدولة وفق بأصناف القرش لبسطه ، ونقل جميع المجاورين له ممن يسكن على النيل بالقرب منه ، وأزال المراكب المرساة هناك . وضرب بدر الدولة نافذ الخادم الأسود متولّي الشرطتين ، خيمة عتدرأس الجسر ، وجلس على مرتبة مثقلة ومرتبة ديباج ، ووقف ابن كافي متولّي الشرطة السفلى بين يديه . ونودي في الناس ألا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم في البحر بالليل . وأمر الظاهر القائد نافذًا أن يزيد في وقيد النار والمشاعل في الليل ، ففعل ، وكان وقيدًا طويلًا . وحضر القسيسون والشمامسة بالصلبان والنيران فقسّسوا طويلًا وانصرفوا إلى حيث يفتنون . فمات في هذه الليلة للظاهر طفلة سنّها ثلاث سنين وشهور ، وهي آخر ولد بقي له ، فعاد من آخر الليل إلى قصره بالقاهرة ، فشاهد في طريقه عدة أموات على الطرقات ، فأمر لهم بخمسةائة شقة^(١) لأكفانهم ، والتفقة عليهم حتى يُدفنوا .

وفي ثامن جنّك ثلاثة من الخدم^(٢) وألبسوا العمائم الشرب البيضاء ، فتشبهوا بمن تقدّم من مُدّمي قواد الخدم كميرون ويدر ونهر العزيزي ونظرأثم . وهؤلاء المتوّدن هم معضاد ومناد ورفق ، وأضيف إليهم فأتك ورجاء وسرور النصارى ، ونامق ؛ فجلسوا بحضرة الظاهر ونهّاهم الناس بذلك .

وفيه اجتمع وفد الحجاز بباب القصر واستغاثوا ، [١٧٩] وقالوا : يا قوم قد جئناكم

«وتكثر الملاهي والأغاني والمزف ، وينس المخطلون في الهرز ومن أن ذلك أمان من الداء والأبراس . وكان من رسوم أهل الدولة أن يفرق فيهم التريج والتارنج واليون وأطان القصب والسلك برسوم مقررة لكل أرباب السيوف والأكلام . الخلط : ١ : ٤٩٤ - ٤٩٥ .

(١) الشقة : بكسر الشين ، شق من الثياب باستزالة ، وبالفم الثوب المستطيل . القاموس المحيط .

(٢) ليسوا العامة وأداروها حول أمتانهم ، وهذا صاروا من الأستاذين المحتكين ، أي من كبار الخدم التفتين بالخليفة لقضاء حوائجهم .

وفارقنا أهلينا وقد هلكنا من الجوع ، فإن لم يكن لكم حاجة بإقامة الدعوة بمكة والمدينة فاصرفونا فينا قد بذل لنا الرغائب في إقامة الدعوة لغير إيمانكم فلم نأخذها ، ونريد إنسانا يكلمنا . فلم يُجابوا بشيء . وكانوا قد مضوا قبل ذلك إلى رجال الدولة ، كعمضاء وغيره ، فصار يدفعهم هذا إلى هذا . فلما انصرفوا عن باب القصر خائبين بعث إليهم جمال الدولة . مظفر الصقلي ، صاحب المظلة ، ألف دينار من ماله ، فقالوا : لا نأخذ إلا ما يصلنا به أمير المؤمنين ، وهذه الصلة قد قبلناها ، والله مجازيك عليها ، ونحن نفرقها على ضعفائنا وعبيدنا ، ففرقوها على خمسمائة نفس ، لكل واحد ديناران .

واشد الغلاء والقحط بمصر ، فبيع الخبز السميد رطلين بدرهم ، والحمة النقيق بأربعة دنانير وثلاثين ، والثليس القمح بثلاثة دنانير ، واللحم أربع أواق بدرهم . وعظم الموت سباً في الفقراء ، وبلغ بالناس الجهد حتى إن جزأراً طرح عظما لكلب فطرد رجل الكلب وأخذ العظم منه وابتلعه نيشا ، وأكل المساكين الصماليخ من التنبيط^(١) واقتاتوا باليسير من كُشب الوز وكُشب السمسم ، وغلت عامة الحبوب . وغلا الماء لثعلر علف الثواب وعدم من يستقى عليها ، وبيعت راوية الجمل بثلاثة دراهم ، وراوية البغل بدرهمين ، واشتدت المسغبة . وقدم الخير بشدة الموت بدمشق ، فمات من أهلها ألوف .

وفي نصفه ركب الظاهر وشق مدينة مصر ، وخلفه الموقون والمصطنعة ، وبين يديه الرقاصون ، فاستغاث الناس بضجة واحدة : الجوع يا أمير المؤمنين ، الجوع ، لم يصنع بنا هكذا أبوك ولا جدك ، فإله الله في أمرنا . فازتجت البلد بالفجيج حتى نزل إلى قصر العزيز على البحر ، فحضر أبو عبد الله محمد بن جيش بن الصمصامة الكتاي وقد اختل

(١) لعل المقصود به ما يسميه أساتذة الأحياء التاريخ ، جمع شراخ ، وهو الدعاة البيضاء التي تتجمع زهرات التنبيط في قبا .

عقله وحاله ، فوقف تحت القصر وشتمه أقبح شتم ، وبالف فيما شتم به ، فضربه الرقاصون حتى سقط ، وجروه برجله وسحبوه إلى السجن بالشرطة ، فضربه متوليها ثلاثين درة واعتقله .

وتزايد أمر الغلاء ، ونزل دواس المحاسب برجاله ومعه السعلية ، وكتب مائة وخمسين مخزنا قمحا وختم عليها ، فأصبح الناس يوم الاثنين سادس عشره على أقبح صورة ، وكثر الصياح : الجوع الجوع ، ولم يظهر خبز ولا دقيق . وبيع الدقيق رطلا ونصفا بدرهم ، والخبز الأسود رطلين بدرهم وربع .

وفيه خرج حاج المغاربة إلى مكة ، فلم يصحبهم أحد من أهل مصر ، وعندما عدوا بركة الجب خرج عليهم طائفة من القيصرية والعبيد ، وكانت بينهم رقعة هزهم فيها المغاربة وجرحوا كثيرا منهم .

وفيه طلب المحاسب إلى القصر ، وهُتد ، وقيل له : قد قتلت الناس جوعا وخربت البلاد على مولانا ، وهذا خطك بضائك عمارة البلد بالأخباز والقمح إلى حين إدراك الغلة . فوعد بتلاقي الأمر ، ونزل ، وأطلق القمح من المخازن للطحّانين ، وسعر عليهم دينارين ونصفا للنليس ، وأمرهم ببيع الحملة الدقيق بأربعة دنانير ، والخبز رطلين ونصفا بدرهم ، فسكن الحال قليلا^(١) .

وفيه أفرج عن محمد بن جَيْش بن الصمصامة .

وفي عشره ركب الظاهر إلى الصيد بسرّوس^(٢) ، وهاد . وفي ثالث عشره عاد

(١) ليس هناك كبير فرق بين هذه الأسرار وما ذكر قبل أسطر في الحديث عن شدة الغلاء إذ بلغت حلة الدقيق مثلا أربعة دنانير وثلاثين وتليس اللبح ثلاثة دنانير .

(٢) من أعمال القليوبية قرب مدينة قلوب ، وهناك خليج سحر أيام الفرامنة عرف باسم خليج سرّوس . الخطط ، التجرم الزاهرة ، قوانين الدواوين : ٢٠٥ .

من خرج من حاج المغاربة بعدما نهبوا وجرحوا وسلبوا ، فلم يحج أحد في هذه السنة من مصر .

وفيه قرى سجل بحطيطه جميع مكوس الفلة المباعه بساحل مصر ، وأن يبيع الناس بغير تسعير . وكثرت الأخياز ، وبيع القمح بدينارين ونصف وربع للتليس ، والخبز السميد رطلان بدرهم وربع ، والخبز الحواري رطلان بدرهم . وضرب عدّة من الخبازين على خلطهم الطغل المسحوق في الأخياز .

وقدم الخبز أن حسان بن جراح أنفذ ألقى فارس فلم يعلم جهة قصدهم ، فاضطرب الناس لذلك ، ثم تبين أنها وردت إلى القرما مع أبي القول ، ففر الناس في المراكب إلى تنيس ، وأخذ الناس بمصر في إحراز أموالهم ، وفقد الخبز القمح واللقيق . ونقلت الكتب إلى الحوف^(١) بدخول الرجال الجوّالة إلى الحضرة لتجدد عسكراً لحفظ [٧٩ ب] البلاد ، ثم أبطل ذلك خوفاً من نهبهم المدينة وكثرة كلفتهم .

فو الحجة ، وأوله الثلاثاء . في رابعه ركب الظاهر في خاصته إلى عين شمس وعاد . وفي خامسه أطلق لوفد مكة ألف دينار يرتفقون بها وأمرت لهم أم الظاهر أيضا بشئ من عندها . وكثرت نقل الناس خوفاً من النهب في يوم الأضحى . وعُمل سباط العيد السكر من عند نجيب الدولة على بن أحمد الجرجرائي ، وعدد قطعه وتمائيله مائة وسبع وخمسون قطعة وسبعة قصور كبار ، كلّها من السكر ، وحمل في ناسه إلى القصر ومعه الفرحية الطبالون ، وأفراس الخيل ، والسودان والصقالبة على العادة .

(١) كان الوجه البحري ينقسم إلى أربع لوائح : الحوف الشرقى وكان يشمل عين شمس ومخالفات القليوبية والشرقية الحاليين ومدينتي الغربا والبحريش ، وبلد الروف وكان يشمل مايسى الآن محافظة الدقهلية وجزءا من شمال مديرية الغربية ، والجزيرة وهي بقية الأرض الواقعة بين فرعى النيل ، والحوف الغربى أي مديرية البحيرة . انماط : ١ : ١١٨ : حاشية : ١ : نقل من صبح الأضي .

وفي عشية النهار تهاب الناس من دب عظيم مقط من الجبل إلى المقابر ، فانجفل الناس في درب الصحراء ظناً أن العبيد كبستهم ؛ فكان خوف شديد .

وفي يوم الخميس عاشره كان عيد النحر ، فركب الظاهر إلى المصلّى من باب الفتوح على عادته بعد أن رسم لسائر العرائف أن تلتزم كلّ عرافة مكانها وحارتها ، وتكون صلاة العسكر بأجمعهم في حاراتهم مع أزمتهم ؛ فامتلأوا ذلك . وصلى وخطب بعد أن استدعى داعي الدعاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان وسلّمه الثبّت بأسياء من جرّت عادته بطلوع المنبر ، فاستدعى شمس الملك ، وجاء التّولة مظفر صاحب المظلة ، وعلى بن مسعود ، وحسن ابن رجاء بن أبي الحسين ، وعلى بن فضل ، وإبراهيم الجليس ، وعبد الله بن الحاجب ، وتأخر القاضي وغيره لمرضهم فلم يشهروا صلاة العيد . فلما انقضت الخطبة نزل الظاهر إلى المتنحر بالمصلّى ، فنحر ناقّة وعاد إلى قصره ؛ ومشى إلى المنحصر بضخن القصر تجاه ديوان الخراج . فنحر تسعاً من النّوق ثم انصرف . فحضر أبو الحسن على بن محمد الطّريقى ، كاتب قاضى القضاة ، لتفرقة لحم الأضاحى على أرباب الرسم ، فنهتبه العسكر وجرى عليه كلّ قبّيح . ومُدّ السّياط بحضرة الظاهر ، فلما جلس أهل التّولة عليه للأكل كبس العبيدُ القصر وهم يصيحون : الجوع ، نحن أحقّ بسياط مولانا عليه السلام ؛ ونهبوا جميع ما على السّياط وضرب بعضهم بعضاً والصقالبه تضربهم فلا يبالون . فكان أمراً صعباً وحسبُ الحاضرين أن نجّوا سالمين .

فلما كان الدد ركب الظاهر إلى الرّحبة في القصر تجاه ديوان الخراج ، فنحر ثلاث عشرة ناقّة ، وعاد ، ففرّقها الطّريقى . وشُدّ من الدد ، ثالث عيد النحر ، في مكان النحر خمس عشرة ناقّة لتنحر ، فلم يخرج الظاهر ، فخلّى عنها ، ثم شُدّ خمس نّوق غيرها نحرها الطّريقى وفرّقها .

وقدم الخبير بنهب العبيد الجواله بلداً بالأشْمُونين ؛ حصل لرجل واحد تسعمائة رأس من البقر وثلاثة آلاف رأس من الضأن .

وفي ثالث عشره ورد الخبر بأن النَّزِيرى أسرى من عسقلان وكبس حلة لحسان بن جراح ، فقتل ثلاثين أسيراً وعدة من الناس بيلفون آلافا ، ونهب نساء العرب ؛ وطلب نجدة ولوبألف فرس ؛ وأخبر أنه نزل فلسطين وصلّى بها العيد وهو خائف من اجتماع العرب ليحرّبه . فأخرج مضرباً ظاهر باب الفتوح لتجرّد الصّاكر ؛ فدافع أهل الدولة عن إصفاء ذلك . فورد الخبر بأن النَّزِيرى بعد ماصلي العيد بمدينة الرملة انتقل إلى لُدّ بعد ما أوقع بحلة فيها ولد لأبي الغول فقتله ، وضرب أعناق أربعين رجلاً من الضمازين الذين كانوا يدئون حسان بن جراح على الناس ، وأنه ينتظر النجدة بلدّ ، فلم يخرج إليه أحد .

وفي يوم عيد الغدير^(١) وردّ الخبر بإقامة الدّعوة الظاهرية بالبصرة والكوفة والموصل وعدة من بلاد المشرق ، وذلك لغلبة الأتراك على بغداد وإخراج الدّيلم عنها إلى البصرة ؛ فدعا الدّيلم للظاهر بها وبالكرخ^(٢) ، ودعا الأتراك ببغداد للقادر . وفيه جرى الناس بمصر في عيد الغدير على رسمهم ، وتزيّوا بأفخر زيهم ، وطلع المنشئون إلى القصر يدعون وينشدون . وفيه نُصبت خيمة خارج باب الفتوح ليخرج تجريدة النَّزِيرى .

(١) ترم النية ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، مر بواحد من حجة الوداع وأسلم يد على ابن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وقال : " من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " . قارن الخطط : ١ : ٢٣٨ ، وفيه كثير من التّصيل .

(٢) الكرخ . لعل المقصود به كرخ بغداد وقد بدأ حيا في وسط بغداد والغال حولها ثم تطورت أسوارها حتى صارت عتق وحدها ، وأهلها شيعة إسلامية . مسجم البلدان : ٧ : ٢٣٣ - ٢٣٤ .

وفي حادى عشره نُهبَت اللُّوَابُ بسفط ونِها^(١) من ثلاثين رجلاً من بني قُرّة ، وقتلوا قاضي سفط ، واستاقوا مائة وخمسين فرساً لأهل الدولة ، وساقوا ثلاثمائة رَمَكَة^(٢) لمعضّاد وأربعة آلاف رأس من الضأن ، فلم يخرج أحد لطلبهم ، ولا أنكر شئ من ذلك . وفي ثاني عشره خرج معضاد والشريفان [١٨٠] وابن حمّاد الغرابيلي ونجيب الدولة البجرجرائي إلى الخيمة خارج باب الفتح ، وجسر الكتاميّون ، فطُلب منهم مائة فارس ليُتفق فيهم^(٣) ، فلم يحضروهم ، ونزعت الخيمة فعادوا أقيح هود .

وفي خامس عشره سار وفد مكة وقد دُفع إليهم نصف إيجابهم ، ولم يرسل إلى أبي الفتح بشئ ، فمضوا غير راضين . وفيه حمل مظفر صاحب المظلة إلى الحضرة عشرة آلاف دينار قرضاً ، واستدعى من الشريف أبي طالب البجعي متولّي الصناعة عشرة آلاف قرضاً ، فدافع ثم أجاب إلى حمل خمسة آلاف بعد أن يضمن له أمرُ عادتِها إليه ، فضمن له الشيخ نجيب الدولة أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائي ذلك ، فحملها .

واشتد الغلاء ، فبيع القمح بأربعة دنانير وثلث التليس والحمة الدقيق بستة دنانير ، والخبز رطل وربع بلوهم ، ونزل بالناس مسغبة شديدة . وفي ثالث عشره تجمع العبيد ومعهم عدة من النّهابة ، فبلغوا نحو الألفين ، يريدون نهب مدينة مصر ، فركب إليهم بدر الدولة نافذ في عسكر بالسّلاح ، وأذن للناس عامة بأن من تعرض لهم من العبيد فليقتلوه ، فحفظ الناس واستعملوا . ثم ركب معضاد ونسب إلى حيث تجمع العبيد ، وأحضروا

(١) سفط اسم لعدة قرى تعرف بالإضافة منها سفط الحمار ، وشيد ، البرقاء ، أبي تراب ، البين ، ولعل الأخيرة هي المقصودة وكانت بالجزيرة (الجزيرة) في الجنوب الغربي لسانية المصنوعة بنحو أثنى متر ، وفي الشمال الغربي لكثير طهرس بنحو ٧٠٠ متر . ونهايا غربي سفط ، وهي وسط الخوض لا يوصل إليها زمن الفيضان إلا بالمراكب . الخطط التوفيقية :

١٧ - ٩ - ١٣ : ٣ - ٣٤ - ٣٩ : قوانين اللواوين : ٣٥٢ : التنجيم الزاهرة : ٨٩ : ٥ .

(٢) الرمكة ، بفتحين ، الأثنى من البراذن ، وجمعها رمك ورمكات وأرمك مثل ثمار وأثمار . غنار الصحاح .

(٣) استعداده تكونون التبريدة العسكرية لفظ البلاد ، وهي الخطوة التي سبق ذكرها قبل قليل .

أَزَيَّتْهُمْ وَأَلْزَمُوهُمْ بِمَوَدِّ الْعَبِيدِ إِلَى حَارَتِهِمْ ، فَقَالُوا : مَا أَرَدْنَا النَّهْبَ ، وَلَا نَرِيدُ إِلَّا مَا نَأْكُلُهُ مِنَ الْجُورِ فَإِنَّ الْجُورَ قَدْ أَشْتَدَّ بِنَا وَأَكَلْنَا الْكِلَابَ . فَوُعِدُوا بِالنَّفَقَةِ مِنَ الْغَدِ ؛ فَعَادَ الْجَمِيعُ إِلَى حَارَاتِهِمْ . وَاجْتَمَعُوا مِنَ الْغَدِ وَقَصَصُوا السَّاحِلَ ، وَنَهَبُوا ثُوراً وَطَرَحُوا فِيهَا النَّارَ ، وَأَخَذُوا مَا وَجَدُوا فِي السَّاحِلِ مِنَ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِي الْحَوَانِيتِ ؛ وَدَخَلُوا إِلَى مَنَازِلِ أَهْلِ السَّلَاحِ فَنَهَبُوا مَا وَجَدُوا . فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ نَافِذٌ وَقَاتَلَهُمْ ، فَجُرِحَ لَهُ فَرَسٌ وَقَتَلَ فَارِسٌ مِنْ غُلَامَانِهِ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ . وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَائِمَةُ الْمَصْرِيِّينَ بِالسَّلَاحِ فَقَاتَلُوهُمْ ؛ وَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ مِنْ أَعْلَى الدُّورِ بِالْحِجَارَةِ وَالطُّوبِ وَالْجِرَارِ ، حَتَّى هَزَمُوهُمْ ؛ وَأَغْلَقَ النَّاسُ دُورَهُمْ ، وَحَفَرُوا دُونَهَا خنادق . وَرَكِبَ مَعْضَادٌ وَجَمِيعُ الصَّقَالِيَةِ وَالْقُرَّادِ ، فَطَرَدُوا الْعَبِيدَ عَنِ الْبَلَدِ إِلَى الْمَقْدِسِ ، وَلَقُوا فِي طَرِيقِهِمْ قَوْمًا مَعَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ أَمْتَةِ النَّاسِ الَّتِي نَهَبَتْ ، فَقَبِضُوا عَلَيْهِمْ ، وَضَرَبَ مَعْضَادٌ رِقَابَ تِسْعَةِ أَنْفُسٍ مِنْهُمْ وَرَى جِثَّتَهُمْ إِلَى الْكِلَابِ عِنْدَ الْحِمَاءِ وَالْمَشْتَهَى . ثُمَّ لَقِيَ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ فَضَرَبَ رِقَابَهُمْ بِالْقَاهِرَةِ .

وَتَعَلَّمُوا وَجُودَ الْخَبْزِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَبِيعَ رَطْلًا بِلَدِهِمْ . وَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ عَلَى حِرْسٍ ، وَأَصْنَبَحُوا يَتَرَقَّبُونَ الْمَكْرُوهَ ، فَطَافَ النَّهَابَةُ أَسْوَاقَ الْقَاهِرَةِ وَالسُّوقَةَ الَّتِي عِنْدَ بَابِ زَوَيْلَةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ حَظِيٌّ الصَّقَلِيُّ وَمَعَهُ سَيْفٌ مِنَ الْحَضَرَةِ ، فَقَبِضَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ ، ضَرَبَ رِقَابَهُمْ وَرَى جِثَّتَهُمْ إِلَى الْكِلَابِ عَلَى بَابِ زَوَيْلَةَ وَعَلَى بَابِ الْفَتْوحِ وَفِي سَوَاقِ السَّلَاحِ وَعِنْدَ شُرْطَةِ الْقَاهِرَةِ ؛ وَعَدَّتْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا . وَوَجَدَ كِتَابِيًا يُقَالُ لَهُ سُلَيْمَانُ ، قَدْ أَخَذَ حِمَارًا مَحْمَلًا دَقِيقًا ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ . وَأَحْضَرَ عُرْقَاءَ الْعَبِيدِ إِلَى التَّصَرُّ وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ فِي إِحْضَارِ الْجَنَّةِ مِنَ الْعَبِيدِ ، وَوَعَدَهُمُ بِالنَّفَقَةِ فِي الْعَبِيدِ .

وَأَصْبَحَ النَّاسُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ سَابِعَ عَشْرَةَ يَسْتَنِيضُونَ إِلَى مَتَوَلَّى الشَّرْطَةِ السُّفْلَى مِنَ النَّامَةِ الَّتِي نَهَبْتُمْ ، فَقَبِضَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ بِكُورِ دِينَارٍ ، وَخُوفُوا حَتَّى أَتَوْا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ النَّهْبِ ، فَسَيِّقُوا حَتَّى أَخْرَجُوهُ مِنْ كُورِ دِينَارٍ وَأَخْلَهُ أَرْيَابَهُ .

وقدم الخبر من حلب بأن صالح بن مرداس حاصر حلب ، ومازال بأهل البلد حتى فتحوا له أبوابها ، فدخل أصحابه وشرعوا في هدم أبراج السور ، فظن الناس أنه يريد بذلك أن يسلم حلب إلى الروم ، فاجتمعوا يمين في القلعة ، وقد تحصن بها موصوف الصقلي ، وحاربوا أصحاب صالح حتى أخرجهم وقتلوا منهم مائتين وخمسين رجلا ، وامتنعوا منهم بالمدينة . ومن خبر ذلك أن صالح بن مرداس نزل على مدينة حلب في جمع كثير من بني كلاب وغيرهم ، فحصرها أشد حصر حتى أخذ المدينة صلحا من أهلها ، ودخلها في رابع عشر ذي القعدة سنة خمس عشرة هـ ، وتلقب بأسد الدولة . وامتنع موصوف [٨٠هـ] الصقلي بالقلعة ، فاستخلف صالح على مدينة حلب كاتبه أبا منصور سليمان بن طوق ، ومضى إلى بعلبك فلعلها عنوة ، وقتل بها خلائق . واشتدت محاصرة سليمان بن طوق لقلعة حلب ، وصعد قلعتها حتى قلل الماء والزاد بها ، فطلب موصوف منه أشياء اشترطها عليه وسلمه القلعة ، فأتى صالح حلب وصعد قلعتها ، وقتل موصوفاً ، ورثب أموره ، وصار بيده من يعلبك إلى حاة^(١) .

وقدم الخبر بأن حسان بن جراح جمع من العرب خلائق وقصد الرملة ، فمضى الذئبري إلى عسقلان وتحصن بها ، فقبض حسان على جماعة من أهل الرملة ممن سعى به وبأصحابه إلى الذئبري ، وضرب أعناقهم ، وملك المدينة . فاجتمع الذئبري مع مبارك الدولة ففتح ، متوئلاً القدس ، وفتح ابن بويه الكناشي ، وصار إليهم نحو الخمسة آلاف مقاتل ، وأوقعوا بحلة كبيرة لإخوة حسان ، وقتلوا ولداً لعلي بن جراح ، وهزموا من بها ٨

وقال ابن الرقيق : وكان بمصر من الغلاء والثبثة وعدم الأقوات ما لم ير مثله من زمن

(١) حاة : بين الرقة وحيث حل نهر الفرات قرب حيفة النورة ، وبها قلعة حصينة وقد من أعمال الجزيرة . مسجم

البلدان : ٧ : ١٠٢ - ١٠٣ .

بعيد . يبلغ الخبز ، إذا وجد ، طلا بدمهم ، واللحم أربع أواقٍ بدمهم ، والرمانة الواحدة بدينار . وكان الناس في كل ناحية يصيحون بالجوع حتى يموتوا ، ويكون مع الرجل جملة من الدنانير فيطلب من يشبعه خبزا فلا يجده ، هذا مع الموت اللّويح . والوباء القطيع . ووَزَدَ كتاب بعض ثقات التجار يصف أنه أخصى مَنْ ماتَ جَمْرُفٍ وَكُفْنٌ وَدُفِنَ من آخر شهر رمضان إلى بعض ذى القعدة فكانوا مائة ألف وسبعين ألف نفس ؛ وأما القريب ومن لا يعرف ومن يَلْقَى في النبل ولا يجد مَنْ يقبره فأكثر من هذه العلة أضعافاً لاتُحصى .

وبلغ ماء النبل ستة عشر ذراعا وثمان أصابع .

ومات في هذه السنة مَن له ذكر أبو جعفر بن الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حضابة ، يوم الخميس سادس المحرم ، وكان يعمل بيده أعمالا متقنة . وفي يوم الأربعاء عاشر صفر توفى مفضل بن أبي أحمد المهلبى بعد ماساعت حاله ، وكان أدبيا جَمَّ الأدب غير مَنكُور السيرة . وفي سابح عشره توفى أبو محمد بن يحيى النفاق من شيوخ الحديث ومؤرخى أخبار مصر . وفي يوم الأربعاء ثالث عشرى ربيع الأول توفى ابن أبي الحسين بن زولاقي ، وكان أدبيا ، ذُيِّلَ على تاريخ أبيه المعروف بأبي الحسين . وفي يوم الخميس ثانى عشرى ربيع الآخر توفى أبو الحسن بن نحرير الشيزائى ، وهو أكبر مَنْ بَقِيَ من عُرفاء الإغشيلية ، فبعث الظاهر لكفنه مائتي دينار وعدة ثياب وطيبا كثيرا . وفي يوم الأحد عاشر جمادى الأولى توفى النمل الشاعر ، واسمه : ومن شعره (١) :

وتوفى سند الدولة أبو محمد حسن بن محمد بن محمد بن نقيان الكناي ، متوفى مدينة حلب ، بها ، في يوم الخميس لثان بقين من ربيع الآخر . وفي يوم الاثنين سادس

(١) قبل هاتين الكلمتين فراغ يقع لاسم الشاعر الذى لم يذكره ، وبهذا فراغ يس بقصة أبيات لم تذكر أيضا .

شعبان توفى عصب الدولة الحسين بن مفلح ابن أبي صالح القلبي ، وقد ساءت حاله وغلبه الدين . وفي ليلة الأحد تاسع عشره قُتل الشيخ العميد محسن بن بلواس مُتولى بيت المال وجاني الضرائب . وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر رمضان توفى نزار بن حُسَيْن بن يُمْن الكتاي ، مُتولى الشرطة السفلى بمصر ، بعدما ساءت حاله . وفي رابع عشره توفى الشريف العباسي الرابض لدواب الحاكم بِأمر الله ، وكان شريفاً ، فلم يَشْهد أحد جنازته بنَصاً له . وفي يوم الخميس سادس شوال توفى أبو عيسى ملامان بن محضاس بن ييوط الكتاي ، فصلّى عليه الظاهر . وفي تاسعه توفى مخلص الدولة منصور البكجوري ، أحد وجوه القُواد الحمدانيّة القادمين من الشام ، وترك ستين ألف دينار ورثها ابنته ، فدفن في مقابر القاهرة . وفي ثالث عشره توفى الأمير أبو هاشم العبّاس بن شعب بن داود بن هُبَيْد الله المهدي ، ولّى عهد المؤمنين كان ، فدفن في تربة القصر ، وترك ولداً اسمه مسلم . وفيه توفيت عائشة جارية الأمير عبد الله بن المعز [١٨١] لدين الله ، وكانت من وجوه عجائز القصر ، وخطفت أربعمائة ألف دينار . وفي يوم السبت رابع عشر ذى القعدة توفى جعفر بن أبي فروخ الكتاي الذي كان يتولّى الشرطة بمصر . وفي سابع عشره توفى أبو الفتح منصور المعروف بالتيّني الشاعر ، ودفن بمقابر القاهرة . ومن شعره :

شديدٌ من الدنيا على الحرِّ حاجة يؤمُّ بها مَنْ لَيْسَ مِنْ نُظرائه

وقال من أبيات :

وما الناس إلّا كالنّبات : مصوح ليلوى ، ومُخَضَّرٌ لِيُنّى ، ومُعشِب
بُصْرِيلُه ماء الشباب نضارة ويفرغ عنه حُسْنه حين يَنْتخب

ومنها :

تَفَرَّقُ أنواعُ المَلَمّات في الورى ويجمعها خُلُقُ الفنّ حين يَكْذِب
إذا كانَ لِلإنسان عقلٌ ، فحيثما توجه لآقاه صديقٌ ومكسب

ينالُ الفنى بالخَفَضِ بُلُقَةً عَيْهَ فيسعى إلى شىء سواها ، وينصب
يُخَرَّبُ من أَخْرَاه مائِيسَ فائِياً ويعمر من دُنْيَاه مايتخَرَّب
على أَنَّ فى الأَيَّامَ لِلْمِرَّةِ واعظاً بليغاً ، وفى صَرْفِ الزَّمانِ مؤدِّب

وماتت السيدة العزيزة ستُّ الملك ابنة العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز لدين الله أبي
تميم معذً ، مستهل جمادى الآخرة^(١) ، بعلة اللرب . وقد دبرتُ أمور الدولة بعد فَقْد
أخيها الحاكم بأمر الله خمس سنين وثمانية أشهر ، أعادت فيها للملك غصارته ، واستردت
بهجه ، وملأت الخزائن بأصناف الأموال ، وقُلِّدت الأَكفَاء جلائل الأعمال ، واصطنعت
الرجال^(٢) .

(١) وكان مولداً ق فى القعدة سنة ٣٥٩ ببلاد المغرب . نهاية الأرب .

(٢) يوجد هنا بالأصل عبارة نصها : يواصل نحو ثلاث صفحة .

سنة ست عشرة وأربعمائة^(١)

فيها أمر الظاهر بَنَى مَنْ وُجِدَ من الفقهاء المالكية وغيرهم . وأمر الدعاة أن يُحفظوا
الناس كتاب دعائم الإسلام^(٢) وكتاب الوزير يعقوب بن كلس في الفقه على مذهب
آل البيت^(٣) ؛ وفرض المظاهر أن يحفظ ذلك مالا . وجلس الدعاة بالجامع للمناظرة^(٤) .

سنة سبع عشرة وأربعمائة^(٥)

فيها ثار بالناس في مصر رُغَاف عظيم . وزاد النيل فوق المعتاد حتى غرقت القرى^(٦) .
وفيها سقط الظاهر عن فرس ، وأُزجف بموته ، ثم حُرِقَ ، فتصدَّق بمائة ألف
دينار ، حُمِلَ منها إلى مكة والمدينة أربعون ألف دينار ، وإلى بلاد الشام عشرون ألف
دينار ، وإلى بلاد المغرب عشرون ألف دينار ، وفُرق بمصر عشرون ألف دينار^(٧) .

(١) ويوافق أول المحرم منها الرابع من مارس سنة ١٠٢٥ .

(٢) لأبي عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الداعي الشيعي . نشره السيد آصف حل ليطي بالقاهرة . سنة ١٩٠١ . ويقول
عن صاحب النجوم الزاهرة في أثناء الحديث عن سنة ٤١٤ هـ وفيها توفي محمد بن محمد بن النعمان ، أبوه دأبه فقيه الشيعة وشيخ
الرافضة ومالها وصنف الكتب في مذهبها ، قرأ عليه الرضى والمرضى وغيرهما من الرافضة ، وكان له منزلة عنه بنى بويه وعند
ملوك الأطراف الرافضة . قلت : كان غلاما مغلا هو ومن قرأ عليه ومن رفع منزله ، فإن الجميع كانوا يقعون في حق
الصحابية وخوان الله عليهم أجمعين . عليهم من الله ما يستحقونه . النجوم الزاهرة : ٤ : ٢٥٨ .

(٣) وكان يهوديا من أهل بغداد ، ثم انتقل إلى الرملة وعمل بها مسامرا ، ثم انتقل إلى مصر زمن الإخشيديين وتولى
الوزارة بها ، ثم هرب إلى المغرب وعاد إلى مصر في ركاب الفاطميين ، وترقت أحواله حتى تولى الوزارة لمعز ، وألف
كتابا هذا في فقه الشيعة والهدية الفاطمية ، وأنشأ في قصره مكتبة ضخمة لخدمة ملقب الفاطميين ، وعقد به المجالس التعليمية
لنشر هذا المذهب . وحسنا مرضى مرضى الموت بكاء المعز قالوا له " ودعت أنك تباع فأشتريك بكاءى ورلى " ودفعه
المعز في قبة كان قد ابتناها ليفن هو فيها ، وعطّل الدوابرين أياما لولائه .

(٤) جهاش الأصل عبارة نصها : يبايض نحو سطرين .

(٥) ويوافق أول المحرم منها الثالث والعشرين من فبراير سنة ١٠٢٦ .

(٦) وصل النيل هذه السنة ست عشرة ذراعا وسبع أصابع . ويلاحظ أنه وصل في السنة السابقة ست عشرة ذراعا
وأربع أصابع ، وفي السنة التالية ٤١٨ هـ ست عشرة ذراعا وثلاث عشرة أصبعا . النجوم الزاهرة .

(٧) جهاش الأصل عبارة نصها : يبايض أربعة أسطر .

فيها وقعت المدة بين متملك الروم^(٢) وبين الظاهر عن ديار مصر والشام ، وكتب بينهما كتاب ؛ وتفردت الخطبة للظاهر ببلاد الروم . وفتح الجامع الذي بقسطنطينية ، وعمل له الحصر والقناديل ، وأقيم به مؤذن ؛ وعند ذلك أذن الظاهر في فتح كنيسة القمامة التي بالقدس^(٣) ، فحمل إليها ملوك النصارى الأموال والآلات ، وأعادوها ، وارتدت إلى دين النصرانية كثير ممن أسلم كرها في أيام الحاكم بأمر الله .

ولها عزل الظاهر عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذباري ، وولى عوضه الوزير الأجل الكادل أوحده أمير المؤمنين وخالفته أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني .

وفيها اجتمع عسكر مصر ، ورافع بن أبي الليل مقدم طائفة الكلبين ، وأنوشكين الذنبري لحرب حسان بن جراح^(٤) ، فالتقوا لخمس بقين من ربيع الآخر على الأقحوانة^(٥) ، فقتل صالح بن مرداس ، وانهمز حسان ، وقتل عدة ممن معه ، واستولى الذنبري على البلاد . فقدم شبل الدولة نصر ، ومعز الدولة قتال بعد أبيهما صالح بن مرداس ، وملكا أيضا الرحبة إلى بالد^(٦) ومنيج^(٧) .

(١) ويوافق أول الحرم منها الحادي عشر من فبراير سنة ١٠٧٧ .

(٢) وهو عندئذ الإمبراطور قسطنطين الثامن .

(٣) وكان الحاكم قد أمر بجمعها وإغلاقها سنة ٣٩٨ .

(٤) وخرج الظاهر بنفسه لتدبير الجيش المصري عند خروجه ، واشترك صالح بن مرداس مع حسان بن مفرج في مقاومة جيوش الظاهر . ذيل تاريخ دمشق : ٧٣ ؛ نهاية الأرب للنفري . وسيد ذكر هذه الحرب مرة أخرى سنة ٤٢٠ وهو تاريخها الحقيقي . قارن نهاية الأرب إذ تذكر في سنة ٤٢٠ أيضا .

(٥) من أعمال دمشق وبلاد نهر الأردن على شاطئ بحيرة طبرية . معجم البلدان : ١ : ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٦) بين حلب والرقّة ، كانت تقع على شاطئ الفرات ثم انحسر القهر عنها شيئا فشيئا حتى قال ياقوت إنها أصبحت على مسافة أربعة أميال من القهر في زمانه . معجم البلدان : ٣ : ٤٦ - ٤٧ .

(٧) من إقليم القرامص ، بينها وبين حلب عشرة فراسخ ، ومنها إلى الفرات ثلاثة . نفس المصدر : ٨ : ١٦٩ - ١٧١ .

فيها كانت فتنة بمصر بين [٨١ ب] المغاربة والأتراك ، قتل فيها جماعة ، وكان الظفر للأتراك ، ثم استظهرت المغاربة بمعاونة المائة لهم ، فقتلوا عدة كثيرة من الأتراك ، وأخرجوا من بقي منهم عن مصر . وكان خبط عظيم ، فخرج الظاهر رأسه من المنظرة وأشار إلى الناس ، فقبلوا الأرض ، ثم بعث إليهم بالصلح ، فمشى الدعاة بينهم حتى اصطالحوا .

وفيه بعث العزيز بن المنصور بن بُلْكَيْن بن زيري^(١) هدية فيها عشرون جارية لم يُرَ كَحْسَنَهَن ، وعلى نُهْودِهَم حقائق الفضة ، وثلاثة أفراس ، فيها كميت بصرج ذهب زنته قنطار ذهب ، وأشقر بصرج لؤلؤ ، وأدهم^(٢) بصرج فضة زنتها قنطار ، وثلاثة آلاف من^(٣) زعفراناً ، وخمسون ذرقة بأغشية ديباج ، واثنان عشر صقلاباً ، وعشرون خادماً سوداً ، وألف وخمسمائة ثوب خز وأربعمائة خضارة ، ورواح كثيرة جداً ، وألف قنطار شمعاً ، وثياب سوسية وصقلية ، وعمايم عدة ألوف . فجلس الظاهر في الإيوان على السرير الذهب ، وقرأ عليه كتابه ، وعرضت هديته في يوم الأحد

(١) ويوافق أول الحرم منها العشرين من يناير سنة ١٠٢٩ . ويلاحظ أنه لم يذكر متواناً أو أمباراً لسنة ١١٩ . وقد سبق مثل ذلك .

(٢) شرف الدولة العزيز بن ناصر الدولة أبي مناد باديس بن عدة العزيز بالله المنصور بن يوسف ، ويعرف - شهرة - بالعزيز بن باديس .

(٣) الكيت من الخيل بين الأسود والأحمر ، ويفرق بينه وبين الأشقر بالرف والذهب ، فإن كانا أحمرين فهو أشقر وإن كانا أسودين فهو الكيت . والدعة السواد ، ويقال فرس آدم وبير آدم إذا اشتدت روثته حتى ذهب بياسه . الصباح الخير .

(٤) المن : نوع من الأوطال وهو مائتا درهم ومئتان درهما . قوانين الدولتين : ٣٦٢ . والمنا الذي يقال به السن وفيره ، وقيل الذي يوزن به ، وطلان . الصباح الخير . والمن : المنا ، وهو وطلان والجمع أسنان . فتار الصباح .

ثامن شوال . وبعث إليه هدية من دقّ تَنِيمس ودمياط وطرائف الهند واليمن ، وزرافة ،
ويُخْتَأْ غُرَاسَانِيَّة تحمل قباياَ فيها جوارى ، وأشياء عظيمة .

ونبها جهاز الظاهر أمير الجيوش أُنُوشتكين الذَّزْبَرى لقتال صالح بن مرْدَاس ، فالتقيا
بالأقْحَرانة من عمل طبرية على نهر الأردن ، واقتتلا أشدَّ قتال ، فقتل صالح وولده الأصغر
في جمادى الأولى من سنة عشرين هذه (١) ، وحمل رأسهما إلى القاهرة . ونجا شيل الدولة
أبو كامل نَصْر بن صالح ، وأخوه أبو علوان عز الدولة كَمَال إلى حلب ، فملكها شركة
بينهما . فكانت مدَّة ملك صالح لحلب أربع سنين وأشهرًا .

(١) تقدم ذكر هذه الحرب في أحداث سنة ٤١٨ . وهذا التاريخ ٤٢٠ هو زمن اشتغالها وهزيمة حسان ومقتل صالح .

قرن نهاية الأرب للبرقي .

بايع النَّاسُ بولاية العهد للمُستنصر بن الظاهر ، وعمره ثمانية أشهر ، فخلع على كافة أهل الدولة وعُمل من الطعام ما كفى أهلَ القاهرة ومصر والطَّارئين من البلاد ، ونُثر مالٌ عظيم ، فلم يَبْقَ أحدٌ حتى وصل إليه من خير هذه البيعة . واجتمعت العامة تحت المنظرة من القصر ، واستدأثوا أن يَشْرُفُوا برؤية أمير المؤمنين ، فأشرف عليهم الظاهر من المنظرة ، فقبَّلوا الأرض وانصرفوا .

وكان مرتضى الدولة أبو نصر منصور بن لؤلؤ قد طمع في حلب بعد تملك صالح بن مردَّاس لها ، فكاتب ممتلك^(٢) الروم يُرْعِبه في حلب ويَعِدُّه ، إلى أن خرج من القسطنطينية في هذه السنة ومعه ثلثمائة ألف ، حتى لم يبقَ بينه وبين حلب سوى يوم واحد اعتزل عنه ابن لؤلؤ ومعه رجل جليل من الروم يقال له ابن الدوقس في عشرة آلاف ، فخاف ممتلك الروم ورحل ، ثم قبض على ابن لؤلؤ وابن الدوقس في جماعة ووُي منهنما لايولى على شيء . وتبعه من عرب كلاب وغير نحو الألفى فارس في طائفة الأرمن ، ونهبوا الروم ، فاخذوا من خاص الملك أربعمائة بغلة تحمل المال والثياب ، سوى ما ظفروا به لعائتهم ، بحيث أُبيع البَقْلُ في حلب بدينارين ، ولولا أن العرب تشاغلن بالفتنة لما أقلت أحد من الروم . ووُجد من الروم آلاف كثيرة موقى عطشاً . وكانت هذه المزعجة يوم السبت خامس شعبان .

(١) ديوانى أول الهرم منها التاسع من يناير سنة ١٠٣٠ .

(٢) الأمير بطور رومانوس الثالث .

سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة^(١) :

فيها نقص النبل نقصانا فاحشا ، فنحرك السعر ، وحملت غلال كثيرة من الشام إلى مصر ، ثم زاد النبل بعد آوان الزيادة بأربعة أشهر ، فكثر العَجَبُ من ذلك .

وكان الذُّبْرَى لَمَّا استرجع البلاد الشامية من أيدي التغلبيين عليها ، إلَّا حَلَبَ فلَمَّا بقيت بيد بني صالح بن مردَّاس ، انهزم حَسَّان بن جَرَّاح وإخوته من الذُّبْرَى ، ولم يجلبوا ملجأ ، فحملهم ذلك هلَّى أن دخل حَسَّان في طاعة ملك الروم ، وحمل على رأسه صليبا وصار في جُمْلته . ثم صار في هذه السَّنة بعسكر الروم وعلى رأسه الصَّليب ، ووصل إلى أَفَاقِيَّة ، وهي من عمل الذُّبْرَى ، فهزمها وسبى كثيرا منها . فنادى الذُّبْرَى بالغزاة ، وخرج ، فخالفه نصر بن صالح وقرَّرَ لملك الروم على نفسه خمسمائة ألف درهم ، صرف ميتين دوهما بدينار ، على أن يحميه ، وذلك في جمادى الأولى ، فاتفق مرض الذُّبْرَى بدمشق ، وأزجف به ، ثم عوفى^(٢) .

[١٨٢] سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة^(٢)

فيها أمر الظاهر بقتل دُعَاتِهِ ، فاضطربت الرِّعيَّة وكثيرٌ من الجند لذلك ، وأخذ الدُّعَاة في إفساد أمره والتحدث بخله ، فأنفق أموالا جَمَّة حتى استقرَّ أمره^(١) .

(١) ويوافق أول المحرم منها التاسع والعشرين من ديسمبر سنة ١٠٢٠ .

(٢) بهامش الأصل عبارة نصها : يياض سطر .

(٣) ويوافق أول المحرم منها التاسع عشر من ديسمبر سنة ١٠٢١ .

(٤) بهامش الأصل عبارة تقول : يياض سطرين .

سنة أربع وعشرين وأربعمائة (١) :

ركب ولّى العهد ، ابن الطّاهر ، من القاهرة إلى مصر وقد زُيّنت ، فكان إذا أقبل على الناس قبلوا له الأرض . ونثر يومئذ على العائنة خمسة آلاف دينار ، ونثر على الخاصّة عشرون ألف دينار ، فكان يوماً عظيماً .

وفى يوم الأحد ثامن عشر ذى القعدة قدمت هبة المزمع بن باديس ، وهى جليّة القدر (٢) .

سنة خمس وعشرين وأربعمائة (٣) :

فيها قدم الخبر باستيلاء الأتراك على الأثر ببغداد ، وقلّت بها الأموال والرجال ، فبث الطاهر دعاته فنشروا دعوته ببغداد في الناس .

وفيها ظهرت الطائفة الدرزية بجبل السماق (٤) من الشام يدعون إلى الحاكم بامر الله . فيها ظهرت الزلازل ببلاط الشام ، فخرت ريحا (٥) ، ونصفت الرملة وأكثر هكّا في قرى كثيرة ، ويّعد الماء من سواحل البحر الساحل ساحتين ، ثم عاد كما كان (٦) .

(١) ويوافق أول المحرم منها السابع من ديسمبر سنة ١٠٢٢ .

(٢) يهشام الأصل : يباس سطر .

(٣) ويوافق أول المحرم منها السادس والعشرين من نوفمبر سنة ١٠٢٣ .

(٤) ورسم هذه الطائفة حزة بن علي الدرزي ، أنقاضي ، الملقب ولي الزمان وقائم الزمان . ودعا حزة هذا إلى إلهية الحاكم بأمر الله ، وقد وضع تقريبا خاصا السنة الأولى منه توافق سنة ٤٠٨ هـ . وقد سبقت الإشارة إلى شيء من أمر هذه الطائفة في موقعه . انظر فضلا خاصا بهذه الطائفة في : الحاكم بأمر الله محمد عبد الله حنان ٢٠٠ - ٢٠٨ ، وجبل الساق من أعمال حلب للفرية يشتغل على عدن وتكلاخ كثيرة للإسماعيلية ، وليد بساتين ومزارع كثيرة ، والجراد الجارية به قليلة إلا ما كان من حيون ليست بالكثيرة في مواطن مخصوصة ، وبه تبتت جميع أنجلو الفواكه وبعض للفنن والسم ، وقيل سم باسم الساق لأنه يلبث فيه بكثرة . مجسم البلدان : ٣ : ٤٩ .

(٥) ريحا وأرجحاً مدينة قرب بيت المقدس في حدود الأردن ، بينها وبين القدس حدة فراسخ ، اشتهرت بإنتاجها النظم من الفواكه والمواخ . مجسم البلدان : ٤ : ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٦) يهشام الأصل : يباس أسطر .

سنة ست وعشرين وأربعمائة (١) :

فيها كثر القار بأراضي مصر وأكل زُرُوعاً كثيرة . وفيها كثر الوباء بمصر .
وفيها قَتَلَ النُّزْبَرِيُّ شَيْلَ الدولة ثمال بن صالح بن مرْدَاس ، في شعبان ، وملك
حلب ، وبعث إلى الظاهر بهدايا جليلة (٢) .

سنة سبع وعشرين وأربعمائة (٣) :

فيها انْعَقَدَتِ المَدِينَةُ بين الظاهر وبين ميخائيل (٤) ملك الروم عشر سنين متوالية .
وفيها توفى الظاهر عن استسقاء طال به من نَيْفٍ وعشرين سنة ، في يوم الأحد النُّصُفِ
من شعبان ، فكانت مدَّتُهُ خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوما . وكانت
أيامه كلها سكونا ولينا (٥) ، وهو مشغول بملاذَّه ونُزَّهه وسباع المغنى ، وأمور الدولة بيد عمته
السيدة العزيز ستَّ الملك ، وهى التى عَدَلَتْ بالخلافة إليه عن ولَّى الهدى أبى هاشم العبَّاس بن دواد
ابن عُبيدِ الله المهدي ، وجبى بِأبى هاشم فبايع والسَّيْفُ على [رأسه] ، ثم جلس فكان آخر

(١) ويوافق أول المحرم منها السادس عشر من نوفمبر سنة ١٠٣٤ .

(٢) بهامش الأصل : بياض سطرين .

(٣) ويوافق أول المحرم منها الخامس من نوفمبر سنة ١٠٣٥ .

(٤) ميخائيل الرابع .

(٥) في هذا غي' من الخالفة فقد كثرت الفتن في عهده ، ولم تستقر شئون الشام دون فتن وحروب محلية ، وارتفعت
الأمهار في أكثر من منسية . . والصحيح هو يذكره المؤلف بهذا مباشرة بن أبى الظاهر أنصرف عن شئون الدولة إلى زُهره
وملاذه وإلى سماع المغنى ؛ ولأن تصانيف لايه أن تذكر أنه كان يحتل الصحة شئت البية . وحذا كان عقبه في حيل رعاية الدولة
إلى جانب تكامله وانصرافه إلى ملاذه . ويقول دابن تترى بزوى : " وكان الظاهر جنوداً يمدوا جميعاً حلياً عجا لزعية ،
ولابأس به بالنسبة لأبائه وأجداده " . النجوم الزاهرة : ٤ : ٢٥٤ . وقال النورى : " وكان كرمياً مشغلاً بفلاته معمولا
على وزيره " . " وتوفى ببستان الأكة بالقصر فركب الوزير الجرجاني إلى البستان ودخله إلى القصر " . " وكانت مدة عمره
إحدى وثلاثين سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام " . نهاية الأرب .

العهد به . وكان يشار بالخلافة إلى عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدي ، فادخل عليه الشهود وهو يتشخط^(١) في دمه ، فأشهد أنه فعل ذلك بنفسه ، ثم قضى نحبه . وأقامت سيِّدة الملك سيف الدين الحسين بن دواس والوزير عمّار بن محمد في تلبير الدولة عن رأيها ، حتى قتلت ابن دواس ، فانفرد عمّار بالأمر إلى أن رُتبت له في دهليز القصر من قتله . فتحدثت حسن بن موسى الكاتب ، والأمر ليست الملك ، ولسانها ويلها أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني . فلما ماتت السيدة ست الملك استقل الجرجاني بالتلبير^(٢) .

(١) شدة تشيظ : فرجه بالدم فتشط تفرج واضطرب فيه . القاموس المحيط .

(٢) يئس نحو تأسى صفحة .

المُسْتَنْصَرُ بِاللَّهِ أَبُوتَيْمٍ مَعَدَّ بَنَ الظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلَى بَنِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي عَلَى مَنصُورٌ

أمه السيدة رصد . وُلد يوم الثلاثاء السادس عشر من جمادى الأولى سنة عشرين وأربعمائة بالقاهرة ، والطالع عند ولادته من برج السرطان ثمانٍ دَرَج ، والشمسُ فيه على خمس عشرة درجة ، والمشتري فيه على ستِّ درج ، وعطارد فيه على اثنتي عشرة درجة ، والقمر في الدلو على ثلاث عشرة درجة ، وزُحل في برج الثور على تسع وعشرين درجة ، والمريخ فيه أيضا على إحدى عشرة درجة ، والزهرة في برج الجوزاء على ثلاث عشرة درجة ، والجوزهر ؟ في برج السنبلة على خمس وعشرين درجة . ويومع بالخلافة يوم الأحد للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة^(١) ، والطالع عند ولادته من برج السنبلة إحدى وعشرون درجة ، وزحل في برج السنبلة على اثنتين وعشرين درجة ، والمشتري في برج الدلو على ثمانٍ درج ، والمريخ فيه أيضا على اثنتي عشرة درجة ، والشمس في برج الجوزاء على ثمانٍ وعشرين درجة ؛ [٨٢ ب] والزهرة في برج السرطان على ثلاث درج ، وعطارد في برج الجوزاء على ست عشرة درجة ، والقمر في برج الجدى على ثمانٍ عشرة درجة والجوزهر في برج الثور على إحدى وعشرين درجة . وأقام في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام .

وقام بأمره الوزير أبو القاسم الجُرَيْرَانِي ؛ وأخذ له البيعة على الناس ؛ وأطلق للجنـد

(١) ويقول التورى : يومع له صبيحة يوم الأوباء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان .

أرزاقهم وشيئا آخر على سبيل الصلة ؛ وسكنت الأمور واستقامت الأحوال ؛ وكتب له
المستنصر سجلاً بإقراره على الوزارة .

وفيها سُرِّ من القاهرة مبلغُ أَلْفِ دينارٍ على يدِ بدويٍّ لعمارة قنطرة الجاروفة التي منها
شَرِبَ الكوفة ، وقد خربت وقسّلت الجهات التي تحتها بفسادها . وكانت تلك الجهات
جاريةً في إقطاع العُربان بالعراق ، فأريد بذلك استيلاءً من هناك إلى الطّاعة ؛ فقام بنو
خفاجة مع البدويّ في الإنفاق على عمارة القنطرة . فبلغ ذلك الخليفةَ القادر بالله أبا العباس
أحمد بن اسحق بن المقتدر ، فلم يجد مალًا يبعثه عوضاً من المال المذكور ، ولم يمكنه
الردُّ ، فدعته الضرورة إلى التّفاضي . فشرع البدويّ في العمل ، ثم مُنِعَ بعد ما نَهَمَ منه
جانب كبير (١) .

(١) بهاش الأصل : ياض ثلاثة أسطر .

سنة ثمان وعشرين وأربعمائة^(١) :

فيها قَسَد ما بين نصر بن صالح بن مرزاس وبين المستنصر ، فكاتب ملك الروم^(٢) ، وبعث إليه بما عليه من القطيعة مع هذبة^(٣) ، فأشار عليه باللخول في طاعة المستنصر^(٤) ، فقبل منه . وبعث بهدية جليلة إلى القاهرة مع وفد كبير ؛ فحصل الرضا عنه ، وأضيف إليه أعمال حمص ، ولُقِّب بمختص الأمراء خاصَّة الإمام ، شمس الدَّولة ومجدها ، ذى العزمين . فشقَّ ذلك على الذَّزبَرى متولى دمشق ، وأخذ في مُناكدة أصحاب نصر بن صالح^(٥) .

(١) ويوافق أول المحرم منها الخامس والعشرين من أكتوبر سنة ١٠٣٦ .

(٢) وهو الأمير الطور ميخائيل الرابع .

(٣) سبق في أحداث سنة ٤٧٢ هـ أن القطيعة التي قررها نصر بن صالح على نفسه عندئذ كانت خمسمائة ألف درهم يصرف ستين درهما للديار الواسدة .

(٤) وذلك لأن الروم كانوا قد عقدوا هدنة في سنة ٤١٨ هـ مع الظاهر ، تشمل مصر والشام . فبادت العلاقات بين القاطنين والروم إلى المسالمة .

(٥) بهامش الأصل : بياض أريمة أسطر .

سنة تسع وعشرين (وأربعمائة)^(١) :

فيها بعث التَّزْبَرِيُّ عساكره إلى حماة ، فأخذها . وخرج شبلُ الدولة نصر بن صالح لدفعه ، فالتقيا بَلْطَمِينَ^(٢) من عمل كَفَرْتَاط^(٣) ، فأنكسر وقُتل في يوم الاثنين نصف شعبان ، وحُمِلَ رأسه إلى دمشق . فبادر أخوه معز الدولة نُمال بن صالح إلى حلب وملكها من الغد ، وأخذ قلعَتها ، واستخلف فيها ابن عمه مُقَلَّد بن كامل بن مُرداس ، وفي المدينة خليفة بن جابر الكعبي . وشرَّق بأهله ليستنجد بأخواله بني خفاجة ، فنزلت عساكر التَّزْبَرِيِّ على حلب وأخذت المدينة ، ثم قدم إليها التَّزْبَرِيُّ وتسلَّم القلعة في يوم الثلاثاء ثامن رمضان ، وأخرج منها إلى دِرْيَاس ، واستولى على بَالِس ومَنْبُج ، وولى قلعة لغلّاميه فاتفك وسُبُكْتِكِينَ . وعاد إلى دمشق يوم الخميس تاسع عشر ذي الحجة . وعمل في طريقه على أخذ جَبَلَةَ^(٤) فلم يُطَق .

وفيها ثار علي بن محمد بن علي الصُّلَيْحِي في اليمن في سِتِينَ^(٥) رجلا على رأس جبل ، وأقام دعوة المستنصر ، وما زال أمره يزيد حتى استولى على ممالك اليمن .

وفيها هادن المستنصرُ ملكَ الروم على أن يطلق خمسة آلاف أسير لِيُمْكِنَ من عمارة قُمامة التي فرَّبها الحاكم ، فأطلق الأسرى ، وعمر قُمامة ، وأطلق عليها مالا جَلَّ وصفه^(٦)

(١) ويوافق أول المحرم منها الرابع عشر من أكتوبر سنة ١٠٣٧ .

(٢) لطين ، يقع للام وسكون الطاء وكسر الميم ، كورة من أعمال حصن ، وجها حصن ، معجم البلدان : ٧ : ٣٣٠ .

(٣) بلد بين البصرة ومدينة حلب في بركة مسطحة ليس لأهلها مورد ماء إلا ما يجمعونه من الأنهار في الصهاريج . نفس المصدر : ٧ : ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٤) من قلاع الساحل الشامي ، من أعمال حلب ، قرب اللاذقية . معجم البلدان : ٣ : ٥٧ - ٥٨ (جبلية يتلاش فضائح متواليات) .

(٥) علي بن محمد بن علي ، أبركامل ؛ كان يبيع بالناس من اليمن على طريق السراة والبلاتيف ، ثم تغلب على اليمن واتخذها إمارة له وجعل ضياء حاضرتها ، وخطب على منابر اليمن لزوجه التي كانت تبرع بالملكة الحرة . الكامل : ٩ : ٢١٣ - ٢١٤ ؛ التاجم الراهرة : ٥ : ١١٤ ؛ تاريخ اليمن لمهاجرة اليمن .

(٦) جهاش الأصل : يبايخ سنة أسطر .

سنة ثلاثين وأربعمائة (١) :

سنة احدى وثلاثين وأربعمائة (٢)

فيها أقيمت دومة المستنصر بمران (٣) :

سنة الثنتين وثلاثين وأربعمائة (٤) :

فيها نقض ملك الروم الهدنة وأغار على بلاد حلب وعلى بلاد أقاليمه ، وكسر عسكر النُزَيْرِي المقيم هناك ، فخرج إليه عسكر حلب فكسروهم على أَرْتَنَاز (٥) . وكان ثَمَال بن صالح وعمّه المقلّد بالرّقة مَالِكَيْنِ لها ، فبعثا إلى متعلّك الروم بِمَالٍ وثياب ، فطلب منهما ابتياع الرّقة كما ابْتِيَعَت الرُّمّا ، فضاقت النُزَيْرِي ذراعاً بذلك وكتب إليهما يرغبهما ويرهبهما ، فأجاباه بالاعتذار .

وكان قد مضى قوم من بنى جعفر بن كلاب إلى مضيق أفامية وعاثوا في أعمال الروم ، لمكّن لهم الروم ثم أوقفوا بهم . فبعث النُزَيْرِي عسكرا ، فلحقى الروم فيها بين حماة وأفامية ، فظهر المسلمون عليهم وقتلوا منهم عدة كبيرة ، فأجمع النُزَيْرِي على التّهوض إليهم ، فهاذئذوه ومازالوا به حتى سكنت الحرب بينهم وبينه . ثم إن الجند طمعوا في النُزَيْرِي وهموا به فساروا له إلى حماة ، ففضى عليه أهلها ، فكاتب مقلّد بن منقذ ، فحضر إليه من كَفَرطاب في [١٨٣] ألنى راجل واجتمع به ، ومضى إلى حلب فأقام بها مريضاً إلى أن مات يوم الأحد تصيف جمادى الآخرة .

(١) يחדش الأصل ، " وكذلك " ، يضى : " يفاض سنة أسطر " . ويوافق أول الحرم منها الثالث من أكتوبر سنة ١٠٣٨ .

(٢) ويوافق أول الحرم منها الثالث والعشرين من صبيحة سنة ١٠٣٩ .

(٣) حاضرة ديار مصر ، بينها وبين الرها يوم ٥ ومنها إلى الرقة يومان ، وهي على طريق الموصل والشام ولها

الروم . معجم البلدان : ٣ : ٢٤٩ - ٢٤٢ .

(٤) ويوافق أول الحرم منها الحادي عشر من صبيحة سنة ١٠٤٠ .

(٥) من نواحي حلب وبينها خمسة فراسخ . معجم البلدان : ١ : ٢٠٠ - ٢٠٢ .

سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة^(١) :

وبعد ما أقام يحلب اثنين وأربعين يوماً قدم إليها كَمَال بن صالح وعمّه المقدّد ، وحصروا القلعة سبعة أشهر ، وتسلموها في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، وقتلوا مَنْ بها . فلما بلغ ذلك المستنصر بعث إلى كَمَال الخِطْب والتحف وسجلاً بتوليته ، وكان بقلعة حلب مائتا ألف دينار فأخذها شمال .

وفيها توفي شهيد التَّوَلَة ميمون ، صاحب السَّيَّارة في أسفل الأرض ، في شهر ربيع الآخر ، وحُمل إلى مصر ، فوصلوا به يوم الثلاثاء تاسع ، ودفن بترثته بالقرافة . وكان من أهل الخير ، وحج بالناس من مصر في سنة ست وعشرين وأربعمائة^(٢) .

سنة أربع وثلاثين وأربعمائة^(٣) :

فيها خرج بالقاهرة في شهر رجب شخص اسمه سليمان كان يشبه الحاكم بأمر الله ، وأدعى أنه الحاكم ، وبثَّ دعائه سرّاً في البلاد ، وقصد القصر وقت خلوّه من العساكر ، وقال للحدّام : قولوا لهذا الحاكم . فارتاع مَنْ كان في باب القصر وثارت ضجّة ، فقبض عليه ، وصُلب ، وأخذت أصحابه فقتلوا ، ومن جملتهم محمد بن عاتى الكناى أحد دعائه^(٤) .

(١) ويوافق أول الحزم منها الحادي والثلاثين من أغسطس سنة ١٠٤١ .

(٢) يماشى الأصل : يماشى نحو ثلث صفة .

(٣) ويوافق أول الحزم منها الحادي والعشرين من أغسطس سنة ١٠٤٢ .

(٤) يماشى الأصل في هذا الموضع : " يماشى نحو ثلث صفة " . ويذكر التبريزي أن اسم هذا المسمى مكين ، وأنه كان بمصر أقوام يحضنون أن الحاكم حتى وأنه غاب لراى رآه . وكانوا يحلفون ويقولون « وسقنية الحاكم » . وأن أصحاب هذا المسمى صلبوا أحياء ثم رشقوا بالسهم حتى هلكوا . نهاية الأرب . واسمه في الكامل أيضا مكين : الكامل : ٩ : ١٧٧ .

سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (١) :

فيها قطع المعز بن باديس الخطبة للمستنصر ، ودعا ببلاد إفريقية للخليفة القائم بأمر الله العباسي ، فبعث إليه الخلع من بغداد على طريق القسطنطينية^(٢) .

سنة ست وثلاثين وأربعمائة (٢) :

فيها توفى الوزير الأجل أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني ، يوم الأربعاء سادس شهر رمضان . والحاصل يومئذ في بيت المال البرائي ، تحت يد أمين الدولة سرّة الروم ، برسم النفقات ، ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وستائة دينار وواحد وعشرون ديناراً ونصف وثمان دينار . ووُجد له سبعمائة صينية من ذهب وفضة ، ومائة ألف مثقال من التّبر ، وغير ذلك . وكان عالماً فطناً نحريراً ؛ وقّع مرة بين يدي الظاهر لإعزاز دين الله على مائة كتاب ، فلم تشابه فيها لفظةً بكلمة . وكانت مدّة ولايته للظاهر والمستنصر سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوماً^(٣) .

ووزر بعده أبو علي الحسن بن علي الأنباري ، فأنقصد أمره بسبب أبي سعيد سهل بن

(١) ويرافق أول الحرم منها الماشر من أغسطس سنة ١٠٤٣ .

(٢) جملش الأصل : يبايخ نحو ثلثي صفحة .

(٣) ويرافق أول الحرم منها التاسع والعشرين من يوليو سنة ١٠٤٤ .

(٤) وكانت مكانة عظيمة عند الظاهر لإعزاز دين الله بعد وفاة ست الملك أخت الحاكم . ويروي التبريقي أنه كان بين الجرجاني وخليط الدولة ابن العباس جفاء ، فحدث أن دعا ابن العباس الظاهر لزيارته ببركة الجيش ، واغتنم فرصة هذه الزيارة وأراد أن يحرك للظاهر ضد الوزير ، فد الظاهر مسامحه وقال لابن العباس : إني وإن رحمت حق تشريقي إياك بزيارتي ، فما أترك حق من ارتضيه لوزاري ، ولابد أن أذكر له طرفاً من ذلك ، فاذكر خيراً لأحكيه له . فكان ذلك سبب الصلح بينهما . وكانت مدة وزارته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوماً . ومن حسن تصرفه أنه بعد أن قطع الحاكم يديه مضى الوزير إلى ديوانه وجلس فيه ؛ فقتل له في ذلك ، فقال . إن أثير المؤمنين أدبني وما صرفني . نهاية الأرب .

هرون التُستري^(١) وأخيه أبي عمر إبراهيم ، اليهوديين . وكان من أمرهما أنَّ أبا سعيد هذا كان قد استخدمه الظَّاهر لِيُيوِّعه ، فباع عليه في جملة ما باع جارية سوداء تحطَّافاً الظَّاهر ، فولَّدت له المستنصر ، فراغت ذلك لأبي سعيد وقلعته عند ولدها المستنصر لَمَّا صارت الخلافة إليه ورتبته فيها بخصها ، فعظَّم شأنه إلى أن صار ناظرًا في جميع أمور الدولة . فلَمَّا وَزَّر الأنباري قصده أبو عمر إبراهيم ، فحبَّبه غلامٌ له ، فأحفظه ، وأعلم أخاه أبا سعيد ، فثنَّى رأى المستنصر عن ابن الأنباري لهذا السبب ، وأشار عليه أن يستوزر أبا نصر صدقة بن يونس الفلاحى^(٢) ، وكان يهودياً قد أسلم ، فاستوزره بعد الجرجاني في يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رمضان ، ولقب بالوزير الأجل ، ناج الرئاسة ، فخر المُلْك ، مصطفى أمير المؤمنين . وكان يهودياً موصوفاً بالبراعة في ضروب الكتابة . ولَّى أولاً نظر الشام ، ثم خاف أمير الجيوش أنوثتَكين اللزبى ففر منه ، وقد اجتهد في طلبه فلم يلقه به . وقدم إلى القاهرة ، فرعى له الجرجاني حرمة انفصاله عن اللزبى ، ورقاه ، وأشار في مرضه بأن يُستوزر من بعده . فلما تقررت له الوزارة أمل سجالً ثقليده ليلة اليوم الذى خُلع عليه فيه . وتولى أبو سعيد التُستري الإشراف عليه . وقُبض على ابن الأنباري ، وصُوِّر ، حتى هلك تحت العقوبة ، ودفن بمخزاة البنود^(٣) وكان مسجوناً بها . وصار الفلاحى لا يعمل إلا بما يحته له أبو سعيد ومثله .

وكان المستنصر قد بثَّ دُعائه سرّاً إلى الآفاق يدعون إليه ، ويستميلون من تصِلُ القدرة إلى اسمائه . فلَمَّا كان في هذه السنة دفع جماعة منهم إلى ماوراء النهر ، ودعوا هناك بعد أن

(١) يرد اسمه هنا بهذا الرسم : أبو سعيد ، ويرسم آخر : أبو سيد . وقد احتفظنا بالرسم الأول لودوده به في أكثر من مصدر .

(٢) وكان الجرجاني أيضاً قد أوصى به وزكاه الوزارة قبيل وفاته . نهاية الأرب .

(٣) مخزاة البنود وتعرف أيضاً بدار البنود ، وكانت لحفظ الأعلام وكذلك لحفظ أنواع السلاح . حجوم البلدان :

٤ : ٧ : الخطط : ١ : ٤٢٣ - ٤٢٥ .

دَعَوْا بِخِرَاسَانَ ، فاستجاب لهم طوائف من الناس . وحصلوا عند بُغْرَاثَانَ ، أُنْخِي [٨٣ ب]
رَسْلَانُ خَانَ صَاحِبِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ^(١) . فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ تَلَطَّفَ فِي الْكُشْفِ عَنْهُمْ بِأَنْ اسْتَعْلَمَ
وَقَرَّبَهُمْ ، وَأَطْلَعَهُمْ أَنَّهُ يَرِيدُ الدُّخُولَ فِيهَا هُمْ فِيهِ ، فَأَتَيْسَ بِهِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوا
عَلَيْهِ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيقَ ، فَخَذَعَهُمْ بِإِطْلَاقِ الْمَالِ ، وَاسْتَخَبَّرَ بِهِ مَا عَنْهُمْ ، حَيْثُ إِنَّهُ أَنْفَقَ
عَلَيْهِمْ فِي مَدَّةِ سِتْنَيْنِ ثَلَاثَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، حَتَّى اطَّلَعَ عَلَى عِدَدِهِمْ ، وَعَرَفَ مَوَاضِعَهُمْ ، وَهُمْ
يَطْلُبُونَهُ بِالْبَيْدِ وَالْمَهْدِ إِلَى أَنْ أَجَابَهُمْ عَلَى شَرْطِ أَنْ يَكْتُبُوا أَيْمَانَهُمْ ، وَيُطْلِعُوهُ عَلَى بَاطِنِهِمْ .
فَكُتِبُوا ذَلِكَ وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ لِيَتَفَكَّرَ بِهِ ، وَقَدْ كَتَبَ كِتَاباً عَلَى قَدْرِ كِتَابِهِمْ وَشَكْلِهِ ، يَقْسِمُ فِيهِ
بِالْأَيْمَانِ الْمُطْلَقَةِ أَنَّهُ مَتَى انْكَشَفَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا يَنْدُلُّ عَلَى الْإِلْحَادِ وَالْخُرُوجِ عَنْ تَشْرِيعِ
الْإِسْلَامِ ذَبَحَهُمْ بِيَدِهِ تَقَرُّباً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . ثُمَّ اسْتَدْعَاهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ اسْتِجَابَتَهُ إِلَى مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ ،
وَرَدَّ إِلَيْهِمُ الْكِتَابَ حَتَّى شَاهَدُوهُ وَعَرَفُوهُ ، وَاسْتَعَاذَهُ لِيَحْلِفَ بِهِ . فَلَمَّا حَصَلَ فِي يَدِهِ أَخْرَجَ
الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَهُ وَحَلَفَ أَنَّهُ يَغْنَى بِجَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ وَلَا يَغْلِبُ عَنْهُ ، فَوُفِّقُوا بِذَلِكَ ، وَخَفِيَ
عَلَيْهِمْ فَرْقُ مَا بَيْنَ الْكُتَابَيْنِ .

ثُمَّ جَمَعَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ مَا أَتَمَكَّنْتُ مِنْ إِظْهَارِ نَفْسِي وَالْمُبَازَنَةِ بِنُصْرَتِكُمْ إِلَّا فِي عَدِيدِ قَوَى ،
فَإِنَّ بِلَادَ التُّرْكِ تَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَلْفِ سَيْفٍ مَشْهُورٍ تَخَالَفَ هَذَا الْمَذْهَبِ ، فَإِنْ كُنْتُمْ فِي عَدَدِ
قَوِيٍّ بِهِ . فَذَكَّرُوا لَهُ دَعَائِهِمْ بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ وَسَمُّوهُمُ لَهُ ، وَأَفْضَوْا إِلَيْهِ بِجَمِيعِ سَرِّهِمْ ، وَدَفَعُوا
إِلَيْهِ كُتُبَهُمْ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِمْ بِمَا اسْتَقَرَّ الْعَزْمُ عَلَيْهِ . ثُمَّ جَمَعَهُمْ وَأَحْضَرَ فَقَهَاءَ بِلَادِهِ لِمُناظَرَتِهِمْ ،
وَفِيهِمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلْخِيُّ الْفَقِيهَ بْنَ مُحَمَّدٍ شَيْخَ الْبِلَادِ ، وَنَصْرُ بْنُ عَطَاءٍ ، وَجَمِلُهُمَا

(١) بِغْرَاثَانَ الثَّالِثُ ، صَعْدُو (أَوْ مُحَمَّد) بْنُ يُوسُفَ قَدَرْخَانَ حَكَمَ فِي مَرُورِهِ الْبَهْرَ بَيْنَ سَنَتَيْ ٤٢٥ - ٤٤٩
(١٠٣٣ - ١٠٥٧) ، وَهُوَ أَخُو شَرَفِ الدَّوْلَةِ أَبِي شِجَاعِ أَرْسَلَانَ خَانَ الثَّانِي بْنِ يُوسُفَ قَدَرْخَانَ ، مِنْ أَسَرَةِ إِيْلَاقَاتِ
نَارَسَ إِلَى حَكْمَتِ مَرُورِ الْبَهْرِ بَيْنَ سَنَتَيْ ٣١٥ - ٤٤٩ (٩٢٧ - ١٠٥٧) ، وَتَفَرَّغَتْ عَنْهَا الْجَمَاعَةُ إِلَى حَكْمَتِ بَغْدَادِ ،
فِيَا رَدَّ الْبَهْرَ أَيْضًا ، وَتِلْكَ الَّتِي كَانَتْ فِي كَاثِرِ رَغْوَتَانِ وَيَلَسَانُونَ . مَعِجَمُ الْأَنْسَابِ . انْظُرْ أَيْضًا :

من وراء سِتر ، فذكر الدعاة أسرار مذهبهم على غِرة منهم وغفلة بما دُبِر عليهم ، وبَغَرَاخَان يستخبرُهُمْ حتى صرَّحوا بمقاتلتهم . فأخرج حينئذ عبد الملك ونصرًا ، وقبض على الدعاة وقيدهم ، ونادى في الناس ليجتمعوا ، وقد نصب جذعا ، وصلب عليه الدعاة واحدا بعد واحد ، ورامهم بالنشاب ، فقتل منهم ستة عشر رجلا ، وذبح منهم واحدا بين يديه ، ذبحه بعض عبيده فأعنته ، وتصلق بمائة ألف درهم . وتتبع كل من في أعماله من الدعاة ، فقبض على مائة وثلاثة وثلاثين رجلا ، وأوثقهم بالحديد ، وألقاهم في جُبٍّ مظلم ، وكتب إلى جميع بلاد ما وراء النهر بقتل من عندهم من هذه الطائفة . وكتب إلى بغداد بما فعله ، فقدم رسوله في هذه السنة ، فأجيب بالشكر والثناء .

وفيها سَيرَ المستنصر إلى قرواش [بن المقلد^(١)] أعلامًا وخلعًا ، فلبسها ، فأنفذ إليه الخليفة القائم من بغداد يعاتبه على ذلك ، فاعتذر ، ولبس السواد ، ورجع عن دعوة المستنصر^(٢) .

(١) يباي بالأسل والتكلة اسماءة بمصادر أخرى ، منها الكامل لابن الأثير والنجوم الزاهرة وذيلى تاريخ دمشق - في مواضع - وهو مستند الدولة أبو المنيع قرواش بن المقلد المقل ، من القتيبيين أصحاب الموصل . زامباور ؛
 Mohammadan Dynasties.
 (٢) يباش الأصل : يباي ثلاثة أرباع صفحة .

سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (١) :

اُنتُهِر انتقاصُ الهدنة التي قرَّرها الظاهر لإعزاز دين الله بينه وبين مُتَمَلِّك الروم ، وسعى الرُّسل في تقريرها بين المستنصر وبينه ؛ وكان انتقاصُها على الحقيقة من مدَّة أربع سنين مُقْبِينَ . فلما كان في ثامن ذى الحِجَّة وردت هديةً مُتَمَلِّك الروم من القسطنطينية إلى القاهرة ، وقيمتها ثلاثون قنطاراً من الذهب ، والقنطار عندهم سبعة آلاف دينار ومائتا دينار . وكان من جُمَلتها بخلٌ وحصان من أحسن الدوابِّ وأَعْلَاهَا قيمة ، كلُّ منهما عليه ثوبٌ دباج رومٍ منقوش ثقيل ، وخمسون بغلاً عليها مائة صُنْدُوقٍ مصفحة بالفضة ، فيها آنية الذهب والفضة ، منها مائة قطعة بِمِثْلِها ، وفيها من الدَّبِجِج والسندس والإبريسم والعائمات الملعمة مالا يُقَدَّر على مثله . فَعُوِّضَ عن هديته بِمِثْلِها من حقِّ مصر ومن الجواهر والملك والعود والطَّرَاز ، عمل تَنَيسٍ ودمياط ، ما هو أَكْثَرُ قيمة مما بهته^(١) .

سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة (٢) :

في سادس عشر المحرم قتل أبو علي الحسن بن علي الأتباري في خزانة البنود بالقاهرة^(٢) .

(١) ويوافق أول المحرم منها التاسع عشر من يوليو سنة ١٠٤٥ .

(٢) همامش الأصل : بياض نحو ثلث صفحة .

(٣) ويوافق أول المحرم منها الثامن من يوليو سنة ١٠٤٦ .

(٤) همامش الأصل : بياض نحو ورقة .

فيها عَـيـل الوزير أبو منصور الفلاحى على أبى سعيد سَهْل بن هرون التُّسْتَرى اليهودى وقتله عند خان العبيد . وذلك أن أُمَّ المستنصر كانت جارية أبى سعيد هذا ، فاختلها منه الظاهر وتسرَّاهَا ، [١٨٤] فولدت له ابنه المستنصر ، فرقت أبا سعيد درجةً عليه بعد وفاة الظاهر^(٢) . وكان يخاف الوزير الجرجَرَاى ، فلم يُظهرهما فى نفسه . فلما مات الجرجَرَاى وترى الفلاحى انبسطت كلمة أبى سعيد فى الدولة ، بحيث لم يبق للفلاحى معه فى الوزارة أمرٌ ولا نبي ، سوى الاسم فقط وبعض التنفيذ لا غير ، وأبو سعيد يتولَّى ديوان أُم الخليفة المستنصر . فنقض الفلاحى بأبى سعيد وسَقَب عليه الجُنْد حتى قتلوه . وذلك أن بنى قُرَّة ، عرب البجيرة ، أفسدوا فى الأعمال ، فخرج إليهم الخادم عزيز الدولة ربحان ، وأوقع بهم وقتل منهم ، وعاد وقد عَظُم فى نفسه لمعالجة التُّسر على بنى قُرَّة والظفر بهم . فنقُل على أبى سعيد أمره واستمال المغاربة وزاد فى واجباتهم ، ونقص من أرزاق الأتراك ومن يُنْصَاف إليهم ، فجرى بين الطائفتين حرب بباب زَوَيْكَة . واتفق مرض ربحان وموته ، فأتهم أبو سعيد أنه سَمَّه ؛ وتجمَّع الطوائف المنحرفة عنه على قتله . فركب من داره على العادة يريد القصر ، فى يوم الأحد ثلاث خَلَوَن من جمادى الأولى ، فى موكب عظيم ، فلما قُرب من القصر اعترضه ثلاثة من الأتراك وضربوه حتى مات . فأمر المستنصر بإحضار مَنْ قتلَه ، فاجتمع الطوائف وقالوا نحن قتلناه . فلم يجد المستنصر بُدًّا من الإغضاء . وقطَّع الأتراك أبا سعيد قِطْعاً ، وتناولت الأيدي أعضائه فتمزَّقت ، واشترى أهلُه ما قتلوا على تحصيله من جُثَّتِه بمال . وجمع الأتراك ما قدروا عليه من أعضائه ورمته ، وحرقوا ذلك بالنار ، وألقوا عليه من التراب

(١) ويوافق أول المحرم منها الثامن والعشرين من يونيو سنة ١٠٤٧ .

(٢) وقول دهرانها الخاس . وزاد ضرره واشتد أذاه للسلمين حتى كانوا يجلفون : وحس النعمة على بنى اسرائيل .

نهاية الأرب . وسيرد فى المَن بعد قليل ما يفيد أن أبا سعيد هو الذى كان يحلف بهذه البشارة .

ما صار به تلاً مرتفعاً . وضمَّ أهله ما وصل إليهم منه في تابوت وأسدلوا عليه ستراً ، وتركوه في بيت مؤزَّر بالستور وأوقدوا الشموع ، وأقاموا عزاءه . فتعلقت بين بعض الشموع شرارة في الستور التي هناك ومضت فيها ، فاجترق التابوت بما فيه .

وكان مقدار ما حصل في بيت المال البرائي على يدَي أبي نصر صدقة الوزير وأبي سعيد إبراهيم التستري من يوم مات الوزير علي بن أحمد الجرجاني وإلى أن قُتل أبو سعيد سبعمائة ألف دينار . والذي مات عنه الجرجاني ، وهو حاصل بيت المال المذكور يرسم النفقات ، ألف وسبعمائة ألف وستائة وواحد وعشرون ديناراً ونصف ونصف ثمن دينار . فصار حاصل بيت المال يرسم النفقات إلى أن قتل أبو سعيد ألقى ألف دينار وأربعمائة ألف دينار وستائة دينار وواحد وعشرون ديناراً ونصف ونصف ثمن دينار .

ورده المستنصر لأبي نصر ، أنهى أبي سعيد ، خزانة الخاص ، ولولئى أبي سعيد النظر في بعض اللواوين . وحقدت أم المستنصر على الوزير أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاحى بسبب قتل أبي سعيد ، ومازالت به حتى صرفته عن الوزارة واحتقلته بخزانة البُئود . وقيل كان صرفه في سادس المحرم سنة أربعين .

واتفق أنه لما قبض عليه وسُجِنَ بخزانة البُئود وأمر بقتله بها ، حُفرت له حُفيرة ليُؤرَى فيها ، فظهر لِلْفَعْلَةِ عند الحضر رأس ، فلما رُفِعَ سُئِلَ عنه الفلاحى ، فقال هذا رأس ابن الأنباري ، وأنا قتلته ودُفِنَ في هذا الموضع ، وأنشد :

رُبُّ لِحْدٍ قد صارَ لِحْدًا مراراً ضاحكٍ من قزاحٍ الأضداد
وكان أبوه أحد الكتاب البلقاء ، وتولى جهوان دمشق (١) .

(١) وهو أبو الفضل يوسف بن حل ، وقد هباه الواسطي بقصيدة أولها :

يا أهل جبيرة ، حل يساركم إذا استقلت كواكب الحمل

والواسطي هذا هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسطة بن عمه . انظر البيهقي للوالي حيث تجده هذه القصيدة في نحو

١١٠ بيتاً

ومن أحسن ما قيل في أبي سعيد ، وقد كُرمه أذاه للمسلمين أنه كان يحلف : « وحق
النعمة على بنى إسرائيل » ، قول الرضى فيه :

يَهُودُ هَذَا الزَّمَانُ قَدْ بَلَّغُوا ظِلَّةَ آمَالِهِمْ ، وَقَدْ مَلَكَوْا
الدَّرَ فِيمَ وَالْمَالُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشَارُ وَالْمَلِكُ
يَأْخُلُ بِمَصْرِيٍّ قَدْ نَصَحَتْ لَكُمْ تَهَوُّوا قَدْ تَهَوَّ الْقَلْبُ

وفيها استقر في الوزارة بعد الفلاحى أبو البركات الحسين بن عماد الدولة بن محمد بن
أحمد الجرجاني ، ابن أخى الوزير صقّ الدين ، ولُقّب بالوزير الأجلّ الكامل الأوحد ، علم
الكفاة ، سيد الوزراء ، ظهير الأئمة ، عماد الرؤساء ، [٨٤ ب] فخر الأمة ، ذى الرئاسةين ،
صقّ أمير المؤمنين .

وفيها ابتدأ أمر أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن البازورى . وكان من خبره أن
أباه على بن عبد الرحمن كانت له حال واسعة ببلد يعرف ببازور^(١) ، من ضياع فلسطين ،
وكان مقدماً فيها ، فلما كبرت حاله انتقل إلى الرملة واستوطنها ، وصارت له وكالة
في الضياع . فاشتهر هناك وعرف بالعبقة والصنق وسباح النفس ، فردّ إليه قضاء بعض
أعمال الرملة . ونشأ له ابنان نجيبان ، ولي أحدهما الحكم بعد أبيه إلى أن توفى ، ثم
خلفه أخوه عبد الرحمن هذا من بعده ، فعُرف بسعة النفس وسعة الأخلاق ، فاتصل بخدمة
الوزير الجرجاني ، قصار لذلك ممن يرى له بسوء .

واتفق أنه حجّ قبل قدومه إلى مصر ، فلما زار قبر رسول الله نام في الحجرة الشريفة ،
فسقط عليه خلوق من الزعفران الملطخ في حوائط الحجرة ، فنجاه بعض الخدام . وأيقظه
من نومه وقال : أيها الرجل ، إنك تلي ولاية عظيمة وقد بشرتك ، فلي منك الجاه والكرامة .

(١) بازور قرية من قرى الرملة بفلسطين

ثم انتقل بتلطفه وكثرة مداخلته إلى خادمة السيدة أم المستنصر ، فتقرَّب بخلعتها ، ولازم بابها عندما صُرف عن الحكم بفلسطين يسأل عَوْدَه إلى وِجَانِه وخدمته فيها ؛ وهو مع ذلك يُواصل الوزير الفلاحى ويؤانسُه ، فيبدأه بما فى نفسه من أبى سعيد التسترى ، فيفاوضه فى التدبير على المذكور ، ويفتح له من العمل عليه ما يظهر له صوابه . فتَقَلُّ مكانه على أبى منذر لقربه من أم المستنصر ولَمَّا لَأَنَّهُ الوزير الفلاحى ؛ وهم به ، ثم تراعى عنه ، حتى كان من أمره ما كان ؛ وأمرُ اليَازُورِى فى كل يوم يتزايد وحاله يقوى . إلّا أن قاضى القضاة وداعى الدعاة قاسم بن تاييلا كان يمتنع من ردِّ الحكم إليه ببِلْدِه ، لِمَا يَعْلَم من سوء رأى أبى سعيد فيه ، وأنَّه يريدُ القبض عليه ؛ فكان يشحرف عنه ولا يلتفت إليه .

وَأُتِفِقَ أن حضر قاضى القضاة ذات يوم بباب البحر من القصر ، على عادته فى كل يوم اثنين ، لتقبيل الأرض والسلام أو خروج السَّلام عليه ، ويجلس معه من الشهود مَنْ جرى رسمُه بذلك . فلَمَّا جلس بباب البحر وخليفته القضاعى وابن أبى زكري والشهود دخل أبو محمد اليَازُورِى وجلس معهم ؛ فقال له قاضى القضاة : بِأَمْرِ مَنْ جلست ههنا ؟ أَتَظُنُّ أنَّ المجلس كُلُّه مَبْلُوءٌ لكلِّ أحدٍ أن يجلس فيها ؟ هذا مجلس لا يجلس فيه إلّا من أُذِنَتْ له حضرةُ الإمامة وشرفته به ؛ اخرج ، فوالله لا تَصْرُفُ على آيائى أبدا . فخرج ورجلاه لا تكادان تحملانه ، فوقف بباب البحر إلى أن خرج قاضى القضاة ، فمار وخليفته والشهود معه ، فسار فى أعقابهم ، وسبقهم ووقف بباب دار القاضى ؛ فلما نزل صنع له استعطافا ، فلم يُجرِّه طرفه وانصرف . فلقبه القضاعى وقال : يا أبا محمد ، كان يجب ألا تُريه وجهك عتب ما جرى لك معه . وفارقه . فلقبه ابن أبى زكري وخاطبه بجفاء . فرُدَّ إلى داره مضجعا ، فوجد ثلاثين رجلا من تفاع قد وصلت إليه من ضياعه لثياب بصر ، فأنفد منها خمسة أحمال إلى الوزير ، ولقاضى القضاة خمسة أحمال ، وللقائد الأجلَّ عُدَّة الدولة رفئ خمسة أحمال ، ولمعز الدولة بضعًا وخمسة أحمال ، ولابن أبى زكريا ثلاثة أحمال ، وللقضاعى

خمسة أحمال ، وفرّق جملتين على حرايمهم . فلم يلتفت أحد منهم إليه ، ولا عطف عليه ، ما خلا القائد الأجلّ عدة الدولة رفق فإنه شكره وأثنى عليه . وهو مع ذلك يقف بباب البحر ، فإذا أقبل عدة الدولة رفق يريد القصر تلقّاه وسلم عليه ، فيكرمه ويسأل عن حاله ، ثم يدخل إلى القصر ، فإذا خرج وجهه واقفاً على حاله فيسلم عليه ويتبّنه إلى داره ، فإذا دخل انصرف عنه . فأقام على ذلك أياما ، فخبف على قلبه ورغب في اصطناعه ، فصار إذا وصل إلى داره أمره بالنزول معه ، فينزل ، ويتحدثان - وكان حلو الحديث - فيطيل عنده ، ثم ينصرف . فصار يشاققه إذا غاب ، ويمسكه إذا أراد الانصراف حتى تحضر المائدة .

وكانت أم المستنصر لما هلك أبو سعيد توقفت أمور خدمتها ، فأحضرت [١٨٥] أخاه وأمرته بخدمتها ، فامتنع خوفا من الوزير والأترك ، واستمرت ثلاثة أشهر تسأله وهو يمتنع . فحضر أبو محمد اليازورى يوماً ، فجلس عدة الدولة رفق ، وجرى بينهما امتناع أبي نصر ، أخى أبي سعيد ، من خدمة أم المستنصر ، فقال له رفق : أرى أن تكسب رقعة تلتصق بخدمتها وتعرض نفسك عليها . فقال أبو محمد : قد كنت أظن جميل رأيك في وإيثارك مصلحة حالي ، وأكلمني فثنى . فقال : بماذا ؟ فقال : الهز بي ، فإني قد أجهّدت في العود إلى قرية كنت فيها فبخل على بها . فكيف أتعرض لهذا الأمر الكبير ومناوأة الوزراء ؟ فقال له : أما ترضى سقيراً لك في هذا الأمر ، وعلى استفراغ الوُسْع فيه ، لو جُوب حقك على ، فإن قصت الأقدار ببلوغ الغرض في ذلك فقد أدر كنا ما نؤثره ، وإن تكن الأخرى فقد أكثر من العطلة ماتحصّل . فأجاب إلى ذلك ، وكسب إلى السبلة رقعة يعرض نفسه وماله عليها ، ويخطب خدمتها ، ويئذل الاجتهاد فيها ، وأخلصا منه رفق .

فلما كان من الغد ركب إلى القصر ، ودخل إلى السبلة وقد أحضر أبو نصر ، وعادته الخطاب في خدمتها وهو يمتنع ، حتى أضجروها ، فانتهاز عز الدولة رفق الفرصة بضجروها وقال : بامولاتنا ، قد طال علّق بابلك ووقف خدمتك في امتناع الشيخ أبي نصر

مما نريده منه ؛ وههنا من أنت ثمرينه ، وهو رجل مسلم وقاضٍ ، وكبير المروءة ، وهو مستغني بماله وأملاكه عن التمرُّض لما ليك ، وهو ثقة ناهض كافٍ فقالت : من هو ؟ فقال القاضي أبو محمد اليَازُورِي ، وهذه رَقْمَتُهُ . فأمَرته بتسليمها إلى أبي نصر ، وقالت : ما تقول فيه ؟ فلم يصدّق بذلك . فقال يامولاتنا ، هو والله الثقة الأمين الناهض الذي يصلح لخدمتك ، وفيه لها جمال ، وما تظفرين بمثله . فوقع ذلك منها بالموافقة . فقال لرفق : قل له يجلس في داره غداً حتى أنفذ إليه ، فسرّ بذلك ونخرج ، فإذا أبو محمد في انتظاره على عادته ، فسار ، ولحق به أبو محمد ، فقال له : أقم أم شير ؟ فقال : بل بر يوسى ، وقصّ عليه الخبر . فلما كان الغد جاء الرسول مستديحاً له ، فركب إلى بابها ، فأحضرت وأدخلته وراء المقطع وردّت إليه أمر بابها والنظر في ديوانها ، الذي هو باب الربيع ، وجميع أحوالها ، ونزل . فبلغ ذلك الوزير ، فكبر عليه وأقلقه أن تمّ على غير يده ، وأنه لا يقبل قوله عند السيدة لما في نفسها منه لقتل أبي سعيد .

وأقبل الأمراء الأتراك إلى القاضي أبي محمد ، فهنثوه بما صار إليه ؛ فقام إليهم وثلاثهم ، وأعظم سبهم إليه وشكرهم ، وقال : ما أنا إلاّ خادم ونائب لموالى الأمر ، أسأل في تشريفي بما يعين لم من خدمة لأتّرض فيها . ثم لما قاموا نهض قائماً لوداعهم . وأخذ الوزير الفلاحى في العمل عليه ، فلم يمض إلا أيام حتى قبض عليه وقتل .

فيها سار ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن الحسين بن الحسن بن حمدان ، أمير دمشق ، وشجاع الدولة جعفر بن كليد ، والى حمص^(٢) ، بالساكر وقبائل الرُعيان إلى حلب لقتال أميرها كمال بن صالح بن مرْدَاس . وذلك أن كمال بن صالح كان قد قرَّر على نفسه في وزارة الفلاحى أن يحمل كل سنة عشرين ألفاً ، فأخَّر الحمل سنتين ، وأخذ شجاع الدولة يُغري الوزير على كمال ويسهِّل أمر حلب . فخرج الأمر إلى ابن حمدان أن يسير هو ووَلَايَ حمص بجَمُوع العرب ، فنزل بمن معه على حماة وفتحها ، وأخذ المرأة^(٣) ، وأقدم فنزل على حلب لخمس بَقِيَّين من ربيع الآخر . وحارب ابن مرداس حُرُوباً آلت إلى رحيل ابن حمدان بغير طائل ، في سادس عشر جمادى الأولى . ففى حَرْبِهِ أَصابه سبيل هلك فيه أكثر ما معه من الخيل والرَّجال والأمتعة ، وعاد إلى دمشق . فبعث ثمال إلى المستنصر يسأل عفوهُ ، وكان المتوسط بينهما أبو نصر إبراهيم ، أخو أبي سعيد [التُّسْتَرى] ، فأجيب إلى ذلك ، وانفصل رسولهُ من الحضرة . فورد الخبر بأن ثمال بعث والياً إلى معرة النعمان ، وأنه أساء التدبير ، فانهزف عنه الناس ، وفر منهم إلى حلب ، وأن جعفرأ ، أمير حمص ، بادر إلى المرأة ، فلقبه مُقَلَّد بن كامل بن مرْدَاس وحاربه ، فقتل في الواقعة [٨٥ ب]

(١) ويرافق أول الحرم منها السادس عشر من يونيو سنة ١٠٤٨ .

(٢) يماثل الأصل عبارة نصبا : في الأصل المقول عنه بخط مصنفه ورقة في هذا المثل يقول فيها : " ولمنح أمر حلب أن ثمال بن صالح بن مرداس أخرجه من حلب فقرر على نفسه في كل عام ، فأنفذ المستنصر لقتاله من دمشق لناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان وشجاع الدولة جعفر بن كليد من حلب ، فسار بجميع عساكر الشام وفتحوا حماة والمرعة وزلوا على حلب وقد استمدد الدولة ثمال رجع نخبة آلاف من بني كلاب وكلب وغيرهم ، وخرج وقتلهم ، فلهزم أكثر أصحابه ، وثبت في طائفة بقية نهاره ، وعاد إلى المدينة . وخرج من البلد وقتل ، لصبر الفريقان صبرا طويلا وأهلوا بلاد حسنا ، ثم اقتتلوا في اليوم الثالث كُتبت ثمال ثباتا زائها فرسل ابن حمدان " .

(٣) مرة الثمان من أعمال حمص ، بين حماة وحلب ، تستقى من العيون ، وبها كثير من أشجار الزيتون . معجم

البلدان : ٨ : ٩٦ - ٩٧ .

ليست بقتين من شعبان ، وحُوتَ رأسه وشُهرت بحلب ، وأيسر كثير من عسكره ، فبعث
المستنصر إلى رسول ثمال وردّه ، وأقهمه ما ورد من المكاتبه .

ووجد الوزير أبو البركات السبيل إلى الإغراء بأن نصر إبراهيم ، فما زال يُبَلِّغ
المستنصر بأنّه حملهُ الحقد لقتل أخيه على السعى فيما يضرّ الدّولة من التّوسّط بين ثمال
والخضرة ، وأنّ ابن حمدان أساء التدبير في رجّوعه عن حلب . فقبض على أبي نصر ،
وأخذت حائمه أمواله ، وهوقب حتى مات .

وولى دمشق بهاء الدّولة مظفر الخادم الصّقلي ، وخرج إليها على جرائد الخيل^(١) ، فدخلها
على حين خفلة ، وقبض على ناصر الدّولة ابن حمدان وحمله إلى صُور ، ونقله إلى الرّملة
وصُور ، وأقام مظفر الخدّمة بدمشق . وقبض على راشد بن سنان بن عليان ، أمير بني
كلاّب ، واعتقله بصُور .

وخرج أمير الأمراء المظفر ، فخر الملك ، عهدة الدّولة وعمادها ، وفق الخادم ، في ثامن
عشر ذى القعدة بتجمل كثير وأبّهة عظيمة ، وقوة قوية ، وعدّة وافرة ، وآلات طبله ،
وعساكر تبلغ عَشْرَ ثلاثين ألفاً ، وكان المنفق فيه عيناً مع قيمة العُرُوض أربعمائة ألف
دينار . فبرز ظاهر القاهرة يريد حلب ، وخرج المستنصر لتشييعه ، وكتب لجميع أمراء
الشّام بالانقياد له والطّاعة لأمره ، وأن يترجّلوا له إذا لقّوه . وسار فوافى الرّملة وقد
وصل رسولُ صاحب القسطنطينية بالصّليح بين المستنصر وبين بني يرُّدّاس ، ففشل رفق
وانخرقت حرّمته ، وجرت بالرّملة ودمشق أمورٌ آلت إلى حرب بين العسكر عدة أيام ،
فبات يوماً ظاهراً دمشق .

(١) جع جريدة ، وهي الفرقة من العسكر للفرمان لأرجالة بينهم ، والفرقة من الجند إذا خرجت بسرعة من غير
أفعال مهمة تستحق الإسرار في الخروج . لسان العرب . انظر أيضاً : Dozy; Supp. Dict. Ar.

وفيها قُتل الوزير صدقة بن يوسف الفلاحى يوم الاثنين ، النصف من المحرم ، بخزانة البنود ودفن فيها . واتفق فى وفاته عجب ، وهو أنه لما ولى الوزارة سعى فى اعتقال أبى على الحسن بن على الأنبارى ، واعتقله بخزانة البنود ، ثم قتله ، فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، ودلته بخزانة البنود . فلما قبض عليه بعد صرفه عن الوزارة سُجن فى المكان الذى كان فيه ابن الأنبارى من خزانة البنود ، وقتل فيها ، ودفن معه . وكان ابن الأنبارى من جماعة الوزير الجرجرائى ورفيقاً للفلاحى وصاحبه ، ولما ولى الوزارة تخوف منه ، وما زال يعمل عليه حتى قتله ، كما تقدم .

وفيها أقبلت حال أبى محمد البازورى تزايد ، ومَنْزِلَتُهُ ترتفع ، وخلق عليه ثانيا ، وأمر ألا يقوم لأحد إذا دخل عليه ولو عظم قدره ، فكان يحتذر إلى من يَنْشَأُ من الجِلَّةِ والرؤساء الأكابر ، وأنه لو مَلَكَ اختيَارُهُ لبالغ فى تكرمتهم بما يستحقونه ، خلا القائد حُدَّة الدولة الذى كان سقيمه ، فإنه كان إذا أقبل وثب إليه قائماً . فبلغ السيدة ذلك ، فقالت له : لا تتحرك لأحد بالجملة ، فكان إذا جاءه اعتلر إليه . ولقب بالمكين عمدة أمير المؤمنين ، وترقت أحواله حتى صار يحضر بحضرة الخليفة إذا أراد أن يستدعى الوزير كما كان أبو سعيد مع الفلاحى . فعظم ذلك على الوزير ، لأنه كان إذا حضر القاضى أبو محمد البازورى تحدث طويلاً والسيدة من وراء المقطع ، ثم يستدعى الوزير فيعرض ما يريد من أمر الدولة ، ولا يكون المَجِيبُ له إلا القاضى أبو محمد ، فإذا أجابه التفت إلى المستنصر وقال أليس هذا الصواب ؟ فيقول المستنصر نعم ، ثم يخرج الرسول من وراء المقطع ويقول هذا الصواب . فكان الوزير كأنه يعرض على البازورى الأمور دون الخليفة ، فيُتَّقِ عليه ذلك ، ولا يتمكن من مخالفته ، ولا يستطيع الصبر على ما به .

وكان من جملة أصحاب التواوين رجل يُعرف بالشيخ الأجل عبد الملك زين الكُفَاة أبى الفضل صاعد بن مسعود ، وإليه ديوان الشام يومئذ ، وهو شيخُ خود ، وكان الوزراء

يحتملون عليه ويرجعون إلى رأيه . فأحضّر . الوزير ، وفأوصّه في أمر البازورى ، وأخذ رأيه فيما يُعمل معه ، فأنشأ عليه بأن يُحسن للخليفة أن يقلّده القضاء ، ظناً منه أنه إذا تقلّد القضاء فإنه يقع في أمر كبير ، ويشغله ذلك عن مُلازمة السيدة ، فيجد الوزير سبيلاً إلى استخدام ولده مكانه ، ويتقوى له الأمر فيه ، ويملك جهة الخليفة والسيدة . وكان قد نُكِّل في قاضى القضاء من أيام أبى سعيد ، وذكر أنّ [١٨٦] أمور الناس ناقصة في حكوماته ، وأنّ له غلماناً قد استحقّوا على الحكم ، وهم الذين يوقفون أمور الناس ، فاستخدم أبو سعيد شاهداً يعرف بابن عبدون ، خليفة القاهرة ، وتقدم إلى قاضى القضاء ألا يفصل حكماً بين اثنين إلا بحضوره . وضبط ابن عبدون أمر الحكم ضبطاً شديداً ، وكان الخصوم يجتمعون بباب القاضى والشهود بين يديه ، فلا يُمضى حكماً إلا في دعوى بين اثنين ، وما يحتاج إليه من إقامة بينة ، أو منازعة امرأة مع رجل لها في فرض ، وما يجرى هذا المجرى . وأما في تثبيت أو قصص مستعجّة الحكم ، وما يُحتاج فيه إلى مناظرات ومنازعات فلا يتكلّم في شيء من ذلك إلا عند حضور ابن عبدون ، وحجج الناس يُحاط عليها في قمطر ، وتُحمل بين يدي القاضى ؛ فإذا حضر ابن عبدون أُحضرت وفصل الحكم فيما بين أصحابها . وما زال كذلك حتى حضر إليه خصم في مرّات ، فخاف عليه وتشفع إليه بأصدقائه ، فلم يُعْزَه فرصة يوماً حتى خرج من مجلس قاضى القضاء وركب ، فتقدم إليه وقبل ركابه ، وخضع له وتلطّف في أمره ، فلم يلتفت إليه ، فعاد إلى مَنْ خرج إليه من الشهود وسأله ، فانتهره . فلما آيس منه وثب عليه بخنجر وخرق به بطنه ، فخرّ إلى الأرض ميتاً . وأخذ الرجل إلى أبى سعيد ، فنكّل به وقطع يمينه ورجليه ، وضرب عنقه . ثم استخدم أبو سعيد بعد ابن عبدون القضاة وابن أبى زكري وأقامهما خلفى قاضى القضاء ، وأمرهما بسلوك طريق ابن عبدون في الأحكام . فلم يقدّما . مقامه ، وكانا يجاملان القاضى ، فعاد الأمر إلى ما كان عليه قبل ابن عبدون ، إلا في فصل الأحكام فإنها كانت لاتنصل إلا بحضورهما . فثقل ذلك على القاضى لاستيلاء غلمانا عليه ، واتهامه أنّ أمور الناس واقفة ، وأنّه لا ينفذ له حكم ولا أمر ولا نهي .

وكان يحضر مجلس الوزير يوم الخميس في القصر بعد قضاء خدمة المجالس ، ثم في الدار يوم الاثنين مسلماً عليه . فحضر دار الوزارة يوم الاثنين على رغبته ، فقربه الوزير وسأل عن حاله ؛ فأجاب بأنه لائحكم له ولاأمر ، والأحكام مَرُودَة إلى خليفته ولها الحكم دونه ، فإذا حضراً فُتِحَ باب الحكم ، وإذا غاباً أُلْغِيَ بابيه . فقال له : كفيته يا قاضي القضاة . وخرج من عنده وحضر بعده القضاة وابن أبي زكري ، فقال لهما الوزير : ما لقاضي القضاة يتضرر منكما ويشكو استيلاءكما على الحكم دونه ، وأنه لا تنفذ أوامره معكما ؟ فقالا : وأى أمر لنا دونه ، هل أوقفنا أمر أحكامه ، أولنا غلمان يسكنون حجيج الناس حتى يصابنهم عليها ؟ يعرضان بغلمان القاضي ! إنما نحن في حضورنا كبعض الشهود والأمر إليه في إمضاء الأحكام ، وإننا لنشاهد ما لا يتسع لنا الكلام فيه . فقال : كفيتم أبا القضاة . وانصرفا وقد انفتح له باب الحيلة في صرف القاضي وتولية أبي محمد اليازوري .

واتفق مع ذلك توعك أبي محمد وانقطاعه أياماً في داره عن مجلس الخليفة ، فخلأ له وجه السلطان وأعاد عليه التوبة ، ثم قال له : أنت يا أمير المؤمنين لسان الشرع ، ومقيم مناره ، ومنفذ أحكامه ؛ وقاضي القضاة إنما ينطق بلسانك ، وينفذ الأحكام عنك ؛ فإذا اشتهر في الأقطار ما يتم على الناس في أحكامهم كان سوء السمعة في ذلك على الدولة ، وإثارة الشناعة القبيحة عليها ؛ وفي الخصوم من هو من المشرق والمغرب واليمن وماوراءه ، والروم ؛ وفي استغاضة ذلك غضاضة على الدولة . ونحن إنما نطول على الممالك والتول بإقامة سنن الشريعة وإظهار العدل الذي عفت آثاره في غيرها من التول ؛ وقد كبر قاضي القضاة واشتد على غلمانهم وغلبيوا على أمره . فقال المستنصر : نحن نحفظ فيه خدمة سلفه لنا ومهاجرتهم معنا . فقال : يا أمير المؤمنين ، حفظك الله وشكرك ؛ أما كان من كرامة سلفه أن يستتر حتى لا يشيع لها عنه ؟ وما زال حتى قال الخليفة : من في الدولة يجري مجراه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : [٨٦ ب] عبيدك كثير ، ومع ذلك فبين يديك من يتجمل

الحكم به مع ثقته وأمانته وقربه من خدمته ، القاضي أبو محمد . فقال : ذلك في خدمة مولانا الوالدة ، ولا يفسح له في ذلك . فقال : يا أمير المؤمنين ، هي - خلق الله ملكها - أغبر على دولتك وأحسن نظراً لها من أن تحولَ بينها وبين ما يجملها ، ومع ذلك ، فلم يُنقل مما هو فيه إلى ما هو دونه ، بل إلى ما هو أوفى منه . فأجاب إلى ذلك ، وقام ، فشرع في كُتُب سجله وإعداد الخلع له . وسمع هذه النبوة القائد عمدة الدولة ، فأوفد إلى أبي محمد يخبره ، وقال له تلطف في أمرك كما تريد . فعظم ذلك عليه ، وخاف من بُعده عن خدمة السيدة إذ كانت أجل الخدم ، فإن كل من في الدولة من وزير وأمير وغيرهما محتاج .

فلما كان عشاء الآخرة حمل على نفسه وهو مجبوم وركب إلى باب الرّيح^(١) ، ودخل ، وأنفذ يُعلم السيدة مكانه ، فأخرجت وراء المقطع وسألته عن حال مرضه ، وما الذي دعاه للسَّاء في هذا الوقت . فقص عليها القصة وقال : إنما الغرض إيهادي عن خدمتك لبيع التمكن مني . فقالت : وما الذي تكره من ذلك ؟ فقال : يامولانا هوى الحكم واسع ، وأحوال قاضي القضاة ابن النعمان فيه مشهورة ، ولو كانت جارية على النظام المستقيم لشغلت عن خدمتك ، فكيف والحاجة داعية إلى إضلاله وإحكام نظامه ؛ وفي هذا سُئل كبير . فقالت : لا يَصِيحُ صدرك بهذا الأمر ، فباني لك ، وخدمتي موفورة عليك ، ولا أستبدل بك أبداً . فقال : يامولانا قد قُتِمْتُ القول أن هوى الحكم كبير واسع ، وانشغالي به يحول بيني وبين ملازمة بابك . فقالت : خليفتك^(٢) في الحكم ، القضاء وابن أبي ذكرى ، هما ينفلان من الأحكام ما يجوز تنفيذه ، فإذا تحررت إلى فصل الأحكام نزلت ففصلت

(١) وهو الباب البحري الوحيد للقصر الكبير ، وكان يواجه سور خانقاه سيد السَّاء على بين السالك من الباب الخلق إلى راحة باب البید . وكان الخليفة يستعمل هذا الباب عندما يخرج بمركبه في ثاني وثالث أيام عيد الأضحى . انظر :

٤٣٥ : ١ .

(٢) في الأصل : خلفائك .

ذلك ، وقررت لنزولك يومين في الجمعة لفصل الأحكام ؛ وإذا نزلت كان وكذلك ينوبان
عنك في تنفيذ أمور خدمتي ؛ وهذا التقرير لايتطلبك فعله . فقبل الأرض ، ودعا ، وشكر ،
وانصرف .

وكانت إذا قالت قولاً وقتً به وثبتت عليه ، فلأنها كانت وثيقة العهد ، حافظة العهد ،
غير ناقضة له ، ولا متغيرة عنه مع مَنْ تَطَّلِعُ من أمره على ما يقتضى التغيير عليه ، فكيف
بمن ترتضى طريقته ، وتحمد خلائقه .

وفيها وإلى القائد هاء الدولة وصارمها ، طارق الصقلي المستنصرى ، دمشق ، فقدمها
صبيحة يوم الجمعة مستهل شهر رجب^(١) ، وساعة وصوله دخل القصر وقبض على ناصر
الدولة أبي محمد الحسن بن الحسين بن حمدان .

(١) ونرى "سجل ولايته بالمسجد والنداء له فيه : " عليه الله وحفظه " . ذيل تاريخ دمشق : ٨١ .

سنة احدى وأربعين وأربعمائة (١) :

في ثاني المحرم صرف قاضي القضاة أحمد بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاة . وكانت هذه ولايته الثانية ، وله فيه ثلاث عشرة سنة وشهر وأربعة أيام . واستُدعي إلى حضرة المستنصر القاضي أبو محمد اليَازُورِي وخط عليه مكانه في رابع عشره ، وقُرئ سجله في الديوان ، وخرج والدولة بأسرها بين يديه . واستناب ابنه الأكبر أبا الحسن محمداً ولُقّب بالقاضي الأجل خطير الملك ، وأقام ابنه الآخر في جهات السيدة .

وشرح الوزير في الإرسال إلى السيدة بأن يستقر ابنه في بابها ، فامتنت من ذلك وقالت ما كنت بالذي يستبدل به بوجه ولا سبب . فسقط في يده وقال : أردنا وضعه والله تعالى يريد رفعه . فقال له أبو الفضل : أما إذ جرى الأمر بخلاف ما ظنناه فليس إلاّ مجاملة الرجل .

وكان أبو محمد اليَازُورِي لا يسلّم على الوزير ، ولا يجتمعان إلّا يوماً في الشهر ، يحضر إلى دار الوزير ، فإذا حضر إليه احتجب عن كلّ أحد ، وتلقاه قائما ، وأجلسه على مخدة ، وأعطاه من المجاملة فوق ما يؤثّر منه ، وهو مع ذلك يُبطن له السوء ، ويعمل في التدبير عليه .

وكانت أيام الوزير كلها رديئة لكثرة القبض على الناس ، والمصادرات ، واصطفاء الأموال ، والنفي ، ونحو ذلك ، فكثر الدأّم له . وكان أيضا يَبْطِشُ بِمَنْ يَبْطِشُ به من غير حلم الخليفة ولا استئذانه ، فتغيّر خاطر الخليفة عليه ، وتكثّر منه تغيّظه . إلا أنّ العادة جرت بالألّا يُعترَضُ الوزير فيما يفعله ، ويَمُدُّ له في النفس ، ويُهَيِّبَر [١٨٧] على ما يكون منه .

(١) ويوافق أول المحرم منها الخامس من يونيو سنة ١٠٤٩ .

وفيها قبض على أبي نصر إبراهيم بن سهل ، وأتهم أنه مَلَأَ كُمَالاً بن صالح حتى قتل
جعفر بن كليل [صاحب حمص] ؛ وسُلم إلى الوزير أبي البركات الجرجاني ففُتق عليه
وصادره حتى مات تحت العقوبة . وكان هو الذي صمى به إلى المستنصر فقال إنه عَيَّنَ لِمَال .

واتفق وصول الخادم رفق إلى دمشق وخروجه منها في سادس صفر يريد حلب ، فوصل
إلى جبل جرش^(١) في ثلثي عشرين ربيع الأول ، وأقام هناك ؛ ثم بدا له فبعث بما مَعَهُ
من الأتقال إلى الحرّة ، فظنَّ مَنْ معه من المساكر أنَّه يريد أن يهزم ، فاجلّوا في الرحيل
وقد حاصر قلوبهم الوجَلُ وداخلهم الخوف ؛ فأمر بردهم إليه ، فاجلّوا ذلك عليه . وفعّل
أهل حلب لم^(٢) . فتبصّوهم ونهبوا ما قدروا عليه منهم ؛ وكانت بينهما حربٌ جُرح فيها رفق
في عدة مواضع من رأسه وبدنه ، وأسير ، وانهزم العسكر بأسره . وحِيلَ رفق على بغل وهو
مكشوف الرأس ، ومعه جماعةٌ من وجوه عسكره ، فلم يحتمل ما أصابه ، واختلط عقله ،
ومات بقلعة حلب بعد ثلاثة أيام ، في مستهل ربيع الآخر ؛ واعتُزلَ عاتمةٌ من كان معه
من القوّاد والكتّاب بحلب .

فلما وَرَدَ الخبر بذلك على المستنصر أمر بالإفراج عن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن
الحسين بن حمدان من الاعتقال ، وقُلِدَ إمارة دمشق الأمير المؤيد مصطفى الملك معز الدولة ،
ذَا الرئاستين ، حيلرة بن الأمير عصب الدولة حسين بن مفلح ، في رجب ، وخرج معه
ناظرا في أعمال الشام أبو محمد الحسين بن حسن الماسكي^(٣) .

(١) جبل مطل على حلب في سوريا ، في سفحه مقابر الشيعة ومشاهدهم ، ومات كان يحمل التماس الأحمر . يقول
ياقوت : وقد بطل هذا إذ أصبح من عمل فيه لا يريح وفي قيل الجبل شهد يقال له شهد السقط ، أو شهد الذكة ، والسقط
يسمى مسكن بن الحسين ، رضي الله عنه . مجسم البلدان : ٣ : ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) ظن به وإليه وله كفرج ونصر وكرم . لقاؤوس المحيط .

(٣) لعل هذه التسمية نسبة إلى غامكان من نواحي مكران وراه بجستان ، أو من نواحي بجستان المبارزة لإقليم
مكران ، أو إلى هي اسم لبجستان . هكذا عرف بها ياقوت في اضطراب ، مجسم البلدان : ٧ : ٣٦٥ . أو لعل أحد
أجداده كان يسمى ماسك فنسب إليه ، كما هي الحال بالنسبة لأبي بكر محمد بن يعقوب ابن إسحاق بن ماسك الواسطي الماسكي .
الطب لابن الأثير : ٣ : ٨٣ .

ووجد أعداء الوزير أبي البركات الحسين بن محمد الجَزَّجَرَّائِي سبيلاً إلى إغراء المستنصر به ، وأنه تسرع فيها عادت مضرته على الدولة من تجهيز العساكر إلى حلب . فحركت هذه الأقوال وما يشبهها عليه ما يحقده الخليفة من استبداده بأُمُور من غير أمر ولا استئذان ، فأمر به فقبض عليه ونقّى إلى صُور في منتصف شوال ، فاعتقل بصور . فكانت وزارته سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام . ثم أفرج عنه ومضى إلى دمشق^(١).

وبقي الأمر في الوزارة عدة أيام والخليفة يعرض لقاضي القضاة أبي محمد اليَازُورِي بالوزارة وهو يمتنع عليه ، فاستند إلى أبي الفضل صاعد بن مسعود ، من الأمراء ، وأقيم واسطة لاوزيرا ، وخلع عليه ولقّب بعميد الملك زين الكفاة ، وجعل يؤمّ عليه عَرَض ما يخص بالرجال دون الأموال . وكان إذا أراد الاستئذان على ما يفعل جلس اليَازُورِي بحضرة الخليفة واستدعى أبو الفضل ، فعرض ما يحتاج إليه ، فينقذ إليه اليَازُورِي بما يفعله . ويخرج وفي نفسه من اليَازُورِي ما كان يثور بينه وبين الوُزراء في معناه . فأخذ يُحتمل عليه الرجال ويوهمهم أنه إذا سأل لم في زيادة أو ولاية يعترضه اليَازُورِي ويفسد عليه . فلما كان في بعض الأيام قال ناصر الدولة حسن بن حسين بن حمدان لبعض ثقاته : أعلم أنّ القاضي له الثناء الجميل الكثير ، ونحن شاكرون له ، مُقيّدون بحجمه ، مُتفقرون

(١) يوجد بالأصل هنا طيارة لم أستطع قراءة السطر الأول منها . وقد جاء بعده : " . . . فوصل رسوله إلى الرملة يوم وصل رفق إليها ، فيحث إلى القاهرة حتى يبلغ الرسالة ، فتوقف الوزير أبو البركات الجرجري من الجواب طعماً أن يملكوا حلب . فلما لم تستطع توجيه العساكر من مصر بحث عسكراً إلى أنطاكية وعسكراً نحو أطراف حلب ولزم صلح بن ثمال مال وخلع . وخرج مقلد بن كامل بن مرداس إلى حصص وجها حسن للقوة سيده في معروف القاضي وقد وليها بعد قتل جعفر بن كليذ ، فحصرها حتى أغلها بالأمان ، وغرب السور والقلعة . ونزل مل حاة وأغلها وغرب حصنها ، وانتقل إلى المعرة وأحرب سورها . وهذا وقد ظهر من فشل رفق مالمع الجند فيه ، فاضت الساتبة وهو بالرملة في طرف السكر وغروا ، فأتبعهم بسر نفسه ، فسادوا وغربوها وأسروا الأمير مرادا ، فبشر إليهم جعفر بن حسان بن جراح فاسترجع بعض ماتبهوه فردم فأعرضهم رفق وعليهم أكثر . . . وعاد العساكر فرسل يريد دمشق فأنفذ بها من قبائل الكليتين والمطائين ، فانترق عسكره فرقا وقتلوا ، لأربع بقين من الحرم سنة اثنين وأربعين في يوم الجمعة ، قتل من الكتائب مائة رجل ونهبت الخيم . ثم عبروا من ذلك المكان ونزلوا على باب ثوما ثلاثة أيام وهم بغير قتال ، فغاب رفق ودخل بالقدم =

إلى جاهه في جميع أُمُودنا ، واعتفاهُ من هذا الأمر لا يبرئه من ذُنْنا إن وقفت حوائجنا ،
ويكون الشكر فيه لنيره إن قُضيت ، وهذا الرجل عميد الملك هوذا يحتمل الرجال عليه
ويُشعرهم أنه يجتهد في قضاء حوائجهم ، وأنه يَعتَرِضُهُ بما يُبْتَطِلُها عليهم ، وفي هذا الأمر
ما تعلمه . فقل أنت له عني : ياسيدنا ، إما أن تزيد شكر الرجال وسلامة صُلُوبهم لك
وتُخَلِّصَ نياتهم في طاعتك ، فادخل في هذا الأمر ، فإن أحسنت عرفوا ذلك لك ، وشكروه
منك وإن أسأت كان عليك ضرره وشره ، وإلا فاعتزل جانبا ولا تلعب بروحك مع الرجال ؛
وإلا أبلفك أبو الفضل . قبله الرجل ذلك ، فقال : أمهلني الليلة ثم بكرُ إلى . فلما كان
في السحر بكر إليه ، فقال : أعد على قول ناصر الدولة ، فأعاده . فقال : أقره عني السلام ،
وقل له : والله ألا أدخل فيه ويكون لي خيرُه وشرُه . وأبلغ ناصر الدولة رسالته ، فقال :
هذا هو الصواب .

== إلى القصر وترك مضاربه الخاصة بجملها ، وأصلح بين الطرفين . فتوقف الكتابيون حتى وصلهم بالثرف ذئاب دلعها فلا
لم وعرض مأهب من ضياعهم . نهب العرب أكثر غزوة دمشق وقرى حولها . ثم سار عن دمشق إلى حمص وأمرهم المسافر
بها ، وأثبت من الكليين ألف فارس أخرى . وكان واشد بن سنان بن طليان قد قر من محبه يصور وزل على دمشق واستول
على أكثر أعمالها ، فلما وصل وفق إلى خاتة نهب عساكره أعمال شيزر . ووصل إلى جبل جوشن ظاهر حلب يوم الأربعاء
ثاني عشر ربيع الأول ، ووقع الطراد ، فاستأن سلطان القرمطي في حسيانة من الكليين إلى شمال وكان أخوه . . محتلا
بقلة حلب فاقبلوا يوم الجمعة واستراحوا يوم السبت والأحد . فرد وفق الخزانة السلطانية إلى خلفه وأمر المسافر برد
أنتقام ، فظنوا أنه يريد الخزانة وأعطوا من منتصف الليل يرسلون ، فأتىهم وفق يرسله فلم يرجعوا . وأسر الصبح فخرجت
الحمل من حلب نهبوا وأسروا ، وجرح وفق ثلاث جراحات وأسر وحمل إلى حلب - كشوف الرأس وقد اختلط عقله
لأجل الجراحات التي في رأسه ، فمجن ثلاثة أيام بالقلة ومات وقد أناف على إبتائين ففن بمسجد خارج حلب ، وأسر
الروم جماعة من المسكر فأتىهم غسطين ذلك وود الأمر وكسهم " ١٠٠

في سابع المحرم قُرىء سجلُ القاضي أبي محمد اليَازُورِي [٨٧٧ هـ] بالوزارة ، ولُقب بالوزير الأجلّ المكين ، سيد الوزراء ، تاج الأصفياء ، قاضي القضاة ، وداعى الدعاة ، علم المجد ، خالصة أمير المؤمنين ، وخلع عليه^(١) . فتنظر في الوزارة وليس من أهلها ، ولامن أرباب الكتابة ، فمضى فيها مَضَى الجواد ، ونهض مسرعاً نهوضاً عزَّ به في وُجُوهِ مَنْ تقدَّمه ، مع ما بيده من قضاء الفضله ، والدَّعوة ، والتنظر في ديوان السيدة . وكاتبَ ملوك الأطراف ، فأجابه ، بوفور حقِّه ، إلّا مَعَزُ الدولة بن بَاديِس الصَّنْهَاجِي صاحب إفريقية^(٢) ، فلأنه قَصَّر في المكاتبه عما كان يكاتب به مَنْ تقدَّم من الوزراء ، فلأنه كان يكاتب كلا منهم «بعيده» فجعل مكاتبته «صنيعة» . فاستدعى الوزير أبا القاسم ابن الإخوة ، وكيل ابن بَاديِس بمصر ، وعَتَب صاحبه عنده ، وقال : أَظُنُّ مَعَزاً ينقصني عَمَّن تقدَّمني ، إذا لم أكن من أهل صناعة الكتابة ، وإنَّ لم أكن أَوْفَى منهم فما أنا دُونُهم ؛ وَمَنْ رفعه السُّلطانُ ارتفع وإن كان خاملاً ، وَمَنْ وضعه انْضَحَ وإن كان جليلاً نبيلاً ؛ فاكتب إليه بما يُرْجِئُه إلى الصواب . فكتب إليه بذلك ؛ وقد أذكى الوزير عليه عيوناً يُطالِعُونَه بأنفاسه . فلَمَّا وقف على كتاب ابن الإخوة قال : ما الذي يريد مني هذا الفلاح ؛ لا كُنْتُ عبده ولا كان ؛ هذه

(١) ويوافق أول المحرم منها السادس والعشرين من مايو سنة ١٥٥٠ .

(٢) وخلع عليه المستنصر خطاً فاخرة : خلافة قسبا وطلاناً وقبسا ديبقا وطيلسانا ومائة قسبا . وحلّه على فرس رائع بموكب من ذهب وزنه ألف مثقال ، وقاد بين يديه خمسة وعشرين فرسا وبذلا بمراكب ذهب ونفحة ، وحلّ معه حسين سقا ثيابا أمثالاً ، وزاد في نموته وألقابه ، وخلع على أولاده ، وكتب له سجل التقليد بإنشاء ولي الدولة أبي على ابن خيران ، وقُرىء بحضرة المستنصر ياقه بين قواده وخلمه ووجوه أجناده . ذيل تاريخ دمشق : ٨٤ - ٨٥ .

(٣) بهامش الأصل تعريف به نصه : " الممز بن باديس بن المنصور بن يوسف بلكن بن زيري بن مناد الصنهاجي صاحب إفريقية ، لقيه الحاكم بأمر الله شرف الدولة . ولد في جلدى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، وملك بعد أبيه باديس ثلاث مقعين من ذي الحجة سنة ست وأربعمائة وعمره ثمانى سنين وسبعة أشهر . وتوفى في رابع شعبان سنة أربع وخسين وأربعمائة . ولا يعرف له اسم سوى الممز ولا يعرف له كنية . وقطع خطبة المستنصر للقائم بأمر الله الممالي .

لا يكون أبدا ، وما كتبتُ إليه فكثير . فطالَمَ عيونه يَقُولُه ؛ فَأَحْضَرُ ابنَ الإخوة وقال له :
 قد جرى صاحبك على عادته في الجهل ، فَاكْتُبْ إليه بما يردُّعه فيه ، وإلا عرَّفته بنفسى
 إذ لم يعرفنى . فكتب إليه بذلك ، فلجَّاب بما هو أفصح من الأول . فندس إليه الوزير من
 تَلَطَّف في أخذ سكين دواته ، فلما وصلت إليه أحضر ابن الإخوة وقال له : كنت أظنُّ
 بصاحبك أنَّ الذى حملَه على ما كان منه ثروة الشَّيْبَةِ ، وقِلَّة خبره بما تقضى به الأقدار ،
 وأنَّه إذا نُبِّه تنبَّه ، فلماذا الجهلُ مستولٍ عليه ، وضمَّنه أنَّ بعد المسافة بيننا وبينه يمنع من الانتصاف
 منه والوصولِ إليه بما يكره ، وقد تَلَطَّفنا في أخذ سكين دواته ، وهاهى [ذى] ، فأنفذها
 إليه وأعلمه أنَّ كما تَلَطَّفنا في أخذها أنَّا نتلطف في ذبحه بها . ودفعها إليه . فكتب ابنُ الإخوة
 بذلك ، فازداد شرا وبطرا . فندس عليه من أخذ نعله ، وكان يمشى في الأحذية السندية ،
 فلما وصلت إليه أحضر ابن الإخوة وقال له : اكتب إلى هذا البربري الأحق ، وقل له
 إن عقلت وأحسنت أدبَك ، وإلا جعلنا نأديبك بهذه . فجرى على عادته في القول القبيح .

وفيها توَّسل كَمَال بن صالح في الصَّفح عنه وأطلقَ المُسَوِّرين ، وسعى في ذلك على بن
 عباس قاضى صور ، وسيرَّ ثمال زوجته عليَّة بنت وثاب بن جعفر التميمى وولده وثابا
 إلى القاهرة ، ومعهما مَالُ سنتين ، أربعون ألف دينار . فقام اليَازُورى بأمرهم ، فقبلهم
 المستنصر ، وبالق في الإحسان إليهم ، وزاد في ألقاب كَمَال وألقاب مُقلِّد ابن عمه ، ولقب
 قاضى صور عَيْن الدولة .

وفيها ملك المستنصر حصن المنية بالشام .

سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة (١) :

فيها أظهر المعز بن باديس صاحب إفريقية ، الخلاف على المستنصر ، وسير رسولا إلى بغداد ليقيم الدعوة العباسية ، واستدعى منهم الخلع ، فأجيب إلى ذلك . وجّهت الخلع على يد رسول يقال له أبو غالب الشيزري ، ومعه العهد واللواء الأسود ، فمرّ ببلاد الروم ليعدّي منها إلى إفريقية ، فقبض عليه صاحب الروم (٢) . وبلغ ذلك المعز بن باديس ، فأرسل إلى قسطنطين ملك الروم في أمره ، فلم يجبه رعاية لحقّ المستنصر . واتفق قنوم رسول طغرل بك (٣) يستأذنه في مسيره إلى مصر ، فأظهر المودة التي بينه وبين المستنصر ، وأنه لايرخص بما على يده ، فدخل إلى القاهرة على جمل ، وأحرق الهدى واللواء والهدية في حفرة بين القصرين ، وكان القادر قد فعل مع الظاهر والد المستنصر مثل ذلك بالخلة التي سيورها إلى محمود بن سبكتكين (٤) . ثم أقرّ المستنصر ردّ الرسول إلى صاحب القسطنطينية .

وكان سبب عصيان [١٨٨] ابن باديس ما تقدّم من معصيره في مكتبة الوزير البازوري وما دار في ذلك (٥) .

(١) ويوافق أول الحرم منها الخامس عشر من مايو سنة ١٠٥١ .

(٢) ويته إلى المستنصر باث ، فقدم الرسول إلى مصر وهو جرس على حمل ، وحفر بين القصرين حفرة وحرق فيها العهد والخلع واللواء . نهاية الأرب . (والتجريس : التثجير ، وهو نوع من العقوبة شاع منذ ذلك العصر وكثر الجوء إليه أيام المماليك . وطريقته في بعض العقوبات أن يركب المشير به جلا ويحمل في يده جرسا يدهق ويملن عقوبته وذنيه أو أن يركب معه شخص يمثل المحتجب أو صاحب الشرطة ليدق الجرس كذلك) انظر : سفرنامه : ٩١ .

(٣) أول سلاطين السلاجقة الذين يلحق بدعولهم بغداد عصر نفوذ بني بويه في دولة العباسيين . واسمه ركن الدين طغرل بك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق . توفي سنة ٤٥٥ .

(٤) وكان ذلك سنة خمس عشرة وأربعمائة . وقد أرسل الظاهر الخلع إلى حسنك لا ابن سبكتكين ، فقبلها حسنك لأنهم غاف الخليفة القادر فلم يدخل بغداد ، وأرسل الخلع - بأمر ابن سبكتكين - إلى القادر ، فأمرها سنة ست عشرة وأربعمائة ، بمشهد من الناس ، وسبك الذهب ووزع على الفقراء .

(٥) يحدث ابن الأثير عن البازوري في هذه المسألة فيقول حسن ما يقول : ولم يكن من أهل الوزارة إماما من أهل التباة والفلاحة . . فكان المعز يتأمله : بصنعت : لا : بجمه . الكامل : ٩ : ١٩٥ - ١٩٧ .

وكان بطرابلس الغرب وما والاها زغبة ورياح ، وهما قبيلتان من العرب ، وبينهما حروب وعداوة ، فأحضر الوزيرُ مكيين الدولة أبا علي الحسن بن علي بن مُلهم بن دينار العقيلي ، أحد أمراء الدولة ، وكان رجلاً عاقلاً ، وسبّره إلى زغبة ورياح بخلع سنّية وأنعام كثيرة ، وأمره أن يصلح ذات بينهما ، ويتحمّل ما بينهما من ذنُباتٍ ، ويُفدّيه بالزيادة في إقطاعاتهما . فلما تمّ له ذلك أمرهم بالمسير إلى المعزّ بن باديس ، وأباحهم دياره ، وتشدّد في هذا الأمر حتى توجه المذكورون إلى ديار ابن باديس وملكوها ، وجمعوا دُيُوكَه عليه ، وقلموا أظفارَه ، وضيقوا خناقَه حتى لم يتمكن من قتالهم إلّا مستنداً إلى حيطان إفريقية . وذلك أنهم ملكوا برقة ، فسار إليهم المعزّ فهزموه ، وتبعوه إلى إفريقية ، وحصروا المدن ، فنزل بأهل إفريقية بلائاً لا يوصف ، فخرج إليهم المعزّ في أربعين ألفاً وقتلهم ، فهزموه إلى القيروان . ثم جمع ثمانين ألفاً وقتلهم ، فهزموه ، وأكثروا من القتل في أصحابه ، وحصروه بالقيروان . وأقاموا يحاصرون البلاد وينهبون إلى سنة تسع وأربعين ، فانتقل المعزّ إلى المهديّة^(١) في شهر رمضان منها ، حتى نفدت أمواله ، وقلّت عُدّته ، وتقلّت مده رجاله ، وأشرف على التّلف ، فلم يجد سبيلاً غير إعمال الحيلة في خلاصه . فخرج متخفياً في زِيٍّ امرأة حتى انتهى إلى المهديّة ، فاستولت الرُّبان على حره وداره وغلّمانه ، وقتلوا الرجال وسبوا النساء ، وانتهبوا ما كان في دُورِه وقُصوره ، وعاثوا في البلد يَنْهَبُون ويُأسرون ويقتلون ، فخرّبت القيروان حينئذٍ إلى اليوم . ووصل كثيرٌ مما نُهَب من قصور بني باديس من الأسلحة والثّدود والآلات والخيام وغيرها إلى القاهرة ، فكان ليَومُ دخولها إلى القاهرة أمرٌ عظيم من اجتماع الناس واعتبار أهل البصائر بِتَقَلُّبِ الأحوال .

وكان من خبر دُخُول القرب إلى المغرب أن بطون هلال وسليم من مُصر لم يزلوا في البادية ، ونجّسوا من نجد إلى الحجاز ، فنزل بَنُو سليم مما يلي للمدينة النبويّة ، ونزل بنو

(١) المهديّة على مسافة ستين ميلاً من القيروان ، أنشأها عبيد الله المهديّ أول الخلفاء الفاطميين : البكري : ١٢٩
معجم البلدان : ٨ : ٢٠٩ .

هلال في جبل غزوان عند الطائف ؛ وكانوا يطرقون العراق في رحلة الشتاء والصيف فيغيثون على أطراف الشام والعراق ؛ وكانت بنو سليم تغير على الحاج أيام الموسم وزيارتهم المدينة . ثم تجهز بنو سليم وكثير من ربيعة بن عامر إلى القرامطة عند ظهورهم ، وصاروا جنداً لهم بالبحرين وعمّان ، وقيموا معهم إلى الشام . فلما غلبت القرامطة في أيام المهزّ للبين الله أبي نعيم مَعَدَّ ، ثم في أيام ابنه العزيز بالله أبي منصور نزار ، واتهموا من الشام إلى البحرين نقل العزيز بالله مَنْ كان معهم من بنى هلال وسليم إلى مصر ، وأنزلهم بالجانب الشرق من بلاد الصعيد . وأقاموا هنالك وأضرّوا بالبلاد إلى أن ملك المهزّ بن باديس القيروان في سنة ثمان وأربعمائة ، وهو ابن ثمان سنين ، من قبّل الظاهر لإعزاز دين الله على بن الحاكم بأمر الله ، فامتدت أيامه حتى قام في الخلافة المستنصر بالله أبو نعيم مَعَدَّ بن الظاهر ، واستوزر أبا محمد اليّازوري ، فأُتِف من مكاتبته بالمولى ؛ وكان ما تقدّم ذكره .

فحلف المهزّ بن باديس كَيَحُولَنَّ الدَّعوة إلى بنى العبّاس ، ولجّ في ذلك ، وقطع الدعاء للمستنصر ، وأزال اسمه من الطُرز والرايات ، ودعا للقائم أبي جعفر بن القادر في سنة أربعين وأربعمائة ، وكتب إليه بذلك . فكتب إليه بالهدى صُحْبَة أبي الفضل بن عبد الواحد التّميمي ، فقرأ كتابه بجامع القيروان ، ونشر الرايات السود ، وهدم دار الإسماعيلية . ووصل الخبر بذلك إلى القاهرة ؛ فأشار اليّازوري بتجهيز أحياء هلال بن جُشْم . والأندلسيون ورياح وعدى وريصة إلى المغرب ، وتولية مشايخهم أعمال إفريقية . فقبلت مشورته . وأرسل إليهم في سنة إحدى وأربعين ، وحلّ إلى مشايخهم الأموال ، وأنتم على سائرهم بغزو ودينار لكل أحد ، وأبيع لهم حمى المغرب .

وكتب اليّازوري إلى المهزّ بن باديس : ه أما بعد ؛ فقد أنفدنا إليكم خيولاً فحولاً ، وأرسلنا عليها رجلاً كهولاً لِيَقْضِيَ [٨٨ ب] الله أمراً كَانَ مَقْضُوعاً ^(١) .

(١) سورة الأنفال : آية ٤٢ " . . . ولو تواعدتم لاختلتم في المياد ، ولكن يقضى الله أمراً كان مفعولاً . . . " .
 أو الآية : ٤٤ " وإذ يريكم إذ للقيم في أمينكم قليلاً ويقللكم في أمينهم يقضى الله أمراً كان مفعولاً " .

فسارت العرب إلى برقة ، وفنحروا أمصارها^(١) ؛ وكتبوا لإخوانهم اللين بشرق الصعيد يُرْعَبُونَهُمْ في البلاد ؛ فأعطوا من الدولة دينارين لكل واحد ، ومضوا إلى أصحابهم ، فتصارعوا على البلاد ، فحصل لتسلم الشرق ، وللال المغرب . وغربوا المدينة الحمراء وأجدابية^(٢) وسُرت^(٣) . وأقامت بطون من سليم وأحلافها بأرض برقة ، وسارت قبائل دياب وعرق وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر ، لا يمرّون بشيء إلا أنزوا عليه ، حتى وصلوا إلى إفريقية سنة ثلاث وأربعين . وكان أول من وصل منهم أمير رياح مؤنس بن يحيى العنزى ؛ فاستأله المعز بن باديس ، وكثر عيُثُهم في البلاد ، وناذوا بشعار المستنصر . فبعث إليهم المعز الساكر فأوقعوا بها ؛ فخرج إليهم في ثلاثين ألفا فهزموه ؛ وفرّ بنفسه وشخاصته إلى القيروان ، فنهبوا جميع ما كان معه ، وقتلوا خلقا كثيرا ، وحسروه بالقيروان حتى هلكت الفواحي والقرى .

واقسم العرب بلاد إفريقية في سنة ست وأربعين ؛ وكان لزغبة طرابلس وما يليها ، ولرداس بن رياح باجة وما يليها . ثم اقتسموا البلاد ثانيا ، وكان للال بن قابس^(٤) إلى المغرب ، وهم رياح وزغبة والمعلل وجشم وترنجة والأشبح وشداد والخلط وسفيان .

ونصّوح الملك من المعز بن باديس فركب البحر في سنة تسع وأربعين ؛ فدخل العرب القيروان واستباحوه وغربوا مبانیه ، ففترق أهلُه في البلاد . ثم أخذوا المهديّة وحاربوا

(١) يقول ابن الأثير : ظلموا حلوا أرض برقة وما والاها وجنوا بلادا كثيرة المرعى خالية من الأهل لأن زناثة كانوا أهلها فأبادهم المعز . الكامل : ٩ : ١٩٦ .

(٢) يعرف بها بإقوت ترميفا مقربا فيقول إنها بين برقة وطرابلس المغرب ، بينها وبين زويلة مسيرة شهر ، تقع وسط صحراء ، آبارها منقورة في الصفا ، وتغلها كثير ، وأهلها ذوو يسار وأكثرهم أنباط ، وبها بلد من عرساء لواتة ، ولها عرسى على البحر يعرف بالمادور بينه وبينها ثمانية عشر ميلا . معجم البلدان : ١ : ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) سرت ينتمى إلى سكنون الرأ ؛ على ساحل البحر المتوسط بين برقة وطرابلس تقع على الشمال من أجدابية . منها إلى طرابلس عشر مراحل وإلى أجدابية ست مراحل . معجم البلدان : ٥ : ٦٧ - ٦٨ .

(٤) غربي طرابلس على مسافة ثمان مراحل منها ، وهي بينها وبين مفاقس . وتبعد فاقس عن الساحل نحو ثلاثة أميال ، ولها سور ضخيم من الصخر . معجم البلدان : ٧ : ٧ - ٨ ؛ البكري : ٣ : ١٧ - ١٩ .

زنانة من بعد صنهاجة ، وغلّبهم على الفواحى واتصلت الفتنة بينهم فخربت إفريقية بأسرها ، وصيروا البربر لم خولاً . ومات المعزّ بن باديس سنة أربع وخمسين وأربعمائة . وكان المستنصر لما بَشَّتهم إلى إفريقية جعل المونس^(١) بن يعى المرداسى ولاية القيروان وباجة^(٢) ، وأعطى زغبة طرابلس وقابس ، وجعل الحسن بن مسرة فى ولاية قسنطينة ، فلما غلبوا صنهاجة ملك كل منهم ما عقد عليه ، فاشتدَّ عيْثُهم وإفسادُهم .

وفىها كانت وقعة البحيرة . وذلك أنّها فى إقطاع بنى قرة^(٣) وقد ملكوها وعَمَرُوا ضياعها ، وكثرت فيها أموالهم واشتدت شوكتهم ، وعُثِّنَ جانبهم ، وكثر المقتلون فيهم حتى انتشرد كرمهم ، وذُلُّ لم عُدَّهم ، وقُتِلَ أمرهم على الولاية بالإسكندرية ، فجاورهم الطلحيون واستلموا منهم ، وكانت لهم واجبات على الدولة من غير إقطاع ، وهم يأخلون واجباتهم محمولة مع واجبات العسكر بالإسكندرية عندما تُحْمَلُ إليها . فاتفق أن ناصر الدولة ابن حمدان أبى نصر الدولة حسين كان واليا بالإسكندرية . فاستحقَّ الطلحيون على الدولة ، عن واجباتهم المذكورة ، ثلاثة آلاف دينار ، فواصلوا اقتضاء ناصر الدولة إنفَاقَهم فيهم ، فوعدهم ، وكتب إلى الحضرة يَلْتَمِسُ ذلك ، فوعده الوزير أنّه إذا حمل إلى رجال العسكر استحقاقهم حمل ذلك فى جُثْلته . وكان قد بقى على حَمَلِ المال شهران ، فاستبعدوا الصبر إلى ذلك الوقت وواصلوا مُطالبتَه ، وحملوا القُرْبَيْن^(٤) على معونتهم

(١) فى الأصل : يونس ، والتصحيح اسمانة بما سبق فى المتن ، وما جاء فى الكامل : ٩ : ١٩٦ .

(٢) بجاية مرسى ومدينة ، وترجع أحيثا إلى ميناها الرئيسى ، ويقارب منها منازل كتامة الأنصار الأوائل الفاطميين .

البرى : ٨٧ : معجم البلدان : ٢ : ٦٢ .

(٣) يهاش الأصل تعليق نصه : " غلظه : بنو قرة يعن من سويد ، أى فى غزام ، وهم بنو سويد بن شد بن مية ابن القليب بن مرة بن سدير بن عبيد بن كعب بن حل بن سعد بن كيامه بن قطان ، وكيل إيالة بن حليس بن قطان بن سعد ابن زيان بن عمر بن غزام " . وشهم : بنو قرة : بن حور بن ويثة بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معد ابن بكر بن هوازن .

(٤) فى الأصل قترين بتشديد القاء . ولعل المصنف أكثر حصة إذ هو جمع لقري نسبة إلى بنى قرة .

عليه ، فاضطروه إلى المسير معهم إلى الحضرة لإلتباس ذلك ، فسار إلى الجيزة ، وطلع إلى الوزير وعرفه الحال ، فقال ما أخرنا ذلك عنهم إلا أن السنة كثيرة النفقات والطوارئ ، وهذه ألف دينار أنفقها فيهم إلى أن تحویل باقي مالم مع مال العسكر . فأخذ الألف وعرفهم ما قال الوزير . فامتنعوا عن الأخذ ، وأبوا إلا قبض الثلاثة آلاف ، وألزموه بالتؤد . فعاد ، وعرف الوزير ، فاحتفظ ، وأمرهم بألف أخرى . فنزل إليهم ، فأبوا إلا أخذ الجميع ، وجفروا في الخطاب ، فعاد إلى الوزير ، وعرفه ، فغضب وقال : إجابتهم إلى ما التمسوه دفعة بعد أخرى طمعتهم طمعتهم ، والله لا أطلق لهم درهما واحدا . واستعاد الألف دينار ، وتقدم بتجريد العسكر لهم ، فتسرع يزحف مع ليث الدولة كافور الشراي ، ونزل إليهم ، فإذا هم قد تأهبوا للقائهم . فجرت بينهم وفعة قتل فيها اثنان من العسكر وحجز بينهما الليل .

وبلغ الوزير ذلك ، فشق عليه إقداشهم على المحاربة ، سيما بنو قرة فإنهم صلوا الحرب وكانوا فيها أشد من الطليحين . فأخذ الوزير يجرّد إليهم المسافر ، فانظروا وجمعوا حشودهم ، والتفوا بكوم شريك^(١) ، وكانت الدائرة [١٨٩] عليهم وقتل منهم خلق كثير . وانزموا والمسافر تنبهم ، فأحاطت بأموالهم من كل ما يملكونه ، وفر بنو قرة إلى وجوههم إلى برقة ومنهم الطليحين ، فانقطع أفرهم من البحيرة إلى اليوم ، وصاروا مطردين في قبائل العرب نحواً من أربعين سنة .

وكان كل من بالحضرة يُفند رأى الوزير في تجهيز المسافر إليهم ويحكمون بأنهم لا يفارقون إلى البحيرة ، فجاء الأمر بخلاف ظنهم .

(١) من قرى إقليم البحيرة في الطريق إلى الإسكندرية ، وتنسب إلى شريك بن يحيى بن عبد يثوث التلقين المراسي ، وكان قد لجأ إلى دولته عندما هاجمه الزعيم وهو يتقدم جيش عمر بن العاص إلى الإسكندرية ، واحتصم بهذا الموضع حتى أدركه حصر وانقذه . مسجم البلدان : ٧ : ٣٠٣ - ٣٠٤ ؛ الخطط : قوانين القوانين .

ثم إنَّ الوزير رأى أنَّ في إقامة الساكر في أعمال البحيرة كلفةً كبيرةً ، فأرسل إلى بني سنابس^(١) ، وكانوا بالدارُوم^(٢) وفلسطين ، وقد ثقلت وطأتهم هناك وصعب أمرهم ، فعُدِّي بهم إلى البحيرة ، وهم أعداء قيس ، وأوطأهم ديارهم ، وأقطعهم أَرْضهم ، فمضى اسم بني قُرّة من هناك .

وكان تجهيزه للعسكر في شهر رمضان ، وتسييره لم إلى بني قُرّة في مُستَهل شوال ، فخطأه الناس في فعله ، وقالوا لم يجرّد عسكرٌ قط في شوال ، فظنوا أنه لا يؤمن على العسكر أن ينهزم وينكسر . وكان شمس الدولة زمام الأتراك والقيصرية ، وإليه زَم القصور والخدمة في الرسالة ، وليس أحد في الدولة يجري مُجرّاه جلالَةً وتقديماً ، بينه وبين الوزير مباينة شديدة ويترىص به الدوائر ، ويغتايل له الفوائِل ؛ فكان ينتظر لإنْزام العسكر ليقبض عليه . فلما أراد العسكر أن يسير من الجيزة ، ومقلمة ناصر الدولة ، قرّر معه لقاعهم في اليوم الخامس من شوال بطالع يخبره به ؛ وسير معه عدّة طيور من الحمام ليطالعه بما يكون يوماً بيوم .

فلما كان في ذلك اليوم ، وهو يوم خميس جلس في داره وقد اشتد قلقه وكثر اهتمامه بما يكون من العسكر ؛ واحتجّب عن الناس لئُشغل سره ، وجلس ينتظر الطائر . فلم يزل كذلك إلى الساعة الخامسة من نهاره ، فقام ليحدّد طهارة ، فعبرَ البُستان وقد أطلق الماء في مجاريه ، فرأى ورقة تمرّ على وجه الماء ، فأخذها مُتفائلاً بها ، فوجدها أوّل كتاب كان قد وصل من القائد فضل إلى الحاكم بأمر الله ، قد ذهبت طُرقته وعنوانه وبقى صدره ، وهو : « كتب عبد مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين من المخيم المنصور في الساعة

(١) جهل الأصل تعريف بهم تمة : " بنظ : سنس يطن من بطون طي " ، وم ولد سنس بن ميمون بن جزول بن ثعل بن عمرو بن القوث بن طي " بن جرد " - ٥١ .

(٢) قلعة بند غرة بالنسبة لقاصد مصر ، يرى الوراق فيها البحر إلا أن بينهما نحو فرسخ . وتسمى أيضاً الدارون .
سمج البلدان : ٤ : ١٣ - ١٤ .

الخامسة من نهار الخميس الخامس من شوال ، وقد أظفره الله عز وجل بعذو الله تعالى وعدو الحفصة المطهرة ، أنى ركة للخلول ، وهو فى قبضة الأسارى والحمد لله رب العالمين . فلما وقف على ذلك سجد شكراً لله تعالى ، وعجب من موافقة اليوم وعدة الأيام من شوال والإعلام بالظفر . ثم تجهز للصلاة ، فما فرغ حتى سقط الطائر بانكسار بنى قرّة وانزاهم ، ومامن الله تعالى به من الظفر بهم . فأخذ الكتاب والطائر وركب إلى القصر ، ودخل إلى المستنصر ^(١) وأوقفه على الكتاب ، فسرّ بذلك ، وأراه الطير وقال : هذا أعجب يا أمير المؤمنين ، وحديثه بخديته ، فعجب من هذا الاتفاق .

ثم تمّ أصلت رسل ناصر الدولة بالبشرى وشرّح الحال فى الظفر وانزاهم القوم ، فخلع على الوزير ، وزيد فى ألقابه الناصر للدين ، غياث الدين ، فتمّ له النظر وقوى أمره ، وذلك من كان يعاديه ، فجرى على عادته فى العفو والمجاملة .

وكان أهل جزيرة صقلية قد خالفوا الدولة غير مرة ^(١) ، لما فيهم من الشر والغلبة ، وطردوا الولاة . وصار إليهم المعز ابن باديس ، فملكهم عليهم وقد خرج عن طاعة الدولة ، فأساء السيرة فيهم ، وثقل عليهم ، فوثبوا عليه وأخرجوه منها . وكانوا ملك الروم ^(٢) ، فسار إليهم بطريق كبير ، فولّوه أمرهم مدة ثم وثبوا به وأخرجوه عنهم . وبعثوا إلى الحفصة يسألون إقالة عشرتهم والعفو عنهم ويسألون إيفاد وال . وكان بصقلية بنو أبي الحسين ، لهم رئاسة وفيهم من يؤهل نفسه لولايتها ، فسارت الخلع إلى رجل منهم يعرف بمستخلص الدولة ، فمكث فيهم زمناً ، ثم نفروا منه ، وبعثوا يسألون تغييره عنهم . فسير الوزير

(١) وحكامها مختلف من أسرة الكليين إلى أسبا ٣٣٦ الحسن بن أبي عل بن أبي الحسين الكلي . وقد قلب عليها فى هذه الفترة إلى تحدث عنها بعد ، ابن أمية ، القادر بالله ، للمصب وقد استعان بالزيرين أيام المعز بن باديس ، ثم استعان بعده بالنورستين . مصمم الأنايب .
(٢) وهو الإمبراطور قسطنطين التاسع .

رَجُلًا من أمراء الدولة يعرف بصَنْصَمِ الدُّوْلة ابن لؤلؤ ، وأَسْرُ إليه أَنْ يَتَلَطَّفَ في إِخْرَاجِ
بني أبي الحسين من صِقْلِيَّةٍ وَيَسِيرَهُمْ إلى الحضرة . فدخل إليها ، وَسَّاسَ أَمْرَهُ ، حتَّى بعث
بجميع مَنْ كان فيها من بني أبي الحسين . واستقام الأمر في صِقْلِيَّةٍ بخروجهم عنها .

وقام ببلاد اليمن رجل يعرف بعليّ بن محمد [٨٩ ب] الصُّلَيْحِي (١) يَنْتَشِيعُ ، فَحَسَنَ
له الدُّعَاةُ الدُّخُولَ في نصرته خَلْفَاءَ مِصرَ ، فَأَعْلَنَ [ذلك] بها ، ودعا أهل اليمن إليها ، وحمل
تجارهم مع هدية جليلة القدر تبلغُ زهاءَ عشرة آلاف دينار إلى المستنصر . وكان أبوه
قاضيًا باليمن سُنِّيَّ المذهب ، وزوجته أسماء ابنة عمّه شهاب ، وكانت أجمل خلق الله ؛ وهي أم
الدُّعَاةِ باليمن ، وَهَرَفَتْ بالحرّة . وكانت ذات عزٍّ وكرم ، وتفاخرَ بَنُوها بها ، ومُهلِحت .

وكان باليمن الدَّاعِي عامر بن عبد الله الرَّوَاحِي ، فاستأهل أبا الحسن عليّ بن محمد بن
عليّ الصُّلَيْحِي ، وهو صغير ، حتَّى مال إليه ، فلما مات عامر أوصى له بكتبه وعلومه ،
فدرسها حتَّى تَفَضَّلَعَ من معارفه وصار من فقهاء الشيعة ، وحج بالناس دليلًا خمس عشرة سنة .
ثم ثار في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وتزايد أمره ، ودعا للمستنصر . فكتب إليه
بما هو عليه ، واستأذنه في المسير إلى تهامة ، فأذن له . ولم يخرج سنة خمسَين وأربعمائة
حتَّى ملك السهل والجبل الوحر من بلاد اليمن .

وجَهَّزَ الوَزِيرُ إلى النُّوبَةِ ، فَأَصْعَفَ عليهم البَقَطُ (٢) ، وحملوه ، واستقر الأمر على ذلك .

(١) هو أبو كامل علي بن محمد بن علي ، كان أبوه قاضيًا سُنِّيَّ المذهب . وكان علي يهج بالناس خمس عشرة سنة على طريق
السراة والطائف . وتطلب في اليمن حتَّى ملكه وجعل كرسى دولته بصنماء ، وبني عدة قصور بها ؛ وزوجه أسماء بنت شهاب
المعروفة بالملكة الحرة خطب لها أيضًا على منابر اليمن ؛ وكانت إذا ركبت ركب في موكبها مائتا جارية بالخلل والجواهر ،
وبين يدها الجنائب بالسروج الذهب . وفيات الأعيان ؛ النجوم الزاهرة : ٥ : ١١٢ ؛ تاريخ اليمن لهارة اليمن . وتحدث
عنه ابن الأثير في الكامل في أثناء تقريره عن حوادث سنة : ٤٤٧ . الكامل : ٩ : ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢) الجزية التي كانوا يدفعونها للدولة في مصر . وأسله معاهدة عقدت بين عبد الله بن سعد بن أبي السرح وملك النوبة ،
ذات طابع سياسي اقتصادي ، كان من بين بنودها ألا يتعدى أسد الجانبين على الآخر ، وأن تقدم النوبة إلى مصر عددًا معينًا
من الرقيق كل سنة ، وتقدم مصر قدرًا من القمح والندى وغيرها ؛ وعرفت هذه المعاهدة باسم البَقَطُ ، كلمة لاتينية بمعنى
مقدّر أو معاهدة .

سنة أربع وأربعين وأربعمائة (١) :

فيها كتبت ببغداد محاضرات تتضمن القدر في نسب الخلفاء المصريين ونفسيهم من الالتحاق بعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وجميع سائر أعيان الفقهاء ببغداد وأشرافها وقضاتها ، وعزوا نسبهم في النبصانية^(٢) من المجوس . وشيرت المحاضر إلى البلاد ، وشئت عليهم تشنيع كبير . وسبب ذلك الغضب ما عمل مع الرسول المرسل من المعز بن باديس ، فإنه لما شهر بالقاهرة على جمل مقلوب ، وكتاب العقد في عنقه والمليّة بين يديه ، ثم أحرقت الخلع والتقليد ، أعجذ الرسول إلى ملك الروم ، فعزّ عليه ما فعل واعتذر إليه منه ، فإنه كان قد ضمن له من مصر لإعادته إليه سالماً بعد ما جرت مخاطبة في طلبه . ثم أعاده ملك الروم إلى بغداد ، فوهل في سنة أربع وأربعين هذه .

وسبب عوده أن المعز بن باديس بعث رسوله أبا القاسم بن عبد الرحمن إلى بغداد في ذلك ، فبعث معه الملك طغرليك ، أبا علي بن كبير ليخاطب ملك الروم في ردّ أبي غالب ، وكتب معه كتاباً عنوانه : « من ركن الدين وغيث المسلمين ، بهاء دين الله وسلطان بلاد الله ، ومغيث عباد الله ، أبي طالب عيسى الخليفة أمير المؤمنين ، إلى عظيم الروم » . ومضمونه بعد البسملة : « الحمد لله القاهرة سلطانه ، الباهر برهانه ، العلّ شأنه ، السابغ إحسانه » ، ثم مرّ فيه إلى أن قال : « وقد نجّم بمصر منذ سنين ناجم ضلالة يدهو إلى نفسه ، ويفتر بمن أغواه من حزبه ، ويحتقد من الدين مالا يستجيزه أحد من أهل العلم في الائمة الأول وهذا العصر ، ولا يستحسنه عاقل من أهل الإسلام والكفر » . ثم ذكر الرسول أبا غالب وعاتب في أمره ، وطلب تسييره مخفوراً إلى المعز بن باديس . فقدم إلى قسطنطين ، متملك

(١) ويرافق أول الحرم منها الثالث من مايو سنة ١٠٥٢ .

(٢) نسبة إلى ديسان صاحب نبتاً عبادة إلى التور والظلمة . وقد سبق هذا المجلس مجلس مشابه عقد سنة ٤٠٢ من القادر بالله العباسي .

الروم ، بالقسطنطينية في صفر من هذه السنة ، فقتلناه الملك وأدخله عليه ، وسأله عن السلطان طغرلبيك ؛ فذكر له الرسالة ، وطلب منه مقاطعة صاحب مصر ، وإطلاق أبي غالب ، وإرسال رسول المعز إليه . فقال له : صاحب مصر مجاور لنا ^(١) ، وبيننا وبينه عهود وهدنة ، وقد بقي منها سنتان ، ولا يمكن قسحها ؛ وأما رسل المعز والرسول إليه فهم قوم يستون في الفساد . وتردد القول إلى أن أطلق أبا غالب وأجازه إلى المعز ، وعاد أبو علي ورفيقه إلى بغداد في بقية السنة .

وفيهما قصر مد النيل ^(٢) ، ولم يكن في المخازن السلطانية شيء من الغلال ، فاشتدت المسغبة بمصر . وكان لخلو المخازن السلطانية من الغلال سبب ، وهو أن الوزير اليانزوري لما تقلد وظيفة قضاء القضاة في وزارة أبي البركات الجرجاني كان ينزل إلى الجامع بمصر في يوم السبت والثلاثاء من كل جمعة ، فيجلس في الزيادة منه للحكم ، على رسم من تقدمه من القضاة ، وإذا أقبل المعز طلع إلى القاهرة . وكان في كل سوق من أسواق مصر على أبواب كل صنعة من الصنائع عريف يتولى أمورهم ، وكانت حادة أخيار مصر في أزمته المسغبة متى بردت لأيرجع منها إلى شيء لكثرة ما تُفش به . وكان لعريف الخبازين دكان وكان يبيع الخبز ، ويحذاها دكان لصُعلوك يبيع الخبز أيضاً ، وكان منقورة يومئذ أربعة

(١) لصاحب النجوم الزاهرة رأى طريق في مثل هذا القتب جاء فيه " أول ما سمنا من هذه الألقاب لقب بهاء الدولة ابن بويه (ركن الدين) . قلنا (التال صاحب النجوم) لعل ذلك كان تعظيماً في حقه لكونه سلطاناً ، فيكون هذا في هذا الحكم هو أول لقب لقبه في الإسلام . والله أعلم . ومن يومئذ ظهرت الألقاب وتناثرت فيها الأماجم حتى لم يدعوا شيئاً إلا وأضافوا الدين له . وأنا بالله أسلف لو ملكت أمري ما لقيت بحال الدين ولا غيره وأكره من يسمي بذلك ولا أقدر على تغيير الاصطلاح . وهذا لا يكون إلا من أول أمر أساك بيلة " ٥١٠ ، النجوم الزاهرة : ٤ : ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢) كانت زيادة النيل في هذه السنة سبع عشرة ذراعاً وخمس أصابع . النجوم الزاهرة : ٥ : ٥٤ . وهذا ليس تصوراً . يقول ابن ماني : إذا أوفى النيل ستة عشرة ذراعاً فقد وجب الخراج ، وإذا زاد من ذلك ذراعاً زاد في الخراج مائة ألف دينار ، فإن نقص ذراعاً نقص الخراج مائة ألف دينار . قوانين النواوين : ٧٦ . (ويذكر أيضاً أن الدراع التي يقاس بها إل اثني عشر ذراعاً ثمانية وعشرون أصباً ، ومن بعد ذلك يكون القنارح أربعة وعشرين أصباً . نفس المصدر) .

أرطال بدرهم ومن . فرأى الصعلوك أن خبزه قد كاد [١٩٠] يبرد ، فخاف من كساده ، فنادى عليه أربعة أرطال بدرهم ليرغب الناس فيه ، فقال إليه الزبون فاشترؤا خبزه لأجل تسمُّحه بشمن درهم ، وبار خبز العريف ، فغضب ووكّل به عونين من الحصة^(١) أغرمه درهم . ووافق ذلك نزول قاضي القضاة إلى الجامع ، فاستغاث به ، فأمر بإحضار المحتسب وأنكر ما فعله ، واعتلّ بأن هذا من العريف وأنه لم يتحقق باطن الحال . فأمر القاضي بصرف ذلك العريف وأن يُقرَّم ما أخذ من الخباز ، والتفت إلى صاحب ديوانه ، وقال : ما معك فادفعه إلى هذا الخباز . فنأوله قرطاسا فيه ثلاثون ربايعا ، فكاد عقله يطير فرحا . وعاد فنادى على الخبز خمسة أرطال بدرهم ، فقال إليه الناس ، وهو ينادى بزيادة رطل برطل ، إلى أن بلغ عشرة أرطال بدرهم . وانتشر ذلك في البلد جميعه ، وتسامع الناس به فتسارعوا إليه ، فلم يبق في البلد خباز حتى باع عشرة أرطال بدرهم .

وكانت العادة أن يُبتَّاع في كلّ سنة غلّة للسلطان بمائة ألف دينار ويحمل متجرا^(٢) . فلما عاد القاضي إلى القاهرة مثل بحضرة الخليفة وعرفه ما مرّ به في يومه من إرغاص السعر بغير موجب ، وقال : يا مولانا ، إن المتجر الذي يُقام بالغلّة فيه مضرة كبيرة على المسلمين ، وربما انحطّ السعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها ، فتتغير في المخازن وتتلّف ، وأنه يقام متجر لأكلفة على الناس فيه ، ويفيد أضعاف فائدة الغلّة ، ولا يُخشى عليه من تغيير في المخازن ولأن انحطاط سعره ، وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعلل وما أشبه ذلك . فأمر الخليفة مارآه ، وبطل المتجر في الغلة وتوسع الناس بذلك .

(١) الحصة وظيفة دينية في أساليب مدنية اجتباها في طيبة اختصاصها إذ كان المحتسب يشرف على أرباب الحرف والملايش ليطمئن على سلامة قيامهم بوظائفهم ، وعلى الحمالين ونظا بالحيرانات ، وعلى الطرق يمنع من المفاصلة لها ، وعلى مكاتب الصبيان ليحذر المسلمين من شرب الصبيان شرابا مبرسا ، وعلى المكابيل والموازن ، وعلى الآداب العامة ... الخ والمحتسب مسؤولون يختارهم ويقومون منه مقام رجال الشرطة أحيانا لمراتبة تنفيذ أوامره وللمراقبة المتألفين .

(٢) المتجر - كما يعرف ابن علقم - ما يتبع للديوان من بضائع التجار الواردة ما تدور إليه الحاجة وتقتضيه في طلب الفائدة المصلحة : قوانين القوانين : ٣٢٧ .

فيها أيضا قصر مدّ النيل^(١) ؛ ونزع السر ؛ ووقع الوباء . ولم يكن في المخازن السلطانية إلا ما ينصرف في جريات مَنْ في القصور ومطبخ الخليفة وحواشيه لا غير ، فورد على الوزير مِنْ ذلك ما أهّمه . وصار سر التّليس ثمانية دنانير ، واشتد الأمر على الناس . وكان التجار بين نار المعاملين وضيق الحال عليهم في القيام للديون بما يجب عليهم من الخراج ، ومطالبة الفلاحين بالقيام به ، يبتاعون منهم غلاتهم على أن يصبروا عليهم إلى حين إدراكه بسعر يربحون فيه . فإذا استقرت مبيعاتهم لهم خَصَرُوا منهم للديون ، وقاموا عنهم للجدد بما يجب عليهم ، وكتب ذلك في روزنامج الجند مع مبلغ الغلة ؛ فإذا أدركت الغلة وصارت في الأجران يكتالونها ويحصلونها إلى مخازنهم . فمَنعهم الوزير من ذلك ، وكتب إلى العمّال بجميع النواحي أن يستعرضوا روزنامجات الجهابذة^(٢) ، ويحضروا منها ما قام به التجار من المعاملين ، ومبلغ الغلة الذي رفع الإيقاع إليه ، وأن يقدّموا للتجار ما وزنوه للديون ويُرَبِّحُوهم في كل دينار ثمن دينار ؛ ويضَعُوا خُصومهم على المخازن ويطلبوا ما يَحْصُل تحت أيديهم بها . فلما تحسّلت بالنواحي جهّز المراكب بحمل العلات ، وأودعها المخازن السلطانية بمصر ، وقرر ثمن كلّ تليس ثلاثة دنانير بعد أن كان ثمانية دنانير . وسلم إلى الخبازين ما يبتاعونه لعمارة الأسواق ووظف ماتحتاج إليه القاهرة ومصر ، فكان ألف تليس في كل يوم ، لمصر سبعمائة وللقاهرة ثلثمائة^(٣) . فقام بالتدبير أحسن قيام مدّة عشرين شهرا ، حتى أدركت الغلة فتوسع الناس بها ، وزال عنهم الغلاء .

(١) ويرافق أول المحرم منها الثاني عشر من إبريل سنة ١٠٥٤ وقد أسقط سنة : ٤٤٥ .

(٢) كان الفرق بين الزيادة في هذا العام وفي عام ٤٤٤ أصبا واحدة ، إذ كانت الزيادة سبع مرة فدأما وأربع أصابع . ومرة أخرى هذا لانه قصورا .

(٣) جميع جهته وهو كاتب يختص برسم استخراج المال وتقبضه وكتب الصولات به ، وعليه عمل الخازن والروز نامجات والمهمات وتواليها ، ويطلب بما يقبضه ويخرج ما يرفقه من الحساب اللازم له . قوانين للدواوين : ٣٠٤ .

(٤) ولهذا التوزيع دلالة على مدى كثافة السكان في كل من مصر (الفسطاط وبلدقها) والقاهرة . وقد اشتهلت القاهرة في تخطيطها الأول - وهو التخطيط الذي صيغته العامة طوال العصر الفاطمي - على قصور الفاطميين ودواوين الحكومة ومجمعات الجند في حاراتهم (مثل حارات زويلة وكثامة والآراك . . . إلخ) ، بينما اشتهد السكان في مصر الفسطاط وبلدقها .

وكان عند استقرار الهدنة مع قسطنطين ملك الروم ، في أيام وزارة أبي نصر الفلاحى ، قد وصل رسولان أحدهما هو المتكلم المترجم ، وكان داهيةً أدبياً شاعراً نحوياً فيلسوفاً وُلد بالروم ونشأً بأنطاكية ، ودخل العراق ، ولقِنَ من العلوم والآداب ما بعدُ به صيته ، وكان يعرف بابن أصفهانوس ، والآخر متحمل الهدية ، وهو صاحب حرب يعرف بميخائيل . فرأيا^(١) من حسن زى الدولة وجميل صيرتها ما أعجبا^(٢) به ، لاسيما [٩٠هـ] ميخائيل ، فإنه أطربه مارأى وحسن موقعه في نفسه . وسارا وقد امتلأت قلوبهما بحبة ما شاهداه . فاتفق هلك الروم وتملك ميخائيل هذا ، قبله ما يحصر من الغلاء ، فحمل إليها مائة ألف قفيز قمحا ، وقدم كتابه أمامها يعين الغلة والكيل الذى تستوى به إذا وصلت ، فأنتهت إلى أنطاكية . وأعدت هدية الهدنة على ما جرت به العادة ، وهدية من ماله . قلما رأى الروم ذلك ظنوا به الميل إلى الإسلام ، فقتلوه في ثامن شوال ، فكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر ، وعمره أربع وخمسون سنة وشهر واحد . وأقاموا رجلا يعرف بابن سقلاروس من أهل أنطاكية ، وكان لَجُرجًا غبيثاً حليدا ، فاعترض الهديتين وأخذهما ، وقال : أنا أنفع بهما وأنفعُ ثمنهما على قتال المسلمين .

وكانت للوزير بالقسطنطينية عيون ، فكتبوا إليه بذلك ، فسير مكين الدولة الحسن ابن على بن ملهم الكُتلى إلى اللاذقية في عسكرٍ لحصارها والتضييق على مَنْ فيها ، فحاصرها حتى اشتد على مَنْ فيها الأمر . فكتب ابن سقلاروس ، متملك الروم ، إلى الحضرة يستوضع مالى الذى أوجب ذلك ، فأجيب أن الذى أوجبه ما كان قَمَلَه في نَقْض ما استقرَّ مع مَنْ تقدمه من الهدنة ، وقبض الهدية ، والهدية التى ليست من ماله . فأجاب بأنه يحمل الهدية ، فاشترط عليه إطلاق مَنْ في بلاد الروم الأسرى . فَنَجَّاب بأنه إذا أطلق مَنْ لهم في بلاد الإسلام من أسرى الروم أطلق مَنْ [في] بلاد الروم من أسرى المسلمين . فأجيب بأنه

(١) في الأصل : فرلوا . . . وما أحبوا . . . وهكذا في بقية أمثال هذه الجملة وغيرها .

لايصح التأسسه لذلك ، لأن من أسر من بلاد الروم تغرقوا في الممالك بالهراق والدولة الفاطمية والمغرب واليمن وغير ذلك ، ولاحكم الحضرة على جميع الممالك ، ويرتجع منها ما صار في أيدي أهلها ؛ وبلاد الروم بخلاف ذلك ، ومن حصل فيها من المسلمين كمن هو مُنْقَلَبٌ في دار واحدة لايمكنه الخروج منها إلا بإذن أهلها ؛ وبين الحالين فرقٌ كبير . فأجاب بأنه لا يطلق مَنْ في بلاده من أسرى المسلمين . فاشتراط عليه النزول عما صار في أيدي الروم من الحصون الإسلامية ؛ فامتنع من ذلك وقال إذا سلم إلينا ما صار في أيدي المسلمين من حصون المسلمين من حصون الروم سلم ما في أيديهم من حصون المسلمين . فبدل الجيش بجيش آخر ، وخرج مع مقدمه الأمير السعيد ليث الدولة ، فنازل الأذقية حتى فتحها ، ووقع العنق فيها . وأجيب بأنه لا يصح أن يسلم إليهم ما صار في أيدي المسلمين من الحصون لأنهم قد أنبتوا فيها القنارات وأنشئوا فيها البساتين . فقال : يُدفع لهم عن أملاكهم وما أنشئوه من البساتين وغيرها ، وما أنفقوه فيها ، وينتقلون عنها إلى غيرها من بلاد المسلمين . فأجابوا إلى أن يسلموا ما في أيديهم من الحصون الإسلامية .

وكانت العادة جارية بأنه إذا وصلت هدية من الروم إلى الحضرة تُقَوَّم ويحمل إليهم هدية موضعها بثلثي قيمتها ، ليكون الإسلام مزية عليهم بالثلث ؛ فاشتراط أن يكون قيمة ما يُحْمَل إليهم من الهدية عوضاً عن قيمة هديتهم النصف ؛ فأجابوا إلى ذلك أيضا . فاشتراط عليهم أن يردوا كل من تَصَنَّمه دار البلاد ، التي هي دار الملك ومحلّه ؛ فامتنع من ذلك . فأمد الجيش بجيش ثالث وعليه أميران ، هما موفق الدولة وخاض بن فاتك وأبو الجيش صكر بن الحل ، ومقاد جميع الجيش إلى الأمير مكين الدولة وأمينها ابن ملهم . فأوغلوا في بلاد الروم ينهاون ويقتلون ويسُروُن حتى أعظموا التكاية فيها ، والرسل والمكاتبات تنرود ، إلى أن استقر القيام بالجزية التي التمسها أمراء البلاط ، وجهزت الهدية . وبلغت الجزية المذكورة نيفا وثلاثين ألف دينار .

وحمل ذلك إلى أنطاكية ، فبلنهم قتل الوزير ، فأعيدت إلى القسطنطينية . وزُينت بلاد الروم لوته ، وكثر ابتهاجهم بما صُرف عنهم من خشونة جانبه عليهم ، وشدة شكيمته .

وأما ابن ملهم فإنه لما أوغل في بلاد الروم وقارب أفامية وجال [١٩١] في أعمال أنطاكية نهب وصبي ، فقدمت من القسطنطينية قطائع يقال إن عدتها ثمانون قطعة ، فكانت بينها وبين ابن ملهم حروب آلت إلى أن أُسر هو وجماعة من أعيان العرب في آخر ربيع الآخر .

وفيها استدعى راشد بن عليان بن سنان ، أمير الكلبين ، فاحتفل بالقاهرة ، وردت إمارة بنى كليب لنبهان القريطى . وقبض على إقطاع راشد وأخيه مسبار ، وهو مقيم بظاهر دمشق ، ففرّ إلى غالب بن صالح . فكتب المستنصر إلى ثمال ينكر عليه تسيير هدية إلى ملك الروم ، فتحيّر في أمره واعتذر .

فيها سَيرَ المستنصر إلى كنيسة قُمامة ، فأحاط بجميع ما فيها . وذلك أن القاضي أبا عبد الله القاضي كان قد توجه من عند الخليفة برسالة إلى متملك الروم ، فقدم وهو بالقسطنطينية رسول السلطان طغرل بك بن سَلجُوق يلتمس من الملكة ثيودورا^(١) أن تمكن رسوله من الصلاة في جامع قسطنطينية ، فأذنت له في ذلك ، فدخل إليه وصلى به ، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي . فبعث القاضي بذلك إلى المستنصر ، فأحاط بما في قُمامة وأخذه ، وأخرج البطريرك منها إلى دار مُفَرَّدة ، وأغلق أبواب كنائس مصر والشام ، وطالب الرهبان بالجزية لأربع سنين ، وزاد على التصاري في الجزية . وكان هذا ابتداء فساد ما بين الروم والمصريين .

وفيها تجمّع كثير من التركمان بحلب وغيرها ، وأفسدوا في أعمال الشام^(٢) .

وفيها تزايد الغلاء ، وكثر الوباء ، ومم الموتان بديار مصر .

وفيها سار مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم من القاهرة بالعساكر ، ونودي في بلاد الشام بالفرز والجهاد . واستدعى راشد بن عليان بن سنان إلى القاهرة ، وقرّر معه أن يسير في قومه الكلبيين مع ابن ملهم ، ثم قبض عليه . وعقدت إمارة الكلبيين لنبيهان ، وقيل لسنان ، فنزل ابن ملهم أقمية ، ثم سار إلى حصن قسطل فحصره عشرين يوماً حتى أخذه .

(١) وهرالفز قول المزمع منها الخلف من إربل سنة ١٠٥٥ .

(٢) ملكة الروم ، إمبراطورة بيزنطة .

(٣) وكان يحسب التركمان هذا بدءاً لمصر نفوذ السلاجقة في تاريخ خلافة الباسين . وسيروى تقدم التركمان - السلاجقة - في إجماع الشام إلى نتائج وضاعتات عديدة أهمها : الاحتكاك المستمر بالفاطمين ، وتدهور نفوذ هؤلاء بالشام ، والتوسع الإسلامي في آسيا الصغرى على حساب البيزنطيين ، والصدام العنيف بين الشرق والغرب الذي اتخذ شكل الحروب الصليبية .

بالأمان ، في ثامن ربيع الأول سنة سبع وأربعين . وعاد إلى أقامية فحصرها ورماها بالمجانيق ، فطلبوا الأمان على أن يرحل عنهم ، فلما رحل أحرقوا القلعة وانهزموا ، فلحقهم وقتلهم ، وأطفأ النار من القلعة ، وأغار على البلاد ، فلم يكن بأنطاكية من يلب عنها ، وجمع كل طامع في النهب بحجة ابن ملهم . وتوسط قنّال بن صالح للصلح ، فلم يتم . وسيّرت الملكة ثيودورا أسطولاً إلى أنطاكية ، فوصل اللاذقية ثمانون قطعة ، وخرج دوقس أنطاكية ويتركها في جماعة ، فظفروا بشيتيين^(١) للمسلمين معهما الغنائم ، فسار ابن ملهم نحوهم ، وكشف الروم إلى طرف أنطاكية ، واستنقذ الأمرى منهم وقتل منهم خلقاً كثيراً . فدار الأسطول إلى طرابلس وقتلوا أهلها ، فقتل من القريقيين خلائق . وعاد الأسطول الرومى إلى اللاذقية ، فماتت الملكة ثيودورا بعد سبع سنين من ملكها وتسعة أشهر والنسب عشرة ليلة ، وملك بعدها ميخائيل .

(١) والجميع شوان ، مركب حربية لها مائة وأربعون مجدانا ، وكانت تعد أكبر سفن الأسطول ، تقام لها الأبراج
للدفاع وتشن بالمقاتلة ، ويقابلها بالفرنسية Galère . قوانين المراكب : ٣٣٩ - ٣٤٠ . Dazy; Supp. Dict. Ar.

سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (١) :

فيها جهزت الأموال لأبي الحارث البساسيري ، فخرج بها المؤيد في الله عبد الله بن موسى ، وجمعتها ألفاً ألف وثلثمائة ألف دينار ، العين ألف ألف وتسعمائة ألف دينار ، والعروض أربعمائة ألف دينار .

وكان من خبره أنه كان من جملة المالك الأتراك فصار إلى بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه^(٢) ، رجل من أهل قنسا^(٣) ، إحدى مدائن فارس ، فلذلك قيل له البساسيري ، وتنقل في الخدم حتى صار مُقَدِّم الأتراك ببغداد في أيام الخليفة القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن أحمد القادر^(٤) ، وتلقب بالمظفر . وكان القائم لا يقطعُ أمراً دونه . فطار اسمه ونسبته أمراء العرب والعجم ، ودُعي له على منابر العراق والأهواز ، وتجبَّر . وأراد في سنة ست وأربعين من الخليفة أن يسلم إليه أبا الغنائم وأبا سعد ابني المحلبان ، صاحبي قریش ابن بدران صاحب الموصل^(٥) ، فلم يُمكنه من ذلك . فسار إلى الأنبار ونصب عليها المجانيق ، وهدم سورها وأخذها قهراً ، وأسر أبا الغنائم [٩١ ب] ابن المحلبان^(٦) ومائة رجل من بني خضاعة ، وكثيراً من أهل الأنبار . ورجع إلى بغداد وأبو الغنائم بين يديه على جمل في رجليه قيد ، فصلب كثيراً من الأسرى .

(١) ويوافق أول الحرم منها الحادي والعشرين من مارس ١٠٥٦ .

(٢) بهاء الدولة أبو نصر خيروز بن عضد الدولة أبي شجاع خسرو بن ركن الدولة أبي حل حسن ، حكم في العراق بين سنتي ٣٧٩ - ٤٠٣ (٩٨٩ - ١٠١٢) ونظم فارس سنة ٣٨٨ (٩٩٨) . Mohammadan Dynasties .

(٣) بنا بالياء للمنفوخة ، وبالفاء أيضا . والنسبة إليها نسوي ، وأهل فارس يقولون في النسبة إليها - شاذوا -

البساسيري . معجم البلدان ٢ : ١٦٧ ، التاجم الزاهرة ٥ : ٢ .

(٤) خليفة الباسيين بين سنتي ٤٢٢ - ٤٤٧ .

(٥) علم الدين أبو المالك قریش بن بدران بن المفلح ، أمير الموصل وحلب بين سنتي ٤٤٣ - ٤٥٣ ، انتزع البساسيري منه الموصل سنة ٤٤٨ . الكامل ٩ : ٢٠٨ وما بعدها ، معجم الاساب .

(٦) وكان قد أتى نفسه في الفرات تجنبا للوقوع في الأسر . الكامل ٩ : ٢٠٩ . ورجع به إلى بغداد وعليه لیس أسير وعلى رأسه برنس . نفس المصدر .

وَأَتَمَّتْ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَصُولُ زُورِقٍ فِيهِ ثَمَرٌ لِلْبَسَاسِيرِيِّ ، فَخَرَجَ
إِلَيْهِ ابْنُ سَكْرَةَ الْهَاشِمِيُّ فِي جَمَاعَةٍ ، فَأَرَاكَوهُ وَنَبَّيَا كُورَهُ وَأَخْلَوْا دَوَابَّهُ ، وَكَانَ هُوَ إِذْ ذَلِكَ
فِي نَوَاحِي وَاسِطٍ . فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ نَسَبَهُ إِلَى الْوَزِيرِ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمُسْلِمَةِ (١) ،
فَعَظَمَتْ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَزِيرِ . وَسَارَ إِلَى دَيْيَسِ بْنِ بِلْدَانَ وَهُوَ مُسْتَوْحِشٌ ، فَوَافَتْ رَسْلَ
طُغْرَيْلِكِ بْنِ مِيكَالِ بْنِ سَلْجُوقٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِإِظْهَارِ الطَّاعَةِ ، فَتَقَرَّرَ الْأَمْرُ مَعَ الْمَلِكِ
الرَّحِيمِ خُثَمَرُو قَيْرُوزِ بْنِ أَبِي كَالِيَجَارِ الْمَرْزُبَانِ ابْنِ سُلْطَانَ الدَّوْلَةِ أَبِي شِجَاعٍ ، عَلَى أَنَّ يَخْطُبَ
لَطُغْرَيْلِكِ بِبَغْدَادٍ ، فَخَطَبَ لَهُ لَثَامَ بَقِيَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا .

ثُمَّ إِنَّهُ نَدِمَ إِلَى بَغْدَادٍ وَقَبِضَ عَلَى الْمَلِكِ الرَّحِيمِ وَعَلَى جَمَاعَةٍ ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِ إِلَى قَلْعَةِ
السَّيْرَوَانِ ، وَفَرَّ مِنْهُ قَرِيشٌ ، ثُمَّ إِنَّهُ خَطَعَ عَلَيْهِ وَرَدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ (٢) ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ الْإِجْتَادِ
الْبَغْدَادِيِّينَ وَأَمَرَهُمْ بِالسَّعْيِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ، فَسَارَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ . وَبَعَثَ طُغْرَيْلِكُ
إِلَى الْأَمِيرِ نُورِ الدِّينِ دَيْيَسِ بْنِ بِلْدَانَ أَنَّ يُخَضِّرَ إِلَيْهِ الْبَسَاسِيرِيَّ ، فَاتَّزَمَ لَهُ بِذَلِكَ . وَبَلَغَ
الْبَسَاسِيرِيَّ الْخَبَرَ ، فَسَارَ إِلَى رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ ، وَكَاتَبَ الْمُسْتَنْصَرَ يَطْلُبُ مِنْهُ الْإِذْنَ
لَهُ فِي التَّخَوُّلِ إِلَى حَضْرَتِهِ ، فَأَشِيرَ عَلَى الْمُسْتَنْصَرَ بِأَلَّا يُمَكِّنَهُ مِنَ الْحُضُورِ ، وَأَنَّ يَعِدَهُ
بِمَا يَرْضِيهِ ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْخَلْعَ . فَبَعَثَ يَسْأَلُ فِي النَّجْدَةِ ، وَيَلْتَزِمُ بِأَتَاخِذَ بَغْدَادَ وَإِقَامَةَ الْخُطْبَةِ
بِهَا لِلْمُسْتَنْصَرَ وَإِزَالَةَ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَأَنَّهُ يَكْفِي فِي رَدِّ طُغْرَيْلِكِ عَنْ قَصْدِهِ الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ .
فَجُهِزَتْ إِلَيْهِ خَزَائِنُ الْأَمْوَالِ الْعَظِيمَةِ عَلَى يَدِ الْمُؤَيَّدِ فِي الدِّينِ أَبِي نَصْرَةَ اللَّهِ بْنِ مُوسَى
فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ ، حَيْثُ لَمْ يُتْرَكْ فِي خَزَائِنِ أَمْوَالِ الْقَصْرِ شَيْءٌ أَلْبَنَةً .

وَخَرَجَ خَطِيرُ الْمَلِكِ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَزِيرِ مِنَ الْقَاهِرَةِ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ ، وَمَعَهُ مِنْ كُلِّ مَا يَبْرِدُ ،

(١) رَأْسُ الرُّؤَسَاءِ عَلَى يَدِ الْحَيْثِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْخَلِيفَةِ . النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ : ٦ : ٥ .

(٢) وَكَانَ قَرِيشٌ قَدْ فَرَّ بَعْدَ أَنْ نَبَّيَا التُّرْكَانَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَطْلُقْهُ التُّرْكَانُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُرْسِلَ الْخَلِيفَةُ
إِلَى السُّلْطَانِ يَحْتَجُّ عَلَى أَعْمَالِ الْبَغْيِ وَالْأَمْرِ وَجَدَّ يَتْرَكَ بَغْدَادَ . الْكَامِلُ : ٩ : ٢١٢ - ٢١٣ .

حتى أخذ أحواض الخشب وفيها الطين المزروع فيه سائر البقول برّتهم مائدته . ومعه من خزان الأموال والأسلحة والآلات والأمتعة مايحفل وصفه . فسار إلى القدس ، ورحل منها إلى اللاذقية يريد فتحها . فلما كان في شوال منها واقع البسائري ودبيس^(١) قريش ابن بدران العقيلي صاحب الموصل وقتلهمش ابن عم طغرليک ، وكان طغرليک قد سيره إلى سنجار^(٢) في ألفين وخمسمائة فارس . فكانت الواقعة المشهورة التي لم يفلت منها إلا مائتا فارس أو دونها . وانهمز قريش وقتلهمش ، واستولى البسائري ودبيس على الموصل وأقاما بها الدعوة للمستنصر ، وكتبوا إليه بذلك ، فسيرت إليهما الخلع ولجماعة أمره العرب .

وعمل الشعر في هذه الواقعة . فمن مليح ما قيل لابن حيوس^(٣) :

عجبت لمدهى الأفاق ملكا وغايته بهقداد الزُكود
ومن مُستخلفٍ ، بالهون يرضى يُذاد عن الحياض ولايلود
وأعجبُ منها شعبٌ بمصر تقام له يستجار الحدود

وبلغ ذلك طغرليک ، فسار يريد الموصل حتى بلغ نصيبين ، فأزق بالعرب وأقام بين يدي الفيلة ، فقتلهم شر قتلة . وبعث إليه دبيس وقريش بالطاعة فقبل منهما . وصار إلى ديار بكر ، وجّه أخاه داود إلى الموصل ، فتسلمها وعاد إلى بغداد .

(١) نور الدولة أبو الأحرر دبيس الأول بن سند الدولة أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي ، صاحب حلب بن مزيد ، وكانت تسمى الجاسين ، قرب القنات . مسجم البلدان : ٣ : ٣٢٧ . مسجم الأنساب .

(٢) بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وتقع في لطف جبل عال . مسجم البلدان : ٥ : ١٤٤ - ١٤٦ .

(٣) محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس ، أبو القتيان ، الأديب الشاعر ، أحد شعراء الشام المجلدين ، مات ببغداد سنة ٤٧٣ هـ جاورا الثمانين . التاجم الزاهرة : ٥ : في مواضع متعددة .

سنة تسع وأربعين وأربعمائة (١) :

فيها تَسلَّم مكيُّ الدولة ابن مُلَّهم من ثَمَالِ بن صالح مدينة حلب في آخر ذى القعدة ،
وانكثَّت أيدي التركمان عنها ، وأقيمت خطبة المنتصر فيها وقطعت خطبة القائم ،
وذلك بعد حروب عظيمة . وكان دخول ابن مُلَّهم حلب يوم الخميس ثلاث بقين
من ذى القعدة ، فبقي على ملكها أربع سنين .

وفيها قدم كتاب من بُخَارَى أَنَّهُ وقع بها وباء عظيم حتى هلك من ذلك الإقليم ألف ألف
وسبائة ألف وخمسون ألف إنسان ، وغلت الأسواق ، وأغلقت الأبواب . وتعدَّى الوباء
إلى آذربيجان فالأهواز والبصرة وواسط ، وعامة تلك [١٩٢] الأعمال ، فكانت الحفيرة
تحفر ويُلقى فيها المشرون والثلاثون من الأموات . وكان سببه قلة القوت والجوع ،
فنبشت الأموات وأكلهم الناس . وكان الموت إذا وقع في دار مات جميعٌ من فيها ، وكان
المرضى ينشقُّ قلبه عن دم الهجة ، فيخرج من فمه قطرة فيموت ، أو يخرج من فيه دود
فيموت . وكلُّ دار كان فيها خمرٌ مات أهلها كُلُّهم في ليلة واحدة ، ومن كتنت امرأته
حراماً ماتا معاً ، ومات قيِّمُ مسجد وله خمسون ألف درهم فلم يقبلها أحد ، ووضعت في المسجد
تسعة أيام ، فدخل أربعة من الشلوح إليها ليأخذوها فمات الأربعة عليها . وكان يموت
الوصيُّ قبل الموصى ، وكلُّ مسلمين كان بينهما تفاخر ولم يصطلحا ماتا . وابتدأ هذا الوباء
من تركستان ، ودب منها إلى كاشغر والشاش وفرغانة (٢) ، وهم النساء والصبيان ، فمات
الصبيان والكهول والفتيان من سائر الناس إلا الملوك والمساكو ، فإنه لم يمت منهم ولا من
الشيخو والعجائز إلا القليل ! !

(١) ويوافق أول الحرم منها العاشر من مارس سنة ١٠٥٧ .

(٢) من بلاد ما وراء النهر وهي أيضا من بلاد الأتراك التي استمر بها الكبير من الفرس .

سنة خُصصين وأربعمئة (١) :

في أول المحرم قُبِضَ المستنصر على وزيره الناصر للدين ، غياث المسلمين ، أبي محمد اليَازُورِي ، وكان قد جُمع له مالم يجتمع لغيره من تقليد الوزارة وقضاء القضاء وداعي الدعاة . وكان لِلْقَبْضِ عليه أسبابٌ ، منها أن طُغْرَإِيكَ لَمَّا ملك بغداد كان بها لِلْيَازُورِي عيون كثيرة يطالعونه بِتَقْيِينِ الأمور وجليها ، فوصلت كتبهم بوصوله ، وأنهم سمعوه يذكر إزماعه على التوجه نحو الشام ليملكه . فقلق لذلك ورأى أن الحيلة أبلغ من الاستعداد له ، فكتب إليه يئذيه بوصوله إلى العراق ، وببذل له من الخدمة ما يُؤوِّي دلى أمله ، وأن مصر وأعمالها بحكمه ، وأنه وإن كان مستخذماً لدولة ويدعو إليها فإنه يعلم كثرة الاختلاف ، فمن تجاوزها في نسبها ، واتفاق الكلمة ووقوع الإجماع على الرضا بالخليفة الصَّحيح النسب ، الصَّريح الحسب ، الماشي العباسي ، وأنه لا يمتنع عن الإقرار له بذلك . وأعطاه صفقة يده على مبايعته ، وتسليم الدولة له . وأنه قد اتصل به إزماعٌ حضرته على التوجه إلى الشام ، وأنه أشفق من تسليمها إليه فنتطأها صاكره مع كثرتها وتجمعها فيخربها ويُغني آثارها ، ولا يقع بملكها انتفاع ، ولا يُرجى لها ارتفاع^(٢) ، فإن رأى أغفأها من وطء الساكر لها ، ووصول ركابها إليها ، على وجه الفرجة والنظر إلى دمشق وحصنها ، فلها على رأيها .

فلما وقف طغرليك على كتابه قال هذا كتاب رجل عاقل ، ويجب أن يُعتمد ما أشار به بالإذن للعسكر في عودتهم إلى بلادهم ، فمضى كلٌ منهم لوجهه . ثم أمر ففُرب فَسَاطِيطُهُ في الجانب الغربي من بغداد ، فكتب بذلك عيُونُ اليَازُورِي إليه ، فقلق ، ثم كتب إليه : « لا تترك الأمانى والخدع بأن أسلم إليك أعمال الدولة ، وأتحون أمانتي لمن غذاني فضله وغمري إحسانه ، وتتمين على طاعته وموالاته . فإن كنتَ تسلّم إلى ماني يدك لصاحبك من العراق وأعماله سلّمتُ إليك ماني يدي لصاحبي ، بل الواجب أن تكون كلمة الإسلام مجموعة

(١) ويرافق أول المحرم منها الثامن والعشرين من فبراير سنة ١٠٥٨ .

(٢) الارتفاع ما يتحصل من التراوين بعد جيع الموارِد الحكومية ، أي إيرادات الدولة .

لابن بنت النّبيّ الذي هو أوّل بمكانه من غيره . وإن رغبت في المهادنة والمودعة انتظمت الحال بين الولتين ، وأمنّ الناس بينهما . فإن أبيت إلّا الخلاف ، ونزع الهوى بك إلى الظّنون الفاسدة ، والأطماع الكاذبة فليس لك عندي إلّا السيف . فإن شئت فاقم ، وإن شئت فسر .

ففاظ ذلك طغرلّك وقال : خدعني هذا الفلاح وسخر مني . وكتب إلى إبراهيم بن ينال ، أخى طغرلّك لأمه ، برّد العسكر مسرعا ، فلم يثبّت له اجتماعهم . وكان اليازورّي قد برّث عيزنه وجراشيه في عسكر طغرلّك واستنشد أعيانهم بكثرة الأمان والمواعيد ، مثل خاتون زوج طغرلّك ، والكُنْدَرِي (١) وزيره ، وإبراهيم ينال أخيه (٢) وصاحب جيشه ، فمالوا إليه وقعدوا عن صاحبهم . وحمل خاتون على قتله ، فامتنت من ذلك وواعدته أنها تتحرّج بفلامتها ، وهم نحو اثني عشر ألفا ، عنه ، فاعتزلتهم . وكان ذلك سبب ظفر البساسيري بعسكر طغرلّك ، وظفر كثير منهم ، ورجوع طغرلّك من بغداد [٩٢ ب] طالبا لجمع عسكره الذي تفرّق عنه . وهو أنه سار في هذه السنة ملك البساسيري وقريش الموصل بعد حصار شديد نحو أربعة أشهر حتى هدم قلعتها . فخرج طغرلّك يريد ههما ، فساروا عن الموصل ، وهو يتبعهما ، إلى نصيبين ، فافارقه إبراهيم ينال وقصد همدان ، ولحقه الأثرالك الذين كانوا ببغداد . فتت ذلك في عهده طغرلّك وترك ما هو فيه ، ورجع ليضم إليه من تفرّق عنه ، وترك بغداد . فتوى أبو الحارث البساسيري ، وكثف جمعه ، وقصد أعمال العراق ، ففتح بلداً بلداً ، وتلك الأعمال والرّسائيق (٣) طوعاً وكرهاً ، والدولة المصرية توجّه بما يستعين به على ذلك ، وهو لا ينفذ في أمر من الأمور إلا بما يقرّره اليازورّي . فكثرت حسّاده على ما يتوالى من سعاده في كلّ يوم ، وما يتجدد له من رئاسة يقتضيها حسن آثاره في الدولة ، وتآثيراته في جميع الأطراف والممالك بلطف السياسة ومُحكّم

(١) عبد الملك أبو نصر محمد بن منصور الكنتي ، أول وزراء السلاجقة . وفيات الأعيان ؛ تاريخ دولة آل سلجوق البهاد الأصغراني ؛ معجم الأتساب لإزبارور .

(٢) في الأصل : ابن أخته . وهو خطأ والتصحيح استناداً إل ما تقدم ؛ وإل ابن الأثير في الكامل ؛ وإل التتجيم للزاهرة .

(٣) الرستاق ، والرستاق ، والجمع رستاق : أرض السواد ، والقرى ، وعلة العسكر ، والبلد التجارى ؛ ومه الكلمة العربية الرزداق وجسمها الرزداقات والرزداق . والمقصود هنا القرى وعلات العسكر . محيط المحيط .

التدبير الذى يبلغ به غاية آماله ، بحيث لا يبلغ غيره بعضها إلا بإتفاق الجمل العظيمة ، وتفريغ بيوت الأموال ، ثم لا يكاد يظفر ببلوغ أمل في جهة من الجهات إلا دوحها ولبنت آثاره فيها الدهر الطويل . وصار أعداؤه يتعجبون مما يتأتى له من السعادة وتُعِينُهُ عليه الأقدار . واستطالوا مدته ، قابضوا له الفرائل ، ونصبوا له الحبايل ، وركبوا عليه المناصب حتى كان هلاكه بأقل الناس وأحقرهم ، وأدناهم منزلة ، وأضعفهم قدرة ، وهم من أطراف الخُدَّام . فأقاموا رجلين ، أحدهما خادم يعرف بمفرج المفرق: كان في حاشيته ، والآخر خازن يتولى خزانة القُرْش يعرف بتنا (؟) . وحكرا أنه نقل الأموال إلى الشام في الترابيشت وفي شمع سبكه وأعدّه إلى القدس وإلى الخليل ، وأنه قد عرل على الحرب إلى بغداد ، واستظهروا بكتابه الذى ذُكر إلى طُغرَيْك ، مع ما في طبيعة الملك من الحسد والمال ، والأنفة من الاستبداد عليهم ومحبة الانفراد بالمجد .

وكان من أسباب الخذلان أن المستنصر التمس من صنيّ الملك ، وكليّ اليازورى ، عملَ دعية يدعو له إليها ، فوافده عن ذلك استغفاماً لخدمته عبده ، فأقام مدة حتى بعثه واللّه الوزير على تكليف عملها له ، فتهتم لذلك ، واصطنع ما يجب لإعداده ، وتمتدّد الحال على يوم يحضر فيه . فلما كان قبل ذلك بيوم حضر صفيّ الملك عند الوزير وأعلمه بإنجاز ما يحتاج إليه ، قصار معه إلى الدار واستصحب خراصه ، فرأى ما يتعمر عنه الوصف . وفرش مجلسين بلديباج بياض كله ، وفيه جامات كيار وحر منقوش ، كل مجلس بثلاث مراتب وبساط ملء المجلس ، وسراييق وحجلين للصبر والباب كله جلد يد كما حمل من الأعدال ؟ ففدّر ذلك بخمسة آلاف دينار . فأقبل كل من حضر يببالغ في صفته ويدعو ، وشخص منهم ساكت . فلحظ الوزير وأمسك حتى فرغ من تطواف المجالس وعرض كل ما أعدّه ، وعدل إلى بيت الطهارة وقد أعرّج دهليزه من القرش والآلات والطيب ، وداخله من الفواكه والمشروبات كل مستحسن . ودعا الوزير الرجل الذى سكت عند مبالغة من حضر في الوصف ، وقال : يا عُدّة الملك ، مالي لم أسمعك تؤمّن على ما قال الجماعة ؟ فقال له بعد ما سأله الإغناء عنه وتركه من القول ، فأبى إلا أن يقول : سيدنا فيما أعدّه من هذا الجمال بين أحد رأيين ، إمّا أن يأمّر بإزالته ونصب غيره مما قد

استُجِبل ، وإِذَا يَحْمِلُهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ إِذَا انْقَضَى جُلُوسُهُ عَلَيْهِ . فقال : وما هو هذا ؟ أليس هو
 بما أَنْتُمْ بِهِ وَصَارَ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِهِ ؛ وما قَدْرُهُ حَتَّى تَمْتَدَّ عَيْنُهُ إِلَيْهِ أَوْ تَنْتَطَلِعَ لَهُ نَفْسُهُ ! وأما
 إِزَالَتُهُ وَنَضَبُ غَيْرِهِ فَمَا كُنْتُ أَكْسَرُ فِي نَفْسِ هَذَا الصَّبِيِّ شَهْوَةً ، فَإِنِّي مَتَى أَمَرْتُ بِإِزَالَتِهِ
 حَزَنَ لِلذَّكَ . وافترقا . فلما كَانَ النَّدَاءُ جَاءَ الْمُسْتَنْصِرَ وَأَقَامَ يَوْمَهُ ذَلِكَ فِي الدَّارِ ، وَأَحْضَرُ
 إِلَيْهِ الطَّعَامَ ثُمَّ حَوَّلَهُ مِنَ الطَّرْفِ ؛ ثُمَّ عَادَ آخِرَ النَّهَارِ . وحضر عند الوزير أصدقاؤه ، فانفرد
 بِذَلِكَ الرَّجُلِ ، وقال : يا عمدة الدولة ، والله ما أَخْطَأُ حِزْرَكَ فَمَا قَلَّتْهُ بِالْأَسْ ، منذ دخل
 الْخَلِيفَةُ إِلَى الدَّارِ إِلَى أَنْ خَرَجَ لَمْ يَطْرُفْ طَرْفَةً عَنْ تَأَنُّلِ الْفَرَسِ ، فإِذَا وَجَّهْتُ طَرَفِي نَحْوَهُ
 أَطْرُقُ وَتَشَاغَلَ . فقال له : يا سيدنا أَمَا إِذْ فَاتَ الْأَمْرَ الْأَوَّلُ فَلَا يَفُوتُ [١٩٣] الْكَافِي .
 فقال : والله لَا تَعْلَمْتُ وَلَا غَمَمْتُ صَفِيَّ الْمَلِكِ .

واتفق أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ بَدِيعٌ ، فَلَمَّا حَادَّ قَالَ لِصَدِيقِهِ : يا عمدة الدولة ،
 لحظتك اليوم تنظر الثوب الذي كان عليَّ فعميت من ذلك ، فلما مُثِّلْتُ بِحَضْرَةِ مُوَلَانَا
 أَقْبَلَ يَشْمُلُ الثَّوْبَ وَلَمْ يَزَلْ يَزْحَفُ مِنَ اللَّسْتِ^(٢) حَتَّى مَدَّ يَدَهُ إِلَى الثَّوْبِ وَتَلَمَّسَهُ ، فزَالَ
 عَجَبِي مِنْكَ إِذْ كَانَ الْخَلِيفَةُ يَتَأَمَّلُهُ ، وَالْمُلُوكُ إِذَا أَنْعَمُوا عَلَى أَحَدٍ اسْتَحَالَ التَّظَاهَرُ بِإِحْسَانِهِمْ
 حَسِلًا وَمَلَلًا .

وكان راتب مائدته في كل يوم كموائد الملوك في الأعياد والولائم . وكان لا يبتاع
 لمطبخه من الطير ما هو مُعْرِقٌ وَلَا مُصْبِرٌ ، وكان سعر المرق ستة دينار والمصدر أربعة
 دينار ، والمسمن ثلاثة دينار ، والفائق اثنان دينار ، وكان يحمل للدار ومن فيها
 المسمن ، وأما مائدته فلا يقدِّم عليها إِلَّا الفائق .

(٢) سمت السلطان : مرتبة جلوسه . صحح الأمل : Dozy ; Supp. Dict. Ar.

فلما كان في سنة سبع وأربعين وقصر النيل نزع السر وغلا حتى بلغ التليس غمانية
دنانير وصار الخبز طرفة . وكان المستنصر يحضر دار اليازوري كل يوم ثلاثاء على عادته ،
فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ المائدة ، فإذا هي على ما يهده لم يُخَلَّ منها شيء حتى الدجاج الفائق ؛ فقال
! لصاحب مطبخه : ويحك ، يكون راتب مائدة الوزير الدجاج الفائق ومائدتي دون ذلك !
فقال : يا مولانا ماذنني إذا قصر بك أصحاب دواوينك ولم يطلقوا المائدة ما ألتئمسه منهم ، والوزير
فلا تنجاسر وُكَلَّاهُ أَنْ يقصروا في شيء مما جرت العادة به في راتب ما ثلثته وغيرها ، مع
تقدمه إليهم في كل يوم بالزيادة فيها وفي راتب داره .

فلما تظافر عناءه عليه لم يشعر إلا في ساعة القبض ، فكتب إلى أبي الفرج البابلي -
وكان قد قلّمه وأحسن إليه ورقعه على جميع أصحاب الدواوين ، واستخلصه دونهم ،
كما يأتي إن شاء الله عند ذكر وفاته - بعد البسملة : « عَرَفْنَا يَا أبا الفرج - أطال الله بقاءك
وآدام عزك - تغير الرأي فينا ، وسوء النية والطويّة ؛ فإن يكن هذا الأمر صائراً إليك
فاحفظ الصُّحبة ، وازرع واجب الحرمة ، وإن يكن صائراً إلى غيرك فابتغ لنفسك نفقا
في الأرض . على أننا نشير عليك : إن دُعِيتَ إليه فلاناً بئى عنه فإنه أصلح لك وأغود علينا .
والسلام » .

ودُعِيَ البابلي للأمر ، ووَزَرَ ، لأنه لم يكن في الدولة من يتقدمه لِمَا وَطَّاهُ اليازوري
وأمله من تقديمه وتمييزه . وكان اعتزاله يغطي على عيوبه ، فلما ولي الوزارة بَانَ للناس
من رقاوته وحدته وكثرة شره ما افْتُضِحَ به ، وتجرّد لمقابلة إحسان اليازوري بكل قبيح
وذكره بما لا يستحق من الغش . وكانت الرقعة التي كتبها إليه من أعظم ذنوبه عنده
فكان يقول ؛ يخاطبني وهو على شفير القبر بنون العظمة ¹ ولا يذكره إلا بالسفاهة
واللغو ، فسقط قدره من أعين الكافة وحليزته كل أحد . ثم لم يقنعه كون اليازوري في

الاعتقال بمصر حتى نفاه إلى تنيس^(١) ، في صفر ، ومعه نساؤه وأولاده وحاشيته ،
فاعتقلوها .

ثم شرع البابلي في التدبير على قتله . قال الشريف فخر الدولة ومجدها ، نقيب نقباء
الطالبيين : قال لي مولانا - يعنى المستنصر - يا فخر الدولة ، ما رأيت أَوْفَعَ من البابلي ،
وذلك أنَّ اليازورى لم ينته إلى ما صار إليه من عظيم المنزلة إلَّا بعد أن تقدَّم له من المآثر
والآثار في الدولة وما فُتِحَ على يديه ما هو معلوم مشهور ، وكان يرتقى بذلك درجة بعد درجة
إلى أن انتهى إلى ما انتهى إليه ، والبابلي حينَ أوَّل يوم استخدمناه استدعى المنزلة التي
لم يصر ذلك إليها إلَّا بعد عدَّة سنين ، فأجبتة إليها ، وقلت ترى تساعده الأقدار بأن
يكون مثل ما كان ذلك الرجل . ومنها أنه كان إذا حضر بين يدي يكثر التشريب على
اليازورى ويذكره بالقبيح ظناً منه تطلُّعنا إلى عَزْوِهِ إلى الأمر ، وليثبت في نفوسنا سوء
الرأى فيه . ولم نعلم أن غرضه قتله إلى أن كان اليوم الذى سقت عليه الأتراك ووطنوا
دُرَاعَتَهُ ، فإنه لما دخل إلَّي قال : يا أمير المؤمنين ، إنه لا يَنْفُذُ لك أمر ولا يتم لي نظر
[٩٣ ب] وهذا الكُليب في قيد الحياة . فقلت : ومن هو ذلك الكليب ؟ فقال : على
ابن عبد الرحمن اليازورى . فقلت : أيها الوزير ، اعلم أنَّي لم أصرف الوزير عن خلعتنا ولنا
في إعادته رغبة ، فطيب نفساً ودَعْ ذكره ، فأنت آئِنُ مما تخافه من جهته . فقال :
والله إن هذا لمحب من حسن مقامك يا أمير المؤمنين عنه مع قبيح فُتْلِهِ ، وما همَّ به من
قتلك ، حتى إن السقية أقامت تدور في قصرِكَ أسبوعاً كاملاً . فقلت : أيها الوزير ،
أقامت السقية تدور على في قصرى أسبوعاً كاملاً ؟ فقال : نعم . فأطرقت متعجباً ، وبقيت ،

(١) بكسر اللام ، ويعرفها بالقوت بأنها جزيرة غريبة من البر بين القرا وحياط ، اشتهرت بالباب الملوثة والقرص .
وكانت مجموعة من الخصاص عند فتح العرب لما ثم زادت أهميتها بالتدريج ، فبُنيت بها القصور زمن الأمويين ، وأثناء
النباسيون سوتها ، وبني بها ابن طولون عدة صهاريج عرفت باسم صهاريج الأمير . مصم البلدان : ٢ : ٤١٩ - ٤٢٣ .

متفكرًا في ذلك ، أصرّف الظن بين تصديقه وتكذيبه ، ثم أقول ، لو لم يطلع على ذلك لم يذكره . فأمسكت ، فظن بإسماكي أنني راضي بما يفعله معه ، وخرج فاستدعى طاهراً كاتب السر وسيره لقتله . ونفى الخبر إلى مولانا الوالدة ، فأنكرت ذلك ودخلت إلى ، فقالت : أنت يا مولانا أمرت البابلي بقتل اليازوري ؟ فقلت : لا . فقالت : قد سير طاهر ابن غلام لقتله . فاستدعيت سعيد السعداء وأنفلتته إليه ، وقلت له : قل له لَمْ يَأْمُرْكَ بقتله ، فَأَنْفِذْ مِنْ يُعِيدُ طاهراً ويمنعه من النفوذ . فألفاه صاحب الرسالة في الحمام ، فاعتذر إليه ، فقال : لابد من الدخول ، ودخل وأدى الرسالة إليه ؛ فقال : أَخْرِجْ وَأَسِيرْ مِنْ يُعِيدُهُ . وطول في الحمام ثم خرج ، فإلى أن كتب الكتاب وسير به التجّاب سبقه ذلك إلى تنيس ، فلم يصل حتى نفذ الحكم فيه .

ولما وصل طاهر إلى تنيس أوصل كتاب البابلي إلى جمال الدولة صبح يذكر فيه : إنا قد سيرنا طاهراً فيما أنت نقف عليه من جهته ، فثبتت منه ، وتحضر معه لإنجازه ونحذر من تأخيرهِ من اليوم إلى الغد . فقال : وما الذي وصلت فيه ؟ فأخرج تذكرة بخط البابلي فيها : إذا وصلت يا طاهر - أعزك الله - إلى تنيس وقد سببت ولغيت من العطش ، فلا تزل ريقك بقطرة دون أن يحضر على بن حسن بن عبد الرحمن اليازوري إلى دار الخدمة ، ونمضي حكم السيف فيه ؛ فقد كتبنا إلى الأمير جمال الدولة بمعاونتك على ما يستدعيه ذلك ؛ فقدمه ولا تؤخره إن شاء أحد . فقال له : أنت خليفة صاحب السر ومرسل من جهة السلطان ، والأمر الذي وصلت فيه مُنتَل ، فأفوض الحكم فيه . وأنفذ من يحضر اليازوري من معتقله ، والصقالب والسعدية خدام السر وقوف ، والسياف قائم . فقال له طاهر : يا حسن ، يقول لك مولانا أين أموالى ؟ فلم يجبه ولم يرفع طرفه إليه . فقال له : إياك أخاطب^(١) يا حسن بن علي بن عبد الرحمن ، يقول لك أمير المؤمنين أين

(١) في الأصل : لك أخاطب .

أموالى ؟ فلم تجبه . فرفع طرفه ونظر إليه وإلى الجماعة وفيهم حيلة السياف ، وقال لظاهر : يا كلب نجى وهذا منك ، وأشار بيده إلى السياف ، وتسلَّى بعد ذلك ؛ ولكن قل له يامولانا قبض على وأنا آمن على نفسى ، فإن يكن عندى مالٌ ، فقد وجدته فى دارى ، وكنت داعيك وثقتك المؤيد فى الدين . فى القمطرة الفلانية ما يشهد بذكر مالك أين هو . فأشار لظاهر إلى أولئك ، فأخذه ، وضربت عنقه فى ليلة الثانى والعشرين من صفر ؛ وحُملت رأسه مع طاهر إلى القاهرة ، وطرحت جثته على مزبلة ثلاثة أيام . ثم ورد الأمر بتشكيهه ، فكُنَّ بعد أن غسل ، وحُطَّ بحنوط كثير ، وحمل ليلا ودفن وقد وضع رأسه مع جثته .

وكان له من المآثر المرضية ، والخلال الحميدة ، والأفعال الجميلة ، والخلائق المرضية ما يشجّل الملوك بذكره . منها أنه كنّ له مائدة يحضرها كل قاض فقيه وأديب جليل القدر ، فإذا قدمت فكأنها الرّياض من حشنها وسعة نفسه . وكان الملازمون لائلته نحو العشرين نسمة ، فيكون عليها كأدهم . وقال عميد الدولة : أقمت مع خمس عشرة سنة قبل وزارته ملازماً له فى البيت والصحاح ، فكنت أراعيه فى حالاته . كلّها ليلاً ونهاراً ، فلا أرى يتغير على منها شئ ولا يتبين لى منه غضبٌ من رضا ؛ فأقبلت أدقّق التأمّل له فى حالتى غضبه ورضاء شهوراً حتى تبين لى ، فكان إذا رضى توردت وجنتاه بحمرة ، وإذا غضب اصفرّت محاجر عينيه ، فمرقت أبى بذلك ؛ فقال : يابنى هذا غايبة فى سكون النفس وصحة الطباع واعتدال المزاج .

وكانت طبائمه الأربعة على السواء ، فإذا [١٩٤] أخذ عمل طبيعة منها عهده أخذ بإصلاحها حتى يعود إلى ما بهمه من استقامتها . وكان لا يظل شرب الدواء يوماً واحداً فيشرب السكتنجيين والورد أسبوعاً ثم يريح نفسه ثلاثة أيام ؛ ثم يشرب التقوع المغل فى

الشتاء والمنجم منه في الصيف أسبوعا لكل منهما ؛ ويشرب ماء البلور أسبوعا ؛ ويشرب ماء الجين ثمانية أيام ؛ ويشرب ماء البقل أسبوعا ثم يشرب الراوند المنقوع كذلك ؛ ويريح نفسه بين كل دوائين ثلاثة أيام ، لا يُخَلِّ ذلك في صيف ولا في شتاء .

وكان ندى الوجه كثير الحياء لا يكاد يرفع طرفا إلا للضرورة ؛ ولم يُسمع منه قط في سؤال لفظة « لا » . بل كان إذا سُئِلَ فما يرى إجابة سؤاله إليه يَقُولُ نعم ، بانخفاض من طرفه وخُفُوت من صوته ، فإذا سُئِلَ فما يرى الإجابة إليه يَطْرِف ولا يرفع طرفه ؛ وعرف هذا منه فلا يراجع فيه إلا بعد مدة . وكان كل من يحضر مائدته يستدعي منه الحضور بين يديه لثلا يستمروا عنده ؛ وكان فيهم مَنْ يشرب المسكر ، فإذا حضروا عرفوا مجالسهم وما قرَّره لهم ، فكان مَنْ لا يشرب النبيذ يجلس عن يمينه ، ومن يستعمله يجلس عن يساره ؛ وبين يدي كل منهم الفواكه الرطبة واليابسة والحلاوة ، وستارة الغناء مضروبة ؛ فيجلسون وهو مشغول يرقع ، وهم يتحدثون هَمَسًا وإشارة وإيماء ، إلى أن ينترضي أربيه من التواقيع فيستند وينظِّمهم بالحديث ويقول : قد تجدد اليوم كذا وكذا ، فما عندكم فيه . فيقول كلُّ أحدٍ ما يراه وهو يسمع لهم ، حتى يستكمل الجماعة الذين عن يمينه ثم يعطف على شماله فيقول : من هناك قولوا ، فيقولون وهو يسمع ولا يردُّ على أحدٍ شيئا فلا يصوب المصوب ولا يخطئ المخطئ ، ويبيت يضرب الآراء بعضها ببعض حتى يمحض له الصواب ، ويصبح يرى فلا يخطئ . فكانت أهله هكذا طول مدته ، لا يستبدُّ قط برأيه ولا يأنف من المشورة ، بل يقول : المستبدُّ برأيه واقفٌ على مداحض الزلل ، وفي الاستشارة كلُّ عقول الرجال . ولهذا تمَّ له ما كان يدبره حتى ترك فيما رآه من الطرز الآثار الباقى ذكرها .

وجاء ارتفاع الدولة في أيامه أُلِّي ألف دينار ، يقف منها ويسكن ، وينصرف للرجال وللقصور وللعذارى وغيرها ، ويبقى بعد ذلك مائتا ألف دينار حاصلة ، يحملها كل سنة

إلى بيت المال . فحفظ بذلك عند سلفانه ، وتمكّن منه ، وارتفع قدره حتى سأل أن يكتب على سكة نقش عليها : ضربت في دولة آل الهدى من آل طه وباسين ، مستنصر بالله جلّ اسمه ، وعبيده الناصر للدين سنة كذا ، وطبعت عليها الننانير مدة شهر ثم أمر المستنصر بمنعها ، ونهى أن تُسَطَّر في السير .

وكانت أيام نظره حوامل لتوالي الفتوحات وعمارة الأعمال . وكان شريف الأخلاق ، عاليّ الهمة كريم الطباع ، وطيّء الأكناف ، مستحكم الحلم ، واسع الصدر ، ندى الوجه ، يستقلّ الكثير ، ويستصغر كل كبير . وكان إذا أعطى أهناً ، وإذا أنعم على إنسان أشيخ ، وإذا اضطلع أحداً رفعه إلى ما تقصّر الآمال والأمانى عنه ؛ مع عظيم الصدقة ، وجزيل البرّ الذي عمّ به أهل البيوتات مما جعله لم من المشاهرات على مقاديرهم . وكذلك الأشراف والفقراء وأهل الستر بالقرافة ، فكان يُجرى عليهم البرّ والكسّاء على يد بعض اليهود ويعرف بابن حُصْفُورَة ، وكيل السيدة أم المستنصر ، فكادوا يظنون أنه من إنعامها ؛ فلما زالت أيامه انقطع عنهم ما كان يصل إليهم من البرّ ، فغاطبوا ابن حُصْفُورَة وقالوا : قد جُيِّبنا من مولانا ومولاتنا ، فلو أدركتهما بنا فقال لم : ماترون ما كان يجيشكم حتى يتولى الله ناصر الدين أخى^(١) . فقالوا : نحن التّمسنا من مولانا المستنصر ومولاتنا السّيدة الوالدة ولم نلتمس من ناصر الدين . فقال : ما كان يجيشكم ذلك إلّا من الوزير . فعجبوا من ذلك وأكثروا من التّرحّم عليه .

وما يذكر عنه أنه كُتِب : العالى بالله إدريس بن المتلى بالله يحيى بن الناصر لتين الله على بن حمود^(٢) من خالقه إلى مصر مكاتبة [٩٤ ب] يقول فيها : « من أمير

(١) في الأصل : حتى يتولى الله ناصر دين أخى ، وعدنا إلى الميت ليوضح النص ، وساعة حل هذا أن ناصر الدين ،

لقب الوزير .

(٢) وهو إدريس الثاني بن يحيى بن حل بن حمود ، ثالث أمراء بني حمود ، وقد انقلبت هذه الأسرة لقب أمير

المؤمنين ، وهم من ملوك الطوائف بالأندلس ومقر حكمهم ملقة . Mohammadan Dynasties.

المؤمنين الهال باله إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله . فغيب عليه بمصر فلة تصوّره ومعرفته
بأنه لا يجوز أن يكون أمير المؤمنين في زمان واحد اثنان . ثم ألجأت الضرورة إلى
مكاتبة بنحو ما كتب ، وكان البازورى إذ ذاك وزيرا ، فقال أنا أخلص هذه القضية
رأيتها بمعنى دقيق لا يبين للمكاتب ، وكان صاحب حيل ، يكتب إليه : « من أمير
المؤمنين المستنصر بالله معذ إلى الهال بالله أمير المؤمنين خالقه » ، وهذا من طريف التخلصات
التي تميز بها .

وحكى عظيم التولة متولى السر ، قال : كنت في جملة الموكلين على الناصر (١)
ثم على البابلي بعده ، فكنت أرى من رئاسة الوزير الأول - بنى البازورى - على شبيبته
ورجاحته وسكون حاشيته ، ومن طيش البابلي وخفته ونقصه ما أعجب منه ، وهو أننى
لما كنت موكلا بالبازورى كنت أراه ملازماً لعتبة باب المجلس في القاعة لا يتغير مكانه
منها . وكان البابلي يرأسه بما يمضى ويوصينا إذا مضينا إليه بالإزعاج عند فتح الباب
وكثير قلقلته لنزعجه ونروعه بذلك ، فوالله ما كان يكثرث ولا ينزعج . وإذا دخل
متولى السر يكون جلوسه منه في الاعتقال كجلوسه منه في حال نظره ، ويخاطب بما يرضى
فيجيب يسكون وهلهو وكأنه في الدست جالس . فدخل إليه في أكثر من ثلاثين صقلبا
ويألفه ما أوصاه البابلي ، فأجابه ، ثم نهض وقال : ياسيدى صرفتنى من السر بغير ذنب
ثم أعدتنى إليه بغير مسألة ، فما كان سبب ذلك ؟ فرفع طرفه إليه كأنه يخاطبه من
دست الوزارة وقال له : كان صرفك في الأول برأى واختيارى ثم أعدتك لما عرفت من
مبل مولانا إلى استخدامك . فخرج متولى السر وهو يعجب من سكون حاله وقلة احتفاله
في الجواب ، مع حاجته إليه في مثل ذلك الوقت الذى يقدر فيه على الإحسان إليه وعلى
الإساءة ، وكان يظن أنه يحتقر إليه ، فلم يكن منه غير ما تقدم ذكره .

(١) المقصود به الوزير ناصر الدين البازورى .

وكان أكثر وقته صامتا وهو يتلو القرآن ولا يسأل عن طعام ولا شراب . وكان في حال وزارته كثير الصمت مُوَأَمِل الإطراق ، ساكن النفس هادئ الطباع ، فكان يُظَنُّ أن ذلك من تيه وصلف وإعجاب وقلة احتفال بالناس ؛ فلما صار في الاعتقال بعد القبض عليه كان حاله على ما كان مما ذُكر . ومن عجب ما وقع أن خَطِير المُلْك محمد بن الوزير البازورِي كان ينوبه عن أبيه في قضاء القضاة ، فلما صار إلى الثَّام بالسامر الكثيرة معه كان في حالٍ من اليَدَخ والتجمل في حال لا يمكن شرحها ؛ فلما نكب أبوه آل حاله إلى أن يرى في مسجدٍ بمدينة فَوْه^(١) كَيْخِيطُ للناس بالأجرة ، وقد نزل به من الفقر والبلاء شلائد وهو يبلغ في المطالبة^(٢) شخص بأجرة ما خاطه له ، والرجل بماطله . فلما ألح في المطالبة قال له : ياسيدنا اجعلْ هذا القدر اليسير من جُملة ما ذهب منك في السُفرة الشامية . فقال : دع ذُكْرَ مَا مَضَى . فسأله رجلٌ عن ذلك فلم يُجِبْه ، فسأل عبده ، فقال الذي ذهب منه في تلك السُفرة على نفقات سباطه مقدارُ ستة عشر أَلْفَ دينار . فسبحان من لا يزول ملكه .

وفيها ولى الوزارة بعد البازورِي أبو الفرج عبدالله بن محمد الباهلي ، وكان أولا من جُملة أصحاب الدَّوَّارين فقبض عليه الوزير أبو البركات ابنُ الجُرْجَرَانِي ، وصادره على عشرة آلاف دينار أخذ خطه بها ؛ فباع مَوْجُوده بستة آلاف دينار وبني عليه أربعة آلاف دينار ، فانطرح على البازورِي وسأله الشفاعة له ، وكان يومئذ ينظر لأُمِّ الخليفة ؛ فسأل الخليفة له في ذلك ، فوُفِّع بِسامحته منها بألْفَي دينار ، فلما صُرف الوزيرُ أبو البركات وتولى البازورِي الوزارة وُفِّع بِسامحة الباهلي بالألفين الباقية ، واستخدمه في التوقيع ، وردَّ إليه ديوان تنيس وديماط ، وديوان الخاص وغيره من الدَّوَّارين ، حتى كان في يده ستة

(١) مدينة تقع قرب رشيد بينها وبين البحر ستة فراسخ . معجم البلدان ٦ : ٤٠٦ .

(٢) في الأصل : يطالب في مطالبة . . .

دواوين . وكان رُسم لأصحاب الدواوين أن يحضروا كل يوم بين يدي الوزير ، فرفع منزلة البابلي عن ذلك وميزه عن أصحاب الدواوين ، فكان لا يحضر عنده إلا في كل ثلاثة من الجمعة ؛ فإذا حضر حُجب كل أحد من الرؤساء ، فلا يدخل إلى الوزير أحدٌ مادام عنده . فمهما [١٩٥] قرره مع الوزير لا يَنْتَقِض . وإذا عرض له في باقي الجمعة أمرٌ كسب رُقعةً إلى الوزير فيجيبه في تضاعيف سُطوره ، فيُتل الأَكفاء بالأَكفاء . وبلغ جاريه على ما بيده من الدواوين والتوقيع في كل سنة عشرة آلاف دينار . وكتب مرةً إلى الوزير البازوري رُقعة يذكر فيها أنه ليس له دار يسكنها ، وأن بجوار داره حماماً سُلطانياً من جُملة المقبوض عن تركة أمير الأمراء رفق ، بلذ فيها خمسمائة دينار ، وسأل التوقيع بمبايعته منه على أن يُقتطع ثمنه من جاريه ، مائة دينار في الشهر ؛ فوقع له بذلك ، ثم تقدّم إلى متولى بيت المال بأن يكتب له منه رسداً بخمسمائة دينار ، ووهبها له . فكتب رُقعة ثانية أنه لما شرع في بناء الدار احتاج إلى ما يكفل به عمارتها ، وأن في المقبوض من أمير الأمراء أيضاً من الأخشاب والرُخام ما يسأل الإنعام عليه منه بما يَعرُها به ؛ فوقع بتسليم جميع ذلك إليه . فعمر الدار ، وخدمه فيها جميع من في الدولة ؛ فجاءت تضاهي القصور .

واتفق أنه مرض في بعض السنين مَرَضَةً أَشَقَّ فيها على التلث ، فكتب إلى الوزير البازوري رُقعة يذكر فيها ما انتهت حاله إليه ، وأنه على آخر رمق ؛ وأن عابه من الدين ثلاثة آلاف دينار ، ويخاف إن حدث به حادث الموت أن يُعينَت القُرُماء ولديه ؛ ويسأل تمام الاصطناع بالتع منها ، وأن يقرر حالهما في القيام للرفاء بما تصل قبرتهما إليه ويُنَجِّم الباقي عليهما . فلما وقف الوزير عليها استرجع وتغنم له ، وقال : ما ظننا إلا أنا قد أغنيينا أبا الفرج ، وأن حاله لم تصل إلى هذا الحد ! ثم رفع رأسه إلى أبي العلاء عبد النبي بن الضيف ، وكان يحمل دواة الوزير ، ولقبه بالصادق المأمون ، وقال :

أسرع إلى أبي التباس الشاشي ، وكان يتولى ديوانه ، فلما حضر قال : ما في حاصلك من إقطاعنا ؟ فقال : ثلاثة آلاف دينار وكسر ، فأحضرها ، وقال لأبي العلاء : خذ هذه الثلاثة آلاف دينار وأضرب بها إلى البابلي وخصه بسلامنا ، وقل له : قد سَوَّأَتْنَا بما ذكرته من مرضك وما انتهت إليه حالك ، والله تعالى يَهَبُ عافيتك ولا يَخْشَا بك . فأما ما سألت من مُرَاعَاتِكَ في وَلَدَتِكَ والمنع مِنْهُمَا ، فلو لم تَسأل في ذلك حَفَظْنَاكَ فِيهِمَا ورَاعَيْنَا هُمَا لك . وأما ما ذكرته من دَيْنِكَ فقد أَنْفَلْنَا إِلَيْكَ ما تقضيه به . فلما أخذ المال وخرج من القبة قال ارجع يا عبد الغني ، فعاد إليه فنَخَذَ دَرَجاً^(١) ووقع إلى ديوان الخاص بثلاثة آلاف دينار ، وكان له فيه إقطاع ، وقال امض إلى الجهبلي^(٢) بهذا التوقيع فإن كان في حاصله هذا القدر ، وإلا قُلْ له يقترض من بيت المال إلى أن يَسْتَخْرِجَ شَيْئاً فيحمله إليه به عَوْماً عنها ، واحمل الجميع إلى البابلي . فلم يحتمل أبو العلاء الصبر عن الكلام وقال : ياسيدنا ، ما يُقْبِعُكَ تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار حتى تضيف إليها مثلاً فنصير ستة أ فقال : يا وحش إذا قضى دينه بهذه الثلاثة الآلاف ما يحتاج أن يستدين بعدها ، فينفق من هذه الأخرى ولا يستدين . فقال له : والله ياسيدنا إنك لأكرم نفسك من البرامكة ، لأن أولئك كانوا يجودون من سعة وأنت تجود من ضيق ، ولانسبة بين ما تنظر فيه وما كانوا ينظرون فيه . وخرج فأوصلها إليه . فلما قبض على اليازوري كان أغدَى العالم له ، وكَفَّرَ نعمته وإحسانه ، وتجرّد له حتى قتله .

وحكى فخر الدولة قال : استدعاني مولانا المستنصر وقال لي يا فخر الدولة ، هل

(١) والجمع دروج ، الورق المستطيل المركب من عدة أوصال ، يكتب فيه ويألف . وكانت الأوصال في بعض المراحل عبارة عن حشرين وصلا متلاصقة لا غير . الملوك : ١ : ١٧٠ نقلاً من محيط المحيط ؛ صبح الأحق : ١ : ١٣٨ .

(٢) الجهبلي كاتب يختص بقبض المال وكتب الوصولات به وعمل الرزنامجات والمخات ، ويطلب بما يقبضه ويخرج ما يرثه من الحساب اللازم له : قوانين التواوين : ٢٠٤ .

يكون في اختيار الإنسان إلى مَنْ تطلع إليه الأبصار أو تتطلع إليه النفوس أَوْثَق من شخص الباطل ، مع شَيْتَتِهِ وظاهرِ سمته وهيبته ؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين . فقال : والله لقد ظننت أَنَّ الدولة تتضاعف قدرتها بنظره ، وينضاف إليها مثلها بحسن تدبيره وَأَنَّ من وراء هذا الشخص ما وقي عليه ، فإذا ثيابه لانتسج رقايعه وعُمتِه ، والحية قد نشفت قرعته . وذلك أَنَّ اليازورِيَّ أقام في خدمتنا عشر سنين عددنَا عليه ثمانية عشر ذنبا ، وأقام الباطلُ الثنين وسبعين يوما نَقِمْنَا عليه تسعة عشر ذنبا ، مع ظاهر كذبه وقلة [٩٥ ب] احتشامه عندي ؛ وذلك أَنه ذكر لي مِنْ حال السقية ما كثر تمجُّي منه وأنا بين تصديق الحكاية وتكذيبها ، واحتشمتُ أَن أَرَدَ عليه فيتحقق تكذبي له . وكان من إندامه على قتل اليازورِيَّ ما كان ، وساءَ لَنَا ذلك إذْ لم تكن نريد قتله . فلما كان بعد ذلك بأيام يسيرة أمرته بشئٍ فعارضني وضرب الأمثال بما يصدئني عن ذلك الأمر ، فقلت له أيها الوزير ، أعلم أَنَّ اليازورِيَّ لم تَطُلْ مدته معنا وتَنَبَّأتْ قدمه إلا أَنَّا كنا إذا أمرناه بشئٍ انتهى إليه ولم يتجاوزَه . فقال لي مجيبا : يامولانا وَكُنَّ اليازورِيَّ كَانَ يَنْقُطُ نقطةً إِلَّا ما أمثله له وأَوْقَفَه عليه ا يريد أَنه كان يدبِّر اليازورِيَّ ويعلمه ويقهقهه ، فلم يتأمل ما عليه فيه ، ولا ذَكَر ما كان قاله من حال السقية ، وأذكرني قوله هذا حال السقية ، فقلت له وقد اغضضت منه : يُخْرِس الله الوزير ، فإذا كانت السقية برأيه ! فلما سمع ذلك مني دُجِس وقال : أعوذ بالله يامولانا ولكنني كنتُ أبصرُه صواب الرأي ، وأشير عليه بما فيه حميدُ العاقبة . فبعد ذلك تحققت من كذبه على الرجل ما كنتُ شاكا فيه . ووجَّهُ كذبه فيما حكاه من ذلك أَنَّ الرئيس الجليل التدر إذا أراد أَن يَهْمَ بِشئٍ هذا الأمر في سائمه أو مَنْ يجرى مجراه لم يكذب يُمِمْ ولده بما يريده منه ، فكيف إذا عزم على فعل ذلك مع مثلي ، حل يسوغ أَن يُطْجَح أحداً عليه ؟ ومع هذا فما الذي يدعوهُ أَن يخرج بذلك إلى غيره ، وربما نَهَّ عليه وتقرَّب إلى بإطلاعي عليه ، وإلاَّ تولى بنفسه مع إشتاوي كان من زيارته وسُكُونِ إليه ، وأنى لم أَنهمه بذلك قط فأتخذ حيلِي منه ، وكان بهذا الحكم يتمكَّن من بُلُوغ غرضه مني بحيث

لا يعلم به أحد . فتحتقن لى كلبه فيما حكاها ؛ وهذا أقوى الأسباب فى صرفه ، لأنَّ من ليس له عقل يميّز به ما يخرج من فمه ، لاسيما فى مثل هذا الأمر الخطر الكبير ، لم يجز أن يؤثّق به فى تدبير مزيلة ، والخوف من جنايته على الدولة براقعته ونقص عقله أكثر من الطمع فى الانتفاع بنظره .

وكان صرفُ البابلى من الوزارة فى شهر ربيع الأول وله فى الوزارة اثنان وسبعون يوما ، فلما صُرف قبض عليه واعتُقل . وكان النهار لا يكاد يرتفع ويتأخر ما يُحتمل إليه من الطعام إلا ويستغيث ويقول : ما يتمّ حبسٌ وجوع . وكان يبذو منه فى محبسه من القول ما يعرب به عن مستحکم الرقاعة والجهل ، فكان الموكلون به يتمجبون من فرق ما بينه وبين اليازورى ، فإنّ ذلك كان ساكن الطباع كثير الصمت شريف النفس مع حدائق سنّه ، وهذا شيخ يظهر منه من الخفة والطيش والجهل مع الشيخوخة ما يُضحك منه .

فبها تولى الوزارة بعد البابلى أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن المغربي^(١) . وفيها تولى قضاء القضاة عوضاً عن اليازورى أبو علي أحمد بن عبد الحكم بن سعيد ، إلى ذى القعدة ، وصُرف بنّى القاسم عبد الحاكم بن وهب بن عبد الرحمن المليجي . وتولى المؤيد فى الدين أبو نصر هبة الله بن موسى داهى الدعاة^١ .

(١) وكان قد هرب من العراق أثناء فتنة الباسيرى ، فلم يستمر بالله الفاطمى لى الباسيرى وخوفه من سوء حالته . وأبر الفرح هذا أسوأ ألقاب الحسين بن علي المغربى الذى كان قد تولّى الوزارة فى مصر ثم هرب إلى العراق . وقد تولّى أبو التماس هذا وزارة مياناقرين لأثير أحمد بن مروان الكردى ، نصر الدولة ، صاحب ديار بكر ومياناقرين .
التجويد الزاهرة : ٥ : ١١٤٦٩٦ .

فيها قصد الأمير أبو الحارث أرسلان البساسيري الموصل ومعه قُريش بن بدران بن
 انقلد بن المسيب المُقَيْل أمير الغوب فملكها^(١). وخرج إليه السلطان ركن الدين أبو طالب
 طربك بن ميكائيل بن سلجوق ، ففارقها ، واتجه طُغْرَيْك إلى نصيبين فخالف عليه أخوه لأمه
 إبراهيم بن ينال وسار إلى همدان ، فرجع في إثره ، وتلاحقت الأتراك ، فاستدعى الخليفة
 القائمُ قُبَيْس بن مَزِيد ، فوصل إليه وقد أُرْجِف بِمسير البساسيري إلى بغداد فَعَطَّم الخوف
 منه ، فرجع دبّيس إلى بلاده^(٢). فلما كان يومُ الأحد الثامن من ذى القعدة من هذه السنة
 وصل البساسيري إلى بغداد ومعه قُريش بن بدران ، وخطب في جامع المنصور للمستنصر
 بالله الفاطمي وقطع الخطبة لبني العباس ، وعتمد الجسر وعبر عسكره . فلما كانت الجمعة
 الثانية خطب بجامع الرصافة للمستنصر . وكانت بينه وبين أهل بغداد حُرُوبٌ آلت
 إلى هزيمة رئيس الرؤساء وزير القائم والمسكر ، وقَتَلَ جماعة من الأعيان . ووقع النَّهْبُ
 في البلد ، ودخل أصحاب البساسيري إلى البلد ، ووصلوا إلى باب النُوبُ الشريف^(٣) ، فركب
 القائم يسواده وعلى كنفه البردة ، وبِيده السيف [٩٦ ا] وعلى رأسه اللواء ، وحوله
 جماعة بني العباس والخدُم بالسيوف المسلَّة ، فرأى الأمر شديداً ، فعاد وأبعد النظرة ،

(١) وكان بها إبراهيم ينال ، أخو طربك السلجوقي ، ثم خرج منها قاصداً بلاد الجبل ، فأدرك طربك بهذا أن
 إبراهيم قد هُصا . للكمال : ٩ : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) كان دبّيس قد قُتِل بفداد إستجابة لأمر الخليفة ومعه من العرب - رجاله - مائة ، فأرجف بوصول البساسيري
 ففرض دبّيس على الخليفة أن يخرج معه من بغداد إلى واسط ليستعين بصاحبها ، حليفه ، على تئال البساسيري ، فلم يقررو أمر ،
 فخرج دبّيس ، بحجة أن العرب لا يريدون المخاطرة بالبقاء في بغداد ، على أن ينتظر الخليفة على نهر ديال ، وانتظر هناك
 ثلاثة أيام فلم ير أئراً الخليفة أو رجاله ، فماد إلى بلاده . للكمال : ٩ : ٢٢٣ . - وبهش الأصل هنا حاشية تقول : « بخطه :
 هو دبّيس بن علي بن مزيد بن مرتد بن الرنان بن علي بن خالد بن مالك بن هادي بن مناد بن مالك بن هوف بن معاوية ، الأمير
 نور الدولة أبو الأغر الأسدي ، مات ليلة ثمان شوال سنة أربع وسبعين وأربعمائة عن ثمانين سنة ، وكان أميراً نيفاً وسعين
 سنة ، وقام بعده أبيه بهاء الدولة أبو كامل منصور » .

(٣) سر وصفه بهذا الوصف أن الملوك وقصداً بغداد كانوا يقتلون الأرض قرب ذلك الموضع ، قبل دخول بغداد ،
 لإجل الخلافة . الملوك : ١ : ١٠٧ .

ونابى رئيس الرؤساء : يا علم الدين قريش ، أمير المؤمنين يستنك . فدنا منه ، فقال رئيس الرؤساء له : قد آتاك الله منزلة لم ينلها أمثالك ، وطلب منه الأمان لل خليفة القائم ، فأمنه . ونزل إليه الخليفة والوزير رئيس الرؤساء ، وصاروا معه . فبعث إليه البساسيري : تُخَالِفُ ما استقر بيننا ! فقال قريش : لا . وكنا قد نعاقدنا على المشاركة في جميع ما يحصل لهما ، فاستقر الأمر على أن البساسيري يتسلم الوزير ورئيس الرؤساء وأن قريش ابن بدران يتسلم الخليفة القائم فيكون عنده . فبعث حينئذ قريش بالوزير إلى البساسيري ، فلما مثل بين يديه قال له : الغزو عند القدرة . فقال البساسيري : أنت صاحب الطيلسان ماعقوت عن دارى وحرى وأطفالى ، فكيف أعفو وأنا صاحب سيف^(١) .

ثم إن قريش بن بدران سار في خلفة الخليفة ، وهو راكب بالصفة التي تقدم ذكرها إلى معسكره ، فأنزله في خيمة وهباً له ما يقوم به ، ووقع النهب في دار الخلافة مدة أيام ، وأخذ منها مالا يخصى كثرة ، وبعث منها إلى مصر مندبل القائم الذي عتمه بيده ، قد جُبل في قالب رخام لكيلا ينحل ، مع ردايه ، والشباك الذي كان يتوكأ عليه ، فعمل في دار الوزارة بالقاهرة . وأما العمامة والرداء فبعثهما السلطان صلاح الدين يوسف ، لما استولى على القصر ، إلى الخليفة المستنصر ببغداد مع الكتاب الذي كتبه على نفسه القائم وأشهد على نفسه المُنول فيه أنه لا حق لبني العباس في الخلافة مع وجود فاطمة الزهراء . وحمل أيضا إلى القاهرة اللخائر والكتب والقضيب والبُرْدَة . وسلم قريش الخليفة إلى ابن عمه مُهَارِس بن المجل^(٢) ، وكان رجلا متعلما ، فحمله في هودج إلى مدينة عانة وأنزله بها ، وفر أصحاب الخليفة القائم إلى طُفْرَيْك فصاروا في جملة

(١) يذكر ابن الأثير هذه الواقعة بنفس هذه الألفاظ تقريبا ، ويذكر أن البساسيري استقبل الوزير بقوله : مرحبا بملك الدول وغرب البلاد . الكامل : ٩ : ٢٢١ . وزاد ابن تقي برقى : مرحبا بملك الدولة وملك الأم وغرب البلاد وبسيد البلاد . النجوم الزاهرة : ٩ : ٥ .

(٢) يهاش الأصل تعريف به يقول : « بخله : مهارش بن المجل بن حلب بن غنار بن شيب بن القله بن جطر بن عمرو بن المرحي » أبو الخوارث ، أمير العرب بالمدينة وعاة وماء الانبار ، أقام عنده الخليفة القائم بأمر الله إلى أن عاد إلى مستقره . وتوفى في سفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة عن ثمانين سنة . وكان كثير الصلة . « اهـ . ويقول صاحب النجوم » =

فلما كان يوم عيد النحر ركب البساسيري إلى المصلّى وعلى رأسه ألوية المستنصر ، وقد استمال الناس بكثرة الإحسان وإجراء الأرزاق ، وكَسَر منبر المسجد الجامع ببغداد وقال : هذا منبر نَحْس أعلن عليه يُنصّ آل محمد عليهم السلام ، وأنشأ منبراً آخر وخطب عليه باسم المستنصر . ثم أخرج الوزير رئيس الرؤساء أبا القاسم علي بن السُّلَيْمَة وهو مقيّد وعليه جبة صوف وطرطور أحمر من لبد وفي عنقه مِخْنَفَة ، فشهره ثم أعاده إلى المعسكر وقد نُصِبت له خشبة ، فأُلِيس جلد ثور طريّ ، ويجلّ في فكّيه كلابين من حديد وعلّقهما ، فبقى يضطرب إلى آخر النهار حتى مات ، وعمره نحوٌ من ثلاث وخمسين سنة^(١) ، وكان حَسَن التَّلَاوة للقرآن جيّد المِرفعة بالأدب .

ولما ورد الخبر بذلك إلى المستنصر سُرُّ سروراً كثيراً ، وزيّنت القاهرة ودمصر وجاءت نَسَبُ الطُّبَالَة ، ففتّت بالطبل في القصر بين يدي المستنصر :

يا بني العباس رَقُوا ملك الأمر معي^(٢)
مُلْكُكُمْ ملكٌ مُعَار^(٣) والعواري تُسَرُّ

فقال لها المستنصر : تمنّي ، فلكِ حكْمكِ ، فسألت الأرض المجاورة للمقس ، فنَقَطَ لها إِيَّاهَا ، ففُرَّت بها وقيل لها إلى اليوم أرض الطبالَة^(٤) . وأمر المستنصر في أن يحمل إلى مُهَارِش

« الزاهرة : « مَهَارِش البدوي من عِلى الأمير أبا الخاثر ، كان كثير الصلاة والصوم والصدقة صالحاً عبداً لأهل العلم . وعاش ثلثاً ومائتين سنة . « اهـ . النجوم الزاهرة : « : ١٩٣ . وعانة بِلْدَة بين الرقة والفرات ، حل فراسخ من الأنبار ، وتعد في أعمال الجزيرة وتُعرف على الفرات قريباً من حديقة النورة التي تعرف أيضاً بحديقة عانة وحديقة الفرات ، وهي بدورها على فراسخ من الأنبار . معجم البلدان : ٣ : ٢٣٥ - ٢٣٧ ؛ النجوم الزاهرة : « : ٩ .

(١) وفي النجوم الزاهرة : وجعل في رقبته قلادة كالمسحرة وظيف به بالشوارع وعقله من يصفه ، ثم سلخ له ثور وألِيس جلده وخط عليه وجعلت قرون لتروى رأسه . النجوم الزاهرة : « : ٦ - ٧ .

(٢) في الأصل : قد ملك . . . وهو خطأ عروعي .

(٣) في النجوم الزاهرة : « ملككم كان ساءراً « النجوم الزاهرة : « : ١٢ .

(٤) ويذكر المقرئ أنها كانت من أحسن مَنَاحِل القاهرة . وتعد الآن من التلال والقرب بشارع الظاهر ، ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكنها ، ومن الشرق بشارع يوسعيد - شارع الخليل . النجوم الزاهرة : « : ١٢ : حاشية : « . نقلاً من الخطط : ٢ : ١٢٥ ؛ ويزيادة توضيحية .

عشرة آلاف دينار لِيُسَيَّرَ إليه الخليفة القائم على حالٍ جميلة ، وعزم على أنه إذا وصل تلقاه أحسن لقاء وبالغ في إكرامه . ويقال إنه بنى القصر الغربي لينزله فيه ، ويحمل إليه ما يُنسيه به ما كان فيه من إقامة الرُؤاتب السنية ، وأن يقرّر له في كل يوم مائة دينار ، وأنه إذا ركب المنتصر في أوقات ركوبه قلّمه بين يديه يحجّبه . فإذا أقام على ذلك مدة ، وبات وانتشر في الأقطار خبر ذلك خلع عليه وعقد له ألوية الولاية للعراق ، وكتب هذه بتقليده إياه ، وسيّره إليه ، وأعادته إلى مملكته وخلافته من قبَلِهِ . فمُنعه حادثُ القنّو قبل إدراك ذلك . وكان من جملة أسباب فوات هذا أن البساسيري لما بعث الكتب إلى المنتصر يعرفه بإقامة الخطبة له ببغداد كان الوزير حينئذ أبو الفرج محمد بن المغربي ، وهو ممن فرّ من البساسيري وصار إلى القاهرة ، فعلّن المنتصر من البساسيري وخوّفه عاقبته ؛ فتركت أجوبته مدّة ، ثم عادت الأجوبة بخلاف ما أمّله [٩٦ ب] البساسيري ؛ ثم قدم طُفْرَ لِيَكُ فانتصر عليه .

وفيهما بنيت القبة التي بصحن جامع دمشق ، شرق الجوامع على باب مشهد علي ، وكتب عليها اسم المنتصر .

وفيهما وليّ المنتصر ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان دمشق في شهر رجب (١)

(١) فوصلها في منتصف رجب ! وهو الأمير المظفر ناصر الدولة وسيلها ، ذو الجدين ، أبو محمد الحسن بن الحسين .
وطه مي ولاية الثانية ، وكانت الأولى في سنة ٤٣٣ . ذيل تاريخ دمشق : ٨٣ ، ٨٦ .

سنة احدى وخمسين وأربعمائة (١) :

فيها ما رَأَى الأميرُ أَبُو الحارث البَسَاسِيرِيُّ من بغداد فملك البصرة واسط ، وأقام بها الدعوة للمستنصر ، وَخَطَبَ له في عَامة تلك الأعمال . وبلغ طَغْرَلِيكُ ما كان مِنْ أَخَذِ بغداد وقطع الخطبة العباسية منها ، فكانت ألب أَرْسَلان بن داود أخيه ، فقدم عليه في إخوته بمسكن كبير ، واجتمعوا على محاربة إبراهيم بن يتال ، فكانت الغلبة لطغرليك ، فَأَخَذَهُ أسيراً وقتله في تاسع جمادى الآخرة . وتوجّه يريد بغداد ، وبعث إلى البساسيري وإلى قريش بن بدران بأمرهما برَدَ الخليفة القائم إلى بغداد ، وإقامة الخطبة له على عادته ، ورفقه إلى تخت خلافته ، وبعدهما أنهما إنْ فعلا ذلك رجع عن العراق ولم يدخل بغداد ، وأنه يَنْقُصُ بَأْنِ يُخَطِّبُ له فيها وتُضْرَبُ السُّكَّةُ باسمه . فامتنع البَسَاسِيرِيُّ من ذلك وأبى إِلَّا الإقامة على ما هو عليه . فسار طَغْرَلِيكُ يريد بغداد فَأَخَذَرَ البساسيري أولاده وحرمه من بغداد إلى واسط ونرى التُّودَ . وعند ما قارب طَغْرَلِيكُ بغداد بعث إلى قريش يشكر ما كان من صنيعه مع الخليفة القائم ، وجهز إلى بكر بن فورك لإحضار الخليفة ؛ فوافت حلة بدر بن مهلهل وقد وصل الخليفة وابن مُهَارِش في تلك الساعة ، فركب هو وابن فورك وأركبا الخليفة وخيلهما ؛ وأتته هدايا بدر .

وبعث طَغْرَلِيكُ بوزيره عميد الملك أبي نصر منصور الكُنْدَرِيَّ (٢) والأمراء والحُجَّاب

(١) ويوافق أول المحرم منها السابع عشر من فبراير سنة ١٠٥٩ .

(٢) جالس الأصل تلميذه تصبا : « بخله : منصور بن محمد بن نصر أبو نصر الكندري عميد الملك . وقيل محمد بن أبي صالح محمد بن منصور الكندري الخراجي ، من بني شيان . ولد بناسية كندر من قرى نيسابور في سنة خمس عشرة وأربعمائة ؛ قرأ الأدب وعدم السلطان طغرليك نظم عليه وخصاه ثم وق له واستوزره ، وقدم معه بغداد ، فلقبه الخليفة القائم بأمر الله وزير الوزراء . وكان يتكلم بالعربي والفارسي والتركي ؛ وله نظم ونثر جيد ؛ ويعرف الكلام حل منذهب المعتزلة . ولما مات طغرليك وولى بعده ابن أسيد ألب أرسلان بن داود أقره على وزارته ثم عزله بنظام الملك بعد شهرين ، وأُخرج من الرى . وأعطى جميع غياحه وفرشه وغلبانه ، ثم أمر بقتله ، فقتل في مرو الروذ صبراً بالسيف ، وحمل رأسه إلى كرمان في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة . » اهـ .

بالخيام الكثيرة والمرادقات العظيمة ، والخيول العدة بالمراكب الذهب ، إلى الخليفة القائم ، فرحل وهم في خلعتهم ، وقد خرج طُغرُوك إلى لُقائه ، فعندما شاهده وقع إلى الأرض يقبلها ، ثم قام وهناك بالسلامة ، وأظهر السُرور الزائد والابتهاج الكبير ، واعتذر عن تأخره بما كان من عصيان إبراهيم ينال . فقلده الخليفة بسيف كان قد تأخر عنه ، وصار معه طُغرُوك إلى بغداد وجلس على باب النُويّ الشريف مكان حاجب الباب حتى وصل الخليفة ، فعندما شاهده مثل قائما وأخذ بلجام بغلته حتى انتهى إلى باب الحجرة الشريفة ؛ وذلك في يوم الاثنين لخمسة بقين من ذي الحجة .

ثم عاد طغرلوك إلى معسكره وسير العساكر لمحاربة البساسيري وخرج في إثره ؛ فوافقت العساكر البساسيري وقبيس بن مزيّد ، فكانت بينهم حروبٌ آلت إلى انهزام دبّيس ووقوع ضربة في وجه البساسيري سقط منها عن فرسه ، فأُخذ ، وقُتل ، وحُملت رأسه إلى طغرلوك فبعث بها إلى الخليفة القائم ، فطيف بها على قناة في بغداد للتصّف من ذي الحجة^(١) ، وعُلقت على باب النويّ . وأُحيط بأموال البساسيري ونسائه وأمواله ، وجميع حواشيه وأسبابه ، وقتل في هذه الوقائع من المخلّاق ما لا يحصى لم عدد ؛ وفرّ دبّيس إلى البطيحة^(٢) .

وقطعت الخطبة من بلاد العراق للمستنصر بعد أن خطب له ببغداد أربعين جمعة ؛ وعادت للقائم كما كانت . وهذه الحادثة كانت آخر سعادة الدولة الفاطمية ، فإنّ الشام خرج من أيديهم بعدها بقليل لاستيلاء الترك عليه ، ولم يبق بيدهم غير ملك مصر خاصة

(١) يقول ابن الأثير : « فوصل منتصف ذي الحجة سنة إحدى وخمسين ، فتنظف وغسل وجعل مل قناة وطيف به ، وصلب قبالة باب النويّ . وكان في أسر البساسيري جماعة من النساء المتعلقات بدار الخلافة فأخذن وأكرمن وحملن إلى بغداد » . الكامل : ٩ : ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) أرض واسعة بين واسط والهمزة . تنظف عليها في أوائل أيام بي بويه أقوام من أهلها وتحضروا بالمياه والسمان وجيرة تلك الأرض من طاعة الدولة ، فصارت المياه لهم كالقنطرة الحصينة إلى أن انقضت دولة الدولة وحركة السلاجقة . معجم البلدان : ٧ : ٧٧٢ - ٧٧٣ . وقد أراد دبّيس بالفرار إلى البطيحة أن يستفيد من تحصينها الطبيعي .

ويقالُ إِنَّ الخليفة القائم بأمر الله كتبَ لَنَا نُكْبَ كتاباً يشكو فيه ما يلقاه من البساسيري
ينسخه بعد البسملة : « إلى الله العظيم من عبده المسكين . اللهم إنيك عالمٌ بالسرائر ، مطلعٌ
على مكتونات الضمائر ؛ اللهم إنيك غنيٌ بعلمك وإطلاعك على أمور خلقك عن إعلامك ؛
وهذا عبدٌ من عبيدك قد كفر نعمتك وما شكرها ، وألفى العواقب وما ذكرها ، أضفاه حلمك ،
ومسخرٌ بأناتك ، حتى تعدى علينا بغياً ، وأساء إلينا عتواً وعدواً . اللهم قلُ الناصر ، واغترِ
الظالم ، وأنتَ المطلعُ العالم ، والمتصفُ الحاكم ، بك نستعينُ عليه ، وإليك نهرب من بين
يديه ، وقد تمزَّر بالمخارقين ، ونحن نستعين بالله رب العالمين . اللهم إنا حاكمناه
إليك ، وتوكلنا في إنصافنا منه عليك ، ورفعنا ظلامتنا إلى حكمك ، ووثقنا في كشفها
بكرمك فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين ، وأظهر قدرتك [١٩٧] فيه قلب
مانرتجه ، فقد أخلته العزة بالإلثم . اللهم فاستلبه عزته ، وملكنا بقدرتك ناصيته ،
يا أرحم الراحمين . وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين وسلم تسليماً .
وبعث به إلى باب الكعبة ، وعُلّق بباب الكعبة ودُعي بما فيه ؛ فقتل البساسيري في ذلك
اليوم .

فيها سارت المساكر من مصر إلى دمشق ، وكُتِبَ لِناصر النُولة أبي علي الحسين بن حَندان أن يكون قائد الجيش ؛ فسار من دمشق بمسكر كبير في سادس ربيع الأول يريدُ محاربة أهل حلب . وكانت مدينة حلب قد أُقيمت فيها الدعوة الفاطمية ، وأسقطت بها دعوة بني المباس إلى أيام الظاهر بن الحاكم ، فتنقلب عليها صالح بن مرَداس ، أحد أمراء الكلابيين ، وكُتِفَ أمره بها حتى استولى على دمشق أميرُ الجيوش أنوشتكين الذَّزبَرى ، أحد الغلمان الأتراك ، فساس الأمور ، وأطاعه كلُّ مارق ؛ وراسل الملوك . فتابه صالح بن مرَداس وجمع له العرب ، وفيهم عدَّة الدولة حَسَّان بن جِراح ، وسار لمحاربته ، فكانت بينهما وقائع انهزم فيها حَسَّان إلى بلاد الروم ، وتفرَّق الجمع . ثم مات صالح وقام من بعده ابنه شبل النُولة نَصْر بن صالح في حلب ، فقام بمنايعة أمير الجيوش كما كان أبوه ، وسار لقتاله ، فقُتِل ، وملك أمير الجيوش حلب فأقام بها رضى الدولة مُنْجوتكين ، أحد غلمانه ، فأقام بها سنتين . ومات أميرُ الجيوش فتنقلب على حلب ثَمَال بن صالح بن مرداس وملكها ، ولم يَقُمْ أحدٌ بعد أمير الجيوش مقامه .

فلما كانت وزارة الجَزَجَراني غَمَضَ طريقه عن ثمال ، ورأى أن مُؤادته أَلَحَفُ من إنفاق الأموال في محاربته ، فكتب بولايته وقرَّر عليه الحمل في كل سنة . وتمادى ذلك إلى أيام وزارة اليَازُورِي فلم يَرْضَ بهذا ، ورأى أن الحيلة أبلغُ فبا يُوَثِّره ، لأنه إن رام صَرْفَه لم يُطِيقْ ذلك ، وإن نابذه أَلَزِمَ كُلَّ قَلْبٍ كثيرة . فاستعمل السياسة والتدبير الخفى ، وتدب لذلك رجلا من أهل صُور له بها رئاسة ووجاهة ، يقال له عين النُولة علي بن عياض ، قاضى صُور ، فسأس الأمر وأحكم التدبير فبا قرَّره مع كاتب ثمال بن صالح وما وعد به ، حتى

(١) ويوافق أول الحرم منها السادس من فبراير سنة ١٠٩٠ .

نزل من قلعة حلب وسلمها إلى مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم وإلى الخليفة المستنصر . وسار من حلب يريد مصر للقاء الحضرة ؛ فلما بلغ رفح اتصل به خير القبض على اليأزوري ، فقال والله إلى أموت بحسرة ونظرة إلى مَنْ استلبني من ذلك الملك ، وأخرجني بلا رغبة ولا رهبة إلاّ بحُسنِ السياسة ، وإن رام ذلك مني فليس يتعلم عليه .

ورجع ثَمَال إلى حلب ، فاتفق في غيبته قيامُ أهل حلب وتسليم البلد إلى عز الدولة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس ، في مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة ، فحضر ابن ملهم بالقلعة إلى أن سار إليه ناصر الدولة بن حمدان ، فكانت بينهما حروب كبيرة حل قنسرين^(١) آلت إلى أن انكسر ناصرُ الدولة كسرة شنيعة ، فأصابته ضربةٌ شَلَّت منها يدهُ ، ورجع منهزماً في مستهل شعبان . فقال عبد العزيز المكيك الحلبي وقد مدح ناصر الدولة فلم يجزه .

وَلَكِنْ غَلِطْتُ بِأَنْ مَنَحْتُكَ ، طَالِبَا جَدُّوكَ ، مَعَ عِلْمِي بِأَنَّكَ بَاخِلُ
فَالدَّوْلَةُ الزَّهْرَاءُ قَدْ غَلِطَتْ ، بِأَنْ نَعَمْتُكَ نَاصِرَها ، وَأَنْتَ الْخَاذِلُ
إِنْ تَمَّ أَمْرُكَ مَعَ يَدِي لَكَ أَصْبَحْتَ شَلَّةً فَلَا مَنَالَ عِنْدِي بَاطِلُ^(٢)

وأما ابن ملهم فإنه بعث إلى أسد الدولة أبي ذؤابة عطية بن صالح فسلمه حلب ، ودخلها في عاشر شعبان هذا ، وأقام بها يومه ثم خرج عجزاً عنها ، فوصل محمود في ثلثي عشره وملكها .

(١) مدينة الشام ، وكورة ، بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص ، وكانت تمتد من العوامم . معجم البلدان ١٦٨ : ٧ - ١٧٠ .

(٢) في الأصل :

إِنْ تَمَّ أَمْرُكَ مَعَ يَدِيكَ أَصْبَحْتَ شَلَّةً فَلَا مَنَالَ عِنْدِي بَاطِلُ
وَدُوْهُ فِيمَ مَسْتَقِيمٍ وَزَنَا وَدُوْهُ وَقَدْ أَدْفَى الدُّكْتُورُ صِلَاحَ الدِّينِ الْهَادِي ، مَشْكُورًا ، بِالْقِرَاءَةِ الْمُتَبِعَةِ بِالْمُنَى ،
لِقَلَامِ تَلَوِيحِ ابْنِ مَيْسَرٍ : ١٧ : ٤ ، إِذْ سَمِعْتُ حَلِيقَ أَثْنَاءِ إِعْلَانِهِ لِرِسَالَةِ الدُّكْتُورِادِ بِكَلِيَّةِ دَارِ الْعُلُومِ .

وفي تاسع رمضان صُرف أبو الفرج ابن المقرئ عن الوزارة ، وأُعيد إليها أبو الفرج
عبد الله بن محمد البابلي . وصرف عن قضاء القضاة عبد الحاكم بن وهب في جمادى
الآخرة ، واستقرَّ عِزُّه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن أبي ذكرى ، في حادى عشرى
رجب .

وفيهما قلعت هدية المعز بن باديس ، فقُوِّمت بأربعين ألف دينار . منها درقة مرصعة
بالجوهر كانت للمهدى .

وفيهما قدم كتاب على بن محمد [٩٧ ب] الصِّلَحي بما هو عليه من القُوَّة وإقامة
الدعوة ، واستأذن في المسير إلى تهامة وأخذها ، فأُجيب بذلك ، فسار إليها وأخذها .

وفيهما نزل محمود بن شبل الدولة ثمال بن صالح بن مرداس على حلب ، ومعه منيع بن
سيف الدولة ، سبعة أيام ثم رحل ، وعاد إليها وأخذها يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة ،
وحصر القلعة إلى سادس رجب ورحل ، فملكها أصحابُ المستنصر . وفيها التقى ناصرُ
الدولة بن حمدان مع محمود بن شبل الثَّوَلَة على القُنَيْدق^(١) ، فانكسر ابن حمدان ، ودخل
عطية حلب^(٢) وخرج منها ، وتسلمها محمود يوم السبت ثانى شعبان ، ثم وصل عَمّه معز
الدولة فحاصر حلب مدة .

وفي هذه السنة سقط ثُور قبة صخرة بيت المقدس وفيه خمسمائة قنديل ، فتطير الناس
وقالوا ليُكوَّنَنَّ في الإسلام حادث عظيم .

(١) القُنَيْدق من أعمال حلب ، أصبحت تعرف باسم تل السلطان ، بينها وبين حلب خة فراسخ . معجم البلدان :
٤٠٢ : ٦ - ٤٠٣ .

(٢) وهو أبو ذؤابة أحد الدولة عطية بن صالح ، المذكور قبل قليل ، حاس أسرة المرداسيين . وسر الدولة التي
سذكر به كلمات ، من نفس الأسرة وكان قد ملك حلب بين سنَى ٤٣٤ - ٤٤٩ ، ثم سقطت في أيدي رجال الفاطميين ،
ثم عاد إل ملكها سنة ٤٥٣ لتولاهما في السنة التالية أبو ذؤابة حلية المذكور . قارن أيضا : *Mohammadan Dynasties*

سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة (١) :

في ثالث محرم صُرف البابلي عن الوزارة ، واستقرَّ عبد الله بن يحيى بن المنذر .
وفي صفر توفّي قاضي القضاة ابن أبي ذكرى فاستقر في الحكم بعده أبو علي أحمد بن قاضي
القضاة عبد الحاكم بن سعيد في رابع عشره ، وصرف في خامس صفر^(٢) . واستقرَّ عوضه
أبو القاسم عبد الحاكم بن وهيب المليجي ، ثم صرف في حادي عشر رمضان . واستقرَّ
عوضه أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعد بن مالك بن سعيد الفارقي ، واستخلف
ابنَه عميدَ الملك أبا الحسن . وصُرف ابن المنذر عن الوزارة واستقرَّ بعده أبو محمد
عبد الكريم بن عبد الحاكم ، أخو قاضي القضاة .

وكان السبب في سرعة العزل وكثرة الولايات أنَّه لما قُتل البازوري كثُر السعاة في
الوزارة ، فما هو إلَّا أن يُستخدَم الوزير فيجعل نصب الأعين ، وتركب عليه المناصب ،
ويكثر الطعن عليه حتى يُعزل ولم تطل مدته ولا اتسع وقته ، فبلى بعده مَنْ يتفق له مثلُ
ذلك ، لمخالطة الناس الخليفة ومداخلتهم الرقاع والمكاتبات الكثيرة إليه ، وكان لا يُنكر
على أحد مكاتبته . فأحبَّ الناس مخالطة الخليفة وجعلوه سوقاً لهم ، فتقدّم كلُّ سَفْسَافٍ ،
وحظي أوغادُ عدَّة ، وكثُرُوا ، حتى كانت رقاعهم أوقع من رقاع الصُّدُور والروساء والجلَّة ،
وتنقلُّوا في المكاتب إلى كلِّ فن ، حتَّى لَمَّا كان يصل إلى المستنصر في كل يوم ثمانمائة رقة ،
فتشابهت عليه الأمور وتناقضت الأحوال . ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة ، وضعفت
قوَى الوزراء عن التدبير لِقصر مدة كل منهم ، فإن الوزير منذ يُخلع عليه ويستقرَّ إلى أن
يُنصرف لا يفيق من التشرر ، فمن ابتغى به يؤذيه عند الخليفة ، وسعت عليه الرجال ،
فما يصير فيه فضلٌ عن الدفاع عن نفسه . فَخَرِيت الأعمال وقلَّ ارتفاعها ، وتقلَّب الرجال

(١) ويوافق أول المحرم منها السادس والعشرين من يناير سنة ١٠٦١ .

(٢) هكذا في الأصل . وهو أمر غير مقبول إذ أن هذا الثاني تولّى في رابع شهر صفر فكيف يصرف في خامس

صفر ؟ .

على معظمها واشتَنَفُوا رَاحِيَّ ارتِفَاعِها ، فاتَّضَعَ الارتِفَاع ، وعظمت النفقات . ووقع اضْطِرَّاع الأَصْدَاد على السُّلْطَان ، وواصلُوهُ باقتضاء مَالِهِم من المَقَرَّات ، ولازَمُوا بَابَهُ ، ومنَعُوهُ من لَدَاتِهِ . وتجرعوا على الوزراء واستخفُّوا بهم ، وجعلوهم غرضا لمساقتهم ، فكانت الفترات بعد صَرَف من يَنْصَرِف منهم أطولَ من مَدَّة نظر أحدهم ، والمستنصر يُوسِعُهُم حِلْمًا واحتمالًا . فأطاعى الرِّجَالُ ذَلِكَ وَجَرَاحَهُمْ عليه ، حتى خرجوا من طلب واجباتهم إلى انتمسارِهم ، فاستَنَفَلُوا أمواله وأخطأوا منها خزائنه ، وأحوجُّوه إلى بيع ما عنده من العروض ، فكان يخرجها لهم لِيَتْبَاعَ ويشتريها الناس فيعترضونها ، ويأخذ مَنْ له درهم واحد مائسوى عشرة ولا يمكن مطالبة . ثُمَّ عَادُوا إلى تَقْوِيم ما يخرج ، فإذا حضر المَقْوُمُونَ أخافوهم ، فيَقْوُمُونَ مائسوى ألفًا بمائة فما دُونُهَا ، ولا يَتِمُّكَ الخليفة من استيفاء ذلك ، فتلاشت الأمور واضمحلت الملك . ثُمَّ لَمَّا علموا أَنَّهُ لم يبق ما يَخْرُج لم تقاسوا الأعمال وتشاحنوا على مازاد من الارتِفَاع ، وكانوا ينتقلون فيها بحكم غلبة من يغلب صاحبه عليها . ودام ذلك بينهم سنواتٍ نحوًا من ست ؛ ثم قصر التَّيْل وغلَّت الأسمار غلاظًا بَدَّدَ شمل الناس بِسُرْم ، وفرَّقَ أَلْفَتَهُم ، وَشَتَّتْ كلمتهم وأرقع المدارة والبغضاء بينهم ، فقتل بعضهم بعضًا حتى ناء عصب الإقليم وعفت آثاره ، كما ستقف عليه فيما يَأْتِي إن شاء الله .

[١٩٨] وفيها اصطَلَح مَعَزُ الدولة وابنُ أخيه محمود بن شبل الدولة ، ودخل حلب في رابع عَشْرَى ربيع الأول . فلما كان يوم الجمعة لَمِيع بَقَيْن من ذِي النَعْدَةِ [توفى ^(١)] ودُفِنَ بالقلعة بعد أن حاصر ابن أخيه ، فملك بعده أخوه عطية ، [أبو ذؤابة ^(٢)] .

وفيها مات بمصر مؤتمن الدولة أبو طاهر مسلم بن علي بن ثعلب ، فكتب أبو محمد بن سعد ، الشاعر الخفاجي ، من القسطنطينية إلى أهله بحلب يرثيه من أبيات :

أتاني وهرض الرمل بيني وبينه حديث لأَسْرَارِ الموع مُلَمِّع

ومات المزع بن باديس ، وملك بعده ابنه تميم ^(٢) ، فطعم أصحاب البلاد بسبب العرب وتغلبهم على بلاد إفريقية .

(١) أنصف ما بين الحاصرتين الفرضيخ وإسماعلة بما سبق .

(٢) أبو طاهر تميم بن المزع ، عباس أمراء بني زيري ، أصحاب تونس . معجم الأنساب : Mohammedan Dynasties

سنة أربع وخمسين وأربعمائة (١) :

في ثالث المحرم توفى أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم في وزارته . وكان أبوه قاضى طرابلس فانتقل أبو محمد إلى مصر ، وكان فاضلا ؛ فرُدَّت الوزارة بعده إلى أخيه أبي على أحمد بن عبد الحاكم بن سعيد . ثم صُرف عن القضاء في صفر بِأبي القاسم عبد الحاكم بن وهيب بن عبد الرحمن ؛ ثم صُرف أبو على عن الوزارة ، واستُخدِم سديد الدولة أبو عبد الله الحسين بن سديد الدولة ذى الكفائتين بن أبي الحسن على بن محمد بن الحسن ابن عيسى العقيلي ؛ وكان أولا ناظرا على دواوين الشام ، فلُقِمَ في الوزارة إلى شوال ؛ وصرف عنها بِأبي الفرج البابلي المقدم ذكره

ولفيها تولى مكين الدولة بن مُلَهم طبرية وعكا ، وإمرة بنى سليم وبنى فزارة ، فسار إليها وتسلمها في صفر .

(١) ويرافق أول المحرم منها الخميس حرم من يناير سنة ١٠٦٧ .

ذِكْرُ ابْتِدَاءِ الْفِتْنَةِ الَّتِي آتَتْ إِلَى إِخْرَابِ دِيَارِ مُصَرٍّ

وفي هذه السنة ابتدأت الفتنة التي كانت سبباً لإخراب الإقليم . وذلك أن المستنصر كان من عادته في كل سنة أن يركب على التَّجَبِ ومعه النساء والحشم إلى جُبِّ عميرة^(١) ، وهو موضع نزهة ، ويغيّر هيئته ، كأنه خارج يريد الحج على سبيل الهزر والمجانة ، ومعه الخمر محمول في الروايا عوضاً عن الماء ، ويدور به سُقَاتُهُ عليه وعلى مَنْ معه كأنه بطريق الحجاز أو كأنه ماء زمزم . وقد أنشد الشريف أبو الحسين علي بن الحسين بن حيدر العقبلي المستنصر في ذلك صبيحة يوم عرفة :

فَمَ قَاتَنِرَ الرَّاحِ يَوْمَ النَحْرِ بِأَلَمِهِ وَلَا تَصْخُحْ ضَحَى إِلَّا بِصَهْبِهِ
وَأَذْكُرُ^(٢) حَجِيجَ النَّامَى قَبْلَ نَفَرِهِمْ إِلَى مَنَى . فَضَفُّهُمْ مَعَ كُلِّ هَيْفِهِ
وَعُجَّ عَلَى مَكَّةَ الرُّوحَاءُ^(٣) مَبْتَكِرَا قَطُفَ بِهَا حَوْلَ رُكْنِ الْعُودِ وَالنَّاءِ

فلما كان في جمادى الآخرة خرج على عادته ، واتفق أن بعض الأتراك جرّد سيفاً في سكرة منه على بعض عبيد الشراء ، فاجتمع عليه عدّة من العبيد وقتلوه . فغضب لذلك جماعة الأتراك واجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر ، وقالوا ، إن كان هذا الذي قُتِلَ منّا عن رضاك فالسمع والطاعة ، وإن كان قتله عن غير رضا أمير المؤمنين فلا صبر لنا على ذلك . وأنكر المستنصر أن قتله برضاه أو أمره ، فخرج الأتراك واشتدوا على العبيد يريدون

(١) في الجهة البحرية (الغالبية) من القاهرة المنيّة ، وهو أيضاً بركة الحجاج إذا كان الحجاج يتجمعون بهذا الموقع قبل تحركهم للحج وعند عودهم . وعميرة بن تميم التجير ، الذي سمى المكان باسمه ، من بني القرناء . الخطط : ٢ : ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) بتسهيل المنزلة .

(٣) يقول بالقوت : لما دجّ تبع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل بالروحاء فللقام بها فأراح وسماها الروحاء . وقال أيضاً : وإنما سميت الروحاء لانفتاحها وروحها . معجم البلدان : ٤ : ٢٩٦ - ٢٩٧ .

محاربتهم ، فبرزت العبيد إليهم ؛ وكانت بين الفريقين حروب بناحية كوم شريك^(١) قُتل فيها عدة ، وانهمز العبيد وقويت الأتراك ، هذا والسيدة أم المستنصر تمّذ العبيد بالأموال والسلاح .

فاتفق في بعض الأيام أن بعض الأتراك وقف على شئ مما تبعثُ به أم المستنصر إلى العبيد لتعينهم به على محاربة الأتراك ، فأنكر ذلك وأعلم أصحابه ، فاجتمعوا وصاروا إلى المستنصر وتجروا عليه بالقول وأغلظوا في المخاطبة ، فأنكر أن يكون عنده من ذلك خبر ، وصار السيف قائما . فدخل على أمه وأنكر عليها ما تعتمد منه من تقوية العبيد وإعانتهم على محاربة الأتراك . ثم انتدب أبا الفرج ابن المغربي ، الذي كان وزيرا ، فخرج ؛ ولم يزل يسمى بين الأتراك والعبيد حتى أوقع الصلح بين الفريقين^(٢) . فاجتمع العبيد وماروا [٩٨ب] إلى ناحية شبرا دمنهور^(٣) . فكانت هذه الكائنة أول الاختلاف بين طوائف العسكر .

وكان السبب في كثرة السودان بالقصر أن أم المستنصر كانت جارية سوداء قدم بها أبو سعيد التمشري المقدم ذكره ، فأخذها منه الظاهر واستولدها المستنصر . فلما أفضت الخلافة إلى ابنها المستنصر ، ومات الوزير صفي الدين الجرجاني في سنة ست وثلاثين وأربعمائة استطالت أم المستنصر وقويت شوكتها ، وتحكمت في الدولة ، واستوزرت مولاهما أبا سعيد . وتوقفت أحوال الوزير الفلاحى معه ، فاستمال الأتراك وزاد في

(١) كوم شريك ، قرب الإسكندرية ، كان عمرو بن العاص أنفذ فيه شريك بن سمى بن عبد يثوث النضلي ، فكثر عليه الروم ، فغلبوا على أصحابه ، فلبى إلى هذا الكرم ودافعهم حتى أدركه عمرو واستقله . والكوم : الرمل المشرف . نفس المصدر : ٧ : ٣٠٢ - ٣٠٣ . انظر أيضا تواتر الدواوين : ١٧٤ ، ٢٢٧ إذ يذكر أنه من قرى حوف دمنهور ناحية البحيرة .

(٢) يذكر النويرى ذلك في نهاية الأرب ويزيد قوله بعد الصلح : ولم تصف طائفة منهم للأخرى .

(٣) من ضواحي القاهرة ، وتعرف من أيام الأيوبيين باسم شبرا الخيمة ، وسميت شبرا دمنهور نسبة إلى مدينة قريية منها تحمل اسم دمنهور . انجم القاهرة : ٥ : ١٩ ؛ قوانين الدواوين .

واجباتهم حتى قتلوا أبا سعيد ، فحنقت أم المستنصر من قتله على الفلاحى ، ولم تزل به حتى كان من أمره ماتقدم ذكره .

وأخذت فى شراء العبيد السود وجعلتهم طائفة لها ، واستكثر منهم وخصصتهم بالنظر ، ويسطت لهم فى الرزق ووسعت عليهم حتى أمطرتهم بالنعم ، ومار العبد بمصر يحكم حكم الولاة . وشرعت تغض من الأتراك وتظهر كراهتهم وانتقاصهم .

وتقدمت إلى الوزير أبى البركات الجرجاني أن يفرى العبيد بالأتراك ويوقع بينهم ، فخاف سوء العاقبة فى ذلك ولم يوافقها عليه ، فلم تزل به حتى صُرف من الوزارة . واستقر وزيرها أبو محمد البازورى فى الوزارة ، فأومزت إليه بذلك ، فأسس الأمور سياسة جميلة إلى أن انقضت أيامه . ووزر البابلى ، فأمرته بذلك ، فشرع فيه . وتغيرت النيات ، وصارت قلوب كل من الطائفتين تضيرُ السوء للأخرى ، حتى كان من الحرب ماقد ذكر ، ولم يزل ذلك حتى خرب الإقليم كله وهلك أهله كما سيأتى .

وفيهما توفى الشريف أبو الحسن إبراهيم بن العباس بن الحسن بن الحسين بن على بن محمد بن على بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وكان قد ولى قضاء دمشق مرتين . وفى سابع عشر ذى القعدة توفى القاضي الفقيه أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن على بن حكيم بن إبراهيم بن محمد بن مسلم القضاعي ، وكان يخلف القضاة فى الحكم بمصر . وكان إماماً محدثاً ، وله كتاب الشهاب ، وكتاب الخطط ، وكتاب أنباء الأنبياء ، وغير ذلك من المصنفات . وفيها توفى الرئيس أبو الحسن على بن رضوان بن على بن جعفر الطبيب . وتوفى المعز بن باديس بالقيروان فى رابع شعبان .

فيها رُدَّت الوزارة والحكم معاً إلى أبي علي أحمد بن قاضي القضاة عبد الكريم بن عبد الحاكم في ثالث عشر المحرم ، ثم صرف عنهما في سابع صفر ، وأعيدت الوزارة لأبي الفضل عبد الله بن يحيى بن المدبر ، والحكم إلى أبي القاسم عبد الحاكم بن وهيب . وفي تاسع عشر جمادى الأولى توفي الوزير أبو الفضل عبد الله بن المتبر ، وقد تكرر ولايته للوزارة ، وسمع الحديث ، وكان فاضلاً أديباً ، وهو من ولد ابن المدبر مثولاً خراج مصر في أيام ابن طولون . واستقر في الوزارة أبو غالب عبد الطاهر بن الفضل بن الموفق في الدين المعروف بابن العجمي ، ثم صُرف وقبض عليه في السابع والعشرين من شعبان . وأعيد إلى القضاء والوزارة جميعاً أبو محمد الحسن بن مجلي بن أسد بن أبي كدينة ، واستمر فيهما إلى خامس ذي الحجة ، فرتب مكانه جلال الملك أحمد بن عبد الكريم ابن عبد الحاكم بن سعيد ، فاستخلف أخاه أبا الحسن علياً على القضاء .

وفيها نُدب أميرُ الجيوش بُدْر الجمالي (٢) لولاية دمشق ، ونُدب معه علي الخراج الشريف أبو الحسن يحيى بن زيد الحسني الزيندي .

وفيها قدم الصليحي (٣) مكة بعد ما ملك اليمن كله سهله وجبله ، وبرّه وبحره ،

(١) ويوافق أول المحرم منها الرابع من يناير سنة ١٠٦٣ .

(٢) وألقبه أئمة يذكرها ابن القلانسي : تاج الاسماء المظفر مقدم الجيوش شرف الملك عبد الإمام ثقة الدولة . قبل تاريخ دمشق : ٩١ - ٩٢ .

(٣) وهو أبو كامل حل بن محمد بن حل الصليحي ، وكان شاباً أشقر الصبغة أزرق العينين ، وليس كان يمين أشقر أزرق غيره ، وكان مترامخاً ، إذا اجتاز يقوم سلم عليهم يده . « النجوم الزاهرة » : ٧٢ . « وبلغ من ثقة المنصور بالصليحي هذا أن لقبه : « الأمير الأجل شرف المال تاج الدولة سيف الإمام المظفر في الدين نظام المؤمنين » ولقبه أيضاً : « متعب الدولة وصفتها ذا الجدين متعب الدولة وقرسها ذا السيفين نجيب الدولة وصفتها ذا الفضلين » . تاريخ الدولة العاطلية : ٢٤٠ .

وأقام بها وبمكة دعوة المستنصر ، وكسا الكعبة حريرا أبيض ، وردة جلية البيت إليه ، وكان بنو حسن قد أخذوها ومضوا بها إلى اليمن ، فاشتراها منهم ، وأعادها في هذه السنة . واستخلف على مكة محمد بن أبي هاشم ، وعاد إلى اليمن (١) .

(١) يتبع كثير من المراجع الأخرى تبين . أن صاحب مكنون سنة ٤٥٣-٤٦١ هو حمد بن وحاش بن أبي الطيب دلود ، وخلفه سنة ٤٦١ والياً ، إلى سنة ٤٨٧ ، أبو هاشم عبد بن جعفر بن عبد تاج المال ، راجع الكامل : ١٠ - في مواضع متعددة ، السير لابن خلوف : سيم الأنساب لزمخشري .

سنة ست وخمسين وأربعمائة (١) :

في ثالث عشرى المحرم صُرف أحمد بن عبد الحاكم عن القضاء والوزارة . وتفلَّد الوزارة أبوالمكارم المشرف بن أسعد بن مقبل ، وفوض قضاء القضاء لأبي محمد الحسن بن مجلي بن أبي كدينة ، ثم صُرف ، وأعيدت الوزارة لأبي غالب عبد الطاهر بن الفضل ، وفوض القضاء لأبي الحسن علي بن عبد الحاكم في سابع عشرى ربيع الآخر ؛ ثم صرف عن القضاء في خامس جمادى الأولى [١٩٩] بأبي القاسم عبد الحاكم بن وهيب . ثم صُرف أبو غالب عن الوزارة واستدعي أبو البركات حسين بن عماد اللؤلؤ الجرجاني من صُور فحضر إلى مصر ووليها في مستهل رجب ، فأقام إلى العشر الآخر من رمضان وصُرف عنها ؛ وصُرف أيضا عن القضاء عبد الحاكم . وجُمعا معاً ، الوزارة والقضاء ، لابن أبي كدينة ، فباشرهما إلى رابع ذى الحجة ، فصُرف عن الوزارة وقرّر فيها أبو علي الحسن بن أبي سعيد التُّستري^(١) وقرّر في القضاء أحمد بن عبد الحاكم .

وفيها فارق أمير الجيوش بدر ولاية دمشق فراراً من أهلها لثورتهم به ؛ فقرّر المستنصر بدله الأمير حصن الدولة أبا الحسن علي بن حيدر بن منزوين النعمان الكنائي . وفيها قتل قُطْلُمُش بن إسرائيل بن سلجوق^(٢) ، صاحب قونية^(٣) وأقصر^(٤) ، فقام بعده ابنه سليمان ابن قُطْلُمُش وفتح أنطاكية

(١) ويوافق أول المحرم منها الخامس والعشرين من ديسمبر سنة ١٠٦٣ .

(٢) وكان مصرعه بالقرب من الرى في معركة بينه وبين أبي أرسلان ، سلطان السلاجقة ، وله اشترك نظام الملك ، وزير أبي أرسلان ، في هذه المعركة . يقول ابن الأثير : « وجد قتلش - بعد المعركة - ميتاً ملقاً على الأرض لا يدرى كيف كان موته ، قيل إنه مات من الخوف » . الكامل : ١٠ : ١٢ - ١٣ . وكان قتلش من كبار الأُمراء السلاجقة ، وهو رأس الفرع السلجوقي الذي حكم آسيا الصغرى وعرف هذا الفرع باسم سلاجقة الروم . ويرسم اسمه بالطاء أيضاً : قتلش .

(٣) كانت في مطلع الوقت حاضرة دولة سلاجقة الروم ، وتقع داخل منطقة تلّال كبادوكيا . مسج البلدان : ٧ : ٧٦

انظر كذلك : A History of the Crusades; Vol.I; the map; P. 80

(٤) أو أقصر أو أقصرى في نفس المنطقة المذكورة في الحاشية السابقة . نفس المصدر : P. 625 ، وكذلك الخريطة ص : ٨٠ من نفس الكتاب

في النصف من المحرم صُرف عن الوزارة أبو علي بن أبي سعيد ، وصرف عن القضاء أبو أحمد بن عبد الحاكم . وتولى الوزارة أبو شجاع محمد بن الأشرف بن أبي غالب محمد ابن علي بن خلف ، وكان أبوه أحد وزراء بني بُوَيْه بَغْلَاد ، ثم صُرف عنها ثاني يوم ، واستقر في القضاء والوزارة جميعا أبو محمد بن أبي كلينة في حادى عشره ، فلم يُقيم غير أربعة أيام وصرف عنها في سادس عشره . وأعيد أبو شجاع محمد بن الأشرف إلى الوزارة ، وتقلد القضاء جلال الملك أبو أحمد بن عبد الكريم . فقام ابن الأشرف في الوزارة إلى نصف ربيع الأول ، وصُرف ، وقُرّر في الوزارة سديد الدولة أبو القاسم هبة الله بن محمد الرعباي الرحبي ، ثم صرف في آخره . واستؤِز ابن أبي كلينة ، وأُعيد إليه القضاء أيضًا في نصف جمادى الآخرة ، فباشرها إلى نصف رجب ، وصرف عن الوزارة بأبي المكارم رئيس الرؤساء الشرف بن أسعد ، وعن القضاء بعبد الحاكم بن وهيب . ثم قبض على الوزير أبي المكارم في العشر الأخير من شوال ، وتولى الوزارة بعده الأثير أبو الحسن علي بن الأنباري فقام شهرًا ، وصُرف في ذى الحجة عن الوزارة ، ولم يُعَد إليها .

(١) ويوافق أول المحرم فيها الثالث عشر من ديسمبر سنة ١٠٦٤ .

سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (١) :

في سادس عشرين منه صُرف ابنُ أبي كلينة عن القضاء واستقرَّ عِوضه جلالُ الملك
أبو أحمد ، ونُعت بقاضى القضاة الأعظم . وفي تاسع ربيع الآخر أعيد إلى الوزارة أبو القاسم
هبة الله بن محمد الرِّعْباني ، وصرف عنها في السادس عشر منه .

وفي جمادى الأولى ولَّى المستنصر أميرَ الجيوش بدرًا الشامَ بأسره ، فخرج إليها بعد
ما أنفق عليه ألف ألف دينار . وفي جمادى الآخرة جمع القضاء والوزارة لأبي أحمد جلال
الملك ، ثم صُرف بعد أيامٍ عن الوزارة بأبي الحسن طاهر بن وزير ، فباشَر أيامًا يسيرة ،
وصُرف بأبي عبد الله محمد بن حامد التُّنَيْسِي ، وأقام يومًا واحدًا ، ثم صُرف وقُتِل .
فاستوزر أبو سعد منصور بن زنبور^(١) ، فلم يُقيم في الوزارة غيرَ أيامٍ قليلة وهرب ،
فأقيم بعده أبو العلاء عبد الغنى بن نصر بن سميد الضَّيْف ، فباشَر أيامًا يسيرة وصرف .

وكان دخولُ أمير الجيوش إلى دمشق في سادس شعبان ، وبلغ ما بلغت نفقة المستنصر
عليه ألف ألف دينار^(٢) .

(١) ويوافق أولُ الحرم منها الثالث من ديسمبر سنة ١٠٦٥ .

(٢) وكان نصرانياً فأسلم ، والنصارى يتكرومون إسلامه واسمه أهرمسد منصور بن أبي إمين سورس بن مكرواه بن زنبور .
نهاية الأرب .

(٣) وهذه هي ولايته الثانية عليها ، تركلت الأولى سنة ١٠٥٥ ، ولم يتم طويلاً آنذاك إذ فر منها بسبب ثورة أهل
دمشق والمسكر عليه .

فيها قويت شوكة الأتراك واشتد بأسهم وطلبوا الزيادات في واجباتهم ورواتبهم ، وساعت أحوال العبيد وكثر ضررهم وهم يتزايدون ، حتى صار منهم بالقاهرة ومصر وما في ضوايرهما من القرى نحو الخمسين ألف عبد ، ما بين فارس وراجل . ونخلت خزائن أموال المستنصر وضعفت الدولة . فبعثت السيدة أم الخليفة المستنصر إلى قواد العبيد تفرغهم بالأتراك ، وتحثهم على الإيقاع بهم ومحاربتهم وإخراجهم من مصر ، فجمع قواد العبيد وحشدوا طوائفهم ، وصاروا إلى شبرا فمهور ، وساروا إلى الجيزة ، فخرج إليهم الأتراك يريدون محاربتهم ، وقد بلغت النفقة في تغليبهم إلى الجيزة ألف ألف دينار . فالتقى الفريقان ، وكانت بينهما حروب انجلت عن كسرة السودان وهزيمتهم إلى الصعيد .

وكان مقدم طوائف الأتراك يومئذ ناصر الدولة أبو علي الحسن بن الأمير أبي المجهاد ابن حمدان ، فرجع بالأتراك إلى القاهرة وقد قويت نفسه وعظم قهره ، واشتدت شوكته ، ونقلت [٩٩ ب] وصانته . وتلاحق العبيد بعضهم ببعض واجتمعوا في بلاد الصعيد وهم في عدد يتجاوز الخمسة عشر ألفا ما بين فارس وراجل ، فساء ذلك الأتراك وأقلقهم ، فصار أكابرهم إلى المستنصر وشكوا إليه أمر العبيد . فأمرت أم المستنصر جماعة ممن كان عندها من العبيد أن يقتحموا على الأتراك فهاجمهم على حين غفلة وقتلوا منهم جماعة . ففر ابن حمدان حينئذ إلى ظاهر القاهرة ، وتساخر إليه الأتراك وقد استمدوا لمحاربة العبيد ، فخرج إليهم حلة من العبيد الذين كانوا بالقاهرة ومصر . فكانت بين الطائفتين حروب شديدة مدة أيام ، لحلف منذ ذلك ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينفصل إمامه أو عليه . وثبت كل منهما ، فكانت الكرة لابن حمدان على العبيد ، فوضع السيف فيهم وتجاوز الحد في كثرة

(١) ويراقد أوله المحرم منها الثاني والثالثين من نوفمبر سنة ١٠٦٦ .

قتلهم ، وتنبههم في كل مكان حتى لم يدع في القاهرة ومصر منهم إلا قليلا ، وهم مقيمون بالصعيد والاسكندرية . فرأى ابن حمدان أن يبدأ محاربة من في الاسكندرية منهم ، فسار إليها ونازلها مدة ، وحصر البيد بها ، وألح في مقاتلتهم حتى طلبوا منه الأمان ، فأقام على ولايتها ^(١) رجلا من ثقاته . وانقضت هذه السنة كلها في قتال البيد والأتراك .

وفي يوم عيد الفطر أفرج عن حميد بن محمود بن الجراح وحازم بن علي بن الجراح ، الطائيين ، من خزانة البنود بعد ما أقاما محبوسين مدة طويلة .

وفيها قطعت دعوة المستنصر من اليمن بقتل الصليحي ^(٢) وأعيدت دعوة بني العباس .

وأما الوزراء فإن ابن أبي كدينة صرف في ثامن المحرم ، وولى أبو القاسم عبد الحاكم المليحي ، فأقام إلى سابع جمادى الآخرة ، وصرف ؛ وأعيد ابن أبي كدينة ، فأقام أياما وصرف ؛ وأعيد المليحي فلم يقيم سوى ليالي يسيرة وصرف ؛ وأعيد ابن أبي كدينة فأقام إلى ثامن عشر ذي القعدة ، وصرف بجلال الملك بن عبد الحاكم .

وفيها قتل فتوح الشامي أحد قواد البيد ؛ وكان المنفق حين قتل خمسمائة ألف دينار .

(١) في الأصل : على ولايته ، والمثبت أوله .

(٢) يوافق ابن الأثير المقرري في أن الصليحي قتل هذه السنة ، ويشاركها في ذلك زاهر . ويذكر صاحب النجوم الزاهرة أنه توفي سنة ٤٧٣ . راجع الكامل : ١٠ : ١٩ ؛ النجوم الزاهرة : ٥ : ١١٢ ؛ قارن أيضا ابن - بول :

Mohammadan Dynasties.

في المحرم خرج الأتراك مُبرزين إلى الرملة حين قتل شهاب الدولة ، وقد بلغت نفقه المستنصر فيهم ألف ألف دينار .

وفيه اشتد البلاء على المستنصر بقوة الأتراك عليه وطعمهم فيه ، فأنحرق تاموشه ، وتناقصت حرته ، وقلت مهابته ، وتعتوا به في زيادة واجباتهم . وكانت مقرراتهم في كل شهر ثمانية وعشرين ألف دينار ، قبلت في هذه السنة إلى أربعمئة ألف دينار في كل شهر ، فطالبوا المستنصر بالأموال .

وركب ناصر الدولة الحسين بن حمدان ومعه جماعة من قواد الأتراك ، وحصروا المستنصر وأخلوا جميع الأموال ، ثم اقتسموا الأعمال ، وركبوا إلى دار الوزير ابن أبي كدينة يريدون الأموال ، فقال : وأى مال بقى ؟ الريف في يد فلان والصعيد في يد فلان والشام في يد فلان . فقالوا : لا بُدَّ أن تُنفذ إلى مولانا وتطلب منه وتُعلمه بحضورنا . فكتب الوزير إلى المستنصر رقة يذكر فيها حضورهم بألقابهم وما يطلبون ، فخرجت الرقة بخط المستنصر فيها مكتوب :

« أصبحت لا أرجو ولا أثق إلا إلهي ، وله الفضل

جسدي نبوي ، وإمامي أبي وقولي التوحيد والعدل

المسال ال الله ، والعبد عبد الله ، والإعطاء خير من المنع . وسيعلم اللين ظلموا أي مُنقلب يتقلبون (٢) . واعتذر بأنه لم يبق عنده شيء . فاضطروه إلى إخراج ذخائره وذخائر

(١) ويزان أول الحرم منها الحادي عشر من نوفمبر سنة ١٠٦٧ .

(٢) سورة الشراء : آية : ٢٢٧ .

آبائه وبهيمها ، فأخذ يخرج ذلك شيئا بعد شيء ، وهم يأخذونها لأنفسهم بأيديهم ويشتمونها بأقوال القم وأبيض الأثمان .

وسار ابن حمدان بجماعة الأتراك إلى الصعيد يريد محاربة العبيد ، وكان قد كثر شرهم وتزايد ضررهم ، وعم الكافة أذاهم وإفسادهم ، فاجتمعوا لحربه واستعدوا للغاية . فسار إليهم في شهر رمضان وقد بلغت النفقة عليه وعلى من معه ألف ألف دينار ، وكانت بينهما حروب عظيمة ووقائع عديدة انتحلت عن كسرة الأتراك وهزيمتهم إلى الجيزة . فتلاق بعضهم ببعض وصاروا يداً واحدة على المستنصر ، وألبوا عليه ، واتهموه بأنه بعث إلى العبيد بالأموال في السر ليقويهم على محاربة الأتراك ، وجَّهوا له بالسوء من القول [١١٠٠] . فقال لهم إنه لم يبعث إليهم بشيء ولا أمدتهم بمعونة . وأخذ الأتراك في لم شعثهم والتأعب لمحاربة العبيد ، حتى تهيأ أمرهم بعد أن أنفق المستنصر فيهم عوضاً عما نهب السودان لهم وضاع من أموالهم ألف ألف دينار . وساروا إلى قتالهم مرة ثانية ، فالتقوا بهم وصابروهم القتال ووالوا عليهم الكرات حتى انهزم العبيد منهم ، وقتل كثير من أعدادهم ، بحيث لم ينج منهم إلا القليل ، وزالت حينئذ دولتهم .

وعظم أمر ناصر الدولة واستبدت بالأمور ، فصرف ابن أبي كدينة من الوزارة وأعاد الملبجي فلم يبق غير خمسة وصُرف : وأعيد ابن أبي كدينة ، وجمع له بين الوزارة والقضاء معاً . في ربيع الأول ، فأقام فيها إلى جمادى الأولى ، وصرف عن القضاء بجلال الملك ، فأقيم في منصب القضاء إلى سلخ رمضان ، فصُرف عن القضاء بالملبجي . فأقام الملبجي قاضياً إلى يوم عيد النحر ، وصرف ، وتولى ابن أبي كدينة .

وفيها كانت بدمشق حروبٌ بين أمير الجيوش يَئز وبين عسكريته^(١) ، فكانت الحروبُ طول السنة في بلاد الشام وديار مصر قائمة لا تَهْأأ .

وسار الأمير قطب الدولة بآز طَخَان إلى ولاية دمشق ، ومعه أبو الطاهر حيدرة بن مختص الدولة أبي الحسين ، ناظرًا في أعمالها^(٢) .

وفيها زُلْزِلَت مصرُ زلزلةً عظيمةً ، حتى طلع الماء من الآبار وهلك عالمٌ عظيمٌ تحت الرَّدْم . وزال البحرُ بفلسطين من الزلازل وبَعُدَ عن السَّاحل مسيرة يوم ، ثم رجع فوق عالمٌ كبيرٌ خرجوا يلتقطونَ مِنْ أَرْضِهِ . وخربت الرَّمْلة خرابًا لم تَعْمُر بعده .

وفيها أنْفِقَ في غير استحقاقٍ لَمُدَّة خمسة عشر شهرًا ، أَوَّلُهَا عاشرُ صفر سنة ستين ، مبلغ ثلاثين ألف ألف دينار .

(١) وكانت الاضطرابات قد بدأت منذ تولي بدر الشام للمرة الثانية سنة ٤٥٨ هـ ، إذ قتل ولده بمسقلان لشغل هو إلى مصر الإجابة وأقام إلى أن تحركت الفتنة بينه من جهة وبين عسكريته ، ثم مع أهل دمشق وتحولت إلى حروب محلية في مجامع الأولى من هذه السنة هـ سنة ٤٦٠ هـ . قارن ذيل تاريخ دمشق : ٩٣ .

(٢) يذكر ابن الفلاس أن بدرا ظفر بالشريف أبي الطاهر هذا بعد قليل ، فلما حصل في يده قتله مسلحًا ، فعظم ذلك على كافة الناس واستبشعوه . ويذكر ابن تيمري رحمه الله مثل ذلك . ذيل تاريخ دمشق : ٩٤ ؛ انظر أيضا النجوم الزاهرة : ٨٠ هـ .

فيها قوى تغلب المارقين على المستنصر واستباحوا ما وجئوا في بيوت أمواله ، واشتدّت مطالباتهم بالواجبات المقررة لهم ، وسألوا الزيادات في الرسوم . واقتسم مقدّموهم دور المكوس والجبایات ، وتغلب كل من بقى منهم على ناحية ؛ ولم يبق للتولة ارتفاع يحول عليه ، ولا مال في القياصر يرجع إليه . وأخرج من الذخائر مالا شوهد فيها بعده من التول مثله نفاسة وغرابة ، وجلالة وكثرة ، وحسنا وملاحة ، وجودة وسناء قيمة وعلو ثمن ؛ ونقل منه التجار إلى الأصمار شيئا كثيرا ، سوى ما أخرج بالنار بعد ما امتلأت قياصير^(٢) مصر وأسواقها من الأمتعة المخرجة من القصر المبينة على الناس ، التي أنفق منها في أعطيات الأتراك وغيرهم لسنة ستين وأربعمائة . فأهلت سنة إحدى وستين هذه وقد اشتد الخوف بمصر ، وكثر التشليح في الطرقات نهارا والخطف والقتل . وصار الجند فرقتين ، فرقة مع الخليفة المستنصر وفرقة عليه .

وذلك أن الوحشة ابتدأت بين الأتراك وبين ناصر الدولة ابن حمدان ، لقوة بأسه وتفردّه بالأمور دونهم ، واستبداده بالدولة عليهم ، فنافسوه وحسدوه ، وصاروا إلى الوزير خطير الملك^(٣) وقالوا له : كل ما خرج من الخليفة من مال أخذه ناصر الدولة وتفرق أكثره في حاشيته ، ولا يتأثنا منه إلا الشيء القليل . فقال لهم إنما وصل ناصر الدولة إلهم هذا وغيره مما هو فيه يكم ، ولولا أنتم لما كان له من الأمر شيء ، ولو أنكم غارقتموه لا نحل أمره . واتفقوا على أن يكونوا جميعا عليه ، ويحاربوا حتى يظفروا به ويخرجوه من مصر . ودخلوا إلى الخليفة المستنصر وسألوه أن يبعث إلى ناصر الدولة بالخروج من البلاد ، ونهيته إن لم يخرج ، فبعث إليه يأمره بالخروج عن بلاده ، فسانع إلى الخروج^(٤) عن

(١) ديوان أول المهرم منها الحادي والثلاثين من أكتوبر سنة ١٠٦٨ .

(٢) جمع قياصرة ؛ وهي الأسواق .

(٣) وهو أبو محمد الحسن بن هلال بن أسد بن أبي كنهنة .

القاهرة ونزل بالجيزة . فامتدت الأيدي عند خروجه إلى دُورِهِ ودُورِ حواشيه وأصحابه ،
وانتهبتها وأفسدتها .

فلما كان في الليلة التي خرج قبلها دخل في خَفَاو واجتمع بالقائد تاج الملوك شَادِي
وترأى عليه وقَبْلَ رجله ، وقال له : اضْطَيْعْنِي وَأَنْصُرْنِي عَلَى الْوَزِيرِ الْخَطِيرِ وَعَلَى الدِّيكِزِ^(١) ،
بأنْ تَرْكَبَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ وَتَسِيرَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ ، فَإِذَا أَمَكَنْتَكَ الْفُرْصَةُ فَاقْتُلْهُمَا ، فَوَافَقَهُ
عَلَى ذَلِكَ وَأَجَابَهُ إِلَيْهِ ؛ [١٠٠ ب] وَرَجَعَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ إِلَى مُخِيَمِهِ بِالْجِيزَةِ . فَلَمَّا طَلَعَ
النَّهَارُ شَرَعَ تَاجُ الْمُلُوكِ فِي عَمَلٍ مَا تَقَرَّرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمِيرِ الدَّوْلَةِ ، فَأَحْسَنَ الدِّيكِزُ بِالْمَكِيدَةِ
فَسَارَعَ إِلَى الثَّلْهَوْقِ بِالْقَصْرِ ، وَاسْتَجَارَ بِالْمُسْتَنْصِرِ . وَأَقْبَلَ الْوَزِيرُ فِي مَوَكِبِهِ وَلَيْسَ لَهُ شَعُورٌ
بِمَا بُيِّنَ فِي اللَّيْلِ ، فَصَادَفَهُ تَاجُ الْمُلُوكِ عَلَى غِرَّةٍ مِنْهُ ، فَأَوْقَعَ بِهِ وَقَتْلَهُ ، وَسَبَّرَ فِي الْحَالِ إِلَى
نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَحَضَرَ . وَحَسَّنَ الدِّيكِزُ لِلْمُسْتَنْصِرِ أَنْ يَرْكَبَ لِمُحَارَبَةِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ، فَلَبِسَ
سِلَاحَهُ وَأَبْسَ مَنْ مَعَهُ وَرَكَبَ ، وَنَزَلَ ، فَصَارَ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ وَالْعَامَّةِ مَا لَا يُحْصَى عَدَدُهُمْ
كَثْرَةً . وَوَقَفَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بَيْنَ مَعَهُ ، وَنَشَبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا ، فَكَانَتِ الْكِسْرَةُ عَلَى نَاصِرِ
الدَّوْلَةِ ، فَانْهَزَمَ وَقَدْ قَتَلَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَمَرَّ عَلَى وَجْهِهِ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ فِي يَسِيرِهِ مِنْ
أَصْحَابِهِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَنِي سَنْبَسَ بِالْبَحِيرَةِ فَنَزَلَ عَلَيْهِمْ ، وَأَقَامَ فِيهِمْ وَاسْتَجَارَهُمْ ،
وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ .

وَاشْتَدَّ الْفَلَاحُ بِمِصْرَ ، وَقَلَّتِ الْأَقْوَاتُ فِي الْأَعْمَالِ ، وَعَظُمَ الْفَسَادُ وَالْفُضُورُ ، وَكَثُرَ الْجُوعُ
حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ الْجِيْفَ وَالْمِثْنَاتَ ، وَوَقَفُوا فِي الطَّرِيقَاتِ يَخْطِفُونَ مَنْ يَمُرُّ مِنَ النَّاسِ فَيَسْتَلْبِثُونَهُ
مَا عَلَيْهِ ، مَعَ مَا نَزَلَ بِالنَّاسِ مِنَ الْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ الَّتِي هَلَكَ فِيهَا مِنَ الْخَلْقِ مَا لَا يُحْصِيهِمْ

(١) أُمِدَّ الدَّوْلَةُ ؛ وَكَانَ شَيْخُ الْأَرَاكِ وَالْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ ، تَزَوَّجَ ابْنَةَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ ابْنَ حِصْدَانَ ، وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ أَنْ يَدْبُرَ
كُلَّ نِيَّةٍ الْمَكَايِدَ لِلْآخِرِ .

إِلَّا خَالِفَهُمْ . وخاف الناس مِنَ النَّهْبِ ، فَعَادَ التَّجَارُ إِلَى مَا ابْتِاعُوهُ مِنَ الْمُخْرَجِ مِنَ الْقَصْرِ يُحْرِقُونَهُ بِالنَّارِ لِيُخْلَصَ لَهُمْ مَا فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . فحرقوا من الثياب المنسوجة بالذهب والأمتعة من السطور والكلل والقرش ، والمظال والبندو والأعماريات^(١) ، والمنجوقات^(٢) والأجلة^(٣) ، ومن السروج الذهب والفضة والآلات المجرة بالمينا والمرصعة بالجوهر ، شئ لا يمكن وصفه ، مما عُيِّلَ فِي دَوْلِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِهَا .

وَلِي سَادِسُ صَفَرٍ وَهَبَ لِسَعْدِ الدَّوْلَةِ ، الْمَعْرُوفِ بِسَلَامٍ عَلَيْكَ ، مَا فِي خِزَانَةِ الْبِنُودِ مِنَ الْآلَاتِ وَالْأَمْتَعَةِ وَغَيْرِهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا أَلْفًا وَتِسْعَمِائَةَ دِرْهَمَ لَمْطِيَّةٍ^(٤) ، سِوَى مَا كَانَ فِيهَا مِنَ آلَاتِ الْحَرْبِ وَالْقُصْبِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَالْبِنُودِ ، فَسَقَطَتْ شَرَارَةٌ لَهَا هُنَاكَ فَاحْتَرَقَ جَمِيعُهُ ، وَكَانَتْ لِلذَّكَاءِ غَلَبَةً وَخَوْفٌ شَدِيدٌ . فِيمَا احْتَرَقَ فِيهَا عَشْرَاتُ أُلُوفٍ مِنَ السُّيُوفِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ثَمًا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، بِحَيْثُ إِنَّ السُّلْطَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَ احْتِاجٍ إِلَى سِلَاحٍ ، فَأَخْرَجَ مِنْ خِزَانَةِ وَاحِدَةٍ مِمَّا بَقِيَ وَسَلَّمَ مِنَ الْحَرِيقِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ سَيْفٍ مَجْهُورَةٍ سِوَى غَيْرِهَا . وَأَخْرَجَ مِنَ الْقَصْرِ صَنْدُوقَ كَبِيرٍ مِنْهُ سَبْعَةُ أَمْتَادٍ^(٥) زَمْرَدٍ ، ذَكَرَ الْجَوْهَرِيُّ أَنَّ قِيَمَتَهَا عَلَى الْأَقْلَى ثَلَاثَةُ أَلْفٍ دِينَارٍ . وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ فَخْرُ الْعَرَبِ ابْنُ حَمْدَانَ^(٦) وَابْنُ سَنَانَ وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَسَدٍ بْنِ أَبِي كَدِينَةَ ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُخَالِفِينَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمَنْ أَخْضِرَ مِنَ الْجَوْهَرِيِّينَ : كَمْ قِيَمَةٌ هَذَا ؟ فَقَالُوا : إِنَّمَا تُعْرِفُ قِيَمَةَ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ مِثْلَهُ مَوْجُودًا ، وَمِثْلُ هَذَا لَا قِيَمَةَ لَهُ . فَاعْتَظَا ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي كَدِينَةَ : فَخَرَّ الْعَرَبُ كَثِيرٌ الْمَوْزُونَةُ وَعَلَيْهِ خَرَجٌ ، وَالتَفَتَ إِلَى كُتَّابِ الْجَيْشِ ، فَقَالُوا : يَحْسَبُ عَلَيْهِ بِخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ وَقَبِضَهُ .

(١) العاريات نوع من الموداج ، ومفردها عارية بتشديد الميم .

(٢) ومفردها منجوق ، نوع من الأعلام . Dozy; Supp. Dict. Ar. .

(٣) الجمل لقذابة كالتوب للإنسان : كساء يقبها البرد والحر ، والجمل جلال وأجلال وجمع الجلال أجلة .

(٤) نسبة إلى اللط وهو اسم قبيلة من البربر بالقصى الغرب ، ودرتهم تصنع من الجلد الذي ينتع في الخليل سنة ، فتكسب قوة ينو عنها اليد للقتال . النجوم الزاهرة ٤ : ٨٢ ، حاشية : ١ .

(٥) للترتيب : القبع يساوي مدا ونصفه مد . قوانين الدولتين : ٣٦٦ .

(٦) فخر العرب علي بن أبي عبد الله الحسين بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن . معجم الأنساب .

وأخرج عَفْدُ جوهر قيمته على الأقل ثمانون ألف دينار فُكِّبَ بالثني دينار ، وتشاغل الحاضرون بنظر ما سواه فانقطع سلكه وتناثر حبه ، فأخذ واحد حبة فجعلها في جيبه ، وأخذ ابنُ أبي كدينة حبة ، وأخذ فخر العرب شيئا ، وتفرق الباقيون سائره ، فذهب كأن لم يكن . وأخرج ما أنفذه الصليحي من نفيس الدر وكيل ، فجاء سبع وبيات . وأخرج ألقان ومائتا خاتم ما بين ذهب وفضة يفصوص من بين سائر أنواع الجواهر ، ما كان للخلفاء ، شهود منها ثلاثة خواتم من ذهب أحدها فضة زمرد والثان ياقوت غشيم صافٍ ورماني ، كان شراء الفصوص اثني عشر ألف دينار . وأخرج من خزائن القصر ما يزيد على خمسين ألف قطعة من الثياب الخضروانية^(١) أكثرها مذهب .

وقال ابن عبد العزيز أخرج من الخزائن على يدي أكثر من مائة ألف قطعة

ولما اشتد على المستنصر أمر الأتراك وطلبوه بجرايتهم بعث إلى العميد ابن أبي سعد في إحضار جوهر كان عنده ، فأحضر خريطة فيها نحو من وربة ، فأحضر أرباب الخبرة من الجوهريين ليقوموه ، فذكروا أنه لا قيمة له ولا يشتري مثله^(٢) إلا الملوك ، فقومت بعشرين ألف دينار - وكان مشتراه على حده سبعمائة ألف دينار - ففرق في الأتراك وقبض كل منهم جزاء بقيمة الوقت . وقسمت [١٠١] خزائن السيوف وآلات السلاح بين عشرة ، وهم ناصر الدولة ابن حمدان ، وأخوه فخر الدولة علي ، وتلذكوش ، وأمير الأمراء الحسين بن سُبُكْتِكِين ، وسلام هليك ، وشاور بن حسين ، وتاج الملوك شادي ، والأعز ابن سنان ، ورضي الدولة بن رضى الدولة ، وأمير العرب ابن كَيْفَلَخ . فكان من جمعتها ذو الفقار^(٣) ، وصمصامة عمرو بن معدى كرب ، وسيف عبد الله بن وهب الراسبي ، وسيف

(١) نوع رقيق من الحرير .

(٢) في الأصل : ولا يشتري له إلا الملوك .

(٣) ذو الفقار سيف الدامس به منه الذي قتل يوم بدر وهو كافر ، فصار سيده إلى الرسول ، صل الله عليه وسلم ، ثم إلى علي كرم الله وجهه .

كافور الإخشيلى ، وسيف المعز لدين الله ، ودرع المعز وكانت تساوى ألف دينار بيعت منها كواكبُ بمائة دينار ، وسيف الحسين بن على ، عليه السلام ، وكان وزنه ثلثمائة وستين مثقالاً ، وسيف الأشتر النخعى ، ودرقة حمزة بن عبد المطلب ، وسيف جعفر بن محمد الصادق .

ودخل فى بعض الأيام من باب الديلم^(١) ، أحد أبواب القصر ، تاجُ الملوك شادى ، ونصر العرب على بن ناصر الدولة ابن حمدان ، ورضى الدولة بن رضى الدولة ، وأمير الأمراء أبيبكيك بن مَبْكِيكِيك ، وأمير العرب ابن كَيْطَلَع ، والأعز بن سنان ، وعدة من الأمراء البغداديّين ، وصاروا فى الإيوان ومعهم أحد الفرائشين وقَعْلَةً ، فأنشروا إلى حائط مُجَبَّر ، فأمرُوا القَعْلَةَ بكشف الجبر ، فظهر بابُ فُهْدَم ، فإذا خزانة ذكر أنها من أيام العزيز بالله ، فوجدوا فيها من السلاح ما زادت قيمته على عشرين ألف دينار ، فحملوا جميع ذلك وتفرقوه . وصارت حواشيهم وركابياتهم^(٢) يكسرون الرماح ويتلقفون أعوادها ليأخذوا المهارك الفضة . وبيع من الرماح الخطيئة السمر الجياد شيء كثير مما كسره الغلمان للمغازليين وصنّاع مواد الفول حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة ، ولم يعترضهم أحد من أهل الدولة .

وأخذ ما فى خزائن البنود ومن المعكم والمينا المُجَرَى بالذهب والمجُرد والبغدادى والمذهب والمُخَنَج^(٣) والصينى مالا يُحصى . وأخذ أيضاً ما فى خزائن الفُرش من البُسُط والمُستور

(١) تجاه دار الفترة التى كانت قسماً من إصطبل الطائفة (سبق التعريف بأن الطائفة بيت من خشب ، فارسى معرب) وكان باب الديلم هذا موصلاً إلى المشيد الحقيقى ، وموضعه الآن بوابة أثرية تنهى إلى الباب الأخضر ، النجوم الزاهرة : ٣٦ : ٤ ، حاشية : ٥ .

(٢) الركابية والركابيدارية : المائلون فى بيت الركاب الذى تكون به السروج والهم ونحوها ، صبح الأُممى Dozy; Supp. dict. Ar. ٤١٢ : ٧ : ٤

(٣) الخنَج يُجر لونه بين صفرة وحمرة تتخذ الألوان من خشبه ، ومصدره الأصل الصين والمند . النجوم الزاهرة : ٨٥ : ٤ ، حاشية : ٩ .

والنفائس من الحرير وغيره ، مالا يُعرفُ له قيمة لكثرتِه . وأُخرج في يومٍ من خزائن
من القصر عِدَّة صناديق ، فوجد في أحدها أمثال كيزان الفخاق^(١) من صافي البللور المنقوش
والمجرد شيءٌ كثير ، وإذا جميعُها مخلوطة من ذلك وغيره .

وبيعت في تركة عماد الدولة بن الفضل من المحرق ، بعد قتله ، مما كان قد صار إليه
من مُخرَج القصر مرتبة خُسرْوانية حمراء بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ، ومرتبة قلمونية^(٢)
بالفَيْن وأربعمائة دينار ، وثلاثون سُنْبيَّة كُلُّ واحدة بثلاثين ديناراً ، وقدر بللور بمائتين
وعشرين ديناراً ، وخردادى بللور بثلاثمائة وستين ديناراً ، وكوز بللور بمائتين وعشرة دنانير
وكَلَّة بِثَمَانِمائة دينار ، وعدة صُحون ميناَءَ بيع كل منها بمائة دينار فما دونها . وخرج من
القصر خردادى وباطية من بللور في غاية النقاء وحُسن الصَّنعة ، مكتوبٌ عليها اسم العزيز
تَمَحَّ الباطية سبعة أطلال ماء ويسع الخردادى تسعة أطلال ، دفع فيهما ابن عَمَّار بطرابلس
ثمانمائة دينار فامتنع صاحبهما .

وقال المعتمد أبو سعد النهأوندى أحد الأمناء ، وحَدِّه دون غيره من أمناء القصر ،
مِمَّا أُخرج بِبيع ثمانى عشرة ألف قطعة بللور ومحكم ، منها يساوى الألف دينار وإلى عشرة
دنانير ، ونَيْفٌ وعشرون ألف قطعة خُسرْوانية ، إلى غير ذلك من الفُرُش والتعليق ما بين
مذهبة وغير مذهبة . وبيع في مدَّة خمسة عشر شهراً ، أوَّلُها عاشر صفر سنة ستين وأربعمائة ،
سوى ما نُهبَ وسرق ، فما خرج من القصر ما تحَصَّلَ مِنْ ثَمَنه ثلاثون ألف ألف دينار ،
على أَنَّهُ بيع بأقلَّ القيم وأنزِر الأثمان ، وقبض الجُنْدُ والأمرُكُ جميعُها من غير أن يستحقَّ
أحدُ منهم دونهما واحداً منها .

(١) الفخاق شراب يصنع من الشعير ، سى بذلك لما يرتفع في قفنه من الزبد . الفاقوس المحيط ؛ النجوم الزاهرة :

٩ : ٤

(٢) قلمون ، بولبلون نوع من الحرير المزركش من إنتاج تليس . سفرنامه ، تأليف ناصر خسرو ، وترجمة
الدكتور يحيى الخشاب .

ودخلوا إلى خزانة الرّفوف ، وكانت خزانة عظيمة بالقصر من جملة خزائن القُرُش ،
 فيها رُقُوفٌ كبيرة بعضها فوق بعض ، ولكل منها سُلْمٌ منفرد ، فأُخرجوا منها ألقي عِدْلٌ
 شَقَقًا طميا بهُتُها من سائر أنواع الخُسروانيّ وغيره لم تُستعمل ، وكلُّها ملقّب معمول
 بسائر الأشكال والصور . ويُجد في عدل منها أُلُجَّة للقبلة من خُسروانيّ أحمر مذهب كأحسن
 ما يكون ، وموضع نزول أفخاذ الفَيَال ورجليه سارج بخير ذهب . وأُخرج من [١٠١ ب]
 بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة من خُسروانيّ أحمر مُطرَز بأبيض لم تُفَصِّل ، برسم كُثُوة
 البيوت ، كل بيت منها كاملٌ بجميع آلاته ومسانده ومخادّه ومراتبه وبُسْطه وعُتبه
 ومقاطعه وسُتُوره ، وجميع ما يُحتاج إليه فيه .

وأُخرج من الحصر السّامانية المطرزة بالذهب والفضة وغير المطرزة مما هي مُجَرَّمَةٌ
 ومُطَيَّرَةٌ وطفيلة ، ومصورة بسائر الصور . مالا يحصى كثرة . وأُخرج من صواني الذهب
 المُجَرَّاة بالمينا وغير المجراة ، المنقوشة بسائر أنواع النقوش ، الملوّه جميعها جواهر من
 سائر أنواعه شيءٌ كبير جدا ، وثيَفٌ وعشرون ألف قطعة طمى من سائر الأمتعة . والنمس
 بعض الأثراك من المستنصر وقرمة^(١) سندس أخضر مذهبة اقتراحا عليه لعلها وقلة وجود
 مثلها ، فأُخرج منها عِدْلٌ كان العدد المكتوب عليه مائة وثمانية وثمانين من جملة أعداد
 أعدادٍ فيها من المتاع .

وأُخرج في يوم صناديق سروج محلاة بفضة ، وجد فيها صندوق مكتوب عليه :
 الثامن والتسعون والثلاثاء ، وعدّة ما فيها زيادة على أربعة آلاف سرج . ووجد غلاف خيزران
 مبطنٌ بالحرير محلاة بالذهب خالية من الألوان ، كتبت تسعة عشر ألف غلاف ، كان في
 كل غلاف قطعة من البلّور أو مجرودا محكم أو ما شاكل ذلك .

(١) القرام ككتاب : السّر الرقيق ، ويضمهم يزيد فيقول : وفيه دُمّ وقروش ، والمقرم وزان مقود ، وبالهاء
 أيضا ظه . المصباح للنبي .

ووجد مائة كان باذر^(١) على أكثرها اسم هارون الرشيد ، وَوُجِدَ سَتُورُ حَرِيرِيَّةٍ منسوجة بالذهب ، تقارب الألف ، مختلفة الألوان والأطوال ، فيها صور الدُّول ومُلُوكِها والمشاهير فيها ، مكتوب على صورة كُلِّ واحد منهم اسمه ومدة أيامه وشرح حاله . ووجد في خزائن عدَّة صناديق كثيرة مملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنسب مختلفة من سائر الجواهر . ووجد عدة صناديق كبيرة مملوءة من أنواع النُّوى المربعة والمُورَّة والصَّغار والكُبار المعمولة من الذهب والفضة والصُّنْدَل والعود والأَبْنُس والعاج وسائر أنواع الخشب المحلَّاة بالجواهر والفضة والذهب ، وسائر أنواع الحلل القريبة ، والصُّنْعة المعجزة الدقيقة ، بجميع آلاتها ، فيها ما يساوي الألف دينار وما فوقها سوى ما عليها من الجواهر ، وصناديق مملوءة مشارب ذهباً وفضةً محرقة بالسواد ، صفراءً وكُباراً ، بأحسن ما يكون من الصناعة . وصناديق مملوءة أقلاماً مبرَّية من سائر أنواع القصب ، فيها ما هو من بَرَايَةِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَلَّة^(٢) ، وابن البَوَّاب^(٣) وَمَنْ يَجْرِي مجراها ، وعدة مصاحف بخطَّيْهما وخط نظرتهما فيها ما هو مكتوب بالذهب المكحل بالأزورد . وعدَّة أزيار صيني كُبار مملوءة كالفورا قنصوريا ، وعدة كبيرة من جماجم العنبر الشجرى ، وكثير من قوارير المسك ، ومن شجر العود مقطعةً شَيْءٌ كثير .

ووجدتُ عدة خزائن مملوءة من سائر أنواع الصَّيني ، منها أجاجين^(٤) كُبار ، محمولة

(١) باذر : حجر غفيف هش ينسب إليه قوى غريبة في مقاومة السموم ويسمى أيضاً باذرهر ، وهو لفظ فارسي مركب من كلمتين : ياد = طارد ، زهر = سم . Dozy; Supp. Dict. Ar. صبح الأعشى : ٢ .

(٢) ابن مقلة : أبو علي محمد بن علي مولده سنة ٢٧٢ وتوفي سنة ٣٢٨ . وأبو مقلة علي بن الحسن بن عبد الله ، ومقلة لقبه . الفهرست : ٢٠ .

(٣) علي بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب ، شاعر مجيد وخطاط معروف ، توفي ببغداد سنة ٤١٣ هـ وقيل ١٢٣ . ويقال له ابن السَّري أيضاً لأن أباه كان يوابها والبواب يلزم ستر الباب . وفيات الأعيان : ١ : ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٤) مفرداً : الإجابة ، إزاء لئسلي الثياب والإجابة لئسلي تنسج القصصاء من استعمالها . الصلح المثير .

كلُّ إِبْجَانَةٍ منها على ثلاثة أَرْجُلٍ على صور الوُحُوشِ والسَّباعِ والنَّاسِ والبَهَائِمِ ، قيمةُ كلِّ قطعةٍ منها ألف دينار ، معمولةٌ لفضلِ الثَّيَابِ . ووجدت له خزانين مملوءةً من سائر أنواع الصَّوَانِي المَنْهُونَةِ ، سعةُ كلِّ واحدةٍ منها من العِشْرَةِ أَشْبَارٍ إلى ما دونها ، ثَمَنُها في جَوْفِ شَيْءٍ ، حتى تكون أصغرُها سعةُ الدرهمِ . ومن سائر أنواع الأطباقِ المخلَجِ الذي بهذه الصِّفَةِ . ومن الموائد المخلَجِ الكبار والصَّغار أُلُوفٌ ؛ ومن موائد الكرمِ الجفانِ الجورِ الواسعةِ بِمَقَابِضِ الفِضَّةِ التي لا يقدَّرُ الجملُ القَوِيُّ على حملِ جَفَتَيْنِ منها لعظمتها منها ما يساوي المائة دينار وما فوقها . ووجد من الدَّلَكِّ والمطاربِ والأسرةِ العُودِ والصَّنَدَلِ والأَبْنُوسِ والعاجِ وغيرِ شَيْءٍ كثير . وعدةٌ أَقْفَاصُ مملوءةٌ من بَيْضِ صَيْبٍ معمولٍ على هيئةِ البَيْضِ في خاتمه وبباضه يعمل فيها ما في البَيْضِ الشَّمِ سَبِتَ يومَ النَّصَادِ ؛ وكيزان من صَيْبٍ صِغارٍ وكبارٍ على خَلْقَةٍ كيزانِ القُقَاعِ يشرب فيها القُقَاعِ .

وُجِدَ كثير من الأعدالِ مملوءةٌ عِظَالاً من البَهِيمِ مما أهداه الصُّلَاحِيُّ . وأخرجت حَصِيرٌ من ذهبٍ زنتها ثمانية عشر رطلاً ذُكِرَ أَنَّ الحَصِيرَ التي جُلِّيتَ عليها بُورَانُ بَنَتْ الحِسنَ على المأمون . وأخرج غانٍ وعشرون صينيةً ميناةً مَجْرُىً بِالذَّهَبِ ، لما كعوبٌ تَعْلُوها عن الأرضِ مما بعثه ملكُ الرُّومِ للعزيز باللهُ ، قُوِّمَتْ كلُّ صينيةٍ بثلاثةِ آلافِ دينارٍ ، فأَخَذَهَا كُلُّهَا ناصرُ الدَّولَةِ ابنُ حَمْدَانَ . ووجد عدةٌ صناديقٍ مملوءةٍ مرايا [١٠٢] حديدٍ صَيْبِيٍّ وغيره من الزَّجَاجِ المِيناءِ مالا يحصى كثرةً ، وجميعها محلاةٌ بالذهبِ المشبكِ والفضَّةِ ، ومنها ما هو مَكْلَلٌ بِالْجَوْهَرِ في غُلْفِ الكَهْمِخْتِ^(١) وغيره من أنواعِ الحريرِ والخِيزرانِ كلها

(١) الكِيخْتُ والكَهْمِخْتُ . نوع من الجلود الملبوغة ، من الأحمر والأسود . ويدلُّ أن هذا النوع كان متعبداً بمصر إذا كان بالقاهرة جامع يعرف باسم جامع الكِيخْتِ يقول المقرئون عنه إنه بجانب موضع الكِيخْتِ مل شاطئ الخليج من جهة أرض العبالة ، كان موضعه داراً انتمأها مسلم الكِيخْتِ ، واسمه الحوي ، وعلمها جاسما . الخط : ٣٢٤٠ - ٣٢٦ .

مُضَيَّبَةٌ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَقَابِضُ الرِّايَا مَا بَيْنَ عَقِيْقٍ وَجَزَعٍ وَنَسْتَدِلُّ وَعُودَ وَأَبْنُسَ وَغِيْرِهِ .

وأُخْرِجَ عِدَّةُ أَغْدَالٍ مِنَ الْخِيَامِ وَالْمَضَارِبِ وَالْمَنَارَاتِ وَالْخَرَكَوَاتِ^(١) وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخِيَامِ الْمَعْمُولَةِ مِنَ اللَّبْيَقِ وَالْمَخْمَلِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْحَرِيرِ الْمُثْقَلِ وَغَيْرِ الْمُثْقَلِ ، ثُمَّ هُوَ مَنْقُوشٌ وَمُصَوِّرٌ بِسَائِرِ الصُّوْرِ الْعَجِيْبَةِ الصَّنْعَةِ ، وَسَائِرِ أَعْمَدَتِهَا مَكْسُوءَةٌ بِالْفِضَّةِ الْمَذْهَبَةِ ، وَلَهَا الصُّفْرِيَّاتُ^(٢) الْفِضَّةُ وَالْحَبَالُ الْقَطْنِيَّةُ وَالْحَرِيرِيَّةُ . فَكَانَ مِنْهَا مَا تُحْمَلُ الْخِيْمَةُ مِنْهَا عَلَى عَشْرِينَ بَعِيرًا وَأَكْثَرَ .

وَأُخْرِجَتِ الْمَدَوَّرَةُ الْكَبِيرَةُ ، وَكَانَتْ تَقُومُ عَلَى خَرْطِ عُمُودٍ طَوْلُهُ خَمْسَةُ وَسِتُونَ ذِرَاعًا بِالْكَبِيرِ ، وَدَوَّرُ مَكْلَأَتِهِ عَشْرُونَ ذِرَاعًا ، وَسَعَةُ قَطْرِهَا سِتَّةُ أَذْرُعٍ وَثَلَاثَا ذِرَاعٍ ، وَدَوَّرُ الْمَدَوَّرَةِ خَمْسَمِائَةُ ذِرَاعٍ ، وَعِدَّةُ قَطْعِ خَرْقِهَا أَرْبَعٌ وَسِتُونَ قِطْعَةً ، كُلُّ قِطْعَةٍ مِنْهَا تُخَرِّمُ فِي عِذْلِ ، وَتَحْمَلُ عَلَى مِائَةِ جَمَلٍ ، وَفِي صَفْرَتِهَا ثَلَاثَةُ قَنَاطِيرَ فِضَّةٍ يَحْمِلُهَا مِنْ دَاخِلِهَا قَضْبَانُ حديدٍ تَسَعُ رَاوِيَةَ مَاءٍ مِنْ رَوَايَا الْجَمَالِ ، وَفِي زَخْرَفَتِهَا صُورُ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَلَهَا بِادِهْنِجٍ طَوْلُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا . كَانَ عَمَلُهَا لِلْيَازُورِيِّ فِي وَزَارَتِهِ ، فَأَقَامَ يَعْمَلُ فِيهَا مِائَةَ وَخَمْسُونَ صَانِعًا نَحْوَ تِسْعِ سَنِينَ ، وَصَرَفَ عَلَيْهَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، أَرَادَ بِهَا مُحَاكَاتَةَ الْقَاتُولِ الَّذِي عَمِلَهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ^(٣) فَجَاءَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَحْسَنُ . وَبَعَثَ إِلَى مَمْلُوكِ الرُّومِ فِي طَلَبِ عَوْدِينَ لِلْفَسْطَاطِ طَوْلُ كُلِّ مِنْهُمَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، فَأَنْفَذَهُمَا إِلَيْهِ ، وَقَدْ بَلَنْتِ التَّفَقُّةُ عَلَيْهِمَا حَتَّى وَصَلَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَعَمِلَ أَحَدَهُمَا فِي الْفَسْطَاطِ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ مِنْهُ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ ، وَأَخَذَ الْآخَرَ نَاصِرُ الدُّوَلَةِ ابْنُ حَمْدَانَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ .

(١) جَمْعُ خَرْكَاهِ . وَهُوَ الْخِيْمَةُ أَوِ النَّجْعِ .

(٢) الْعَصْفَرِيَّةُ إِنَّمَا مِنَ النَّحَاسِ الْأَصْفَرِ بِشَكْلِ الْقَدَرِ ، وَلِدَلِّ الْمَقْصُودُ هُنَا قِطْعَةً مِنَ النَّحَاسِ بِشَكْلِ كَرَّةٍ أَوْ هَلَالٍ

تَلَبَّثَ فَوْقَ الْقَبَةِ . Dany; Supp. Dict. Ar.

(٣) سَيَأْتِي فِي الْبَحْثِ أَنَّ الْقَاتُولَ عَمِلَتْ لِلْأَمَلِ ، وَيُوَيِّدُ هَذَا النَّوِيرِيُّ فِي نَهَايَةِ الْأَرْبَعِ وَالْأَلْفِ

فِي صَبْحِ الْأَمْسِ .

وقد قطعت هذه الخيام الكبار خِرْقًا وقُوتت على المذكورين من المارقين بأقل القيم .

فتمزقت

وأخرج مُسَطَّح من قلمون ، عمل بتنيس للعزيز وسَمَى دار البطيخ ، يقوم على ستة أعمدة ، وفيه أربع قباب بين كل قُتبتين رواقٌ يقوم كل منها على أربعة أعمدة ، وطولُ كلِّ عمود ثمانية عشر ذراعاً . ومُسَطَّح عمله الظاهر في تنيس ، كله ذهب طمى بستر صفارى بللور وستة أعمدة من فضة أنفق عليها أربعة عشر ألف دينار . إلى غير ذلك من القصور والخيام المخمل وغيره من سائر أنواع الحرير ، وعدة من الحمامات المصولة من البللور والطلائقي ومن الأدم المذهبة المنقوشة بحياضها ودككها ، ومَسَاطبها وقُدورها ، وزجاجها وسائر عُددها

وأخرجت المذوّرة الكبيرة التي عُملت بحلب في سني بضع وأربعين وأربعمائة ، فبلغت الثّقفة عليها ثلاثين ألف دينار ، وكان طول عمودها أربعين ذراعاً ، ودَوَّرُ فلكه أربعة وعشرين شبراً ، وزنة صفريته قنطارين من فضة سوى أنابيب الحديد ، ويحملها سبعون جملاً ، ولا ينصبها إلا نحو المائتي رجل ، وهو شبه القاتول الزيزى . وأخرج من المظال وقصبها الفضة والذهب شيءٌ له قدر جليل . وأخرج من الصناديق ، والقمطرات والأدراج والموازين وغلف الأمشاط والمرايا والمدائن من الكيمخت والأبنوس والاحاج وسائر الخشب والبَقَمُ^(١) المحلّى جميعها بالذهب والفضة المغشاة بأغشية الأدم والحرير مالا يُحَدُّ كثرة .

ومن صناديق الطعام وخزائنه والمَجَاميع مالا يُدرکه الإحصاء لكثرتِه . وأخرج من خزائن الفضة ما ينيف على ألف ألف درهم ، كلها آلات مصوغة مُجَرَّاة بالذهب ، فيها ما يبلغ زنة القطعة منها خمسة آلاف درهم مما هو غريب الصنعة ، فيبيع جميعه عشرون

(١) البقم بالتحديد : صبح خاص . قيل مربى وقيل مرب ، المصباح المنير

درهما بدينار ، وكانت قيمته خمسة دراهم بدينار . وأخرج غير ذلك عُشَارِيَات موكبية وأعمدة الخيام وقصب المظال ، وَنَجُوقَات وأعلام وقناديل وصناديق وبوقات وزواريق وقمطرات ، وسروج ولُجْم ومناطق العَمَارِيَات وغير ذلك ما يجاوز ألف ألف فضة ، بيعت كما بيع غيرها .

وأخرج من الشطرنج [١٠٢ ب] والنرد المعمولة من أنواع الجواهر والأحجار ومن الذهب والفضة والعاج والأبنوس برقاع الحرير المذهب وغيره مالا يُحَدُّ كثرةً ونَفَاسَةً ؛ ومن دُسُوت القصاد^(١) مثل ذلك ؛ ومن خرق المنَجُوقَات والمطارِد والمِطَال والأعلام مالا يمكن وصفه لكثرتِه مما هو مخمل وحرير ساذج ومذهب ؛ ففُطِعَ جميع ذلك وبيع . وأخرج مرة من خزائن السروج خمسة آلاف سرج كان أبو سعيد إبراهيم بن سهل التُشْتَرَى^(٢) قد حصلها ، فيها ما يساوى السُرج الواحد منها سبعة آلاف دينار إلى ألف دينار ، شبك جميعها وفرق في الأتراك ، كان منها أربعة آلاف سرج بِرَسْمٍ رُكَّاب الخليفة .

وأخرج من خزانة السيدة أم المستنصر أربعة آلاف مثلها ودونها ، صنع بها مثل ذلك . وأخذ منها آلات فضية وزنها ثلثائة ألف وأربعمائة ألف درهم ، تساوى ستة دراهم بدينار . وأخرج من القصر أقفاس مملوءة آلات مصروغة مُجَرَّاة بالذهب مطبُوعَة المثل صنعةً وحُسْنًا ، عُدَّتْهَا أربعمائة قفص كبار ، شبكت كلها في إيوان القصر وفرقت . ومعظم ذلك كان في وزارة جلال الملك بن عبد الحاكم في هذه السنة . كان من جملة ما في الأقفاس ستة عشر ألف قطعة برسم العواري خاصة . وأخرج في بعض أسابيع المولد ألفان وخمسمائة إناء من فضة

(١) الدست من الثياب ما يكن أنه لقضاء الحاجة . ولقصة قطع العرق الاسم اقتصاد الصباح المنير ، القاموس المحيط .

(٢) هكذا في الأصل وفيه غلط بين اسمي الآخرين ابن التستري ، وأحدهما أبو سعيد سهل بن هارون والآخر أبو نصر إبراهيم بن هارون . وقد ثبتت أعيانها في السنين الأولى لخلافة المستنصر .

برسم الخيم . وأخرج مرة عند ورود بعض رسل ملوك الروم فيا أخرج عدة كثيرة من صواني الذهب والفضة المجراة بالمينا الغريبة الصنعة ، مُلِئت كلها جوهراً فاخترا ، وأربعة آلاف نرجسية فضة محرقة بالذهب. عمل فيها الترجس ، وألفا بنفسجية كذلك . وأخرج من خزائن الطريف ستة وثلاثون ألف قطعة ما بين باللور وغيره . وكان مبلغ ما قوم من نصب سكاكين ، بأقل القيم ، ستة وثلاثين ألف دينار . وأخرج من تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف قطعة ، أقلّ تماثل منها وزنه اثنا عشر مثلاً^(١) وأكبره يتجاوز ذلك بكثير ، ومن تماثيل الكافور مالا يحده كثرة ، منها ثمانمائة بطيخة كافور ، إلى غير ذلك من تماثيل الفاخرة .

وأخرج من خزائن القصر أربعة آلاف رزمة خسروانية مذهبة ، في كل رزمة فرش مجلس ببسطه وتعليقه وسائر آلاته . وأخرج من خزائن الكموات من التخت والأسفاط والصناديق الملوطة بفاخر الملابس المستعملة بتتيس ودمياط وبرقة وصقلية وسائر أقطار الأرض مالا يحده كثرة ولا يعرف له قيمة .

وفي هذه السنة بعث ناصر الدولة ابن حمدان عماد الدولة ، المعروف بالخنوق ، هو والوزير أبا محمد بن أبي كلينة إلى المستنصر يطالبه معها بما بقى لقلعته ، فذكر أنه لم يبق عنده شيء إلا ملابسه ، وقال فابعث من يقوم ذلك ويقبضه ، فأخرج إليهما ثمانمائة بذلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة ، قُومت وحملت إليه في حادى عشر صفر .

وفيها وهب المستنصر لفخر العرب وتاج الملوك الكلؤنة^(٢) المرصعة بالجواهر ، وكانت من غريب ما فى القصر ونفسيه ، وكانت قيمتها مائة وثلاثين ألف دينار ، وقُومت عليهما بثمانين ألف دينار ، وقسمت بينهما بالسوية ، فجاء وزن ما فيها من الجواهر سبعة عشر رطلا

(١) المئ مائتا درهم وستون درهما . قوانين الخواوين : ٤٥٥ .

(٢) غطاء لفراس ، تلبس وسدأه أربع عمامة ، وتجس على كلونات وكلاوات ، السلوك : ١ : ٤٩٣ : حاشية : ١ .

بالمصرى . فصار إلى فخر العرب من جملة ما وقع في سهمه منها قطعة بَلَخْش زَنْهُهَا ثلاثة وعشرون مثقالا ، فأنفذها مع باقى ما حصل له منها إلى الفخرية ، وكانت بغير الإسكندرية ، فحملت بعد ذلك إلى نَنْبِس مع غيره من رجالهم ، فصار جميعه عند أمير الجيوش بالشَّام . وصار إلى تاج الملوك منها حَبَات دَر ، زنة كلُّ حبة ثلاثة مثاقيل وعلَّتها مائة حبة ، فلما انهزم من مصر أخذها بعض غلمانها مع غيرها من نفيس الجواهر وهرب إلى الصعيد ، فقتل وأخذ منه .

وأخرج من خزائن الطَّيِّب ما أخرج خمسة صواري عود هندي ، طول كل واحد منها ما بين تسعة أذرع إلى عشرة أذرع ، وكافور قنصوري زنة كل حصاة منه من خمسة مثاقيل إلى ما دونها ، وقطعٌ عنبر تَزُن القطعة ثلاثة آلاف مثقال ، فوهب ذلك لناصر الدولة ، فحاز منه مالا حد له ولا قيمة . وحمل إليه من القصر منارذ صيني ، يقوم كل مترد منها على ثلاثة أرجل على صورة السَّباع وغيرها ، يسع كلُّ منها مائتي رطل وما فوقها ، [١٠٣] وعدة قطع يشب وبازهر ، منها جامٌ سعته ثلاثة أشبار ونصف وعُمَقه شبر ، مليح الصُّورة . وأخرج من القصر منديل نسيج من زغب ريش بدائر يسمى السَّمْنَدل ، طوله تسعة أشبار ، لا يحترق بالنَّار ، فاشتراه بعضُ المسافرين التجار بثمان ميسر طلب فلم يقلد عليه . وصار إلى ناصر الدولة قطرميز^(١) بللور فيه صور ناتئة عن ضُبَّتِه يسع سبعة عشر رطلا ، ودكوجة بللور تسع عشرين رطلا ، وقصرية يصب كبيرة جدا ، وعدة كاسات يصب ، وطابع ند^(٢) فية ألف مثقال عمله فخر الدولة أبو الحسن على بن ركن الدولة ابن بُوَيَّه الديلمي^(٣) وكتب عليه فخر الدولة شمس الدولة ، وكتب عليه أبياتا منها :

(١) قلة كبيرة من الزجاج . مريب . قال بعضهم :

فاسقها مالزق والقطربز

أنا لا أرتوي بكلى وطلى

(٢) اللد ، بالفتح : حرد يتخر به .

(٣) وركن الدولة هو أبو علي الحسن ، حكم عطفة الرى واهمان وأصفهان بين سنَى ٣٢٠ - ٣٦٩ (٩٣٢ - ٩٧٦) . وحكم ابنه فخر الدولة المذكور بين سنَى ٣٦٦ - ٣٨٧ (٩٧٦ - ٩٩٧) في الرى واهمان ، وانتزع أصفهان سنة ٣٧٢ (٩٨٣) من أخيه مريد الدولة أبن منصور الذى كان يتولاه منذ سنة ٣٦٩ (٩٧٦) ، أبى من وفاة والده وركن الدولة :

Mohammadan Dynasties.

ومن يكن شمس أهل الأرض قاطبةً فتنه طابع من ألف مثقال
فاقتسمه ناصر الدولة وفخر العرب وتاج الملوك أمير الأمراء .

وصار لناصر الدولة أيضا طائرٌ من ذهب مرصع بنفيس الجواهر وعيناه من ياقوتٍ أحمر
وريشه من الميناء المجرى بالذهب كهيشة ريش الطاووس . وديكٌ من ذهب له عرف كأكبر
أعراف الديكة من الياقوت الأحمر ، مرصع كله بسائر الدر والجواهر ، وعيناه من ياقوت
أحمر ، كان يُحيرُ ناظره كيفية تركيبه لأتسام الصنعة فيه وملاحظتها . وغزالٌ مرصع بنفيس
الدر والجواهر ، بطنه أبيض منطور من درٍّ رائع يخاله الناظر حيوانا . ومجمع سكارج^(١)
مخروط من بللور فظ ، وفيه سكارج من بللور يخرج منه ويعود إليه فتحتُه أربعة أشبار
في مثلها ، محكم الصنعة في غلاف من خيزران مذهب ، فسمح به لفخر العرب . وأخرج
بطيخة من كافور في شباك من ذهب مُرصع ، وزن كافورها سبعون جُنا سوى الذهب ، اقتسمها
فخر العرب وتاج الملوك ، فخص فخر العرب منها ثلاثة آلاف مثقال من ذهب ، وقطعة
غير تسمى الخروف زنتها سوى ما يُمكنها من الذهب ثمانون مثا ، وعدة قطارميز بللور
فيها صور مجسمة بارزة ، يسع كل منها عشرين رطلا .

وطلب الأتراك من المستنصر نفقة ، فمأطلم بها ، فهجموا على التربة التي للقصر^(٢) وأخذوا
ما فيها من قناديل الذهب ومن الآلات كالمداخن والمجامر وحل المحاريب ، فجاء منه خمسون
ألف دينار . وصار إلى فخر العرب مقطع حرير أزرق رقيق بديع الصنعة منسوج بالذهب
وسائر أنواع الحرير تنبيها ، عمله المعز ، فيه صورة أقاليم الأرض يملئها وجبالها وبحارها
وأنازلها وسعة حصونها ، وفيه صورة مكة والمدينة ، وفي آخره : مِمَّا أمر بمكِّله المعز لدين الله

(١) جمع سكرجة وهي الصلفة .

(٢) حين قدم المعز لدين الله إلى مصر سنة ٣٦٢ أحضر معه أجداد آباءه ودفعهم في التربة التي جعلت لهم حصيصا .
بالقصر والتي دفن فيها بقية الخلفاء الفاطميين وكثير من أمراءهم ونسأهم .

شوقاً إلى حرم الله ، وإشهاراً للعالم رسول الله ، في سنة ثلاثٍ وخمسين ولثلاثمائة ، والتفقه عليه
الثمان وعشرون ألف دينار .

وصار إلى فخر العرب مالا يحصى كثرةً ؛ من ذلك مائدة يصب كبيرة قوائمها منها ،
وبيضة كبيرة بلخشن زنتها سبعة وعشرون مثقالاً أشدَّ صفاء من الباقوت الأحمر ، وبيت
أرمي منسوج بالذهب حُمل للمتوكِّل على الله العباسي لامتثل له ولاقيمة ؛ وقطرميز بللور
يسع مروتين نبيذاً مليح التدبير ، قوم عليه مما خرج من القصر ثمانمائة دينار فدفع إليه
بعد ذلك فيه ألف دينار فأبى ، وبساط خُشرواني دفع إليه بالإسكندرية ألف دينار فامتنع
من بيعه ؛ ومائدة جزع يقعد عليها جماعة ، قوائمها مخروطة منها مالا يُقدر لها ولاقيمة .
سوى ماقبضة شاور بن حسين لناصر الدولة وللفخر العرب من آلات الذهب والفضة ، وآنية
الجوهر وعقوده ، وفاخر الثياب والفرش والآلات والسلاح ، مما قوم بمعين أوفاً وكانت
قيمتها ألوف ألوف ديناراً .

وصار إلى ناصر الجيوش ماقبضته ألف ألف دينار من جملته نخلة من ذهب مكللة
بجوهر بديع ودرّ رائع ، في إجابة من ذهب ، تجمع الطلُع والبلع وصائر ألوان البُشر
والرَّطب ، بشكله ولونه ، وصفته وهيبته من ألوان الجواهر ، لاقيمة لها . وكوز على مثال
كوز الزير من بللور يسع عشرة أرتال ماء مُرَصَّع بنفيس الجوهر لاقيمة له ، وصورة مكللة
بحَبِّ لؤلؤ نفيس ، فيها ما وزن الحبة منه مثقال ، ومنه ما وزن [١٠٣ ب] مثقالين مرصعة
بباقوت . وأخرج فيه العشاري المعروف بالمقتم ، ونجاره وكسوة رَحْله التي عملها الوزير
علي بن أحمد الجرجرائي في سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، كان فيها مائة ألف وسبعة
وستمائة ألفاً وسبعمائة درهم فضة نُقِرَة ، غير ما أطلق للصناع من أجرة صياغةٍ وغم ذهب
لطلائه ، وهو ألفان وتسعمائة دينار ، وكان سعر الفضة في ذلك الوقت كل مائة درهم
بستة دنانير وربع ، بسعر ستة عشر درهماً بدينار . وأخرج حل العشاري القضي الذي عمله
أبو سعيد إبراهيم بن سهل التُّستري^(١) لَمَّا وَلِيَ الوساطة في سنة ست وثلاثين وأربعمائة لوالدة

(١) سبق التنبيه على أن في هذا خطاً بين اسمي الأعوين ابني التُّستري .

المتنصر ، وكان الحلي مائة ألف وثلاثين ألف درهم فضة ، وإلى ذلك أجر الصباغة وإطلاء بعضه ألفان وأربعمائة ، غير ما استعمل كسوة برسمه مائتين جليل . فأخرج عدة العشاريات التي يرسم القوة البحرية ، وعدتها ستة وثلاثون عشاريا ، وكان قد انصرف عليها في حلها من مناطق ورموس منجوقات وأهله وصغريات وكساها أربعمائة ألف دينار .

وأخرج ماعلى سرير الملك الكبير من الذهب الإبريز الخالص فكان مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال . وأخرج الستر الذي أنشأه أبو محمد اليأزوري فجاء فيه من الذهب ثلاثون ألف مثقال ، وكان مرسماً بألف وخمسمائة وستين قطعة جهر من سائر الألوان . وأخرجت الشمسة الكبيرة وكان فيها ثلاثون ألف مثقال ذهباً وعشرون ألف درهم فضة وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جهر ، وأخرجت الشمسة التي لم تَم فوجد فيها من الذهب سبعة عشر ألف مثقال . وأخرج من خزائنه عدة مناكين فضة ، منها مائنته مائة وتسعة أرطال إلى مادونها . وأخرج بستاناً أرضه فضة محرقة مذهبة ، وطينته نذ معجون ، وأشجاره فضة مصنوعة ، وأثماره عنبرونذ ، زنته ثلثائة وستة أرطال بالمصرى . وبطيخة كافور مشبكة بلهب وزنها عشرة آلاف مثقال ، ومنقلتا كافور مشككتان بذهب زنتهما ستة آلاف مثقال ، ومنقلتا عنبر وزنها عشرة آلاف مثقال ؛ ومنقلتا عنبر ملونتان وزنها ستة آلاف مثقال . وألواب مضممة ، منها أربعة يفصل كل ثوب منها اثنين ، وثلاثون قميصاً ثاماً ، ومدن باقوت أحمر زنته سبعة وثلاثون درهما ونصف ، أخذ من موجود اليأزوري وكان قد صار إليه من السيدة عبدة بنت المنز لدين الله . وأخرج لؤلؤ زنته كل حبة منه مثقالان ؛ ومن الباقوت الأزرق مائنة كل قطعة منه سبعون درهما ؛ ومن الزرد مائنة كل قطعة منه ثمانون درهما ؛ ونصاب امرأة طويل ثخين من زمرد لا قيمة له .

وأخرج من خزائن الكتب ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة ، وألفان وأربعمائة ختمة في ريمات بخطوط منسوبة محللة بذهب وفضة . وأخذ جميع ذلك الأثر الكع ببيعته قيمته . وأخرج في المحرم منها في يوم واحد خمسة وعشرون جملاً موقرة كتبا صارت إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر بن المعز ، واقتسمها هو والخطير ابن الموفق في الدارين

بخدمات وَجِبَتْ لهما عَمَّا يَسْتَحَقَّانِهِ وَغُلَامَتُهُمَا مِنْ دِيوانِ الحَلِيبِيِّينَ ؛ وَأَنْ حَصَّةَ الوَازِرِ
أَبِي القَرَجِ قُوتِمَتْ عَلَيْهِ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ تَسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ آلَافِ دِينَارٍ ،
نُهِيتَ بِأَجْمَعِهَا مِنْ دَارِهِ يَوْمَ انْهَزَمَ تَاصِرُ الدَّوْلَةِ مِنْ مِصْرَ فِي صَفَرٍ ، مَعَ غَيْرِهَا مِمَّا نُهِبَ
مِنْ شُورٍ مَنْ سَارَ مَعَهُ مِنَ الوَازِرِ أَبِي القَرَجِ وَابْنِ أَبِي كَلْبَةَ وَغَيْرِهِمَا .

وَأَخْرَجَ مَالِي خَزَائِنِ دَارِ العِلْمِ بِالقَاهِرَةِ . وَصَارَ إِلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ أَبِي القُفْلِ بْنِ المَحْرُوفِ
بِالإِسْكَانْدَرِيَةِ كَثِيرٌ مِنَ الكُتُبِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهَا كَثِيرٌ ، بَعْدَ مَقْتَلِهِ ، إِلَى المَغْرِبِ وَأَخْلَطَهُ
لَوَائِقَةٌ ، فَمَا صَارَ إِلَيْهَا بِالِابْتِغَاءِ أَوْ النُّصَبِ مِنَ الكُتُبِ الجَلِيلَةِ المَقْدَارِ مَا لَاحِظٌ وَلَا يَوْصَفُ ،
فَجَعَلَ عِبِيدَهُمْ وَإِمْلَاهُمْ جُلُودًا نَمَالًا فِي أَرْجُلِهِمْ ، وَأَخْرَقَ وَرَقَهَا تَأَوَّلًا مِنْهُمْ أَنَّهَا خَرَجَتْ
مِنْ القَصْرِ وَأَنَّ فِيهَا كَلَامَ المِشَارِقَةِ الَّذِي يَخَالِفُ مَذْهَبَهُمْ ، فَصَارَ رَمَادًا تَلَالًا عَرَفَتْ فِي نَوَاحِي
أُبْيَاتٍ بِتِلَالِ الكُتُبِ ، وَغَرِقَ مِنْهَا وَقْلَفٌ ، وَوَصَلَ إِلَى الأَمْصَارِ مَا يَتَجَاوَزُ الوَصْفَ .

وَأَخْرَجَ مِنْ بَعْضِ الخَزَائِنِ الَّتِي بِالقَصْرِ بَيْضَةً كَبِيرَةً [١٠٤] كَمَا كَبِيرٌ مَا يَكُونُ
مِنْ بَيْضِ النِّعَامِ مُحَلَّلَةٌ بِذَهَبٍ ، فَأَخَذَهَا المَسْتَنْصِرُ دُونَ مَا أُخْرِجَ مِنْ تِلْكَ الخَزَانَةِ مِمَّا لَهُ
خَطَرٌ وَقَدَرٌ ، فَقَالَ بَعْضُ الحَاضِرِينَ هَذِهِ بَيْضَةُ نَعَامَةٍ ، فَتَنَاقَلَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ مِنَ الأَثَرَالِ
عَنْهَا ، وَأَخْلَعُوا النِّفَالِيسَ مِنَ الذُّخَائِرِ وَانصَرَفُوا . فَسَلَّ المَسْتَنْصِرُ مِنْ بَعْضِ الخَدَمِ عَنْ هَذِهِ
البَيْضَةِ ، فَقَالَ : هِيَ بَيْضَةُ حَيَّةٍ أَهْدَاهَا بَعْضُ المُلُوكِ إِلَى جَلِيِّ القَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَكَانَ يَحْتَفِظُ
بِهَا ، وَهَذِهِ الرِّقْعَةُ بِخَطِّ القَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ بِاسْمِ مُهْدِيهَا وَالسَّنَةِ الَّتِي أَهْلِيَتْ فِيهَا .

وَأَخْرَجَ مِنَ القَصْرِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ المَحْرَمِ مَا قَبِمَتْهُ مِنَ العَيْنِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ آلَافَ دِينَارٍ
وَسِتَّةً وَسِتَّةً وَسَبْعُونَ دِينَارًا وَثَمَنَ دِينَارٍ ، مِنْهَا قِيمَةُ مَتَاعٍ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَثَمَانِمِائَةً وَثَلَاثُونَ
دِينَارًا وَثَلَاثَ وَثَمَنٍ ، وَقِيمَةُ جَوْهَرٍ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ وَثَمَانِمِائَةٍ وَخَمْسَةِ وَأَرْبَعُونَ دِينَارًا وَثَلَاثًا ،
هَذَا عَلَى أَنَّ مَا يَسَاوِي آلَافَ دِينَارٍ يُقَوِّمُ عَمَّا دِينَارٍ وَمَا دُونَهَا . فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
فَكَيْفَ يَكُونُ فِي ثَلَاثَةِ سَنَتَيْنِ لَيْلًا وَنَهَارًا !

وتسلم جلال الدولة بن أيوبه^(١) من التتار ، له ولبن يحرى محراد وعدتهم عشرة نفر ،
من عطية واحدة مبلغ أربعة وأربعين ألف دينار ومائة وثلاثين ديناراً . ووصل إلى بغداد
على بد التجار فما خرج من القصر ، على ماوقفت في تاريخ بعض البغداديين ، أحد عشر
ألف درع وعشرون ألف سيف ، حلل ، وغانون ألف قطعة بللور وخمسة وسبعون ألف قطعة
من الدباج . وبيع طشت وإبريق من بللور باثنى عشر ألف دينار ؛ وبيع نحو السبعين ألف
قطعة من الثياب ، وعشر حبات زنتها عشرة مثاقيل بأربعمئة دينار .

قال ابن مسير : رأيت مجلدة نجيء نحو العشرين كرامة ، فيها ذكر ماخرج من القصر
من التحف والأثاث والثياب والذهب وغير ذلك .

وفيها صرف الوزير محمد بن جعفر ابن المغربي عن الوزارة في رمضان ، وتقرر جلال
الملك أبو أحمد ، أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارق . وفيها قتل أمير الجيوش
بئر بساحل الشام الشريف أبا طاهر حيدرة ، ناظر دمشق^(٢) ، لإخيه كانت في نفسه منه ،
وكان بعد من الأجواد . وفيها تغلب الأمير حصن الدولة معلى بن حيدر الكناي على
دمشق واقتحمها قهراً^(٣) بالسيف في شوال ، فأساء السيرة في الناس .

وفيها عظم الفلاء بمصر واستند جوع الناس لقلّة الأقوات في الأعمال وكثرة الفساد ،
وأكل الناس الجيفة والميتات ، ووقفوا في الطرقات فقتلوا من ظفروا به ، وبيعت البيضة
من بيض الدجاج بعشرة قرايط ، وبلغت رايوة الماء ديناراً ، وبيعت دار غنمها تسعمائة

(١) هو جلال الدولة بن بهاء الدولة خيروز بن عضد الدولة بن ركن الدولة الحسن بن أيوب .

(٢) وكان الشريف سيده بن إبراهيم أبي طاهر بن أبي الجن قد وصلها في شعبان سنة ٦١٠ نظراً لمقام
وزيرها عليها مع واليها الأمير قطب الدولة ؛ ياز طغان ، فترصد له ببر الجبال ، الراكب المزمول ، لإن كانت بينهما ،
حين نجح في اقتناصه وقتله ، ذيل تاريخ دمشق : ٨٤ . وكان عالماً قارناً ، حرب من الجبال إلى عمان البلقاء ففر به بدر
ابن حازم صاحبها وملكه للبلال في مقابل اثني عشر ألف دينار وغلط كثيرة . الهجوم الزاهرة : ٨٥ .

(٣) « دليها قسرا وغلبة وقهرا من غير تقليد » فيالغ في المبادرات وارتكب من الظلم ومصادرة المستورين الإخبار
التي الكثير . وقيل إن التقليد وصله بعد أن تولاهما قهرا . ذيل تاريخ دمشق : ٩٥ - ٩٦ .

دينار يتسعين دينارا اشتري بها فَوْنٌ تَلِيْسٌ دقيق^(١) . وعم مع الغلاء وباء شديد ؛ وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد ، فانقطعت الطرقات برأ وبجرأ إلا بالخِفاة الكبيرة مع ركوب الغرر . وبيع رغيف من الخبز زنته رطل في ذقاق القناديل^(٢) كما تباع التحف والطُرف في النداء : خراج ! خراج ! فبلغ أربعة عشر درهما ؛ وبيع أردب قمح بثمانين ديناراً . ثم عدم ذلك كله ، وأكَلَت الكلاب والقطط ، فبيع كَلْبٌ ليؤكل بخمسة دنانير . وأبيعت حارةٌ بمصر بطبق خبز ، حساباً عن كلِّ دارٍ رغيفٌ ، فعُرِفَت تلك الحارة بعد ذلك بحارة طبق ، وما زالت تعرف بذلك حتى ذُكِرَت فيها دثر من خطط مصر . وأكل الناس نحاتة النخل ؛ ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضاً .

وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بُيوتاً قصيرة السُوف قريبةً من يَمِينِ يَمِينِ في الطرقات ، فأعدوا سَلْباً وخطاطيف ؛ فإذا مرَّ بهم أحدٌ شالوه في أقرب وقت ، ثم ضربوه بالأخشاب وشرسوا لحمه وأكلوه . قال الشريف أبو عبد الله محمد الجواني في كتاب النقط : حدثني بعض نِسائِنَا الصالحات قالت ، كانت لنا من الجارات امرأة ترينا أفخاذها وفيها كالحَصْر ، فتقول : أنا ممن خطفتي أَكَلَةَ النَّاسِ في الشدة ، فأخطى إنسانٌ ، وكنت ذات جسم وسمن ، فأدخلني بيتاً فيه سكاكين وآثار السماء وزفرة القَتِيل ، فأضجعني على وَجْهي ووريط في يدي ورجلي سَلْباً إلى أوتاد حديد ، [١٠٤ ب] عُرِيَانَةً ، ثم شرَّح من أفخذي وأنا أستغيث ولا أحد يجيبي ، ثم أضرم الفحم وأسوى من لحمي وأكل أَكَلًا كثيراً ، ثم سكر حتى وقع على جَنْبِي لا يعرفُ أين هو ، فأخذت في الحركة إلى أن تخلى أحد الأوتاد ، وأعان الله على الخلاص ، وخلصت ، وحللت الرباط ، وأخذت خروقا من داره

(١) باعها بشعيرين رطل دقيق ، أي أقل بكثير من التليس المذكور في المتن ، إذ أن التليس يزن مائة وخمسين رطلا .

التبجم الزاهرة : ٥ : ١٧ ؛ ترواين الترواين : ٣٦٥ .

(٢) كان من الأحياء التي يسكنها الأحياء وكبار القوم بمدينة القسطنطينية زمن انتصاتها وعارتها ، وهو الآن أرض

قضاء تيلور جامع مرو بن الحارث من جهة الشرق .

ولفقت بها أفخاذى ، وزحفت إلى باب الدار وخرجت أرحف إلى أن وقعت إلى الناس ، فحِيلَتْ إلى ببنى ، وعرفتْهم بموضعه ، فعضوا إلى الوالى فكبس عليه وضرب عنقه ، وأقامت البهاء فى أفخاذى سنة إلى أن ختم الجرح ، وبقي هكلدا حضرا .

وآل أمر الخليفة المستنصر إلى أن صار يجلس على نُحْ أو حصير ؛ وتعطلت دواوينه وذهب وقاره ، وخرج نساء قصوره ناشراتٍ شَعَوْرَهَن يصيحُن : الجوع الجوع ، ومن بُردن المسير إلى العراق ، فتساقطن عند المصلى بظاهر باب النصر من القاهرة ، ومتنّ جوعاً . جاء الوزير يوماً على بغلة فأكلها العامة ، فأمر بهم فشنقوا ، فاجتمع الناس على المشتقين وأكلهم . وهدم المستنصر القوت جُمْلَةً حتى كانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث إليه كل يوم بقَعَبٍ من قَنِيَت من جُمْلَةٍ ما كان لها من البرِّ والصدقات فى سنى هذا الفلاء ، حتى أنفقت مآلها كُلَّهُ ، وكان يجلس عن الإحصاء ، فى سبيل البرِّ ، فلم يكن للمستنصر قوت سوى ما كانت تبعث به إليه ، وهو مرة واحدة فى اليوم ، لا يجد غيره . وبعث بأولاده إلى الأطراف لمدد القوت ، فسير الأمير عبد الله إلى عكّا فنزل عند أمير الجيوش ، وأرسل الأمير أبا على معه ، وبعث الأمير أبا القاسم والد الحافظ إلى عسقلان ، وسيّره أولاً إلى دمياط ، ولم يترك عنده سوى ابنه أبى القاسم أحمد .

وبعث المستنصر يوماً إلى أبى الفضل عبد الله بن حسين بن شورى بن الجوهري الواعظ ، فدخل القاهرة من باب البَرْقِيَّة^(١) ، فلم يَلْتَقِ أحداً إلى القصر ؛ فجاء من باب البحر^(٢) ، فوجد عليه شيخاً ، فقال اشتأذن على ؛ فقال : ادخل فهو وحده ؛ فدخل ، فلم ير أحداً فى الدهاليز ولا القلعة ، فأنشد :

(١) والبرقية جماعة كبيرة قدمت مع الممزر لدين الله سنة ٣٥٨ هـ ، واستقروا على عاص بهم حرف باسم حارة البرقية ، بمنطقة الدوايمة الحالية .

(٢) من أبواب القصر القريبة سعى بذلك لأن الخليفة كان يستعمله عندما يقصد شاطئ النيل عند المنس . وموضع هذا الباب - كما يقول المقرئى فى الخطط - يعرف باسم باب قصر بشتاك ، يشار بين القصرين . التجوز الزاهرة : ٤ : ٣٥ سائفة : ٦ .

يا منزلاً ، لم تُبَلِّ أطلاله حاشاً لأطلالك أن تبلى
 لم أبكِ أطلالك ، لكننى بكيت عيشى فيك إذ وكى
 والقبش أولى ما بكاه القى لأبد للمحزون أن يسلى

فإذا هو خلف باب المجلس ، فبكى وبكيت طويلاً ، وحادثته ساعة ؛ ثم ناوله الخليفة قرطاساً فيه سبعون ديناراً .

ومن عجيب ما وقع أن امرأة من أرباب البيوت عرضت عقداً لها قيمته ألف دينار على جماعة ليطعوا به دقيقاً وهم يتخذون إليها ويدفعونها ، إلى أن رقت لها رجل وباعها به تليس دقيق ، فحملته من مصر واكتوت معها من يحفظه من النهابة ، وسارت تريد منزلها بالقاهرة ، فسلمته الحاملة إليها عند بابي زويلة ، فلم تمس به غير قليل حتى تكاثرت الناس عليها ، وانتهبوه منها فانتهبت هي أيضاً منه مع النهابة ، فصار إليها ملء يديها دقيقاً لم ينسبها منه غيره ، فعجنته وشوته ، ثم مضت إلى باب القصر ووقفت على موضع مرتفع ، ورفعت القرصة في يدها حتى يراها الناس ، ونادت بأعلى صوتها : يا أهل القاهرة ، اذعوا لمولانا المستنصر الذى أشهد الله الناس بأيامه وأعاد عليهم بركاته حسن نظره ، حتى تقومت على هذه القرصة بألف دينار . ووقفت مرة بعض المياسير بباب القصر وصرخ إلى أن أحضر المستنصر ؛ فلما وقف بين يديه قال : يا مولانا هذه سبعون قمحة وقفت على بسمين ديناراً كل حبة قمح بدينار ، في أيامك ، وهو ، أتى اشترت إزدياً بسمين ديناراً فنهبت منى ولم يبق لي منه سوى ما وقع بيدي وانتهبني منه مع من نهب ، فددت ما في يدي فجاء بسمين حبة من قمح ، وإذا كل حبة بدينار . فقال المستنصر : الآن فرج الله على الناس فإن أياي حكم لها أنه يباع فيها القمحة بدينار .

ولم يكن هذا الغلاء من قصور مد النيل فقط ، وإنما كان من اختلاف الكلمة ومخاربة الاجتاد بعضهم مع بعض . وكان الجند عدة طوائف مختلفة الأجناس ، فتغلب لوائنة والمغاربة على الوجه [١٠٥] البحرى ، وتغلب العبيد السودان على أرض الصيد ، وتغلب

الملثمة والأثرāk بمصر والقاهرة^(١) ، وتحاربوا . وكان قد حصل ذلك من بعد قتل اليازورى فى سنة خمسين كما تقدم ، فمازالت أمور الدولة تضطرب وأحوالها تختل ، ورسومها تتغير ، من سنة خمسين إلى سنة سبع وخمسين ، فابتدأت الشدة منها تتزايد إلى سنتي ستين وإحدى وستين ، فتفاقم الأمر وعظم الخطب واشتد البلاء والكرب . وما برح المصاب يعظم إلى سنة ست وستين ، وكان أشدها مدة سبع سنين ، من سنة تسع وخمسين إلى سنة أربع وستين آنصبت كل شر ، وهلك فيها معظم أهل الإقليم . ثم أخذ البلاء ينجلي من سنة أربع وستين إلى أن قدم أمير الجيوش بدر فى سنة ست وستين ، كما سيأتى ذكره إن شاء الله . فكانت السبع سنين المذكورة بمد فيها النيل ويطلع وينزل فى أوقاته ، فلا يوجد فى الإقليم من يزرع الأراضى ولا من يقيم جسوره ، من كثرة الاختلاف وتواتر الحروب ، وانقطاع الطرقات فى البر والبحر إلا بالخفارة الثقيلة وارتكاب الخطر ، ولم يوجد ما يبذل فى الأراضى للزراعة ، فإن القمح ارتفع الأردب منه من ثمانين دينارا إلى مائتى دينار ، ثم قُعد فلم يتقدر عليه ولا الخليفة .

وفىها صرف ابن أبى كدينة عن القضاء فى ثالث عشر صفر ، وتولى المليحي ، وصرف جلال الملك عن الوزارة ، وصرف معه أيضا المليحي عن القضاء فى يوم واحد ، وجُمعا معا لخطير الملك محمد بن اليازورى فباشرها إلى شوال ، ثم صرف عنهما . فامتقر فيهما بعده ابن أبى كدينة إلى ذى القعدة ، وأعيد المليحي بعده .

ولمبها احترق جامع دمشق ليلة الاثنين ، النصف من شعبان ، بعد العصر ، وسببه فتنة

(١) أما لواتة والمطاربة فقه جاورا مع جيوش الفتح وفى ركاب المعز لدين الله . وتزايد السودان بالفساد وتكاثر عديم أيام المستنصر ، إذ كانت والدته جارية لآبى سعيد التمسرى - اليهودى - فلما تولى ابنها المستنصر الخلافة ، وسنه سبع سنوات تحكمت فى الدولة واستكثرت من بنى جنسها ، أما الأثرāk فكان المزبذ بالله أول من استقدمهم واستعان بهم فزايدهم دمه حتى أصبحوا - كثيرهم - خطرا على الدولة .

بين العسكرية وأهل البلد ، فأضرموا النار في بعض الأسواق وأتصل بالجامع ، فاحترق الجانب الغربي جميعه من الرواق الباقلائي والقبّة الكبيرة ، وزالت آثار الوليد بن عبد الملك التي لم يكن في الإسلام مثلها^(١) .

(١) جاء في مرآة الزمان : « ... وكان القتال في غربي الجامع ، ورمى المشارقة وأهل البلد بالنشاب من دوا قرية من الجامع ، فضربت الدار بالنار فاحترقت وثارت النار منها إلى الجامع فأسرقته ليلة نصف شعبان هذه السنة . ولما رأى العوام ذلك تركوا القتال وتصدوا الجامع طمعا في تلافيه ليداركوا ما حدث ، ففات الأمر ، فرموا سلاحهم ولطموا واعتفوا والنار تعمل إلى الصباح ، فأصبح الجامع ولم يبق منه إلا حيطانه الأربعة ، وصاروا أيام الجهادت يصلون فيه حل التلال . وقال ابن القلانسي : « وأسف القاصي والداني لاحتراق مثل هذا الجامع المصان والفرائب ، المخلود من إحدى السجائب حسنا وبهاء ورونقا وسناء ، وكيف أصابت مثل البيوت الصوائب » ، وجدت عليه عادة التواب « . ذيل تاريخ دمشق : ٩٦ - ٩٧ .

سنة اثنتين وستين وأربعمائة (١) :

فيها بعث ناصر الدولة حسين بن حمدان الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد بن البخاري رسولا منه إلى السلطان ألب أرسلان ، ملك العراق (٢) ، يسأله أن يسير إليه العساكر ليقيم الدعوة العباسية بديار مصر ، وتكون مصر له . فتجهز ألب أرسلان من خراسان في عساكر عظيمة ، وبعث إلى محمود بن ثمال بن صالح بن يزداس ، صاحب حلب ، أن يقطع دعوة المستنصر ويقيم الدعوة العباسية ، فقطعت دعوة المستنصر من حلب ولم تعد بعد ذلك . وانتهى ألب أرسلان إلى حلب في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وحاصرها شهرا ، فخرج إليه صاحبها محمود بن ثمال بن صالح بن يزداس ، فأكرمه وأقره على ولايته . وأخذ يريد المسير إلى دمشق ليمر منها إلى مصر ، وإذا بالخبر قد طرقة أن متملك الروم (٣) قد قطع بلاد أرمينية يريد أخذ خراسان ، فشغله ذلك عن الشام ومصر ورجع إلى بلاده ، فوالت جمائع الروم على خلطاء (٤) وهزمهم . وكان قد ترك طائفة من عسكره الأتراك ببلاد الشام فامتدت أيديهم إليها وملكوها كلها ، فخرجت عن أيدي المصريين ولم تعد إليهم .

وبلغ المستنصر إرسال ناصر الدولة إلى ألب أرسلان ، فجهز إليه ثلاث عساكر من الأتراك وغبرهم ، وتقدم أحد العساكر إليه وهو في أهل البحيرة ، فجمع له ابن حمدان وأوقع به وقعة انكشفت عن أسر مقدم العسكر ، وقتل كثير من أصحابه ، وانتهز من بقي ، والاستيلاء على ما بين معهم ، فتقوى به . ووافاه العسكر الثاني ، ولا جئهم عندهم بما اتفق على من تقدم ، فكانت الدائرة لابن حمدان عليهم أيضا ، فسار وهجم على العسكر الثالث وقتل منهم وأسر ،

(١) ويرافق أول الحرم منها بشر من أكتوبر سنة ١٠٦٩ .

(٢) سلطان السلاجقة النظام ، وهو عضد الدين أبرشجاع ابن أخي ركن الدين طغرل بك . تول السلطنة بين سنة ٤٠٠-٤١٥ (١٠٦٣-١٠٧٢) Mohammdan Dynasties . تاريخ دولة آل سلجوق لمعاد الأصفهاني .

(٣) وهو الإمبراطور رومانوس الرابع .

(٤) خلطاء حاصنة أرمينيا الوسطى ، ورجاء بحيرة لا يظهر بها سبك ولا خندق إلا شهرين في السنة . معجم البلدان ٣٠ : ٤٥٣ .

وانتهب عامة ما كان معهم ، فكثرت أمواله ، وكبرت نفسه ، واشتد على المستنصر واستخف به وبمن معه ، فقطع الميرة عن القاهرة ومصر ، وعاث في البلاد ، ونهب أكثر الوجه البحرى . وقطع خطبة المستنصر من الإسكندرية ودمياط وجميع الوجه البحرى ، وخطب للخليفة القائم [٢٠٥ ب] بأمر الله العباسى . وامتدت الحرب بين الأتراك وعبيد الشراء ثمانية أشهر ينحاربون ليلا ونهارا ، فامتنع الناس من الحركة ، وجاء النبل ووفى فلم يقدروا على الزرع ، ففتاقم البلاء بالناس واشتد جوعهم وعظمت زبائهم . وفشا مع ذلك الموت في الناس فكان يموت الواحد من أهل البيت في القاهرة أو مصر ، فلا يمضي ذلك اليوم أو تلك الليلة حتى يموت سائر من في ذلك البيت . وهجر الناس عن مواراة الأموات فكفونهم في الأتخاخ ، ثم عظمت شناعة الموت وتضاعف العجز ، فصاروا يحضرون الحفائر الكبار ويلقون فيها الأموات بعضهم على بعض ، حتى تمتلئ الحفيرة بالرّم من الرجال والنساء والصغار والكبار ، ثم يمال عليها التراب . ومع هذا تكاثرت انتهاب الجند للعامة واختطافهم من الطرقات فخرج أهل القوة من القاهرة ومصر يريدون بلاد الشام والعراق هرباً من الجوع والقتل ، فصار إلى تلك البلاد عامة التجار وأصحاب القوة ، ومعهم ثياب المستنصر وذخائره وآلاته التى تقدم ذكر طرف منها .

وفيها حاصر أمير الجيوش يدر مدينة صور وبها عين الدولة أبو الحسن على ، الملقب بالناصح ، ثقة الثقات ذى الرئاستين ، ابن عبد الله بن على بن عياض بن أحمد بن أبي عقيل القاضي ، ونصايها ، فسير عين الدولة إلى الأمير لواء مقدم الأتراك الواردين من العراق إلى بلاد الشام لينجده ، وأتصل ذلك بأمر الجيوش ، فخاف من الأتراك ، فرحل عن صور . ثم لما اطمأن عاد إلى صور ونازلها فلم يظفر منها بشئ .

وفيها قطعت دعوة المستنصر من مكة ودعى بها للقائم العباسى وللشيطان عضد الدولة ألب أرسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق بن دقاق . وكان سبب انقطاع دعوة المستنصر بها أنه كان ينفق في كل سنة على القافلة المجهزة إلى مكة في الموسم مائة ألف وعشرون ألف دينار ، منها من الطيب والخلوق والشمع راتباً في كل سنة عشرة آلاف دينار ، ونفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة أربعون ألف دينار ، وعن الجرايات والصّدقات وأجرة الجمال

ومعونة من يسير من العسكرية وأمير الموسم وخدم القافلة والضُّعفاء وحضر الآبار ونفقات
العربان ستون ألف دينار^(١). ثم زادت النفقة في وزارة البازوري حتى بلغت إلى مائتي ألف
دينار في السنة ؛ ولم تبلغ النفقة على موسم الحج مثل ذلك في دولة من دول الإسلام قط.
فلما ضعفت الدولة في هذه السنين وزحف عضد الدولة من خراسان إلى حلب بعث إلى محمد
ابن أبي القاسم الحنفي أمير مكة^(٢) بثلاثين ألف دينار وبخلف سنية وأجرى له في كل سنة
عشرة آلاف دينار ؛ وبعث إلى صاحب المدينة عشرين ألف دينار ؛ ففقط خطبة
المستنصر بعدما قامت الدعوة والخطبة للمستنصر ولآبائه بمكة والمدينة مائة سنة ، ودعا
للقائم العباسي ولعضد الدولة ؛ وقرّر عضد الدولة ما يحمل إلى الحرمين على ارتفاع
واسط .

(١) ويقتضى هذا كله عشرة آلاف دينار لم يذكر المؤلف مصارفها .

(٢) جهاد الأصل تعريف به نصه : « بخطه : هو محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله
ابن أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب . استخلفه الصليحي
على مكة في سنة ست وخمسين وأربعمائة ، فقام أميراً بمكة ثلاثين سنة » . اهـ .

فيها اصطلاح الأتراك بمصر مع ناصر الدولة ابن حمدان وهو مقيم بالوجه البحري، وذلك لشدة ما نالهم من قطع الميرة عنهم؛ فوقع الاتفاق بينهم وبينه على أن يكون مقيماً بمكانه وتحمّل إليه الأموال التي تقرر له، وأن يكون تاج الملوك شادى نائباً عنه بالقاهرة. فتقرر الحال على ذلك ودخلت الفلال إلى البلد، فطابت قلوب الناس، وانجلى الأمر نحو شهر؛ ثم وقع الخلاف بين الأتراك وبينه، فرحل من البحيرة بمساكر كثيرة ونازل البلد وحاصرها محاصرة شديدة في ذي القعدة؛ وامتدت أيدي أصحابه فانتهبوا الناس في الدور وأخذوهم من الطرقات، وأحرقوا كثيراً من دور الساحل. ثم عاد إلى البحيرة.

(١) ويوافق أول الحرم منها الطبع من أكتوبر سنة ١٠٧٠.

سنة أربع وستين وأربعمائة (١) :

وفيهما كانت الحرب بين تاج الملوك شادى وبين ناصر الدولة ابن حمدان ، وعادت الفتنة بالقاهرة ومصر . وكان سبب مُحَارَبَتِهِمَا أَنْ تَاجَ الملوك لَمَّا دخل إلى القاهرة نائباً عن ناصر الدولة تغيّر عما كان قد تَرَرَّ بينهما ، واستبدَّ بالأُمُور [١١٠٦] فَصَنَّ بِالْمَالِ عليه . ولم يصل ابن حمدان منه إِلَّا دُونَ مَا كَانَ يُؤْمَلُهُ . فَغَلِقَ لذلك ابنُ حمدان ، وانفق هو وجمائع الثُرَبَانِ على المسير إلى القاهرة وأخذها . فسارَ هم ، ونزل إلى الجيزة ، فاستدعى تاجَ الملوك وغيره من أكابر المُدَّعِيين ، فخرجوا إليه معلّمين لأنّه واحد منهم يَهْوَى هَواهم ، فمأهولاً أَنْ صارُوا إليه حتى قبضَ عليهم ، وزحف بجموعه ، وألقى النار في دُورِ السَّادَةِ ، وانبثت أصحابه ينتهبون ما قدروا عليه . فجهاز المستنصرُ إليه عسكرياً كانت فيه طائفةٌ لم قوة وفيهم مَنَمَةٌ ؛ فوافقوه . وكانت بينهم وبينه حرب انبجلت عن هزيمته ، ففرَّ على وجهه وتلاحق به أصحابه ، وصاروا إلى البحيرة ، فقطع خطبة المستنصر من جميع الوجه البحرى ، وكتب إلى الخليفة القائم ببغداد يسأله أَنْ يجهزَ إليه الخلع والألوية السود ، فأضْمَحَلَّ قدرُ المستنصر وتلاشى أمره . وتعاضلت الشدائد بمصر ، وجلّت رزايا الناس .

فلَمَّا كان في شعبان سار ناصرُ الدولة بعساكره وقد تيقَّنَ عجزَ المستنصر عن مقاومته لضعف أمره ومُمَالَاةَ كثير من الأتراك له . وموافقهم لما قرَّره معهم من محنة ، فدخل إلى مصر فاستولى على الأُدر ؛ وبعث إلى المستنصر يطلبُ منه المال . فدخل عليه قاصِدُ ابنِ حَمْدَانَ وهو جالسٌ على حصير بغير فرش ولا بُهة . وليس عنده غيرُ ثلاثةٍ من الخدم ، وقد زال ما كان يعهده من شارة المملكة وعظمة الخلافة . فلما أدَّى إليه الرسالة . قال له المستنصر : أما يكفي ناصر الدولة أَنْ أجلس في مثل هذا البيت على هذه الحال ؟ ! فلَمَّا سمع بذلك قاصِدُ ابنِ حمدان بكى وخرج . فأَعْلَمَ ناصرُ الدولة ما شاهده من هيئة المستنصر ،

(١) ويرافق أول الحرم منها التاسع والعشرين من مجلد سنة ١٠٧١ .

وعرفه بما صار إليه من سوء الحال ؛ فرق له وكف عنه ، وأطلق له في كل شهر مائة دينار . واستبد بسائر أمور الدولة ، وبائع في إهانة المستنصر في الاحتقاد ، وزاد في إيصال الضرر إليه وإلى سائر حواشيه وأسبابه ، حتى قبض على أم المستنصر وعاقبها بعقوبات متعددة ، واستخلص منها أموالاً جمّة . فتنفرق عن المستنصر جميع أهله ، وسائر أقاربه وأولاده وحواشيه ، فمنهم من سار إلى المغرب ومنهم من خرج إلى العراق ، وبني فقيراً وحيداً خائفاً يترقب . وقبل إن أم المستنصر فرّت أيضاً إلى العراق .

وفي شهر ربيع الأول استقر ابن أبي كُثَيْبَة في الوزارة والدعوة والقضاء . واستمر الحال على ما وصفنا جميع سنة أربع وستين .

وفيها فقد الطعام ، فسارت التجار من حِقْلِيَّة والمهدية^(١) في الطعام والمرتب . فبيع القمح كل كيل قروى زنته تسعة أرتال بدينار نزلوى ، ثم بيع بمخالفين ، ثم بثلاثة ، ثم فقد . وطبخ الناس جلود البقر وباعوها رطلاً بدرهمين ، وبلغ الزيت أوقية بدرهمين ، وأوقية اللحم بدرهم ، وبيعت الأمتعة بأبخس ثمن ، وباع الناس أملاكهم . ووقع الوباء فأتى الناس موتاهم في الثيل بغير أكفان .

وفيها مات القاضي الأجل أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن حمّار بن الحسين بن قُتَيْب بن عبد الله بن إدريس ابن أبي يوسف الطائي بطرابلس الشام ، ليلة السبت نصف

(١) المهدية مدينة أنشأها عبد الله المهدي ، أول الفاطميين بالمغرب ، على مسافة ستين ميلاً من القيروان .

البلدان : ٨ : ٢٠٩ ؛ البكري : ٣ : ١٧ - ١٨ .

رجب^(١) . وفيها ملك القمص وجار بن تنقرد صاحب مدينة قليرو^(٢) ، وهي مقابل مدينة
جربة^(٣) ، جزيرة صقلية^(٤) .

(١) وعقله نها ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن ابن ممر ، فضبط البلد أحسن ضبط ، ولم يظهر للفقد منه أثر
لكفايته . الكامل : ١٠ : ٢٤ .

(٢) هو الأمير Roger I, Son of Tancred of Hauteville . وصل مع مجموعة من النورمان إلى جنوب إيطاليا
٤٥٠ (١٠٥٧) وشارك في فتح إقليم كالبريا (في المتن قليرو) ثم اتجه إلى صقلية وواصل فتوحه فيها على مدى ثلاثين
عاما ٤٥٢ - ٤٨٣ (١٠٦٠ - ١٠٩٠) ونجح في وضع أسس الحكم للنورمان فيها . راجع دائرة المعارف البريطانية .
(٣) جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية قرب قابس ، بها بساتين كثيرة ، ويهبطها وين البرعجاز . مسجم البلدان :
٧٣ : ٧٤ - ٧٤ .

(٤) والسبب المباشر لذلك أن المستعصر يمتد إلى الرمال يطلب منه المال المقرر عليها ، وكان عاجزا عما طلب منه ،
للمعان بالفروخ ، فدخلوا وقتلوا ونهبوا واستولوا على البلد . الهجوم الزاهرة : ٥ : ٨٧ في أثناء عرض أحداث سنة ١٩٣ .

فيها قُتل ناصر الدين الحسين بن ناصر التوتة الحسن بن الحسين بن عبد الله أبي الهيجاء بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن الرشيد بن الشئ بن رافع بن الحارث ابن غطيف بن مجربة بن حارثة بن مالك بن جشم ، أحد الأراقم ، بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غم بن ثعلب بن وائل بن قاسط بن فيد بن أقصى بن داغمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان النخلي . وكان سبب فناءه أنه لما استولى على أمور الدولة وبالغ في إهانة المستنصر وتبع أهله وأقاربه وحواشيته ، وأخذ من قَدَر عليه منهم ، وفرَّ مَنْ وجد سبيلاً إلى الفرار ، كان يولّي الرجل بعض الأفعال ويسيره إليه فلا يتمكن من ذلك العمل حتى يكتب إليه بأن يعود ، ويبعث غيره (٢) . وشرع في قطع دعوة المستنصر وإعمال الرأي في إقامة الخليفة القائم بمصر والقاهرة ، [١٠٦٦هـ] وأن يُزِيل من البلاد دولة الفاطميين ويحوّل آثارها ، فلم يستطع ذلك ولا قدر عليه لكثرة الأحرار والأتباع . وكان من جملة رجال الدولة إندكز (٣) ، وهو أحد الأمراء ، ففطن لما يريد ناصر الدولة من قطع خطبة المستنصر وإقامة دعوة بني العبّاس ، فنشاور هو والأمير يَلْدَكُوز ، وكانا من أكابر الأتراك ، وأنكرا ، ما يتفق من ناصر الدولة وتخوفاً من عاقبة ذلك . وصاروا إلى بقية الأتراك وأعلمائهم أنه إن تمّ لناصر الدولة ما يحاوله لم يبقَ منهم أحداً ، والرأي مبادرته قبل أن يستفحل أمره ؛ فتقرر الأمر على القيام عليه وقتله .

وكان ناصر الدولة قد اخترَ بقوته ، وظنَّ أنه قد آمن ، وأن أعداءه قد تلاشوا وتلافوا ، فلأنه الله من حيث لم يحسب ، وأناخ به عواقب بغية ، فلم يشعر إلا وقد ركب الأتراك بأجمعهم

(١) ويوافق أول المحرم منها السابع عشر من سبتمبر سنة ١٠٧٢ .

(٢) ولا يمكن الدال من الورد . وكان يقصد بذلك أن يجد المستنصر بالله من الأحرار وأن يخلّي القاهرة من الرجال القادرين الذين قد يكونون طية في سبيل تمكنه . للكمال : ١٠ : ٢٧ - ٣٠ .

(٣) سبق التعريف بأنه كان شيخ الأتراك ومقدمهم وكان قد تزوج ابنة ناصر الدولة ابن حمدان .

على حين غفلة من ليلة من رجب^(١) ، ووافقوا داره بمصر سحراً . وكان يسكن في منازل العز ،^(٢) فهاجموا عليه من غير دُسُورِهِ ولا طلب إذن ، فلذا هوى صحن داره وعليه رداء ، فبادره أحدُهم بسيفه وأتبعهُ إلى دُكُرٍ فحزَّ رأسه . وخرج كوكب الدولة مسرعاً إلى قصر الدولة أخيه في عدة ، فطرقة وهو آمين^(٣) وقتله واحتمل رأسه ، وأخذ سيفه وجارية من جواربه . وانتدت الأيدي إلى مَنْ بقى منهم . فقتل أخوهما تاج المال وجماعة من بني حمدان ، وتبعوا أسبابهم وحواشيهم حتى لم يبق منهم أحدٌ بديار مصر . وأصبحوا لا تَرى إلَّا سائرَهم^(٤) وما أصدق قول أبي على السكيتك إذ يقول هجاء لناصر الدولة هذا :

ولئن غلظت بآن مدحتك ، طالبا جدواك ، مع على بآنك باخل
فاللولة المراء قد غلظت بآن سَمَتِكَ ناصرها وأنت الخادل

وقتل في هذه الثورة الوزير أبو غالب عبد الطاهر بن فضل بن الموفق في البُيْن ، ابن العجمي .

وفيها قُطِعَت خطبة المستنصر من بيت المقدس .

(١) ياض بالأصل يسع لنحو كلمة ، ولم أتمكن من تعديله هنا فترجى وغير الاستشارة بمراجع عدة .

(٢) دار بنتها السيدة أم العزيز ماض ، على التل لا يصحها عنه شيء ، وكان الخلفاء الفاطميون يخطبونها متزجداً لهم . وقد سكنها ناصر الدولة بن حمدان - كما يتبين من المتن - وعندما حدثت أسرة صلاح الدين الأيوبي مصر ، سكنها في الدين مصر ، ابن عمه ، ثم اشترعها من بيت المال وبناتها مدرسة للشافعية . انظر انقسط : في مواضع متفرقة ؟ وكذلك كتاب الفروغية في أخبار الدولتين لأبي شامة .

(٣) وكان ضم الدولة - ضم العرب - كبير الإحسان إلى كوكب الدولة هذا فأذن له وقال لعله قد دهمه أمر . التكمال : ١٠ ، ٣٠ وفي الأصل : « صرح مسرعاً إلى مصر للدولة ولد أخيه ... » وهو خطأ إذ أن ضم الدولة أخو ناصر الدولة رابع ماسق ، والحموم الزاهرة ٥ : نهاية الأرب النورية ، التكمال : ١٠ ، ٣٠ .

(٤) في الحموم الزاهرة تفصيل لكيفية اغتيال ابن حمدان جاء فيه أنه كان للوزير إلدكر غلام أسبه أبو منصور كشكبير ، وأنه واقف به في قتل ابن حمدان ، وقد بدأ إلدكر بأن ضربه بسكين في حاصرته ، ثم ضربه كشكبير بنقطة على خده ، فصاح ابن حمدان : ضلتموها ! فضربت رأسه . وقطع ابن حمدان قطعاً وألقفت كل قطعة إلى يده من . التجرم الزاهرة : ٥٠ : ٢١ - ٢٢ .

سنة ست وستين وأربعمائة (١) :

فيها تشدد الأتراك وكبيرهم سلطان الجيش بلدكوش التركي^(٢) ، والأمير إلدكز والوزير يومثذ ابن أبي كدينة : فضاقت خائفه وعظم روعه وساءت حاله ، وكان [المستنصر بالله]^(٣) يظن أن في قتل ابن حمدان راحة له : فاستطاع إلدكز وابن أبي كدينة عليه وناكده . فتحير في أمره وكتب إلى أمير الجيوش بكر الجمالي ، وهو يومثذ بعكا ، يستدعيه للقدم لنجدته وإعانتته ويعلمه شملك البلاد والاستيلاء عليها . فاشترط عليه أنه يقدم بمسكٍ معه ، وأنه لا يبقى أحداً من عساكر مصر ولا وزراءهم : فأجابه المستنصر إلى ذلك^(٤) . فأخذ في الاستعداد للمسير إلى مصر ، واستخدم معه عدة من العساكر ، وركب بحر الملح من عكا ، وكان الوقت في كانون^(٥) وهو أشد ما يكون من البلاء ، ومن العادة أن البحر لا يُركب في الشتاء . فسار في مائة مركب وقد حُذِر من ركوبه وخوف من سوء العاقبة فلم يُسمع لذلك ، وكان الله سبحانه قد صنع له ومكن له في الأرض ، وقضى بأن يصلح على يديه ، ما قد قسَد من إقليم [مصر] . فترحل بمساكره في المراكب ، وأصبحت السماء ، وواتتهم ريح طيبة سارت بهم إلى دمياط ولم يمتسبهم سوء ؛ فكان يقال إنه لم يُر في البحر قط صحوة تمادت أربعين يوماً إلا في هذا الوقت ، فكان هذا ابتداء سعادته وأول عظيم جده . فنزل بدمياط ، وطلب إليه التجار من تنيس وافترض عليهم مالا .

(١) ويرافق أول الحرم منها السادس من صفر سنة ١٠٧٣ .

(٢) وهو الأمير بلدكوش الذي تمارن مع الدكر في مؤامرة اغتيال ناصر للدولة ابن حمدان .

(٣) الإضافة لتصحيح الرفع إذ أن المستنصر هو الذي استدعى أمير الجيوش الشام .

(٤) وكان يحلم العسكر الذين استعان بهم من الأتراك ، وبهذا دخل عنصر جديد في تكوين الجيش الفاطمي ، إلى جانب الأتراك والسودان والغارية ، والمصلحة هي المرتبة .

(٥) في السنة شهر إن يحصل هذا الاسم : كانون الأول = ديسمبر و كانون الثاني = يناير . ولم أجد إلى المقصود منهما ، إذ تذكر المراجع أن سير بدر الجمال كان في سنة ست وستين وأربعمائة دون تحديد للشهر الذي يمكن بواسطته التعرف على المقصود بشهر كانون المذكور هنا ، وأصح - مثلاً - الجرم الزاهرة : هـ ؛ الكامل : ١٠ ؛ ذيل تاريخ دمشق ؛ نهاية الأرب .

وقدم عليه سليمان اللواتي ، وهو يومئذ كبير أهل البحيرة وأكثرهم مالا ، وأوسعهم حالا ،
وقدم إليه وأضافه ، وآدته بالطرقات حتى قدم قلوب فنزل بها . وبحث إلى المستنصر سرا
بأنّي لا يمكنني القدوم إلى الحضرة مالم يقدّم على بلدكوش ؛ فبادر المستنصر إلى إجابته
وقبض عليه .

ودخل بدرٌ عشية يوم الأربعاء لليثين بقينا من جمادى الأولى فلقاه أهل الدولة
وأَنزلوه ، وبالفؤا في إكرامه ، فأظهر أنّه ما جاء إلّا شوقاً إليهم ، وخدعهم بما أبداه من
المحبة لم وكثرة [١١٠٧] التملُّق . وأعرض عن المستنصر ولم يذكره إلّا بالسوء ؛ وصار
مَن معه يدخلون إلى القاهرة وُحْدَاناً ورجالا في الخفية حتى تكامل منهم تسعمائة . ثم أخذ
مع الأمراء في الأكل والشرب واللذات ، إلى أن اشتد تأنسهم به ، فاستدعاه كل منهم
إلى ضيافته . وقداموا إليه ، وهو آخذ في أسباب مآذِي إليه .

فلما انقضت أيام ضيافتهم له استدعى أمراء الدولة ومقدميها في صنيح أعد لهم ،
فمَضَوْا إليه ، وقصروا نهارهم عنده ، وباتوا في أطيب عيش وأنعم بال ، وقد رتب
أصحابه ليقتل كل واحد أميراً من الأمراء ويكون له جميع ما بيده . فلما سكرُوا وامتدَّ
عليهم رواق الليل صار يُخْرِج كل واحدٍ من باب ويسلمه إلى غلام من غلامه ، ويمضي
إلى داره فيتسلَّمها بما فيها من الخدم والأموال . فلم يصبح الصباح إلّا ورعوس الجميع
بين يديه . وقد استولى كل رجل من أصحابه على دار أمير من الأمراء وأحاط بجميع ما كان له .

وأخذ في القبض على الأتراك وتبعضهم حتى لم يَدَعْ منهم أحداً يشار إليه ، فقويت
شوكته واشتدت وطأته وعظم أمره ؛ فحَسَرَ عن ساعد الجدِّ ، وشرَّ ساعد الاجتهاد ،
والنقط المفسدين فلم يَبْقَ على أحد منهم ، وتطلَّبتهم في القاهرة ومصر حتى أتى على جميعهم
القتل . وفَرَّ ناصر الجيوش أبو الملوك ، وكان شاه بن بلدكوش ، إلى الشام .

وخلع عليه المستنصر بالطليسان المقور ، وصار جميع أهل الدولة في حكمه ، والدعاة نواباً عنه ، وكذلك القضاة إنما يتولون منه^(١) . فقلد أبا يعل حمزة بن الحسين بن أحمد الفارق قضاء القضاة . وزيد في القلاب أمير الجيوش على القلاب من تقدمه من الوزراء : كافل قضاء المسلمين .

وأنفق أنه لما ليس خلع الوزارة حضر إليه المتصلون بالجوامع ، فقرأ ابن العجمي : « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ »^(٢) ، وسكت عن تمام الآية ، فقال له أمير الجيوش بدر : والله لقد جاءت في مكانها وجاء سكوتك عن تمام الآية أحسن ، وأمر له بصلة .

فيها قتل أمير الجيوش من أمال المصريين وقضايتهم ووزرائهم عدة كثيرة ، منهم الوزير أبو محمد الحسن بن ثقة الدولة علي بن أحمد المعروف بابن أبي كدينة ، وكان عندما قدم [بدر] إلى مصر هو الوزير ، وهو من ولد عبد الرحمن بن ملجم ، وتردد في القضاء والوزارة سبع مرات ، وكان قاضي القلب جباراً ، فلما قبض عليه سُبِر إلى دمياط ، ودخل عليه السيف ليضرب عنقه ، فكان سيفه ثلثاً ، فضربه سبع ضربات بعدد ولايته القضاء والوزارة .

وقُتل أيضاً الوزير أبو المكارم أحمد ، والوزير أبو شجاع محمد بن الأشرف أبي غالب محمد بن علي ، والوزير عبد الغني بن نصر بن سعيد الضيف .

(١) ونست يدر باليد الأجل لمير الجيوش ، وهو أئمت الذي كان لصاحب ولاية دمشق ، وطلع عليه بالمد المنظوم بالموهر مكان الطرق ، وتزيد له الحنك مع النواية المرعاة والطليسان المقور زي تاقى القضاة . وصارت الوزارة من سيفة وزارة تفويض يقال لثولها أمير الجيوش ، وهال اسم الوزارة . الخطط : ١ : ٤٠ .

(٢) سورة آل عمران : آية : ١٢٣ .

سنة سبع وستين وأربعمائة (١) :

فيها سار أمير الجيوش بَدْر إلى الوجه البحرى فَأَوَقَعَ بَلَوَاتَهُ وقتل مقدّمهم سليم اللّوائى وابنه ، واستصَفَى جميع ما كان له وَلِقَوَمَهُ من أنواع [الأموال]^(١) ، وأَسْرَفَ فى قتلهم حتى يُقال إنه قتل منهم عشرين ألفا . وسار إلى دمياط وقتل كثيراً مَن كان فيها من المُسلمين ، وخَرَّبَ وحَرَّقَ ، وأصلح عامّة أحوال الثغر . ولم يدع بالبرّ الشرق وجميع أسفل الأرض مُقْسِداً إلّا وقتله أو قَمَعَهُ . ثم عَدَى إلى البرّ الغربى فقتل كثيراً من الطائفة الملحية وأتباعهم ؛ وأقام على مُحاصَرة الإسكندرية أتياما حتى أخذها قهراً ، فقتل كثيراً من أهلها المُسلمين ، وحفا عن أهل البلد فلم يَخْرُصَ لهم .

وفيها حاصر شكل التركى ، أحد الأتراك الراصلين من العراق إلى الشام ، ثغر عكّا وأخذه بالسيف ، وكان فيه أولاد أمير الجيوش بَدْر وأهلُه وحرمه ، فباحسن إليهم وأكرمهم وقتل والى عكّا . ثم سار منها فنزل على طَبْرِية وأخذها .

وفيها مات الخليفة القائم بأمر الله ببغداد ، يوم الخميس ثالث عشر شعبان ، وله من الخلافة أربع وأربعون سنة وتسعة أشهر وأيام^(٢) ، وجلس بعده ابن ابنه أبو القاسم عبد الله ابن ذخيرة الدّين ولقب بالمقتدى .

وفيها أُعيدت الخطبة للمستنصر بمكة [١٠٧ ب] بعد أن خطب فيها للقائم بأمر الله العباسى أربع سنين^(٣) .

وفيها قتل أمير الجيوش كثيراً من جند مصر وغيرهم مَن يَؤى إليه بفساد .

(١) ويوافق أول المحرم بها السابع والشرين من أغسطس سنة ١٠٧٤ .

(٢) ما بين الحاصرتين مريد لأن السياق يقتضيه أو نحوه .

(٣) يقول ابن تيمى بردى . ومن القرائب أن القائم هذا كان ماصراً للمستنصر العبدى ، وهو خليفة مصر ، وكلامها مكث فى الخلافة مالم يمكّه غيره من آياله وأجداده من طول المدة ؛ فالتقام هذا كانت مدته أربعاً وأربعين سنة ، والمستنصر ستين سنة ، فالتقم للقائم لم يقع لأحد من العباسيين ، وما وقع للمستنصر لم يقع لأحد من الفاطميين . فتنبؤم الزماعة : ٩٨ : ٥ .

(٤) وتتلخص ظروف عودة الخطبة للمستنصر بمكة فى أنه كتب إلى ابن أبى خاتم ، صاحبها ، رسالة وأصبحها هدية جبلية ، وطلب منه فى الرسالة أن يعيد الخطبة قائلاً إن أيمانك وعهودك كانت للقائم والسلطان أبى أرسلان ، وقد ماتا . فطلب له وقطع خطبة المقتدى . وكانت الخطبة قد انقطعت أربع سنين وخمسة أشهر . الكامل : ١٠ : ٣٩ . وشماد الخطبة المقتدى سنة ٤٧٩ . كما سيأتى .

سنة ثمان وستين وأربعمائة (١) :

فيها حاصر أطيرز بن أرئق ، المعروف بالأقيس^(٢) ، دمشق وألح على قتال من بها من صاكر المستنصر حتى ملكها بعد أن أقام يحاصرها نحو ثلاث سنين . وكان عليها من قبل المستنصر حيلة بن ميرزا الكاشي ، وقد كرهته الرعية لسوء سيرته فيهم وكثرة مصادرتهم للناس ، فقرّ منهزما إلى بانياس^(٣) ، ثم خرج عنها إلى صور فأقام بها مدة ، ثم حمل إلى مصر فقتل بها . وكان قد التحق بأطيرز عدة من فرّ من مصر عند قدوم أمير الجيوش ، فتقوى بهم وبمن صار إليه من أهل دمشق فراراً من حيلة لسوء سيرته . فلما ملك دمشق دعا للمقتدى من خلفاء بني العباس وأبطل الخطبة للمستنصر ، فانقطعت دعوة الخلفاء الفاطميين منها ولم تعد بعد ذلك . وقطعت دعوة المستنصر من مكة أيضاً ودُعي فيها للمقتدى .

فيها مات القاضي الشريف جلال الدولة أبو الحسين أحمد بن أبي القاسم علي بن محمد ابن الحسين بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب الحسيني النصبيني ، قاضي دمشق ، وهو يومئذ متولى القضاء بها ، في يوم الجمعة الرابع من ذي القعدة ؛ وهو آخر قضاة الخلفاء الفاطميين بدمشق ، وسمع الحديث وحديث ، وله فيه مقال^(٤) .

(١) ويرافق أول الحرم سنة السادس عشر من أغسطس سنة ١٠٧٥ .

(٢) أطيرز أو أثير هذا من قادة الأتراك السلاجقة ، تقدم نحو دمشق وحاصرها إلى حكم السلاجقة أيام السلطان ملكشاه ثالث سلاطين السلاجقة العظام ، ومن دمشق وسع نفوذه في بلاد الشام وتقدم نحو مصر وهددها . وقد تمكن الأمير السلجوقي تنكش من أن يقتله ويتولى بنفسه دمشق وما يتبعها سنة ٤٧١ . ويقول ابن الأثير في بعض الحديث من أنش هذا : « يذكر الشاهيون هذا الاسم أقسموا والصحيح أنه أنش وهو اسم ترك » . اهـ . الكامل . ١٠ : ٣٥٠ .

(٣) في الجنوب الغربي لدمشق .

(٤) قال يربما وعنده أبو الفتيان ابن حيوس الشاعر : وددت أني في الشجاعة مثل جلي على ودي السخاء مثل ساتم . فقال له أبو الفتيان : ودي الصنف مثل أبي ذر الثفاري . فحيل للثريف فإنه كان يتزهد في كلامه . النجوم الزاهرة :

سنة تسع وستين وأربعمائة (١) :

فيها اجتمع بمدينة طوخ^(٢) من صعيد مصر عدد كبير من عرب جُهينة والثعالبة والجعافرة^(٣) لمحاربة أمير الجيوش ، فسار إليهم حتى قَرُب منهم ، فنزل ، ثم ارتحل بالليل وأمر بِمَرْبِ الطُّبُول وزعفت البوقات ، واشتعلت المشاعل وقد تزايد وَقُود النيران . وجدَّ في السير والعساكر لما صرخات وصيحات متتابعة في دَقَّة واحدة ، حتى طرَقهم بخفة ووضع فيهم السيف فأذَى أكثرهم قتلا ، وفرَّ منهم طوائفُ فقَرَقُوا ، ولم يَنْجُ منهم إِلَّا القليل . وأحاط بأموالهم فحاز منها ما يتجاوز الوصف كثرة ، وسيرها إلى المستنصر .

وفاز كنز الدولة محمد بأَسوان^(٤) وتغلَّب عليها وعلى نواحيها ، وكثرت أنبياهه ونَجَمَ أمره ، فسار إليه أمير الجيوش بمساكره ، فالتقى معهم وحاربهم محاربة طويلة أَشْفَرَتْ عن قَتْلِهِ وهزيمة أصحابه بعد أن قُتِلَ منهم جَمٌّ غفير ؛ فكانت هذه الواقعة آخر الوقائع التي قُطِعَ فيها دابرُ المُفسدين ، وخمدت جمرتهم .

(١) ويرافق أول الحرم منها الخراس من أغسطس سنة ١٠٧٦ .

(٢) في قوانين الدواوين ثلاثة عشر موضعا كل منها يحمل اسم طوخ مضافا إلى اسم آخر ، منها طوخ الجبل بالقرب من أسيوط ، وطوخ دمنق من أعمال القوصية ، وطوخ قنده وطوخ الخيل من أعمال الأشمونين .

(٣) يهمل الأصل تعريف جم نسه : « يحطه : قال الشريف محمد بن أسد الخوافي بنو ثعلبة في نسب الإمام الحسن وبني جعفر الطيار » فذكرهم . ثم قال : فأما التي في بني جعفر الطيار فبنو ثعلبة الحجازي بن داود بن غوث بن إبراهيم ابن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن عبد بن حل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فبنو عشرة إلى اليوم بخرجة من أعمال سوط بصعيد مصر ... وحامد ... وإبراهيم أولاد سبيل بن عبد الله بن حسين بن ثعلب المذكور . قال : الجاضرة أبطن ، فذكرهم ، ثم قال : وأما التي في ولد أبي طالب فبنو جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام ، وإليه يرجع الجاضرة كلهم وهم نازلون بسفرة العربان من أعمال الأشمونين بصعيد مصر ، وفي مواضع شتى من بلاد الله ، وفيهم عشائر مقسمة » . اهـ .

(٤) كنز الدولة لقب منح أول مرة أيام الحاكم بأمر الله لأمير أسوان أبي المكارم حبة الله بعد انتصاره على أبي ركوة ثم أصبح هذا اللقب وراثيا في أسرة أبي المكارم . انظر كتاب الروضتين : القسم الثاني من الجزء الأول : ٥٣١ (تحقيق الدكتور محمد حلمي محمد أحمد) .

وفيها جمع أطير صاحب دمشق الصاكر وسار يريد تملك الديار المصرية وإزالة الدولة الفاطمية منها وإقامة الدعوة العباسية كما فعل في بلاد الشام . وكان أكثر الأسباب الحاملة له على ذلك أن ابن بلدكوش لما فر من أمير الجيوش وصار إلى بلاد الشام اتصل بأطير ، وقدم إليه ستين حبة لؤلؤ مُدْخَرَج ، زنة كل حبة منها ينيف على مثقال ، وحجر ياقوت زنته سبعة عشر مثقالا ، وتحفا كثيرة بما كان قد وصل إلى أبيه من خزانة المستنصر في سبيل الشدة ، وأغراه بأهل مصر وحته على قصد البلاد ، وهو لها عنده . فقوى طمعه وسار وقد حصل في قوة بمن صار إليه من عساكر مصر ومن انضاف إليه من أهل الشام .

وكان أمير الجيوش ببلاد الصعيد قد انتهى إلى بلاد أسوان ، فوصل الخبر بمسير أطير إلى مصر ، فكتب بذلك إلى أمير الجيوش ، وكان عند موافاة الخبر إليه في شغلٍ عن ذلك ، فقدم أطير إلى أطراف مصر في جمادى الأولى ، وقد أشار عليه ابن بلدكوش « بالأشتغل بالقاهرة ولكن تملك الريف » . وقال له : إذا ملكت الريف فقد ملكت مصر ، فأقام بالريف جمادى الأولى وجمادى الآخرة وبعض رجب وأمير الجيوش في إصلاح الصعيد وتبوير أموره ، وقد حضر إليه أكثر أهل أسوان وبلد بن حازم بجمانع طي . فلما استوفى أمره وجمع إليه العساكر عاد إلى القاهرة وخرج يريد محاربة أطير في جمع تبلغ عدته ما ينيف على ثلاثين ألفا ما بين فارس وراجل ، وذلك في [١١٠٨] يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من رجب بعد ما جهز عدة مراكب قد شحنها بالملوفاة والأزواد . فجمع أطير إليه أصحابه واستشارهم ، فاختلفوا عليه في الرأي ، فقال بعضهم أن ترجع فإنك قد دُست بلاد مصر وليس معك غير خمسة آلاف ، والقوم في كثرة ، وعواقب الأمور غير معلومة . وقال له أخوه وابن بلدكوش لا يهولنك ما نسمع به من كثرتهم فلنأمن سوقا وأخلاط ، لو سمعوا صيحة لفروا عن آخرهم ، فذاك والرُّجوع عن هذا الملك قد أشرقت على أخذه ولم يبق إلا تملكه . وأشار عليه شكل ، أمير طبرية ، بشوافقة القوم والدخول إلى مصر . فتقرر الرأي على ملاقاته الصاكر المصرية .

فلما كان يوم الثلاثاء لثمان بقين منه تلاقى الفريقان وتحاربا ، فكانت بينهما عدة وقائع كانت الغلبة فيها للمصريين ، فانهزم أطير ، وقتل أخوه وعدة من أصحابه ، وعاد

في قليل من معه وأقام بالرملة حتى تلاحقت به عساكره^(١). ثم رحل إلى القدس ففتحها وقتل من فيها من المسلمين ولم يترك من استجار بالأقصى .

ثم سار إلى دمشق ، فدخلها لعشر بقرين من شعبان ؛ وقد احتوى أمير الجيوش على كثير مما كان معهم ، ورجع إلى القاهرة مؤيداً مظفراً . وكان المتولى لكسرة أطنيز بدر بن حازم ابن علي بن دغل بن جراح . فلما جلس أمير الجيوش بدر الجمالي للهناء ينصرتة قرأ ابن لفنة ، أحد القراء ، « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ » ، ولم يتم الآية ، يعني بدر بن حازم . فبينما أمير الجيوش بدر في ذلك إذ بلغه اجتماعُ عرب قيس وسليم وفزارة ، فخرج إليهم وأوقع بهم ، وأكثر من القتل فيهم ، وفر من بقي منهم إلى برقة .

وفيها سقط أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي^(٢) من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر ، فمات في عشية اليوم الثالث من رجب ؛ وكان له على الدولة الفاطمية في كل شهر ثلاثون ديناراً وعلة لإصلاح ما يكتب في ديوان الإنشاء ، فكان يعرض عليه جميع ما يكتب منه ، وإذا حرره أمير به فدفع لأربابه . ثم إنه تخلى عن الخدم السلطانية وانقطع للعبادة حتى مات ؛ وكان أبوه واعظاً بمصر .

(١) ويقول ابن القلانسي : وأعلنت هزيمة يحمه في نفر يسير من أصحابه ؛ ووصل إلى الرملة وقد نزل أعوه وقلعت يد أبيه الآخر . وكان الدعاء عليه ، حين شرح إلى مصر لتلكها ، خواصاً من أهل دمشق ، والحق له بتتابع متصل . ولما وصل مد القل إلى دمشق سرت نفوس الناس بمصابه ، وتحكم السيوف في أنامه وأصحابه ، فأطروح هذه الحادثة مرحة حلاكة وحمايه . ٥١ . قبل تاريخ دمشق ١٠٩٠ - ١١٢ . راجع تفاصيل هذا الصدام في مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . وقد احتست في ذيل تاريخ دمشق - بالهاش - ص ١٠٩ - ١١٢ .

(٢) وهو صاحب المقدمة « في النحو . وبابشاذ تكتب متصلة : باب شاذ ، بمعنى الفرج والسرور . وسر انقطاعه للعبادة أنه كان جالساً يأكل صباه قد مكان إذا أتى إليه تبتاً لا يأكله ويحمله ويحسى . وكثر ذلك منه ، حتى يوما ليطر أين يذهب بما يحميه ، فإذا هو يحمله إلى موضع مظلم فيه سترة عمياء فيلبسه لما فتأكله ، فصب وقال : إن الذي يضر هذا لعله ليبيتها بقرتها قادر حل أن يقتني عن هذا العالم . ومن تصانيفه : شرح جمل الزجاجي ؛ المختب في النحو ؛ شرح النخبة . الجرم الزاهرة : ٥ : ١٠٥ ؛ بقية الوعاة : ٢ : ١٧ .

سنة سبعين وأربعمائة (١) :

فيها سُر أمير الجيوش عسكرياً مقدّمه ناصر الدولة الجيوشي ، فانتهى إلى دمشق وأقام محاصراً لها مدة ؛ ثم ارتحل عنها وعاد بغير طائل .

وفيها قُرُصَ لأَمير الجيوش قضاء القضاء . وزيدٌ في نعوته : كافل قضاء المسلمين ، وهاذى دُعاة المؤمنين .

وفيها وصل إلى مكة من بغداد منبر كبيرٌ في شهر رمضان منقوشٌ عليه بالذهب :
« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . الإمام المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين . بما أمر بعمله محمد بن محمد بن جَهير » . فاتَّفَق وصوله وقد أُعيدت الخطبة للمستنصر ، فكرر المنبر المذكور وأحرق .

ولم يكن بمصر في سنة إحدى وسبعين (٢) كبيرٌ شئ .

(١) ويوافق أول المحرم منها الخامس والعشرين من يوليو سنة ١٠٧٧ .

(٢) ويوافق أول المحرم منها الرابع عشر من يوليو سنة ١٠٧٨ .

سنة اثنتين ومبشرين وأربعمئة (١) :

فيها سير أمير الجيوش عسكريا كبيرا ، فانتهى إلى دمشق وحاصرها حتى أشرف على أخذها ، فسير أطنيز صاحب دمشق إلى تاج الدولة تنش بن^(٢) السلطان ألب أرسلان - وكان قد أقطعه أخوه ملكشاه الشام وأخذ حلب بعد ما حاصرها حتى اشتد الجوع بأهلها وملكها - يستحثه حل نصرتة وتقويته على المصريين ، ويؤيده أنه يسلم إليه ملك دمشق . فأجابه إلى سؤاله وسار إليه بمسكركه ، فبلغ ذلك عسكر أمير الجيوش ، فارتحل وعاد إلى مصر . وقدم تنش فملك دمشق ، ودبر على أطنيز وقتله بحيلة في ربيع الأول ؛ وجهز عسكريا في إثر العسكر المصري فلم يدركه .

وفيها خرج ملك النوبة من بلاده وصار إلى أسوان يريد زيارة كنيسة لم بها ، فبعث والى قوص [من] قبض عليه ووحمله إلى القاهرة ، فأكرمه أمير الجيوش وأفاض عليه النعم ، وأتحفه بالهدايا الجليلة ، فأدركه أجله ومات قبل أن يعود إلى بلاده .
وفيها قطعت خطبة المستنصر من مكة وأعيدت خطبة بنى العباس .

(١) ويوافق أول المحرم منها الرابع من يوليوس ١٠٧٩ .

(٢) هو تاج الدولة تنش بن عضد الدين أبي شجاع ألب أرسلان بن داود ، بن ميكائيل بن سلجوق . تول أخوه ، جلال الدين أبو الفتح ملكشاه ، سلطنة السلاجقة النظام ، ثم أوصى لابنه نصير الدين محمود بن بعده بالسلطة فلما مات تولى قوتى وخلعه بركياروق ، ركن الدين أبو المظفر ، فنصب تنش لذلك وخلع طامه وثار ضده ، وتقدم من الشام لحربه واجتاز القفرات ودجلة ، والحق الجيشان في معركة حاسمة عند مدينة الرى ، شال فارس ، فسقط تنش فيها مريما وكان ذلك سنة ٤٨٨ . انظر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : ١ في سوانح مختلفة ؛ التبرجم الزاهرة : « في سوانح مختلفة كذلك ؛ تلرخ دولة آل سلجوق للهاد الأصفهاني .

فيها خرج الأوحى بن أمير الجيوش على أبيه ، وانضم إليه جماعة من المسكر والعربان وتحصن بالإسكندرية ، فسار إليه أمير الجيوش وحصره ، وألح عليه القتال حتى دخل البلد وأخذ ابنه قهراً . وأمر ببناء الجامع المعروف في الإسكندرية بجامع العطارين من أموال أخذها من أهل البلد ، وفرغ منه في شهر ربيع الأول ؛ وأقيمت فيه الجمعة واستمرت إلى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فأمر ببناء جامع ، ونقل الخطبة من جامع العطارين إليه .

وفي جمادى الأولى استناب أمير الجيوش ولده الأفضل . وجعله وليّ عهده في السلطنة (٢) .

وفيها ابتدأ أمير الجيوش في بناء سور القاهرة (٣) .

(١) يقول هذه الصفحة في الأصل عبارة تقول . يياض نحو ربع صفحة ، اهـ . ويوافق أول الحرم من هذه السنة العاشر من أيار سنة ١٠٨٤ . ويلاحظ أن المؤلف أهل السنوات ٤٧٣ - ٤٧٦ .

(٢) وهذه أول حادثة من نوعها في العصر الفاطمي أن تصبح الوزارة شه وراثية وأن يسهدها الوزير القائم لا يسهدها غيره . وهذه « السلطة » لم تعرف من قبل ، ولم يقع بين يدي ما يدل على أن هذا كان يتقلب بها ، وأرجح أنها أطلقت بتأثير العصر الذي كتب فيه المؤلف كتابه ، وتأثير السلطات الواسعة التي تولاهما الوزير بدر استقلالاً عن قصر الخلافة .

(٣) يقول المقرئ في الخطط : « أعلم أن القاهرة منذ أسست على سورها ثلاث دارات الأول وضعه القائد جوهر والثاني بدر الجمال والثالث الأمير المنصور بهاء الدين قراقوش الأسدي في ساطعة الملك الناصر صلاح الدين » . وكان السور الأول من اللبن ، والثاني زاد فيه بدر الجمال للزيادات التي فيها بين باقي زويدة وباب زويدة الكبير وفيها بين باب الفتوح عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن (زمن المقرئ) ، وزاد عند باب النصر أيضاً جميع الرحبة التي تقع تجاه جامع الحاكم إلى باب النصر . وجعل السور من لبن والأبواب من حجارة ، وبناء قراقوش لصلاح الدين بالحجارة على ما هو عليه الآن ووسمه ليدور على القاهرة ومصر والفتنة جميعاً . الخطط : ١ : ٣٧٧ - ٣٨٠ .

فيها قُطعت الخطبة من مكة للمستنصر وخُطب بها للمقتدى العباسي (٢).

فيها مات أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي الملقب بالكمال ؛ وكان قد وَلَّى الوزارة بعد أن صار إلى بلاد المغرب وخدم بها ، ثم عاد واتصل بالوزير أبي محمد اليازوري ، فأحسن إليه واستخدمه وعُيِّن به ، فَمَاتَهُ أبو الفرج البابلّي . فلما صارت إليه الوزارة بعد اليازوري قبض عليه في جملة من قبض عليه من أصحاب اليازوري ، واعتقله ، فلم يزل معتقلاً إلى أن تقرّرت له الوزارة وهو في السجن ، فأُخرج وخُطِب عليه خُطْبُ الوزارة عوضاً عن أبي الفرج البابلّي ، فلم يؤاخذه بما كان منه في حقه ، بل قابله بالجميل وأحسن إليه إحساناً كبيراً . ولما صرف عن الوزارة اقترح أن يُؤلّى ديوان الإنشاء (٣) ، فقرر في هذه الرتبة التي يقال لها في زمننا اليوم كُتّاب السر ، فاستقرت من بعده وظيفة ورتبة يشقلدها الأكابر .

وفيها مات سليمان بن قُطلمُش بن إسرائيل بن سلجوق ، صاحب قونية وأقصر من بلاد الروم (٤) ، وقام من بعده ابنه قليج أرسلان بن سليمان (٥) ، فاستردّ منه الفرنج مدينة أنطاكية .

(١) ويوافق أول المحرم منها التاسع والعشرين من إبريل سنة ١٠٨٥ .

(٢) يذكر ابن الأثير أن هذا حدث في سنة ٤٧٩ . الكامل : ١٠ : ٥٤ .

(٣) يقول ابن عمري برحق : وهو أول من ولي كتابة الإنشاء بمصر . النجوم الزاهرة : ١٨ : ٥٠ . وكان من يتولى هذا المنصب يلقب بالشيخ الأجل ، ويُنال له كاتب القصد الشريف . ويتسلم المكاتبات الواردة بخزينة فيعرضها على الخليفة من بعده ، وهو الذي يأمر بتزويلها والإجابة عنها ، ويستشير الخليفة في أكثر أدوره ، ولا يجيب عنه إذا أراد المدخول إليه . وربما بات عدة الخليفة ليالاً ، وجارية مائة وعشرون ديناراً في كل شهر ، ولا سبيل أن يدخل إلى ديوانه بال قصر ولا يجتمع بكتابه أحد إلا بالمراسم . الخطط : ١ : ٤٠٢ .

(٤) وهو أول سلاطين السلطنة بأرض الروم (آسيا الصغرى) ، حكم بين سنتي ٤٧٠ - ٤٧٨ (١٠٧٧ - ١٠٨٦) . وقد قتل في معركة ضد الدولة لكش صاحب دمشق عندئذ ، فقيل إنه قتل نفسه بسكين كانت معه عندما رأى انهزام معسكره ، وقيل قتل في المعركة بسهم أصابه في وجهه فوقع عن فرسه . ينظر : Mohammadan Dynasties ، الكامل : ١٠ : ١٥٠ ؛ النجوم الزاهرة : ٥ : ١٢٤ .

(٥) قُليج أرسلان ، داود الأول ، بدأ حكمه الحقيق سنة ٤٨٥ (١٠٩٢) بعد فترة من الاضطراب ، وكان من رجال ملكشاه السلجوقي الذي أرسله لنزول بلاد الروم ففتح كثيراً من مدنها وتولاها . وانتهت حياته في معركة بينه وبين جالو ، فلوك السلطان محمد بن ملكشاه ، انهزم فيها فألقى نفسه في نهر الخابور فغرق ، فأخرج وحمل تابوته إلى ميافارقين فدفن بها . النجوم الزاهرة : ١٠٠ - ١٩٠ : ١٩١ ؛ Mohammadan Dynasties

سنة تسع وسبعين وأربعمائة (١) :

فيها قدم الحسن بن الصباح ، رئيس الطائفة الباطنية من الإسماعيلية ، إلى مصر في زى ناجر ، واتصل بالمستنصر واختص به ، والتزم أن يقيم له الدعوة في بلاد خراسان وغيرها من بلاد المشرق . وكان الحسن هذا كاتباً للرئيس عبد الرزاق بن هرام بالري ، فكاتب المستنصر ، ثم قدم عليه^(٢) . ثم إن المستنصر بلغه عنه كلام ، فاعتقله ، ثم أطلقه . وسأله ابن الصباح عن عدة مسائل من مسائل الإسماعيلية فأجاب عنها بخطه . ويقال إنه قال له : يا أمير المؤمنين ، من الإمام من بعدك ، فقال له ولدى نزار^(٣) .

ثم لأنه سار من مصر بعد ما أقام عند المستنصر مدة وأنعم عليه بنعم وافية . فلما وصل إلى بلاده نشر بها دعوة المستنصر وبثها في تلك الأقطار ، وحدث منه من البلاد بالخلق ما لا يوصف مما قد ذكر في أخبار المشرق . ثم قام من بعد المستنصر بدعوة ابنه نزار ، وكان بسبب ذلك في مصر من الانقلاب ما نهم به إن شاء الله تعالى . وأخذ ابن الصباح أصحابه بجمع الأسلحة ومواعظهم ، حتى اجتمعوا له في شعبان سنة ثلاث وثمانين ، ووثب بهم فأخذ قلعة الكموت ، وكانت للوك الديلم من قبل ظهور الإسلام ، وهي من الحصانة في غاية .

واجتمع الباطنية بأصحابهم مع رئيسهم وكبير دعايتهم أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، وملكوا قلعتين عظيمتين ، إحداهما يقال لها قلعة الدر . وكانت لأبي القاسم دُلف العجلي :

(١) ويوافق أول الحرم منها الثامن عشر من إبريل سنة ١٠٨٦ .

(٢) والحسن الصباح هذا رأس الأسرة التي استولت قلعة الموت واحتفظت حصنها لها تبسط منه دعوتها الباطنية العالية فيما جاورها من البلاد ، وإلى أجد من ذلك أيضاً - كما يتضح من النص - توفي الحسن هذا سنة ١١٨ هـ **Mohammadan Dynasties**

(٣) سير دهمد هذا ، عند الحديث عن وفاة المستنصر . إلى الأفضل بن بدر الخجلي نجي نزارا من ولاية العهد ، نثار بالاسكتونية واتخذ لنفسه لقب المصطفى لدين الله .

وجندهما وسهما ساهور ؛ والقلمة الأخرى تعرف بقلمة جان ، وهما على جبل أصبهان .
 وبث الحسن بن الصباح دُعَاة ، وألقى عليهم مسائل الباطنية التي ذكرتها في هذا الكتاب
 عند ذكر داعي الدعاة في أخبار بناء سور القاهرة ، عند ذكر خطط المعزية القاهرة . فساروا
 من قلعة أَلْمُوت ، وأكثروا من القتل في الناس غيلة .

وكان إذ ذاك ملكُ الدِراقيين السلطان مَلِكُشَاه الملقب جلال الدين بن آلب أرسلان ،
 فاستدعى [١٠٩٩] الإمام أبا يوسف الخازن لمناظره أصحاب ابن الصباح ، فناظرهم ؛
 وألّف كتابه المسمّى بالمستظهرى ، وأجاب عن مسائلهم . واجتهد ملك شاه في أخذ قلعته
 فأعياه المرض وعجز عن تَوَلِّيها .

وفيهما خُلع اسم المستنصر وآبائه من مكة والمدينة وكتب اسم المقتدى^(١) .

(١) بهاش الأصل تليق نصه : ■ بخطه : كتاب المستظهرى في الإمامة وشرائط الخلافة وبعض السير العادلة ، وفي
 أشياء حسنة من الفقه والأصول وسيرة . . . ، ألّفه أبو يوسف يعقوب بن سليمان بن داود الخازن من أهل أسفرايين ، تفقه
 على القاضي أبي الطيب طاهر بن عداة ، وسمع الحديث وحديث ، وكان فقيها عارفا بالأصول على مذهب أبي الحسن الأشعري ،
 وصنف أيضا كتاب يدّلع الآثار وروائع الأَشْأَار . وسات يوم الخميس العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة
 ببغداد وقد تجاور ثمانين سنة ، وله شعر . وكتاب المستظهرى أيضا في الفقه على مذهب الشافعى صنفه أبو بكر محمد بن أحمد
 ابن الحسين بن عمر الشافعى ، وهو يشتمل على مذاهب الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، ويعرف بحيلة الفلاسفة ،
 للعليفة المستظهر ■ . ٥١ .

سنة ثمانين وأربعمائة (١) :

فيها مات أبو الفضل عبد الله بن الحسين بن بشرى، المعروف بابن الجوهري، الواظظ المصري في العشر الأواخر من شوال؛ وهو أحد أكابر شيوخ مصر. وتصدى سنين للوعظ بجامع عمرو بن العاص. حدث عن جماعة؛ وله كلام في الزهد والمواظظ؛ وهومن بيت علم وأسرة وعظ. ولما كانت أيام الشدة والغلاء بمصر اجتمع إليه الناس في بعض الأيام وسألوه عقد المجلس للوعظ بالجامع العتيق، فقال: مَنْ يحضّر عندي وَمَنْ يَتِي؟ فقالوا: لا يُد من ذلك؛ فجلس، وكان من كلامه: أبشروا هذه سنة ثلاث، وأشار بيده، وهي متعلقة كلها، وسنة حلّ سنة أربع ويفتح الله، ورفّع يَنْصَرَه، وبعدها سنة خُمس ويفتح الله، ورفع يَنْصَرَه. فكان كما قال. وأنشد مرة في بعض مجالسه:

ما يَصْنَعُ اللَّيْلُ والنَّهَارُ وَيَسْتُرُ الثُّوبُ والجِدَارُ
على كرامٍ بَنَى كرامٍ تُخَيِّرُوا في القضا وخارُوا

ومن كلامه: قد احتلّ أمر الدّين والدّنيا، وتعلّر الوصول إليهما، فَمَنْ طلب الآخرة لم يجد مُعيناً عليها، ومن طلب الدنيا وجد فاجراً قد سبقه إليها.

وأنشد مرة الخليفة المستنصر:

حساكر الشكر قد جاءت مهنتاً وللملوك ارتيابٌ في تأنيها
بالهاب قومٌ ذوو ضعفٍ ومُسْكَنَةٍ يَسْتَصْنِرُونَ لك الدّنيا بما فيها

وفيها بعث برودويل^(٢) ملك الفرنج الذين يُقال لهم الإفرنيسيس عسكرياً عليه أجار^(٣) إلى صقلية فملكها من المسلمين.

(١) ويوافق أوله الحرم ثمانين من إبريل سنة ١٠٨٦.

(٢) البرودويل: الصورة العربية للاسم الفرنسي **Baldwin** «بلدوين». زليس في ملوك فرنسا في هذه المرحلة من يصل هذا الاسم؛ كما لا يوجد بين ملوك إنجلترا ودوقات إيطاليا وأراده صقلية من قس به.

(٣) وهو روبرج الأول **Roger I**، وقد قام بجهود متواصلة استغرقت ثلاثين سنة انتهت بسيطرته الكاملة على جزيرة صقلية، فكان ذلك بداية لسيطرة النورمان عليها. وكانت للثقافة الصقلية منذ فتح النورمان للجزيرة مديحاً من التأثير الإفريقي والإسلامي. أياً بقية الآثار الأخرى فلم يكن لها تأثير واضح. وقد احتفظ النورمان بالطابع الإسلامي الإفريقي المزدوج للمصارة الصقلية، وعملوا على ترقية تطورها في الاجتماعين. دائرة المعارف البريطانية.

سنة احدى وثمانين وأربعمائة (١) :

سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة (٢) :

فيها نذب أمير الجيوش عسكرا إلى بلاد الشام وقُدِّم عليه ناصر الدولة الجيوشي ، فسار وفتح ثغرى صور^(٣) وصيدا^(٤) ، ثم فتح جبيل^(٥) وعكا . وكان تُتَشَّ قد ملكها . فاستولى عليها ناصر الدولة الجيوشي ، وقتل جماعة من أصحاب تشش ، وأخذ كثيرا من ذخائره . ومضى إلى بعلبك ، فوفد عليه خلف بن ملاعب صاحب حمص ، ودخل في الطاعة ، وبعث ابن حمدان إلى أمير الجيوش ، فسيَّر إليه الخلع والظوق .

سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة (٣) :

فيها توفي الحافظ أبو اسحق إبراهيم بن سعد بن عبد الله الخيال المصري الإمام ، صاحب التاريخ ، في سادس ذى القعدة . ومولده في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، ودفن بالقرافة .
وفيها صعد الحسن بن الصباح إلى قلعة أكموت في شعبان ، وأظهر دعوة المستنصر بالله .

(١) ويرافق أول الحرم منها السابع والعشرين من مارس سنة ١٠٨٨ . ويهاش الأصل : يهاش أربعة أسطر .

(٢) ويرافق أول الحرم منها السادس عشر من مارس سنة ١٠٨٩ .

(٣) يصفها بالقوت بأنها مدينة حصينة بالساحل داسلة في اليسر مثل الكف على الساعد ، يحيط بها البحر من جميع جهاتها إلا الجانب الرابع الذي فيه بابها . ويقول : وهي حصينة جدا وكثيرة ، لا سبيل إليها إلا بالظلمان . بينها وبين حكا سنة فراعس . حجم البلدان : ٥ : ٣٩٧ - ٣٩٨ . وكان في صور أولاد للقاضي حين الدولة ابن أبي عتيل ، ولم تكن لهم قوة متعونها بها . ذيل تاريخ دمشق : ١٢٠ : الكامل : ١٠ : ٦٠ .

(٤) صيدا بالقرى والله ، على الساحل شرق صور ، بينهما ستة فراسخ ؛ وكانت تعد من أعمال دمشق . حجم البلدان : ٥ : ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٥) على بعد ثمانية فراسخ من بيروت في اتجاه الشرق : نفس المصدر : ٣ : ٥٩ - ٦٠ .

(٦) ويرافق أول الحرم منها السادس من مارس سنة ١٠٩٠ .

سنة خمس وثمانين وأربعمائة (١) :

فيها نقل أمير الجيوش بآب زويلة وزاد من وراثتهما قطعة^(١)، وبني باب زويلة الكبير الموجود الآن ، ورفع أبراجه على ما هي عليه ، ولم يجعل له باشورة^(٢) كما هي عادة أبواب الحصون أن يكون في أبوابها عطفة تمنع العساكر من الهجوم على الحصن عند الحصار ، بل عمل في بابه زلافة من حجارة صوان ، حتى إذا هجم العسكر لم تثبت قوائم الخيل على الصوان لللاسته . فلم تنزل هذه الزلافة باقية إلى أيام الملك الكامل محمد بن العادل ، فأور بنقضها لما زلت به فرسه وسقط عنها .

(١) ويوافق أول الحرم بها الثاني عشر من فبراير سنة ١٠٩٢ . ويلاحظ أنه قد أسقط سنة ١٨٥٠ .

(٢) في الأصل : وزاد من وراثته قطعة .

(٣) الباشورة بناء ذو منطقات أمام كل باب أو خلفه ، يقصد به تمويج هجوم الماسكر على الباب وقت الحصار وتمويج دخول الخيل إلى المدينة في مجموعة كبيرة دفعة واحدة . وقريب من هذا المعنى ما ذكره حوزي من أن الباشورة هي الحائط الظاهري للحصن يخفى وراءه الجند القتال . الخطط : ١ : ٣٧٧ - ٣٨٠ : Dozy: Supp. Dict. Ar.

فيها جرد أمير الجيوش عسكرياً إلى ثغر صور ، وكان المنووي^(٢) به قد خرج عن الطاعة . فسار العسكر ونزل على الثغر ، فخاف أهل البلد من سطوة أمير الجيوش ، فلم يعرضوا لقتال فهجم العسكر البلد وانتهبوا أهله ، وقبضوا على أميرها وعلى جماعة من الناس وسيروهم إلى أمير الجيوش فقتلهم ؛ وبعث بفريضة ستين ألف دينار على أهل صور ، وكان ذلك في رابع عشر جمادى الآخرة .

وفيها نفي قتل أبي علي حسن بن عبد الصمد بن أبي الشحنة السقلاي صاحب الرسائل والشعر ، وكان بديوان الإنشاء ، وشعره [١٠٩ ب] ورسائله مشهورة . ويقال إن القاضي الفاضل عبد الرحيم كان جلّ اعتاده على رسائله . ومن شعره :

أصبحت تُخرجني بغير جرعة	من دار لإكرامٍ لِدَارِ هوان
كُتِمَ القِصَادُ بِرَأَقٍ أُرْدَلُ مَوْضِعٍ	أبدًا ، ويخرج من أعزّ مكان
نَقَلْتُ مَوَازِينَ الْعِبَادِ بِفَضْلِهِمْ	وفضيلتي قد خففت ميزاني

(١) ويرافق أول الحرم منها أول أيام فبراير سنة ١٠٩٣ .

(٢) وكان أمير الجيوش ولما أميراً يعرف بمثير الثورة الجيوشي ، وقد ثار به أهلها عندما أعلن عصيانه ، رمه الذين ملئوها لجيوش مصر . التكامل : ١٠ : ٧٧ .

في شهر ربيع ، وقيل في جمادى الأولى^(٢) ، توفى أمير الجيوش بدر الجمالي بن مرضى نزل به من أول السنة حتى أسكت فلم يقدر على الكلام إلى أن مات وقد ناهز ثمانين سنة ، وجنسُه أرمي ، وكان مملوكا لجمال الدولة ابن عمار ، فلذلك قيل له بدر الجمالي . وما زال يأخذ نفسه بالجد من شبيبته فيما يُبَاشِرُه ، ويُوَطَّن نفسه على قوة المزم فيما يرومه ، ويتنقل في الرتب العالية ، حتى ولى بلاد الشام وتقلد إمارة دمشق من قبل المستنصر مرتين ، وثار عليه أهلها . وكانت في إمارته الفتنة العظيمة التي احترق فيها قصر الإمارة وجامع بني أمية . ثم إنه رحل عن دمشق إلى مصر ، وقلده المستنصر عكا . فلما فسدت أحوال مصر وتغيرت أمورُها وخربت كان يتلغى ذلك فيتحسر لِمَا يَبْلُغُه ويتلغى لكونه بعيداً عن مصر . فلما كاتبه المُستنصر ودخل إلى القاهرة تحكَّم في بلاد مصر تحكَّم الملك ، ولم يبق للمستنصر من أمر ، وأتى إليه مقاليد مملكته ، وسلم إليه أمور خلافته ، فضببطها أحسن ضبط . فاشتدت مهابته في قلوب الخاصة والعامة ، وخاف سطوته كلُّ جليل وكبير ، لعظم بأسه وكثرة بطشه ، وقتله من الخلائق ما لا يمكن ضبطهم ولا يعلم عدتهم إلا اللههم سبحانه . وبقتله أكابر المصريين من الأمراء والقواد والوزراء والأعيان ، من أهل القاهرة ومصر وبلاد الصعيد وأسفل الأرض وثغرها مياط وتيس والإسكندرية ، الذين كانوا قد تمرنوا على الفساد ، ونشأوا في الفتن واعتادوا بضرة الخلق ، ولصلاح أحوالهم من ذلك صلحت الديار المصرية بعد فسادها ، وعمرت بعد خرابها ، وزال عكس^(٣) المستنصر وابتدأت سعادته .

(١) ديوان أول الحرم منها الحادي والعشرين من يناير سنة ١٠٩٤ .

(٢) هكذا ورد في الأصل : في شهر ربيع (دون تحديد أي الربيعين) ، وقيل في جمادى الأولى . ويوافق النوري المقرئ في هذا ويحدد ربيع بأنه ربيع الأول . ويحدد ابن الأثير وفاته في ذي القعدة . راجع الكامل : ١٠ : ٨١ . ولا يحدد صاحب التيجان الزمرة الشهر . ويذكر ابن القلانسي أنه مرض في هذه السنة واشتد به مرضه في جمادى الأول منها وتوفى في العاشر منه . ذيل تاريخ دمشق : ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) استيصال مستخدم في مصرنا هنا ، يقصد به التعبير عن انكشاف الفتنة وانفراج الكربة .

وكان من جميل أفعاله أنه لما قتل المفسدين من الأجناد والعربان وغيرهم أطلق الخراج للمزارعين ، ولم يأخذ منهم شيئاً ثلاث سنين . حتى صَلُحت أحوال الفلاحين . واستعنى أهل مصر في أيامه ، وَدَرَّتْ عليهم أَخلافُ النَّعم بعد توالي الشدائد الكبيرة . ومقاساة الألم . وكثر ترداد التجار في أيامه إلى مصر بعد نزوحهم عنها . وخروجهم ليشدة البلاء والحوار فيها .

وكانت مدة تحكمه بالديار المصرية إحدى وعشرين سنة . وكان غزوف النفس شديد البطش ، عالٍ الحمة عظيم الحبة : حسن التأتى جميل السياسة ، مظفرًا ، سعيد الجد ، سخياً ، مفضلاً . قصده علقمة بن عبد الرزاق العليسي ، فلما وافى بابَه شاهد أشرف الناس وكبراهم وشراهم وعلماءهم على بابِه وقد طال وقوفهم ومقامهم ، ولا يصلون إليه . لبينا هو كذلك إذ خرج أمير الجيوش يريد الصيد . فخرج في أثره وأقام معه حتى رجع من صيده ، فَمَتَلَمَّا قَارِبَهُ وقف على نلٍّ من رمل ، ورى برقعة كانت في يده ، وأنشد :

نحن التجارُ ، وهذه أعلقتنا	دُرُّ ، وَجُودُ يَمِينِكَ المبتاع
قَلْبٌ ، وَفَتَشَهَا بِسَمْعِكَ ؛ إِنَّمَا	هِيَ جَوْهَرٌ تَخْتَارُهُ الأسماع
كسدت علينا بالشأم ، وكلَّمَا	قَلَّ التَّفَاقُ تَعَطَّلَ الصَّنَاع
فَأَتَاكَ يَحْمِلُهَا إِلَيْكَ تِجَارُهَا	وَمَطِيلُهَا الآمال والأطماع
حتى أَنَاخُوهَا بِبَابِكَ ، والرَّجَا	مِنْ دُونِكَ السُّسَار والبياع
فَوَهَبَتْ مَا لَمْ يُعْطِهِ فِي دَهْرِهِ	هَرَمٌ ، وَلَا كَعْبٌ ، وَلَا الْقَعْقَاع
وسبقت هَذَا النَّاسَ فِي طَلَبِ الْعَلَا	وَالنَّاسُ بِعَدْلِكَ كُلُّهُمْ أَتْبَاع
يَا بَدْرُ ، أَقْسَمُ ؛ لَوْ بَكَ اعْتَصَمَ الْوَرَى	وَلَجَرَا إِلَيْكَ ، جَمِيعُهُمْ . ماضوا

وكان بيد بدر باز ، فدفعه لأحد مماليكه وجعل يستعيد الأبيات . وهو معه ، إلى أن استقر في جلسه . فلما اطمان قال للحاضرين عنده ؛ مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَخْلَعْ نَابِيهِ . فبادر حينئذ الحاضرون ، ولم يبق منهم إِلَّا مَنْ أَتَى لَهُ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ . حتى صار إليه منهم ما حمله على سبعين بَقْلًا عندما خرج من المجلس ؛ ومع ذلك أمر له أمير الجيوش من ماله بعشرة آلاف درهم .

قال [١١٠] قاضى الرشيد أحمد بن الزبير فى كتاب العجائب والطرف والهدايا والتحف : ولما مات أمير الجيوش بئر المُستنصرى خلّف سبعمائة غلام ، كلُّ غلام له من المال ما ينيف عن المائة ألف غلام^(١) . وخلّف من المال بعد عمارة سور القاهرة ستة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف ألف درهم فى دار الوزارة ؛ ومن الجوهر والياقوت أربعة صناديق ومن القُصْب الفضة والذهب والمراتب ، ومن السروج المحلاة ، ما يُعجز عن وصفه . وخلّف ألف قصبة زمرد ، لأنّه كان له به غرام عظيم ، جمعت له من جميع الأقطار .

ولما مات أمير الجيوش كان أجلّ غلمانه من الأمراء نصر الدولة أفتكين ، وبليه فى الرتبة أمين الدولة صالى ، ويقال لأون ، فبعث لأون لكلِّ جماعة من الأمراء الجيوشية مالاً واتمس منهم الرضا به أن يلى الوزارة مكان أستاذه أمير الجيوش ، فوافقه على ذلك فأقر أمره مع المستنصر ؛ فطلبه بعد موت أمير الجيوش وأفاض عليه خلع الوزارة وجلس فى الشباك عند الخليفة ليتولّى على العادة . وكان نصر الدولة أفتكين قد بلغه ذلك من قبل ، فركب وطاف على الأمراء ، كلِّ واحد بمفرده ، وغلّطه فيما عزم عليه ، وقبح أن يكون أحدُ خُندًا شيتته^(٢) يتحكم عليه مع وجود أولاد أستاذهم ؛ مع ما قد عُرف من بخل لاون ، ونحو ذلك من القول ، حتى رجعوا عن لاون . فعندما طلبه المستنصر وخلع عليه ركب نصر الدولة فى جميع الأمراء بالسلاح وصاروا إلى القصر ، ووقفوا فى الصحن ؛ فشقّ ذلك على المستنصر وعلى منْ بحضرته من خواصه . وشرع الأمراء فى مخاطبة المستنصر فى إبطال وزارة لاون ، وهو يأتى عليهم ، حتى طال الخطاب . فقال المستنصر إذا أقمنا قصبة قُبل أمرنا . فقال الأمراء ، إذا أتمت هذه القصبة قطعناها بهذه السيوف ؛ وجردوا سيوفهم ،

(١) هكذا فى الأصل . ولم أجد فيما بين يدي من المراجع ما يساعد على التحديد . ولعل المقصود : المائة غلام .

(٢) جمع خُنداش ، وهو مرب الفظ الفارسى غوراجاتاش ، لى التزيم فى اللعبة ، وهى أيضا الموشاة والمطفاشية ، أو الموشداشية : الأمراء الذين نشأوا ممالك عند سيد واحد فنبئت بينهم رابطة زمالة . السلوك : ١ : ٢٨٨ سائفة : ٣ .

ولم يبق إلا وقوع الشر . فقال المستنصر لم خيراً ، وأمر بإحضار الأفضل بن أمير الجيوش ،
وَقُرِّرَ في الوزارة مكان أبيه ، ويظل أمر لاون ، فاستمرَّ إلى ليلة الخميس الثامن عشر من
ذي الحجة .

وفيه مات الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معدّ ، فلما كان عند موته حصل وعد عظيم
وبرق كثير ومطر غزير ، وعمره يومئذ سبع وستون سنة وخمسة أشهر ، منها في خلافته
ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، مرّت به فيها أهوال عظيمة ، وشدائد آلت به إلى أن
جلس على نعش ، لا يجد من القوات إلا ما تنصّدق به عليه الشريفة ابنة صاحب السبيل
في كلّ يوم ، فلا يأكل غير مرة واحدة في اليوم من قَعَب فتيت تبعثُ بها إليه ، كما قد
تقدم ذلك .

وكان قد قوى أمره وقام بتدبير وزارته عند إقامته في الخلافة وزيرُ أبيه علي بن أحمد
الجرجرائي ، فمشت الأحوال على سدادٍ إلى أن مات ، فحكمت أمّه في الذلّة وولّت أبا سعيد
إبراهيم اليهودي التُّستَرِي وزارته^(١) ، فصار هو الذي يلى الوساطة ويدبّر الأموال إلى أن قتل .
فلما كانت سنة اثنتين وستين اختلطت الأمور وتعاضل الأمر ، فكان من الغلاء والفتن والبلاء
والنهب ما تقدم ذكره .

وولى وراثته أربعة وعشرون وزيراً ، وهم : أبو القاسم الجرجرائي إلى أن مات وزيراً في
سنة ست وثلاثين ، فولى أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحى إلى أن قتل في سنة تسع
وثلاثين ، فولى عماد الدولة أبو البركات الحسين بن محمد الجرجرائي مرتين إلى أن عَزَلَ
في سنة أربعين ، فولى صاعد بن مسعود أبو الفضل وصرف في سنة اثنتين وأربعين ،
فاستقر أبو محمد البازورى مضافاً إلى القضاء والتّقْدمة على الدعاة ، ولم يُجمَع ذلك لأحد
قبله ، إلى أن قبُض عليه في محرم سنة خمسين ، فاستُوزر أبو الفرج عبد الله بن محمد
البابلي ثم صرف بعد شهرين وأربعة عشر يوماً . واستقر أبو الفرج محمد بن جعفر بن

(١) تقدم تسميح هذا الاسم إذ هو سهل بن هارون ، وأما إبراهيم فاسم أخى أبي سعيد .

محمد بن علي بن الحسين المغربي ثم صرف في سنة اثنتين وخمسين ؛ وأعيد البابل ثم صرف بعد أربعة أشهر . وتولى عبد الله بن يحيى بن المدبر في صفر سنة ثلاث وخمسين وصرف بعد شهرين ؛ وتولى عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارق في رمضان منها إلى أن توفى في محرم سنة أربع وخمسين ؛ فتولى بعده [١١٠ ب] أخوه أبو علي أحمد سبعة عشر يوما وصرف ؛ فأعيد البابل مرة ثالثة في ربيع الأول ، فأقام خمسة أشهر واستعفى فوزر أبو عبد الله الحسين بن سديد الدولة الماسكي ؛ ثم صرف بآبي أحمد بن عبد الكريم ابن عبد الحاكم ، فكان ينقل من القضاء إلى الوزارة ثم يعود إلى القضاء ؛ وصرف بابن المدبر ، فأقام إلى أن توفى ؛ فأعيد أبو أحمد بن عبد الحاكم في ذى الحجة سنة خمس وخمسين فأقام خمسة وأربعين يوما ، وصرف بآبي غالب عبد الطاهر بن فضل المعجمي ، فتولى غير مرة ، وكان جلده من دُعاة الدولة ؛ فولّى مرة في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وصرف بعد ثلاثة أشهر ، وولى أخرى في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وصرف بعد ثلاثة وأربعين يوما ، وفي ثالثة في أيام الفتنه وقتله تاج الملوك شاذى بالقاهرة في سنة خمس وستين . وولى الوزارة أيضا الحسن بن ثقة الدولة بن أبي كدينة ، وجمع له بين القضاء والوزارة سبع مرات ، ووصل أمير الجيوش وهو وزير فقيض عليه وقتل بدمياط . وولى أبو المكارم سعد وتنقلت به الأحوال حتى قتله أمير الجيوش ؛ ثم وزر بعده أبو علي الحسن ابن أبي سعيد التُّشْتَرى عشرة أيام ثم استعفى ، وكان يهوديا فأسلم . ثم استوزر أبو القاسم عبد الله بن محمد الرعياني مرتين ، كل منهما عشرة أيام ؛ ثم ولى الأمير أبو الحسن بن الأتباري أياما وصرف . فتولى أبو علي الحسن بن سديد الدولة الماسكي أياما ، وهذه وزارته الثانية ؛ ثم صرف بآبي شجاع محمد بن الأشرف بن فخر الملوك وصرف ، فصار إلى الشام ولقبه أمير الحوش فقتله ، وأبو غالب جلده كان وزيراً لبهاء الدولة بن عضد الدولة ملك العراق . ثم ولى بعده أبو الحسن طاهر بن وزير الطرابلسي ثم صرف ، وكان أحد الكتاب بديوان الإنشاء ؛ فولى بعده أبو عبد الله محمد بن أبي حامد التتيمى يوما واحدا وقتل ،

فوجد له مال كثير . ثم ولى أبو سعد منصور بن أبي أيمن سورس بن مكرواه بن زنبور ، وكان نصرانياً فأسلم ، ويقال إنه لم يسلم ؛ ثم ولى بعده أبو العلاء عبد الغنى بن نصر بن سعيد الضيف وصرف . فلما قدم أمير الجيوش تسلمها .

ولما قدم أمير الجيوش من عكا صار وزير السيف والقلم ، وولى القضاء أيضاً ، وزيد في ألقابه كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين . ثم لما مات وزر من بعده ابنه الأفضل .

وأما قضاته ، فقد تقدم من جمع له القضاء مع الوزارة . والذين أفردوا بوظيفة القضاء عبد الحاكم بن سعيد الفارقى فى أول خلافته ؛ ثم تقلد القضاء القاسم بن عبد العزيز ابن النعمان ؛ ثم أبو يعلى ، ويقال أبو الحسن ، أحمد بن حمزة بن أحمد العرقى ومات ؛ فولى أبو الفضل القضاعى ؛ ثم جلال الدولة أبو القاسم على بن أحمد بن عمار . وولى الفضل ابن نباتة ، ثم أبو الفضل بن عتيق ، ثم أبو الحسن على بن يوسف بن الكتال ، ثم فخر الأحكام أبو الفضل محمد بن عبد الحاكم ، وكان فى أيامه ما قد تقدم ذكره من الرزايا .

وكان نقش خاتمه : « بنصر السميع العلم ينتصر المستنصر أبو عيم » .

ومما رثى به المستنصر قول حطّى الدولة أبو المناقب عبد الباقي بن على التنوخى الشاعر ، من أبيات :

وليس ردىّ المستنصر اليوم كالردى	ولا قلوه أمرٌ يقاس به أمر
لقد هاب ملك الموت إتيانه ضحى	ففاجأه ليلاً وما طلع الفجر ^(١)
فأجزى عليه ، حين مات ، دموعنا	سقاء ، فقال الناس : لا ؛ بل هو القطر
وقد يكت الخساء صخرًا ، وإنه	ليبيكيه من قرط المصاب به الصخر
وقلدنا ^(٢) المستحل الطهر حذب ما	عليه قديما نصّ واللّه الطهر

(١) فذ النجم الزاهرة : هـ : ولم يطلع الفجر .

(٢) فذ النجم الزاهرة : هـ : وقلدها .

الفهرس

الموضوع	السنة	الصفحة
الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز بالله	(٣٨٧ هـ - ٤١١ هـ)	٣ - ١٢٣
الظاهر لأعزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم		
بأمر الله أبي علي منصور	(٤١١ هـ - ٤٢٧ هـ)	١٢٤ - ١٣٥
المستنصر بالله أبو تميم محمد بن الظاهر لأعزاز		
دين الله	(٤٢٧ هـ - ٤٨٧ هـ)	١٨٤ - ١٨٥
ذكر الفتنة التي آلت إلى أخواب ديار مصر		٢٦٥ - ٢٦٧

رتم الإيداع بدار الكتب
١٦٧٠/٥٨٧٥

مطابع الأهرام التجارية - قنوب

